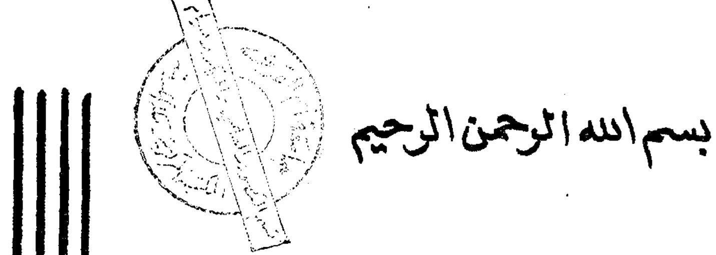


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة



بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء

رسالة دكتوراه

مقدمة من

عبد الشكور بن محمد أمان بن عبد الكريم العروسى

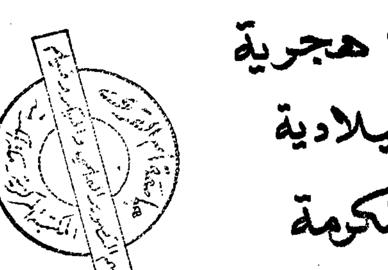
إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله عبيد

سنة ١٤٠٢ هجرية

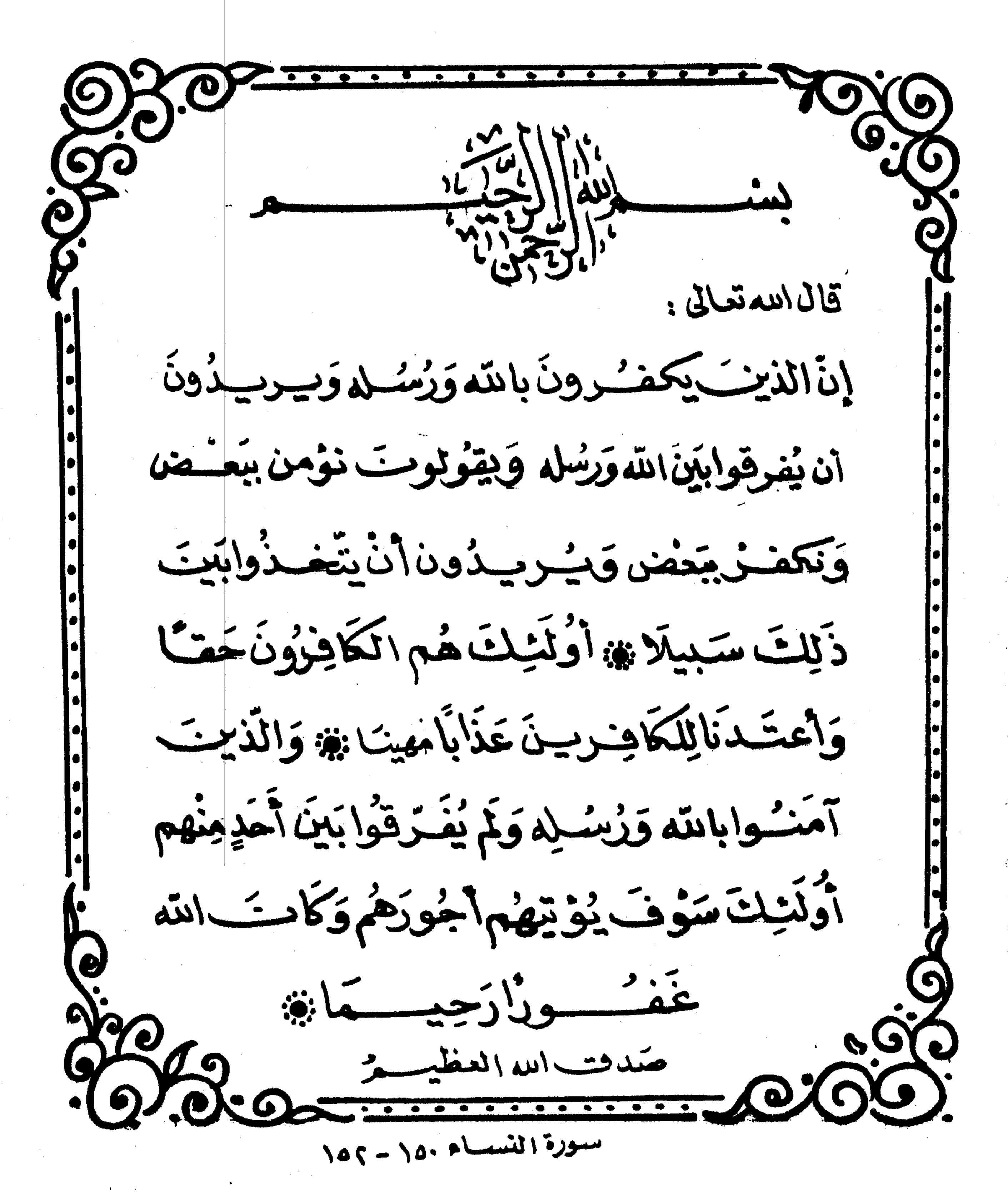
١٩٨٢ ميلادية

مكة المكرمة





الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

إنَّ الذينَ يكفُرونَ بالله وَرُسُلهِ وَيريدُونَ
أن يُفرِقوا بَينَ الله ورُسُله وَيقُولونَ نؤمن ببَعْض
وَنكفرُ ببَعض وَيُريدُون أنْ يتَّخذُوا بَينَ
ذَلِكَ سَبيلاً ۝ أُولَئِكَ هُم الكَافِرُونَ حَقاً
وَأعتَدنا لِلكَافِرينَ عَذاباً مهيناً ۝ وَالَّذينَ
آمَنُوا بالله وَرُسُلِهِ وَلَم يُفَرِّقُوا بَينَ أَحَدٍ مِنهم
أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتيهِم أجُورَهُم وَكَانَ الله
غَفُوراً رَحِيماً ۝

صَدقَ الله العظيم

سورة النساء ١٥٠ - ١٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر ودعـــاء

أحمد الله تعالى وأشكره على نعمه الجليلة وآلائه المتواترة الجزيلة ، وأصلى وأسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأتوجه الى الله تعالى بالدعاء بالجزاء الأوفى لكل من ساهم في تعليمي منذ نشأتي حتى بلوغي هذه المرحلة المتقدمة من دراساتي العليا . وأخص بالدعاء استاذى الكريم فضيلة الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله عبيد الذى أشرف على هذا البحث ومنحنى من نصحه وعلمه ووقته الشيء الكثير ،وكان لاخلاصه وخبرته الطويلة ،وتوجيهاته السديدة أكبر الأثر في انجاز هذا البحث فجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء . ولا يفوتني أن أخص بالدعاء أستاذى الجليل فضيلة الشيخ محمد الغزالي الذى أشرف على هذا البحث في مراحله الأولى ،ومنحنى من عطفه وتوجيهاته القيمة وآرائه النفيسة ما أرجو أن يكون له ذخرا عند الله تعالى .

وأتقدم بخالص الشكر والدعاء لجامعة أم القرى وكافة المسؤولين وخاصة معالي مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح ،وعمداء كلية الشريعة السابقين الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان والدكتور محمد بن سعد الرشيد والدكتور عليان محمد الحازمى وعميدها الحالي الدكتور على عباس الحكمي ووكيلها الدكتور حمزة حسين الفعر. ورئيس قسم الدراسات العليا الشرعية فضيلة الشيخ سيد سابق وجميع الموظفين والجنود المجهولين في هذه الجامعة الذين قدموا لطلاب الدراسات العليا خدمات جليلة عادت فوائدها على طلاب العلم بنتائج ذات أثر كبير في خدمة التراث الاسلامي والذب عن حمى العقيدة الاسلامية الطاهرة.

ولا أنسى أن أقدم شكرى ودعائي للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ولجميع المسؤولين فيها حيث تلقيت في رحابها دراساتي في المرحلتين الثانوية والجامعية تحت رئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله . جزى الله تعالى جميعهم كل خير ، وشكر لهم شكرا يعود عليهم برضوان الله وعفوه يوم الحساب انه سميع مجيب . والحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعـــات

الموضـــــوعات	الجزء الأول	رقم الصفحات

الموضوعـــات	رقم الصفحات

الموضوعـــات | رقم الصفحات

الموضوعـــات	رقم الصفحات

الموضوعــــات | رقم الصفحات

الموضوعــــات	رقم الصفحات

الموضوعـــــات	رقم الصفحات

الموضوعات	رقم الصفحات

الموضوعـــــات	رقم الصفحات

الموضوعــــات	رقم الصفحات

الموضوعـــات	رقم الصفحات

الموضوعــات	رقم الصفحات

الموضوعات	رقم الصفحات
- تمهيد	٤١٠
- المبحث الأول : في تعريف الوحي والنبوة والرسالة وآيات الأنبياء	٤١٠-٤١٤
أ - تعريف الوحى	
ب - تعريف النبوة والرسالة	٤١١
جـ - تعريف آيات الانبياء	٤١٣-٤١٤
المبحث الثاني : صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام	٤١٥-٤٢٥
- العصمة	٤١٦
- متعلق العصمة	٤١٧
- مكانة الأنبياء في الاسلام	٤٢٠-٤٢٥
المبحث الثالث : بيان موقفهم من الأنبياء على وجه الاجمال	٤٢٦-٤٣٢
١ - من الأسفار اليهودية	
٢ - من أناجيل النصارى	٤٢٧
٣ - من القرآن الكريم	٤٣٠-٤٣٢
المبحث الرابع : بيان اسماء بعض الانبياء الذين قتلهم بنو اسرائيل	٤٣٣-٤٣٨
١ - اشعياء	
٢ - أوريا بن شمعيا	
٣ - حزقيال	٤٣٤
٤ - زكريا بن يهوياداع	
٥ - ارمياء	٤٣٥
٦ - يوحنا المعمدان او يحيى بن زكريا عليهما السلام	٤٣٦-٤٣٨
الفصل الثاني : موقف بنى اسرائيل ممن سبقهم من الأنبياء	٤٣٩-٥٣٠
- تمهيد	٤٤٠

الموضوعـــات	رقم الصفحات
المبحث الأول : موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته	٤٤١-٤٥١
- اولا صلاح نوح عليه السلام	٤٤٢
- ثانيا وحي الله الى نوح عليه السلام	
- ذكر فساد قومه	٤٤٣
- اغفال دعوة نوح عليه السلام	
- ابراز الجانب المادى في قصة نوح عند اليهود	٤٤٤
أ - الاسماء والانساب والاعمار	
ب - السفينة ومافيها	٤٤٥
جـ - وصف مياه الطوفان وهلاك النفوس بها	٤٤٦
- وصفهم نوحا بالسكر والتعرى	٤٤٨-٤٥١
المبحث الثاني : نقد موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته على ضوء ما جاء في القرآن الكريم	٤٥٢-٤٥٨
المبحث الثالث : موقفهم من ابراهيم عليه السلام ودعوته	٤٥٩-٤٧٥
- لماذا رحل ابراهيم من ارض قومه	
- هجرة ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم وعلاقته بربه	٤٦٢
- تعريف معنى الهجرة	
- بيان السبب الذى هاجر ابراهيم من اجله عليه السلام	٤٦٤
- بيان مهاجره عليه السلام	٤٦٧
- عقد المقارنة بين القصص القرآني ورواية اليهود في شأن الهجرة وسببها	٤٦٩
- علاقة ابراهيم بالرب من سفر التكوين	٤٧٢
- النصوص المتضمنة للوعد الالهي	
- الميثاق بين الرب وابراهيم عليه السلام حسب رواية اليهود	٤٧٤-٤٧٥

الموضوعـــات	رقم الصفحات

الموضوعـــات	رقم الصفحات

الموضوعـــات	رقم الصفحات

*

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث :

الحمد لله المتصف بصفات الكمال ، المنعوت بنعوت الجلال والجمال ، المتعالي عن النقائص ومشابهة المخلوقين في الصفات والأفعال ، المتنزه في ربوبيته وألوهيته عن الشركاء والأمثال ، باعث الرسل ليخرجوا الناس من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وما يسعد في الحال والمآل ، فبلغوا رسالات ربهم على أتم الوجوه وأفضل الخصال ، فصلوات الله وسلامه عليهم بعدد الحصى والرمال . وعلى من آمن بهم واهتدى بهداهم واقتدى بسننهم الى يوم الحشر والمآل .

أما بعد :

فان تصحيح العقيدة و تقويمها هما المهمتان اللتان بعث الله عز وجل من أجلهما الرسل ، وأنزل الكتب . والعقيدة هي التي يسعد بها قوم ، و يشقى آخرون . وهي التي من أجلها فريق في الجنة ، وفريق في السعير . وان موضوعا له هذا الثقل في الميزان لجدير أن يكون مرتع عقول المفكرين ، ومسرح أنظار الباحثين . قديما وحديثا ، فمن أجل ذلك جرت في قديم الزمان وحديثه بحوث ودراسات في مختلف شؤون العقيدة . غير أنها على كثرتها و تشعب مسائلها لا تزال تترك للباحث ناحية من النواحي المتعددة التي تحتاج الى دراسة جادة وعناية خاصة . وبذلك ترك الأول للآخر شيئا . غير أنه تركه بعد أن مهد سبيله ، وفتح طريقه وذلل صعابه . وبهذا يكون الفضل للمبتدئ وان أحسن المقتدى .

وأن مما لا شك فيه أن الأديان الالهية تتفق اصولها فيما يتعلق بمبادئ العقيدة وأصول الايمان وان اختلفت مناهجها في الفروع . ذلك لأنها تصدر من عند الله تبارك و تعالى ولأن موضوعها هو الايمان بالله وملائكته و كتبه ورسله وباليوم الآخر و بالقدر خيره وشره من الله تعالى . وهو أمر غير قابل للتغيير والتبديل . لكونه من الحقائق الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان . ولذلك لا يتطرق النسخ الى نصوصها .

والأديان التي جرت عادة الناس على تسميتها بالأديان السماوية في عصرنا هذا ، هي اليهودية والنصرانية والاسلام . و تنسب الأولى الى نبي كريم من أنبياء الله تعالى هو موسى عليه السلام الذى بعثه الله الى بنى اسرائيل قبل ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا من ميلاد عيسى ابن مريم عليه السلام (١) ، وآتاه التوراة فيها هدى ونور . و تنسب الثانية الى نبي كريم من أنبياء الله هو عيسى ابن مريم عليه السلام ، الذى أرسل الى بنى اسرائيل قبل ستة قرون من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأتاه الانجيل يصدق بالتوراة ويحل لقومه بعض ما حرم الله عليهم فيها ، ويصحح لهم بعض ما افسدوه منها ، ويبشرهم برسول يأتي من بعده ،وهو محمد صلى الله عليه وسلم . وأرسل بالاسلام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرن السابع من ميلاد عيسى عليه السلام ، أى بعد عشرين قرنا من مبعث موسى عليه السلام ، فقد بعثه الله تعالى بالاسلام الى الناس كافة ،وأنزل عليه كتابا هو القرآن الكريم ،أنزله نورا مبينا ، ومهيمنا على الكتب السابقة ،وناسخا ما سبق من الشرائع الالهية ، وموءكدا استمرار تلك الأصول الثابتة من العقيدة .

ولكل من هذه الأديان الثلاثة مكانتها وقدسيتها عند أصحابها ، حيث أنهم لا يقبلون من أى أحد انتقاصها أو النقاش فيها . ويدافعون عنها بالنفس والمال اذا لزم الأمر . ولا غرابة في ذلك فان العقيدة الهية كانت أم وضعية ،عزيزة عند أصحابها الذين يوءمنون بصحتها وقدسيتها ، ولو كانت في حقيقة الأمر غير صحيحة . ذلك هو ما حصل في تاريخ الديانتين السابقتين

---

(١) يختلف الباحثون في تاريخ خروج بنى اسرائيل من مصر . ذلك التاريخ الذى يرتبط برسالة موسى ومبعثه عليه السلام. فمنهم من ذهب الى انه كان في القرن السادس عشر قبل الميلاد وهو ما قرره الموءرخ المصرى القديم (مانيثون) . ومنهم من ذهب الى انه كان في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ومنهم من قال انه في الثلث الاول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وآخرون قالوا انه في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . راجع موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية لزكى شنودة جـ٨ص٢٧-٢٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م الناشر مكتبة النهضة المصرية .

على الاسلام ، فكم تعرض اليهود للعذاب والارهاب من الملوك الوثنيين ومن ملوك النصارى! وكم تعرض النصارى للقتل والتنكيل على أيدى اليهود بعد غياب المسيح عليه السلام؟ ومن بعد ذلك كله كيف حارب المشركون من أهل مكة ومن حالفهم دعوة الاسلام في سبيل الدفاع عن عقيدتهم الباطلة ،وقدموا من أجل ذلك الشيء الكثير! ثم كيف تحمل المسلمون الأوائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل ايمانهم من الفتن والمصاعب ما يصعب وصفه ؟ كل ذلك ما كان يثنى صاحب العقيدة عن عقيدته . غير ان تبين الرشد من الغى والرؤية الواضحة الواعية هو الذى ينقل المرء من العقيدة الباطلة الى العقيدة الصحيحة ، هذا شأن العقيدة و تلك شؤون أصحابها مهما اختلفت معتقداتهم .

فعقيدة لها هذه المكانة والمنزلة في نفوس أصحابها ، ليس من المقبول عند من يؤمن بها ان يتعرض لها باحث بالنقد حقا كان ذلك أم باطلا ، غير ان ذلك لم يكن يحول بين الباحث وبحثه ،والناقد ونقده ، ما دامت النية صالحة ،والنقد مبنيا على أساس من الانصاف ،بعيدا عن هوى النفس ونزعاتها .

فاليهودية التي تعتبر أولى هذه الديانات الثلاث هي موضوع هذا البحث . وعمدته الأسفار اليهودية المقدسة لديهم . والتي سيأتى تقويمها ودراسة محتوياتها في الباب الأول من هذه الرسالة . وذلك مع الرجوع الى ما كتبه الباحثون والمؤرخون في هذا الشأن . وسيتضح للقارئ من هذه الدراسة ما في العقيدة اليهودية من صفاء أو كدر في مجالي الألوهية ،والنبوة . وسيظهر جليا من هذه الدراسة أيضا مدى صلة اليهودية بالوحى الالهي أو بعدها عنه . ذلك الوحى الذى أنزله الله على موسى عليه السلام الذى آتاه الله التوراة كتابا يهدى به الى الحق . فموسى ومن سبقه من أنبياء الله أو من جاء بعده منهم عليهم الصلاة والسلام ، حقيق أن لا يقولوا على الله غير الحق الذى أوتوه وهدوا اليه من ربهم تبارك و تعالى .

ومع ما سبق توضيحه من أهمية موضوع العقيدة ومسائله التي تثير اهتمام الباحثين قديما وحديثا ، فقد أثار اهتمامي بهذا الموضوع وحرك رغبتى في الكتابة

فيه بعد دراسته ، ما جاء في كتاب الله تعالى المنزل على خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، ما حكى الله تعالى من مواقف بني اسرائيل من الذات الالهية المقدسة ، حيث وصفوه تعالى بالفقر ووصفوا أنفسهم بالغنى ، اذ قالوا : " ان الله فقير ونحن أغنياء "(١) وحيث كفروا به فعبدوا العجل : " فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى "(٢) ؛ وكذلك ما حكى الله عنهم جل شأنه من موقفهم من أنبيائه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم ، ذلك الموقف الذى يبينه القرآن الكريم في قوله تعالى : " ويقتلون الأنبياء بغير حق "(٣) وبقوله : " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون "(٤) . وبقوله : " كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون "(٥) .

وبالاضافة الى ما جاء في هذه الايات وغيرها من مواقف بني اسرائيل المضطربة في هذين الأمرين ، أى الالوهية ، والنبوة اللذين يوجهان نظر الباحث ، ويثيران اهتمام القارئ ، فان موضوع بحثي الذى قدمته الى هذه الجامعة لنيل درجة الماجستير سنة ١٣٩٦هـ كان ذا صلة وثقى بالاسفار اليهودية . ذلك لأنه جرى في المقارنة بين الموقف النصراني والموقف الاسلامي في الذات الالهية . فالنصارى يعتبرون الاسفار اليهودية التسعة والثلاثين جزءا مهما من كتابهم المقدس المشتمل على العهدين القديم ، والجديد ،

فقد وقفت أثناء ذلك البحث على نصوص من الاسفار اليهودية تصف الله تعالى بصفات بعيدة كل البعد عما عرف من الحق من صفات الله العليا ، وتشبهه ببعض مخلوقاته تشبيها تشمئز منه قلوب المؤمنين بربهم العزيز المتعالي عن النقص ومشابهة الخلق . ووقفت على نصوص اخرى يتجلى فيها موقفهم من أنبياء الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) آل عمران ١١٨ (٢) سورة طه ٨٨ (٣) آل عمران ١١٢
(٤) سورة البقرة ٨٧ (٥) سورة المائدة ٧٠

هذا الموقف اليهودى الذى ذكره القرآن الكريم ،و تضمنته أسفار العهد القديم ، هو الذى دفعنى الى العزم على أن يكون موضوع رسالتي في الدكتوراة هو :

" بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والأنبياء "

ولما حقق الله رغبتي في الانتقال من مرحلة الماجستير الى مرحلة الدكتوراة ، بادرت بتسجيل هذا الموضوع سائلا المولى تبارك وتعالى أن يوفقنى لانجازه على الوجه الذى يرضيه تبارك و تعالى ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم سبحانه .

ومع ما سبق بيانه من الاسباب التي دفعتنى الى اختيار هذا الموضوع ،كان الهدف الذى قصدت اليه من الكتابة فيه ما يأتي :

أولا : تبيين أكبر انحراف وقع في مسير احدى الرسالات الالهية الكبرى وهي رسالة موسى عليه السلام الذى آتاه الله التوراة ليسير قومه على هديها ويهتدوا بنورها .

ثانيا : تبيين أنهم حرفوا الكتب المنزلة ، وتقولوا على الله وعلى أنبيائه ، و نسبوا ما كتبته أيديهم الأثيمة الى الله تعالى افتراء عليه وان ما في أيديهم منها مزيج غريب من الحق والباطل .

ثالثا : ايضاح ان ما قصه الله علينا في كتابه العزيز من انحراف بنى اسرائيل وتحريفهم للكتب الالهية و قتلهم أنبياء الله تعالى وايذاءهم يتفق مع ما في أسفارهم من الحقائق التي لم تمتد اليها ايدى التحريف .

رابعا : ان عقيدة بنى اسرائيل في الذات الالهية مخالفة لعقيدة الأنبياء ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وموسى وهارون وغيرهم من أنبياء الله الذين تركوا أممهم على المحجة البيضاء والسبيل الأقوم .

خامسا : بيان عبادتهم الأوثان في تاريخهم الطويل ،واعراضهم الشديد عن الله تبارك و تعالى وعن دعوة الرسل وصيحات الأنبياء المتتالية.

سادسا : أنهم لا يرون لأنبياء الله عصمة من الكفر والمعاصي وأنهم لا يراعون لهم مكانتهم الرفيعة ، ولا يرقبون فيهم حرمة .

سابعا : ايضاح انهم اهملوا في أسفارهم ذكر دعوات الانبياء لأممهم ، وأنهم لم يربطوا بين الرسل وأممهم برباط الدعوة والنصح . ولم يذكروا ما كان من أممهم من الكفر ، وما كان من رسلهم من الدعوة والاصلاح .

ثامنا : بيان انهم قتلوا أنبياء الله الذين يدعونهم الى ما يسعدهم في الدنيا والاخرة ، وأنهم آذوا كثيرا منهم وسعوا في قتلهم ولكن الله عصمهم منهم .

تاسعا : بيان أنهم نسبوا الى أنبياء الله الاطهار اعمالا لا تليق بمكانتهم الرفيعة . كالسكر والزنا وعبادة الأوثان ، والجرأة على رب العالمين ، وخداع الناس ، والكذب عليهم في سبيل الكسب المادى .

وهذه الأمور هي التي قصدت الى ايضاحها وتبيينها في هذا البحث عند اختيار موضوعه . وقد رتبته على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة : فقد اشتملت على بيان السبب الذى من أجله اخترت هذا الموضوع للبحث ، والهدف الذى قصدت اليه . واشتملت كذلك على الخطة التي وضعتها ، والمنهج الذى سلكته في اعداد هذا البحث .

وأما الباب الأول : فقد قدمت فيه دراسة للأسفار اليهودية التي يستمد منها اليهود عقائدهم وتشريعاتهم على أنها وحي الله تعالى الى أنبيائه . كما قدمت فيه تاريخ بني اسرائيل وآبائهم بايجاز . وقد تكون هذا الباب من فصلين :

فالفصل الأول : اشتمل على سبعة مباحث ، وقد بينت في تلك المباحث العدد الاجمالي للأسفار اليهودية وتقسيمها الى مجموعات وأهم محتوياتها .

واستعرضت فيها آراء الباحثين في تاريخها وفيمن كتبها . وفيها قدمت نماذج لأسفار لم يعرف موءلفوها ، كما تكلمت فيها عن أسفار التلمود ومحتوياتها . وبينت عقب ذلك شروطا ومعايير لا بد من اعتبارها لاثبات قدسية أى كتاب . وبينت هناك ان تلك الاسفار لا تتوفر فيها شروط الصحة والقدسية ، ثم بينت موقف الاسلام من الاسفار اليهودية ، وهو موقف يتلخص في الايمان بما وافق منها ما ثبت لدينا من نصوص ، وتكذيب ما خالفها مخالفة صريحة ، والتوقف فيما دون ذلك مما لا يوافق ولا يخالف ما عندنا مما لا يتعارض مع قواعد الدين والعقل .

والفصل الثاني : اشتمل على عشرة مباحث ، وقد بينت في مباحثه الجذور التاريخية لنشأة بنى اسرائيل ، وتطرقت الى دراسة موجزة لتاريخ آباء بنى اسرائيل . وهم ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ، وقدمت توضيحا لمعنى كل من ١ ـ العبريين أو العبرانيين ٢ ـ بنى اسرائيل أو اسرائيليين ٣ ـ يهود أو يهودى ٤ ـ صهاينة أو صهيونى وفيها ذكرت تاريخ بنى اسرائيل منذ نشأتهم الى عهد يشوع والقضاة ، كما بينت معنى التفضيل الالهى لهم المذكور في القرآن الكريم . وبينت في هذا الصدد ان الله عرض عليهم من أسباب الفضل وموجباته ما لو قبلوه لكانوا أفضل من غيرهم . ولكنهم رفضوا أسباب الفضل وموجباته ، فخسروا الفضيلة . ثم بينت فيها عنصرية بنى اسرائيل ، وأنها هي الموءثرة في عقيدتهم وسلوكهم على مر التاريخ .

وأما الباب الثاني : فقد بينت فيه موقف بنى اسرائيل من الذات الالهية وقد تكون هذا الباب من ثلاثة فصول :

فالفصل الأول : اشتمل على تسعة مباحث . بينت فيها عقيدة آباء بنى اسرائيل وموقف بنى اسرائيل من وجود الله وأسمائه وصفاته . ثم بينت موقفهم من الربوبية والألوهية . واستعرضت نصوصا من أسفارهم تدل على التوحيد الخالص.

ثم ذكرت نصوصا منا توهم تعدد الآلهة . ونصوصا اخرى تدل على موقفهم من صفة القدرة الالهية . وعقبت على ذلك بنصوص من القرآن الكريم . ثم بينت موقفهم من صفة العلم الالهي على ضوء ما في أسفارهم .

والفصل الثاني : اشتمل على ستة مباحث . بينت فيها اعتقادهم ظهور الذات الالهية لعدد من الناس ، وزعمهم أنهم سمعوا كلامه . كما بينت فيه جملة من الحوادث التى نسبوها الى الذات الالهية المقدسة مما لا يليق بذاته العلية . وذلك كالنوم والاستيقاظ ، والتعب ، والاستراحة ، والحزن ، والندم والسقم ، والتخمة ، والحيرة ، والبكاء ، واللطم ، واللهو ، واللعب ، وما شابه ذلك من حوادث يتنزه عنها الرب تبارك وتعالى . كما بينت فيه اعتقادهم أن الرب يسكن في مكان معين من الأرض وفي السحاب والزوبعة ، ثم بينت اعتقادهم وجود علاقة الأبوة والنبوة بين الله وبين البشر وبينت تأثير ذلك في عقيدة النصارى حيث زعموا أن المسيح ابن الله . ثم ذكرت ما نسبوا اليه من الجوارح كالفم ، واللسان ، والشفتين ، والجبهة ، والأنف ، والأذنين ، والرأس ، والقلب ، والأحشاء ، وما أشبه ذلك من جوارح دلت على تجسيم الذات الالهية المقدسة بظاهرها ، واقترنت بها ألفاظ تمنع ارادة غير التشبيه والتجسيم . ثم عقبت على ذلك بنصوص اسلامية تشتمل على بعض ما ورد في الأسفار اليهودية . وذلك كاليد ، والعين ، وغير ذلك . ووضحت أنها بعيدة عن التشبيه والتجسيم لاقترانها بألفاظ صريحة في الدلالة على ما يليق بذاته المقدسة على أساس من التقديس والتنزيه .

والفصل الثالث : اشتمل على خمسة مباحث . بينت فيها عبادة بني اسرائيل الأوثان في عهد موسى ، ثم بعده في عصر يشوع والقضاة ، واستمرارهم على عبادة الأوثان في عصر ملوكهم بعد عهد داود وسليمان عليهما السلام . وبينت أنهم ازدادوا كفرا وطغيانا وبعدا عن شريعة التوراة في عصر ملوكهم في مملكتي اسرائيل ويهوذا اللتين قام ملوكهما في مختلف العصور ببناء معابد الأصنام

وهياكل الأوثان ، ولم يسلم من الردة من ملوكهما الا عدد قليل منهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة . كما بينت بعد ذلك عباداتهم الأوثان في عصورهم المختلفة . وبصفة خاصة عباداتهم معبودا يدعونه صندلفون . وعقبت على ذلك كله بنصوص من القرآن الكريم تؤكد عباداتهم غير الله تعالى .

وأما الباب الثالث فقد بينت فيه موقف بني اسرائيل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول .

فالفصل الأول : اشتمل على أربعة مباحث ، وقد بينت فيها تعريف الوحي والنبوة والرسالة ، وآيات الأنبياء ، كما بينت فيه صفات الأنبياء ، وموقف بني اسرائيل منهم على وجه العموم . ثم ذكرت اسماء بعض الأنبياء الذين قتلوهم .

والفصل الثاني : اشتمل على أربعة مباحث : بينت فيها موقفهم من سبقهم من الانبياء كنوح وابراهيم واسماعيل ولوط عليهم الصلاة والسلام . وأوضحت فيها ما نسبوه اليهم من العيوب التي لا تليق بمكانتهم الرفيعة . كما بينت بوجه خاص اهمالهم لذكر دعوة نوح ، ورسالته الى قومه ، مع حديثهم المسهب عن الأمور التي لا تتصل بالدعوة . وذكرت وصفهم نوحا بشرب الخمر والسكر والتعرى ، ولعن البرئ ، ثم أوضحت بصفة خاصة اغفالهم ذكر الدعوة الابراهيمية وما نسبوا الى ابراهيم من التكسب الخبيث بعرضه ، ثم بينت موقفهم من اسماعيل وتعييرهم اياه بأنه ابن الأمة ، وأنه محروم من وراثة ابراهيم من أجل ذلك . كما بينت في هذا المجال أنهم لجأوا الى تحريف المكان الذى أقام به اسماعيل وهو مكة ، الى مكان آخر وهو برية بئر سبع . ثم ذكرت موقفهم من لوط عليه السلام الذى افتروا عليه وزعموا انه فجر بابنتيه . وذكرت بطلان ذلك وغيره من المواقف التي وقفوها من اولئك الانبياء الكرام .

والفصل الثالث : ذكرت فيه موقفهم ممن عاصروهم من الأنبياء . وقد اشتمل هذا الفصل على ستة مباحث تناولت فيها موقفهم من سبعة من أنبياء الله تعالى وهم يعقوب ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين . فقد بينت في كل مبحث من تلك المباحث نظرتهم الحاقدة الى هؤلاء الأنبياء وما وسموهم به من الكفر والمعاصي ، كنسبتهم الى هارون صنع العجل لقومه ، ونسبتهم الى داود فاحشة الزنا ونسبتهم عيسى الى ولادة غير رشيدة ، وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم مع ما ثبت في اسفارهم من نعوته الدالة عليه دلالة صريحة . وقد ناقشت مفترياتهم على أولئك النبيين ونافحت عنهم احقاقا للحق وابطالا للباطل .

وأما الخاتمة : فقد بينت فيها النتائج التي وصلت اليها في هذا البحث . وخلاصة ما تبين لي منه أثناء الدراسة التي أودعت عصارتها هذه الرسالة .

هذا ، وقد رجعت في اعداد هذا البحث وكتابته الى المصادر اليهودية الأساسية المعتمدة لديهم . وهي الاسفار التسعة والثلاثون التي يشتمل عليها الكتاب المقدس عند النصارى . وهي المعروفة لديهم بالعهد القديم . وقد عرفت بها وبينت محتواها في الفصل الأول من الباب الأول . ولقد قرأت تلك الأسفار قراءة وافية مكنتني من معرفة ما فيها مما يتعلق بنشأة بني اسرائيل التاريخية ، وتطورهم ، وعقيدتهم في الذات الالهية والانبياء . وبالاضافة الى تلك الاسفار ، رجعت الى اقوال اهل العلم في مختلف العصور من المسلمين وغيرهم ، وعرضت ما نقلوه وحكوه عن بني اسرائيل من اعتقاد على ما في أسفارهم من نصوص وبينت صحة ما نقلوه ودقة ما نسبوه اليهم . وقد استشهدت بآيات من القرآن الكريم على مواقفهم المتعددة في ذينك المجالين ، مجال الألوهية ، ومجال النبوة . وناقشت تلك المواقف على ضوء ما ثبت لدى من نصوصهم المعتمدة لديهم ، وما حكاه القرآن الكريم

عنهم ، مما يتفق مع ما في اسفارهم المحرفة من الاعتقاد المنحرف في ذات الله العليه وأسمائه وصفاته ، وفي انبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام.

ولقد سلكت في نقد مواقفهم ثلاثة مسالك :

المسلك الاول : نقد أدلتهم بالقرآن الكريم كنقد قولهم : " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل" (١) بقوله تعالى : " ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب " (٢) .

والمسلك الثاني : نقد نصوصهم بنصوصهم كنقد نسبة الندم اليه تعالى في مثل قولهم : " فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه " (٣) بقولهم في سفر العدد : " ليس الله انسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم " (٤) . وبقولهم في سفر صموئيل الاول :" وأيضا نصيح اسرائيـل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس انسانا ليندم " (٥) .

والمسلك الثالث : نقد نصوصهم بالعقل كنقد ادعائهم في سفر التكوين ان شكيم بن حمور الحوى واقع ابنة يعقوب المسماة دينة سفاحا ، ثم خطبها له أبـــوه حمور من أبيها يعقوب . فجاء اخوتها فدبروا مكيدة أرادوا بها الانتقام من شكيم وأهل مدينته . فاشترطوا للاستجابة لخطبته شرطا . وهوان يختتن كل ذكورهم . ففعلوا ذلك جميعا . فمال عليهم في اليوم الثالث شمعون ولاوى ابنا يعقوب عليه السلام ، وقتلا كل من في المدينة من ذكور بما فيهم شكيم وحمور ، واستردا أختهما دينة ، ونهبا المدينة ، واستوليا على جميع الممتلكات من مواش وحقول وثروات وأطفال ونساء (٦) .

---

(١) تكوين ٢ : ٢
(٢) سورة ق ٣٨
(٣) خروج ٣٢ : ١٤
(٤) عدد ٢٣ : ١٩
(٥) صموئيل الاول ١٥ : ٢٩
(٦) انظر سفر التكوين ٣٤ : ١-٢٩

وقد نقدت هذه القصة نقدا عقليا وتاريخيا من عدة وجوه : منها أن سن شمعون ولاوى عند وقوع الحادثة لا تؤهلها لقتال اهل المدينة و سبى ذراريها ونهب ممتلكاتها لأن شمعون كان في نحو السنة الثالثة عشرة من عمره ، ولاوى كان في نحو الثانية عشرة . وأن اختهم دينة كانت عند ذلك بنت سنتين أو ثلاث سنوات لا اكثر ، طبقا لما تدل عليه نصوص سفر التكوين . وذلك امر لا يقره العقل السليم .

ولقد بذلت جهدى وغاية طاقتي في سبيل اعداد هذا البحث والوصول به الى هذا المستوى الذى أرجو أن يكون خالصا لوجه الله الكريم ، وان يكون مفيدا لطلاب الحقيقة في هذا الموضوع الجدير بالدراسة والتحقيق . ليذب فيه كل مؤمن عن العقيدة الالهية الصحيحة في ذات الله تعالى العلية . وفي أنبيائه المكرمين صلوات الله وسلامه عليهم الى يوم الدين . وقد توخيت الدقة والانصاف في نقل نصوص اليهود وآرائهم من اسفارهم ولم احملها ما لا تحتمل من المعاني ، بل أعرضت عن مناقشة بعضها لأنها يمكن ان تحمل على محمل حسن ولو بتكلف و تعسف .

ولقد أنفقت كثيرا من الوقت والجهد في سبيل الحصول على مراجع هذا البحث ، واستخلاص ما فيها من نصوص وآراء ونتائج أثبتها هنا . ومع ما بذلت من جهد وما أنفقت من وقت في سبيل انجاز هذا البحث على هذا الوجه ، فانني لا أدعى ان ما كتبته هو الأفضل والاكمل . فالكمال لله وحده ، والتوفيق للأحسن والأفضل له . ويكفينى اننى لم آل جهدا في اعداده ، ومعالجة مسائله وقضاياه ،على رغم طوله و تشعبه ،وصعوبة احتوائه ،و تذليله في رسالة كهذه .

وأشكر الله تعالى على توفيقه ، وحسن انعامه و تيسيره ،حمدا يوافى نعمه ، ويكافىء مزيد فضله . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا و نبينا محمد وعلى اخوانه النبيين ومن آمن بهم واهتدى بهديهم الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين *



تعريف بالأسفار اليهودية وتاريخ بنى إسرائيل

وفيه فصلان

الفصل الأول :

تعريف بالأسفار اليهودية

الفصل الثانى :

تاريخ بنى إسرائيل منذ نشأتهم إلى عهد موسى عليه السلام وعهد يشوع والقضاة

الفصـــل الأول

تعريف بالاسـفار اليهوديـــة

وفيه تمهيد وسبعة مباحث :

المبحث الأول : بيان العدد الاجمالي للاسفار اليهودية ، ومعنى العهد القديم او العتيق والكتب المقدسة وتقسيمها الـــى مجموعات ، وتقسيم كل سفر الى اصحاحات أو فصول .

المبحث الثاني : بيان أهم محتويات الأسفار اليهودية .

المبحث الثالث : تاريخ الاسفار اليهودية وآراء الباحثين فيها وفيمن كتبها .

المبحث الرابع : نماذج من الاسفار التي لم يعرف موء لفوها

المبحث الخامس : أسفار التلمود ومحتوياتها

المبحث السادس : بيان شروط ومعايير لا بد من توفرها لاثبات قدسـية اى كتاب .

المبحث السابع : موقف الاسلام من الأسفار اليهودية .

*

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــد

ان قيمة اية فكرة او عقيدة تتوقف على قوة ما تعتمد عليه من أدلة ، وان تلك القوة لا تتوفر في تلك الأدلة الا بطهارة منبعها ونقاء مصدرها وصفاء موردها ، وتماسك قضاياها ونتائجها ، وعدم تناقضها فيما ترمي اليه من أهداف وغايات . ونظرا لأهمية هذه الأمور في مجال البحث المقارن في مجال العقيدة ، رأيت أن يكون في بداية هذا البحث دراسة للمصادر اليهودية التى ترتكز عليها عقيدة بنى اسرائيل في الصفات الالهية والأنبياء ، والتي يرجعون اليها في تاريخهم وتاريخ آبائهم . ذلك لأن هذا البحث قائم على دراسة موجزة لتاريخ بنى اسرائيل وعرض مفصل لعقيدتهم في الألوهية والنبوة على ضوء ما دلت عليه اسفارهم . وسيتم ذلك في المباحث الآتية :

المبحث الأول : بيان العدد الاجمالي للأسفار اليهودية ومعنى العهد القديم او العتيق والكتب المقدسة وتقسيمها الى مجموعات ، وتقسيم كل سفر الى اصحاحات أو فصول .

المبحث الثاني : بيان اهم محتويات الأسفار اليهودية .

المبحث الثالث : تاريخ الاسفار اليهودية وآراء الباحثين فيها وفيمن كتبها .

المبحث الرابع : نماذج من الاسفار التي لم يعرف مؤلفوها .

المبحث الخامس : أسفار التلمود ومحتوياتها .

المبحث السادس : بيان شروط ومعايير لا بد من توفرها لاثبات قدسية أى كتاب.

المبحث السابع : موقف الاسلام من الاسفار اليهودية .

فأقول وبالله تعالى التوفيق ، وبيده زمام الهداية والتحقيق .

المبحث الأول

بيان العدد الاجمالي للاسفار اليهودية ومعنى العهد القديم أو العتيق والكتب المقدسة وتقسيمها الى مجموعات وتقسيم كل سفر الى فصول أو اصحاحات

ان العدد الاجمالي للاسفار اليهودية التي تشكل الجزء الأول من الكتاب المقدس لدى المسيحيين ، تسعة وثلاثون سفرا . منها ما ينسب الى نبي الله موسى عليه السلام ، وهي الأسفار الخمسة الأولى ، وتسمى هذه الأسفار الخمسة "التوراة" أو "الناموس" وأما بقية الأسفار - وهي اربعة وثلاثون سفرا - فمنها ما ينسب الى الأشخاص من الانبياء وغيرهم ،ومنها مالم ينسب الى أحد ، بل سميت بأهم المسائل التي تشتمل عليها . وكذلك الحال في الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى ، فانها سميت بأهم ما تشتمل عليه من مسائل .

وأما معنى العهد القديم أو العتيق ، فان العهد يراد به الميثاق ، أى الميثاق الذى أخذه الله على بنى اسرائيل وارتبطوا به من خلاله وأما القديم أو العتيق ، فهما بمعنى واحد . فقد اطلقت هذه التسمية على الأسفار اليهودية التسعة والثلاثين في العصر المسيحى . اى ان المسيحيين هم الذين اطلقوا هذا الاسم على هذه الأسفار في مقابلة العهد الجديد اى الأناجيل المسيحية وما يتبعها من رسائل . فالقديم ما كان ابتداؤه من عصر موسى عليه السلام اى من سفر التكوين الى سفر ملاخي ، والجديد ما كان ابتداؤه من عصر عيسى عليه السلام[1] . وقد أطلق كلمة "العهد العتيق" على هذه الأسفار بولس في رسالته الى أهل كورنثوس وهو يصف الاسرائيليين

---

(١) انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص ١٢ - ١٣ تأليف الدكتور على عبد الواحد وافي ، طبعة دار العالم العربي بمصر رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٠٥ لسنة ١٩٧١م .

بالغلظة وعدم الخضوع لأوامر موسى في عهده ،وبأنهم يستمرون على تلك الغلظة حتى عند قراءتهم العهد العتيق ، يقول بولس : " ... بل أغلظت أذهانهم ،لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير مكشف "(١) .

وأما كلمة "الكتب المقدسة " فقد جاءت هي أيضا على لسان بولس انه اطلقها على الكتب المعتبرة لدى المسيحيين تمييزا لها عن الكتب الأخرى غير القانونية في نظرهم . والكتب المقدسة عندهم تشمل الأسفار اليهودية والأسفار المسيحية . يقول بولس" وانك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة القادرة ان تحملك للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع "(٢) .

وهذه التسمية كما هي واضحة تسمية مسيحية فانهم اطلقوا على كتبهم الخاصة بهم من الأناجيل الأربعة وما يتبعها من رسائل كلمة :" العهد الجديد " بعد أن اطلق بولس على الأسفار اليهودية ،" العهد العتيق " وذلك على سبيل المقابلة بين العصرين ، عصر موسى ،وعصر عيسى عليهما السلام (٣) .

<u>تقسيم تلك الأسفار الى مجموعات وتقسيم كل سفر الى اصحاحات أو فصول :</u>

لقد قسمت الأسفار اليهودية الى مجموعات ،ثم قسم كل سفر منها الى اصحاحات أو فصول ، ثم قسم كل اصحاح أو فصل الى اعداد وأرقام . وهذا ما سنوضحه ههنا ان شاء الله .

ان التقسيم اليهودى لهذه الأسفار يختلف عن التقسيم المسيحي ولكن كلا من الفريقين يتفقان في تقسيمها الى أربعة أقسام غير أنهما

---

(١) ٢ كو ٣ : ١٤ (كورنثوس)

(٢) ٢ تى ٣ : ١٥ (تيموثاوس)

(٣) انظر مفاتيح كنوز الاسفار الالهية جـ١ ص ٥ تأليف متى بهنام طبع بمطبعة الفجالة الجديدة طبعة ثانية سنة ١٩٦٧م

يختلفان في تسمية بعض تلك الأقسام واعتبار بعضها سفرا واحدا أو اسفارا متعددة . وهذا هو التقسيم اليهودى في التوراة العبرانية :

القسم الأول : أسفار موسى الخمسة وهى (١) سفر التكوين (٢) سفر الخروج (٣) سفر اللاويين (٤) سفر العدد (٥) سفر التثنية .
وهذه الأسفار الخمسة هي التى تسمى "التوراة" و"الناموس" .

القسم الثاني : الأنبياء الأولون وهم (١) يشوع (٢) القضاة (٣) صموئيل (٤) ملوك . ويعتبر سفر صموئيل سفرا واحدا وكذلك سفر الملوك سفر واحد في التقسيم اليهودى .

القسم الثالث : الأنبياء الآخرون وهم (١) اشعيا (٢) ارميا (٣) عزرا والأنبياء الصغار (١) وهي مجموعة في التقسيم اليهودى سفرا واحدا وهي في التقسيم المسيحى اثنا عشر سفرا وهي : (١) هوشع (٢) يوئيل (٣) عاموس (٤) عوبديا (٥) يونان (٦) ميخا (٧) ناحوم (٨) حبقوق (٩) صفنيا (١٠) حجى (١١) زكريا (١٢) ملاخى .

القسم الرابع : الكتب المقدسة وهى : (١) المزامير (٢) الأمثال (٣) أيوب (٤) نشيد الانشاد (٥) راعوث (٦) المراثي (٧) الجامعة (٨) استير (٩) دانيال (١٠) حزقيال (١١) نحميا (١٢) اخبار الأيام فى سفر واحد وفي التقسيم المسيحى سفران (٢) . فيكون عدد الاسفار على هذا التقسيم ستة وثلاثين فقط .

---

(١) سمى اليهود هذه الاسفار الانبياء الاثنى عشر والاسم "الانبياء الصغار لا يدل على قلة اهميتها بل على حجمها فقط" . السنن القويم فى تفسير اسفار العهد القديم جـ١ ص ١ تاليف وليم مارش صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى في بيروت سنة ١٩٧٩ .

(٢) انظر السنن القويم جـ١٢ ص ١-٢ .

وأما التقسيم المسيحي فهو التقسيم المتداول على نطاق واسع في الوقت الحاضر ، لذا نرى من المفيد ان نذكر هنا التقسيم المسيحي أيضا .

التقسيم المسـيحي :

قسم المسيحيون الأسفار اليهودية هذه الى اربعة أقسام أيضا :

القسم الأول : أسفار موسى الخمسة

القسم الثاني : الاسفار التاريخية وعددها اثنا عشر سفرا وهي :

(١) يشوع (٢) القضاة (٣) راعوث (٤) صموئيل الأول (٥) صموئيل الثاني (٦) الملوك الأول (٧) الملوك الثاني (٨) اخبار الأيام الأول (٩) اخبار الأيام الثاني (١٠) عزرا (١١) نحميا (١٢) استير .

القسم الثالث : أسفار الأناشيد او الاسفار الشعرية وعددها خمسة وهي :

(١) أيوب (٢) مزامير (٣) أمثال (٤) الجامعة (٥) نشيد الانشاد .

القسم الرابع : أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا وهي :

(١) اشعيا (٢) ارميا (٣) مراثي ارمياء (٤) حزقيال (٥) دانيال (٦) هوشع (٧) يوئيل (٨) عاموص (٩) عوبديا (١٠) يونان (١١) ميخا (١٢) ناحوم (١٣) حبقوق (١٤) صفنيا (١٥) حجي (١٦) زكريـا (١٧) ملاخي . وبهذا يكون العدد الاجمالي لهذه الاسفار على التقسيم المسيحي تسعة وثلاثين سفرا (١) .

وأما تقسيم كل سفر من هذه الأسفار الى اصحاحات او فصول ، ثم تقسيم كل اصحاح أو فصل الى اعداد متسلسلة ،فهو تقسيم مستحدث عمد اليه المسيحيون لتسهيل قراءتها . وأما قبل تقسيمها ، فقد كانت متصلة الكلمات والسطور لا يفصل

---

(١) انظر الأسفار المقدسة ص ١٣ - ١٥

بين كلمات كل سفر وجملة اى فاصل الا ما كان من سفر المزامير فانه كـــان مقسما تقسيما خاصا يدعى واحدها مزمورا .

ان الترجمة البروتستانتية هي التي استعملت لفظة " اصحاح " فـــي العهدين القديم والجديد ، واما لفظة "فصل" فقد استخدمته الترجمـــة اليسوعية (١) ، وهذا الاختلاف في استعمال اللفظتين يعود الى اللفظ فقط وليس له أي أثر في المعنى .

قال متى بهنام : " ان سفر المزامير هو السفر الوحيد المقسم الى مزامير مرتبة ترتيبا الهيا متقنا . أما بقية اسفار الكتاب المقدس ، فلم تكن مقسمة الى اصحاحات ، ولا الى اعداد ، بل كان كل سفر منها متصلا من أولـــه الى آخره ولم يكن في كل هذه الاسفار فاصلة بين الجمل كالنقطة ، بل كانت الكلمات متصلة ملتصقة بعضها ببعض ، حتى كان كل سطر منها ككلمة واحدة ، فدعت الحاجة الى وضع علامات للتقسيم بين الفصول والآيات . فشرع اليهـــود من قديم الزمان في تقسيم كل سفر من أسفار العهد القديم الى اجزاء صغيرة وزعم بعضهم ان عزرا أتى هذا التقسيم . وقال آخرون بل موسى . وفـــي القرن الثالث بعد المسيح قسم عمونيوس الشماس الاسكندرى الأناجيـــل الأربعة الى عدة اجزاء . وتوجد الآن نسخة من الترجمة اللاتينية لكـــل الكتاب المقدس نسخت في سنة ٨٠٠ م واسفارها مقسمة تقسيما آخر . وأما الذى قسم الكتاب المقدس الى ما هو عليه الان هو الكردينال هوجو فـــي سنة ١٠٤٠ للميلاد . وأما تقسيم الاصحاحات الى اعداد فأول من اتاه في العهد القديم الراهب بجنينوس الذى ترجم الكتاب المقدس الى اللغـــة اللاتينية وطبعه في فرنسا سنة ١٥٢٧ م . وفي سنة ١٥٤٥ قسم اصحاحات

---

(١) انظر هامش : بروتوكولات حكماء صهيون لعجاج نويهض المجلد الثاني جـ٣ ص ١٧ الطبعة الثانية . منشورات فلسطين المحتلة .

العهد الجديد الى اعداد كما هي الان روبرت استفانوس العالم الفرنساوى الذى كان من حاشية ملك فرنسا . والمراد من هذه التقاسيم ، سهولة المراجعة والوقوف على الشواهد المطلوبة من الكتب المقدسة وهي مفيدة ، الا انهـــا أحيانا تفصل من العبارات ما يجب ان يوصل "(١) .

واضافة الى ما سبق ذكره من ان كتب العهد القديم لم تكن على هذا النحو في بداية امرها ،فان من المفيد الاشارة الى ان أسفار موسى الخمسة لم يكن بعضها منفصلا عن البعض على ما هو عليه الآن . وقد اعتبرت فـــي الأصل سفرا واحدا بسبب وجود حرف العطف في اول سفر من الأسفار الأربعة الأخيرة ،فان سفر الخروج -وهو السفر الثاني - قد بدئ بقوله : (اله شموت) أى وهذه اسماء . وسفر اللاويين بدئ بقوله : (ويقرا) أى ودعا . وسفر العدد بدئ بقوله : (ويدبر) أى وكلم. وسفر التثنيـــة بدئ بقوله : (اله هوريم) اى هذا هو الكلام،

قال في السنن القويم : " ويظهر من حرف العطف في اول كل سفر بعد سفر التكوين ، انها كانت سفرا واحدا . فقسمتها الى خمسة اســــفار طارئة على الأصل . وهي من اعمال مترجميها الى اليونانية ولا بأس بها" (٢)

---

(١) مفاتيح كنوز الاسفار الالهية المجلد الاول ص ١٩- ٢٠

(٢) السنن القويم جـ١ ص ١ وجـ٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٨ .

المبحث الثانـــي

بيان أهم محتويات الأسفار اليهودية

بعد ان انتهينا من بيان ما يتعلق بذكر العدد الاجمالي ومعنى كلمة العهد القديم ،وما يتعلق بتقسيم تلك الأسفار الى مجموعات ثم تقسيم كل سفر الى اصحاحات او فصول وأرقام . وعلمنا كيف تم هذا التقسيم ومتى ولمـــاذا ؟ ، ننتقل الى بيان اهم ما يشتمل عليه كل سفر من هذه الأسفار ليكون لدى القارىء تصور كامل لمحتويات الاسفار اليهودية التي ستكون اهم مصدر مــن مصادر هذا البحث في بيان عقيدتهم في الألوهية والنبوة لكونهم يتمسكــون بها ويعترفون بقدسيتها كما سيأتي بيان ذلك في موضعه قريبا ان شاءالله تعالى .

القسم الأول - أسفار الناموس الخمسة :

السفر الأول : سفر التكوين أو الخليقة :

هذا السفر أول الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام . وقد سمى هذه التسمية لحديثه عن نشأة الخلق وتكوينهم . واسم هذا السفر باللغة العبرية "براشيت" أى في البدء . وهي اول كلمة بدىء بها هذا السفر . وعدد اصحاحات هذا السفر خمسون . وأما محتويات هذا السفر ،فهي الاخبار عن خلق السموات والأرض وما فيهما من بحار وأنهار وليل ونهار ،وحيوان ونبات واشجار وشمس وقمر ونجوم ، وكيفية خلق آدم عليه السلام وحواء ، وما علمه الله من أسماء المخلوقات ، وتحدث عن اسكانهما الجنة ونهيهما عن أكل شجرة من اشجار الجنة وهى شجرة معرفة الخير والشر . وعن وسوسة الحية حواء لتأكل من الشجرة التى نهيا عنها . فأكلت وأكل زوجها فأخرجا من الجنة . ثم يتحدث السفر عن مواليد أولاد آدم وقصصهم ثم عن قصص نوح والطوفـــان وعن مواليد نوح وما تفرع منهم ، ثم يخصص بحديثه أسرة تارح والدابراهيم

عليه السلام . ثم يتحدث عن هجرته معه من أور الكلدانيين قاصدا أرض كنعان ووفاته بمدينة حاران وعن مواصلة ابراهيم الرحلة بعد ذلك حتى وصل أرض كنعان ثم يتحدث عن ذرية ابراهيم واسحاق ، ومن تفرع عنهما ، ثم يركز حديثه على يعقوب وبنيه ويذكر انتقالهم الى مصر ووفاة يعقوب بها بعد ان كان له عدد كبير من الابناء والأحفاد وينتهي بذكر وفاة يوسف عليه السلام .

السفر الثاني : سفر الخروج :

وقد سمى هذا السفر هذه التسمية لحديثه عن خروج بني اسرائيل من مصر . واسم هذا السفر باللغة العبرية : (الهشموت) أي وهذه أسماء ، وهي اول كلمة بدئ بها هذا السفر . وعدد اصحاحات هذا السفر أربعون أي انه أقل من سابقه بعشرة فصول . وأما محتويات هذا السفر فهي/ كما تتضح لنا من اسمه الحديث عن خروج بني اسرائيل من أرض مصر بعد ان دخلوها مع أبيهم يعقوب عليه السلام على عهد يوسف عليه السلام . ويتحدث السفر عن أسماء أولاد يعقوب الذين دخلوا مصر وعن أسماء اولادهم وعن العدد الاجمالي لهم عند دخولهم مصر . ثم يتحدث عن كثرة بني اسرائيل وتزايد عددهم بعد ذلك كما يتحدث بوجه خاص عما ألم بهم من الذل والعذاب والعبودية بعد وفاة يوسف عليه السلام على يد المصريين الذين تسلطوا عليهم وساموهم سوء العذاب واستخدموهم في البناء والتعمير والزراعة . ثم يواصل السفر حديثه عما جرى لهم وخاصة ما كان من امر أحد الفراعنة الذي شك في ولاء بني اسرائيل واخلاصهم لمملكته وخشي أن ينضموا الى اعدائه حينما يجدون فرصة مواتية وينقضوا عليه مع الاعداء ثم يتركون أرض مصر التي لم يكونوا من أهلها الأصليين فأصدر من أجل هذا الخوف قرارا يأمر فيه القابلات ان يقتلن أبناء العبرانيات ويستبقين الاناث عند توليدهن . غير ان القابلات لم يفعلن ذلك خوفا من ربهن ، ومع هذا فان السفر يتحدث عن احدى العبرانيات كيف خافت على ولدها فألقته على شاطئ النهر فالتقطته ابنة فرعون وسرت به لأن أمه

ألقته خوفا عليه بعد اخفائه ثلاثة أشهر و يستمر السفر في الحديث عن ذلك باسهاب من ذلك احتيال اخت الطفل على ابنة فرعون حيث عرضت عليها ان تأتيها بمن ترضعه بالأجرة فوافقت فكانت مرضعته أمه غير ان ذلك كان سرا مكتوما لم تعلمه ابنة فرعون ثم اعادته أمه بعد الفطام الى ابنة فرعون فتبنته و سمته " موسى " و معناه المنشول من الماء (١) .

كان ذلك الطفل الذى تحدث عنه هذا السفر بحديث مسهب هو موسى عليه السلام ، ثم تحدث السفر عن خروج موسى من أرض مصر بعد ان قتل رجلا قبطيا وهو يدافع عن رجل اسرائيلي فأقام في مدين و تزوج ابنة كاهنها فبينما هو يرعى الغنم على مقربة من جبل حوريب رأى لهيب نار من وسط عليقة فمال لينظر لم لم تحترق العليقة والنار تشتعل فيها ؟ فناداه الرب قائلا : " أنا اله أبيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب " (٢) فأمره بالتوجه الى مصر ليخرج بنى اسرائيل منها . ثم يتحدث عن ذهاب موسى الى مصر واستقبال هارون اياه وابلاغهما بنى اسرائيل ما أمرا به من قبل الرب فأراهم موسى الآيتين الدالتين على صدقه و هما العصا التى تنقلب حية واليد التى تبيض اذا ادخلها في عبه . وبعد ان ذهبا الى فرعون وطلبا منه ترك قومهما للخروج أبى فرعون و تجبر فأراه الله آيات عديدة على صدق موسى ولم يطلقهم فعوقب هو ورعيته عقوبات متكررة فاشتد قلب فرعون و قسا ولكن الله أخرج قوم موسى بعد ضربات متوالية على فرعون وقومه . وأن فرعون وجنوده طاردوا موسى وقومه الى البحر ففتح الله لبنى اسرائيل طريقا في البحر فنجوا ودخل فيه فرعون وجنوده فغرقوا .

---

(١) انظر السنن القويم جـ١ ص ٢٠٢

(٢) خروج ٣ : ٦

ثم يتحدث السفر بعد ذلك عما جرى لبنى اسرائيل مع موسى عليه السلام من عصيانهم المتكرر، وتذمرهم المتوالى عليه، وعبادتهم العجل وهو في مناجاة ربه. كما يتحدث السفر عما آتاه الله موسى من الآيات البينات التي من بينها "التوراة" كما يتحدث عن تنظيم الحياة الدينية والمعيشية لبنى اسرائيل على يد موسى بأمر من ربه؛ وخاصة الطقوس والأعياد وخيمة للاجتماع التي انفق/ موسى فيها الكثير من الأموال وعملها حسب التوجيه الالهى ، كما عمل أيضا تابوت العهد. والحديث عن خيمة الاجتماع وتابوت العهد، أخذ حيزا كبيرا من السفر . ومع هذا فانه جدير بأن يسمى سفر الخروج . وهذا الخروج كان بداية حياة جديدة لبنى اسرائيل ؛ وبهذا الخروج يبدأ تاريخهم الحافل بالأحداث الدينية ، وبالحديث عن اتمام بناء خيمة الاجتماع ينتهى سفر الخروج .

السفر الثالث : سفر اللاويين :

وقد سمى هذا السفر سفر اللاويين لأنه يتكلم في الأمور المتعلقة باللاويين. وهى الطقوس الدينية المتنوعة التي أسند القيام بها وتنفيذها الى بنى لاوى الذين ينتسب اليهم موسى عليه السلام. وذلك كالذبائح والكفارة والطهارة . واسم هذا السفر باللغة العبرية : (ويقرا أو فيقرا) أى ودعا . وهى اول كلمة بدئ بها هذا السفر . وقد سمى هذا السفر سفر الأحبار (١) وسمى فى التلمود البابلى (شريعة الكهنة) (٢) .

وعدد اصحاحاته سبعة وثلاثون ، اى انه اقل من سابقه بثلاثة، ومن الأول بثلاثة عشر اصحاحا .

---

(١) انظر مقارنة الأديان ١ - اليهودية ٢٣٨ للدكتور احمد شلبى طبعة مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٤م

(٢) انظر السنن القويم جـ٢ ص ٣

وأما محتوياته ، فهي التشريع،والاحكام ،والوصايا ،وما يجب اتباعه في الحياة الدينية،وما ينبغي عمله في تقديم القرابين والكفارات . وما يحرم عمله من أنكحة ،أو اكله من أطعمة ، وكذلك يحتوى هذا السفر على العديد من الاعياد والطقوس .

يقول الدكتور أحمد شلبي : " ويحتوى هذا السفر كثيرا من التشريعات والوصايا والاحكام ،مثل كفارات الذنوب والاطعمة المحرمة والانكحة المحرمة ومثل الطقوس والاعياد والنذور والطهارة ،كما يحتوى كثيرا من الامور المتصلة بالعادات والاوامر الدينية التى يستحق من اتبعها الثواب و من خالفها العذاب "(١) .

السفر الرابع : سفر العدد :

وقد سمى هذا السفر هذه التسمية لانه يتحدث عن عدد بنى اسرائيل واحصائهم ،و تقسيم عشائرهم وجماعاتهم ابتداء من ابن عشرين سنة فما فوق وذلك حسب الاسباط الاثنى عشرة المشهورة بأسماء آبائها الذين كانوا رؤساء لكل عشيرة من عشائرهم . وهذا الاحصاء خاص بالذكور دون الاناث .

واسم هذا السفر باللغة العبرانية : (بمدبر) أى في برية وهى الكلمة الرابعة من أول السفر . اما الكلمة الاولى والثانية في أوله : (و يدبر) أى وكلم (٢) . وعدد اصحاحاته ستة وثلاثون،ويقل عن سابقه بفصل واحد .

وأما محتويات هذا السفر ،فهي بالاضافة الى الاحصاء والتنظيم ،تشريعات واحكام و قصص،أى القصص المتصلة بحياة بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، وخاصة ما كان منهم من التمرد والعصيان لاوامر موسى عليه السلام ، وما حل بهم من العقوبة بسبب ذلك . و فيه الحث على دخول الارض التي وعدهم

---

(١) مقارنة الاديان ١ - اليهودية ص ٢٣٨

(٢) انظر السنن القويم جـ١ ص ١

الله ان تكون لهم ان هم أطاعوا الله واتقوه، كما يتحدث السفر عن بعض الحروب التي جرت بين بني اسرائيل وبين الأمم التي تعيش بجوارهم ، وما وقع من بني اسرائيل من الزنا بنساء تلك الأمم المجاورة وعبادتهم آلهتها . وكذلك يتحدث السفر عن رحلات بني اسرائيل وتنقلاتهم منذ ان خرجوا من مصر الى أن وصلوا الى الأردن . وفيه الحديث عن وفاة هارون . وهذا السفر قد تحدث كثيرا عن رحلات بني اسرائيل ومنازلهم ، وهو يتحدث عن ذلك من الاصحاح الثالث والثلاثين الى نهايته.ويعتبر هذا السفر امتدادا لسفر الخروج لحديثهما المنسق عن رحلات بني اسرائيل (١) .

السفر الخامس : سفر التثنية :

وهذا هو السفر الأخير من اسفار الناموس المنسوبة الى موسى عليه السلام . وقد سمى سفر التثنية لما فيه من الاعادة والتكرار لكثير من الاحكام والتشريعات التي سبق تشريعها في الأسفار السابقة ، فان التثنية معناها التكرار . وبهذا يعلم خطأ من سماه " سفر الاستثناء " فان الاستثناء غير التثنية قطعا . وأما اسمه المعتبر عند اليهود فهو : (اله هدبريم) أي هذا هو الكلام . وهي اول كلمة بدئ بها السفر . وقد سماه بعض اليهود : " سفر التوبيخ " لما فيه من تقريع وتوبيخ لهم (٢) . وهذا السفر في الأصل جزء من التوراة وليس سفراً مستقلاً، ولكنه افرد بعد ان ترجمت التوراة الى اليونانية . وقيل انه سفر مستقل لعدم وجود حرف العطف في أوله كما توجد في الأسفار الثلاثة التي سبقته . ورجح البعض ان اوله من العدد الثالث لوجود حرف العطف فيه (٣) . وعدد اصحاحات هذا السفر أربعة وثلاثون . اى انه يقل عن سابقه بفصلين .

---

(١) انظر مقارنة الأديان ١ - اليهودية ص ٢٣٨

(٢) انظر السنن القويم جـ٢ ص ٢٥٢

(٣) تثنيه ٣٤ / ٩-١٢

وأما محتويات هذا السفر،فهي -كما يتضح لنا من اسمه -الاعادة والتكرار لما جاء وسبق من التشريعات والأحكام في الاسفار التي سبقته . وفيه الحديث عن نبي موعود تنطبق صفاته على محمد صلى الله عليه وسلم، وسيأتي الكلام عن ذلك في بيان موقف اليهود من النبوة المحمدية في الباب الأخير. وفي هذا السفر أيضا الحديث عن التنظيم الأسرى والمالي ، وعن القوانين الحربية والقضائية وفيه الدعوة الى العدل والمساواة بين القريب والغريب؛ والتذكير بما كان فيه بنو اسرائيل من الذل والعبودية ،حينما كانوا في أرض مصر وفيه الدعوة الى الانفاق على الغرباء والأرامل والايتام ،جاء ذلك في الاصحاح الرابع والعشرين . ثم ينتهي السفر بالحديث عن وفاة موسى عليه السلام في أرض موآب وعمره مائة وعشرون سنة . وقد بكى عليه قومه ثلاثين يوما بعد وفاته . ويختم السفر حديثه بقوله :

" ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهـا لوجه . في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه . وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام اعين جميع اسرائيل"(١) وهذا دليل قوى على ان موسى لم يكن كاتب هذا السفر .

هذه هي خلاصة أهم محتويات أسفار الناموس الخمسة التى لا خلاف بين اليهود والنصارى في قدسيتها ،وصحة نسبتها الى موسى عليه السلام . وسيأتي الكلام عن هذه المسألة بعد الانتهاء عن بيان محتويات بقية الأسفار ان شاء الله تعالى .

---

(١) تثنية ٣٤ : ٩ - ١٢

القسم الثاني ـ الأنبياء الأولون :

الأول : سفر يشوع (١)

وهذا السفر منسوب الى خليفة موسى عليه السلام على بني اسرائيل في التيه " يشوع بن نون " الذى دخل بهم الأرض المقدسة ، بعد أن عاقبهم الله بالتيه أربعين سنة فمات موسى وهم تائهون عقابا لهم على رفضهم وعصيانهم موسى في دخول الأرض المقدسة . وبعد ان انقرض ذلك الجيل العاصي المتمرد ، تاب الله على الجيل الناشيء فدخلوا الأرض المقدسة بامرة يشوع بن نون من سبط افرايم.

وعدد اصحاحات هذا السفر أربعة وعشرون ، اى انه اقل من سفر التثنية بعشر اصحاحات . وأما ما يحتويه فهي الحديث عن دخول بني اسرائيل أرض الميعاد تحت قيادة يشوع الحازمة الذى قام بتنفيذ وصية موسى عليه السلام تنفيذا دقيقا، وقام في قومه بحزم وثبات، فخضع لأوامره قومه حتى فتح الله عليهم الأرض وذلل لهم الصعاب . ويذكر هذا السفر ان يشوع لم يقتصر في اعداد قومه للقتال على التهذيب النفسى فقط ، بل تخطى ذلك بأن بث في الممالك المجاورة جواسيسه وعيونه الذين استقى منهم أسرار الدول التي يريد غزوها، وفتح بلدانها ، وقد جند لهذا الغرض الجيل الجديد من قومه حتى تم له ما أراد، وتحقق لقوم موسى على يده ما كان بالأمس من الأحلام التي يصعب تحقيقها في نظر الجيل المنقرض . ومع ما قام به يشوع من الاعداد والحزم، فان قومه بدرت منهم تجاوزات متكررة حتى تعرضوا لهزائم منكرة في عدد من الحروب التي خاضوها، وهذا ما تحدث عنه هذا السفر.

---

(١) يشوع الذى ينسب اليه هذا السفر اسمه الأصلي (هوشع) ومعناه الخلاص باللغة العبرانية . ثم سماه موسى عليه السلام (يهوشع) أى خلاص الرب وقد اطلق عليه اسم (يوشع) في الكتب الاسلامية وهو اقرب الى الاسم العبراني . قاله في السنن القويم جـ٣ص٣ . وانظر مفاتيح كنوز الاسفار الالهية جـ١ص٢٠

ثم يتحدث السفر باسهاب عن تقسيم الغنائم من الأراضي والمباني والمزارع على اسباط بني اسرائيل الاثنى عشر . وقبل نهاية السفر يأتي الحديث عن وصية يشوع بني اسرائيل بعبادة الله وحده لا شريك له وشكره على ما أنعم به عليهم من انجاز الوعد لهم بعد ان من عليهم وعلى آبائهم بتخليصهم من أيدى المصريين . وفيها أنذرهم يشوع عاقبة العصيان والتمرد على الأوامر الالهية . وبعد ان بلغهم أوامر الله ووصاهم بالتمسك بشريعته توفي وعمره مائة وعشر سنين . وقبل نهاية هذا السفر جاء فيه : " وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين . فدفنوه

وقبل نهاية هذا السفر جاء فيه

فى تخم ملكه في تمنة سارح التي في جبل افرايم شمالي جبل جاعش . وعبد اسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل ايام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع " (١)

وهذا دليل واضح على ان هذا السفر لم يكتبه يشوع ، وانما كتب بعده وبعد زمان الشيوخ الذين طالت أيامهم بعده . فكيف يقال مع هذا ان يشوع هو كاتبه ؟!

ثم ينتهى سفر يشوع بالحديث عن دفن عظام يوسف عليه السلام التي أصعدها بنو اسرائيل من مصر عند خروجهم منها بناء على وصيته التي وردت في آخر سفر التكوين ، وبالحديث عن وفاة اليعازار بن هارون .

هذه خلاصة سفر يشوع وأهم ما يشتمل عليه من موضوعات . ويرى عامة اليهود وجميع النصارى قدسيته وصحته وانه أوحى به من عند الله تعالى الى يشوع بن نون . وهى دعوى غير مسلمة .

الثاني : سفر القضاة :

وهذا السفر لا ينسب الى شخص بعينه وانما ينسب الى القضاة وهم الرؤساء

---

(١) يشوع ٢٤ : ٢٩-٣١

الحاكمون الأمة الاسرائيلية من عهد موسى الى أيام شاول اول ملوك بني اسرائيل . ذلك لأنه يتحدث عن حكمهم وتدبيرهم لشؤون قومهم بمقتضى الشريعة الموسوية . فقد كان حكم القضاة اما باختيار الشعب . واما بدعوة الهية (١) .

واسم هذا السفر بالعبرانية : (شفطيم) جمع شفط أى قاض . وعدد اصحاحاته واحد وعشرون . وأما محتوياته ، فهي الحديث عن الاعمال التي قام بها رؤساء العشائر من بني اسرائيل بعد موت يشوع من حروب ، وغزوات ، وفتوحات استمرت مع الأمم المجاورة وهي سجال ، حتى قيام اول ملك منهم .

ويتحدث هذا السفر عن ردة بني اسرائيل عن عبادة الله وحده ، الى عبادة الهة الأمم التي خالطوها ، مما جعل النقمة الالهية تحل بهم ، فانهزموا امام الاعداء ، فذاقوا وبال امرهم ، وأخرجوا من ديارهم التي غنموها من قبل . ومع ان القضاة سعوا كثيرا لاعادتهم الى عبادة الحق ، فانهم لم يلتفتوا اليهم كثيرا رغم النكبات التي حلت بهم ، بل توغلوا في الفساد اكثر فأكثر ، فتناولتهم أيدى الأمم المحيطة بهم قتلا وسبيا . وفي هذا السفر حديث طويل عن حياة الفوضى التي عاشها بنو اسرائيل حيث لم يكن لهم ملك ينظم شؤون حياتهم ، ويقودهم في الحروب التي مزقتهم كل ممزق .

ومع ان اليهود والنصارى قالوا في الأسفار الخمسة ان كاتبها هو موسى عليه السلام ، وقالوا في سفر يشوع ان يشوع هو الذى كتبه بيده ، ووضعه في مرتبة الاسفار المنسوبة الى موسى ، فان هذا السفر لم يعرف كاتبه . وبهذا ينتهى ذكراهم محتويات سفر القضاة الذى يعتبر عند اليهود والنصارى من الاسفار المعتمدة في العهد القديم .

---

(١) انظر السنن القويم جـ٣ ص ١٨١

الثالث : سفر صموئيل الأول :

ان سفرى صموئيل الأول والثاني هما في الاصل سفر واحد وعليه سار التقسيم اليهودى . ولكنا وان كنا قد وضعنا هذه الاسفار حسب التقسيم اليهودى وترتيبه ـ فلا نرى ان نجعل سفرى صموئيل سفرا واحدا لأنّ الجمع بين السفرين يوقعنا في الارتباك بسبب عدم وجود ما يدل على موافقة التقسيم اليهودى لفصول هذين السفرين، وترقيم فقرات كل فصل للتقسيم المسيحى وترتيبه . لذا نرى الاكتفاء بوضعهما في التقسيم اليهودى للاسفار فقط، لا في تقسيم الاسفار الى فصول . وكذلك العمل في سفرى الملوك وسفرى الاخبار . وهذا امر تحتمه الحاجة الى سهولة الرجوع الى نصوص هذه الاسفار عند الاستدلال بها .

وقد سمي هذان السفران سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني ، وسفرا الملوك الآتيين بعدهما سفر الملوك الثالث وسفر الملوك الرابع (١)

وقد سمى هذان السفران هذه التسمية لأنّهما تحدثا عن رجل مصلح من بنى اسرائيل يدعى صموئيل . فقد تحدث السفر الأوّل عن مولده ونشأته نشأة صالحة وعن دعوته الاصلاحية حديثا مطولا . ولا ترجع نسبة هذين السفرين اليه الى ان الذى كتبهما هو صموئيل، لأنّ اليهود والنصارى لا يعرفون من كتبهما . وعدد اصحاحات هذا السفر الأوّل واحد وثلاثون .

وأما محتوياته ، فهي الحديث عن بداية مرحلة جديدة من حياة بنى اسرائيل التي كانت حياة مذلة ومهانة منذ ان توفي يشوع، وانقلبوا على اعقابهم بعده حيث لم يتورعوا من ارتكاب الموبقات، وعبادة الأوثان، فقد سلط الله عليهم الأمم المجاورة، ففرقت شملهم، ومزقتهم كل ممزق .

---

(١) انظر السنن القويم جـ٤ ص ٣

وقد تحدث هذا السفر عن رجل أنعم الله عليه بالنبوة،وجعل على يده خلاصهم، وهو النبي صموئيل الذي رفع الروح المعنوية في بني اسرائيل، فاستطاعوا مقاومة الاعداء من الفلسطينيين الذين هزموهم من قبل هزائم متتالية، حتى استولوا على تابوت العهد بما فيه، فبقي لديهم زمنا ثم أعادوه بعدما رأوا من الايات ما دلهم على ان بقاءه لديهم لا يخدمهم، وانما يسبب لهم الهلاك والدمار. ويتحدث السفر عن طلب بني اسرائيل من النبي صموئيل ان يولي عليهم ملكا ينظم شؤون حياتهم العسكرية والاجتماعية مثل غيرهم من الأمم المجاورة، وأن صموئيل انتهرهم، ونهاهم عن هذا الطلب، فلما اصروا على ذلك عين لهم ملكا منهم وهو شاول بن قيس الذي يعتبر اول ملوك بني اسرائيل. وتحدث السفر عن الملك شاول وحروبه مع الفلسطينيين، وتوجيهات صموئيل التي اعطاها اياه. وعن خروجه على تلك الوصايا، وتعرضه لهزائم متتابعة بعد عصيانه. مما جعل صموئيل غاضبا عليه. فقام باختيار أحد ابناء يسى الصغير، وهو داود عليه السلام فمسحه ليكون ملك قومه بعد شاول الذي اصبح بقاؤه على مملكة قومه غير شرعي. ثم تحدث السفر عن احدى المعارك التي جرت بين الاسرائيليين بقيادة شاول، وبين الفلسطينيين بقيادة جليات الذي طلب من بني اسرائيل ان يبارزوه، فلم يجد من يبارزه لأن الاسرائيليين خافوا من ذلك القائد خوفا عظيما. غير ان داود عليه السلام الذي لم يكن من المحاربين، بل جاء الى معسكر المحاربين لينظر اخوته ويمدهم بالمؤن، استأذن الملك في ان يكون هو المبارز، ولكنه استصغره، ولم ير أن يأذن له، الا ان داود اقنعه حينما اخبره انه قتل أسدا ودبا في بعض أيامه وهو يرعى غنم أبيه التي تعرضت لغارة من هذين المفترسين، وهو سوف يستطيع قتل ذلك القائد الفلسطيني كما قتل السبعين. فأذن له شاول فقتل داود جليات بحجر قذفه به من مقلاعه. فانهزم الفلسطينيون.

وبعد هذه الحادثة ، قابل بنو اسرائيل داود بحب واحترام وثناء جميل ، فأغضب ذلك ملكهم ، فحقد على داود ، فدبر له المكائد لقتله. ولكنه هرب منه ونجا. فاستمر شاول يطارده ويحاول الظفر به لقتله حتى ظفر به داود في مكان حرج ، فعاتبه على هذه العداوة التي لا مبرر لها ، ولم يؤذه بشيء مع ان قتله كان ممكنا لداود عليه السلام . فكف شاول عن مطاردة داود بعد ذلك. ثم تحدث السفر عن الحروب الطاحنة التي دارت بين الاسرائيليين والفلسطينيين والتى انهزم فيها الاسرائيليون شر هزيمة ، فهربوا من المدن والقرى الى البراري . وسكن الفلسطينيون في تلك المدن والقرى التي هربوا منها . وفي آخر تلك الحروب قتل شاول ، وآل الملك الى احد ابنائه . وينتهي هذا السفر بالحديث عن الحرب وتبعاتها . فيترك ما بقي من الاحداث لنظيره التالي سفر صموئيل الثاني .

الرابع : سفر صموئيل الثاني :

عدد اصحاحات هذا السفر اربعة وعشرون وهو يقل عن سابقه بسبعة فصول . واما محتوياته ، فهي لا تختلف عن محتويات سابقه اسلوبا ونوعا . اذ انه يتحدث عن مملكة بني اسرائيل وحروبها ، وخليفة شاول عليها . ذلك انه يذكر ان احد ابناء شاول ويدعى " ايشبوست " وخلفه في الحكم سنتين ، وجرت بينه وبين داود عليه السلام - الذى تكون لديه جيش من الفارين من ظلم شاول - حروب دامية ، قتل في نهايتها ملك اسرائيل على يد اعوان داود . فآل الملك بعد قتله الى داود عليه السلام الذى وفدت عليه وفود الجماعات الاسرائيلية تبايعه ملكا على اسرائيل بيعة اجماعية . وبذلك انتهى عهد الخوف والتمزق والضعف . وبدأ عهد الدولة القوية ، وجمع الكلمة ، والوقوف الثابت في وجه الأعداء .

ثم يتحدث السفر عن الحياة الأسرية الخاصة ببيت داود ، وعن تنظيمه الجيش ، وحملاته الناجحة على الاعداء ، وعن احصاء بنى اسرائيل . ويعتبر هذا

السفر وسابقه سجلا من سجلات ملوك بني اسرائيل، و لعل من سماهما سفرى الملوك الأول والثاني نظر الى محتوياتهما . و هذه اهم محتوياته .

الخامس : سفر الملوك الأول :

و سفرا الملوك الاول والثاني يعتبران في الاصل العبرى سفرا واحدا و هما كذلك في التقسيم اليهودى، و تسمية هذين السفرين بسفرى الملوك عائدة الى انهما يتحدثان عن ملوك بني اسرائيل و تاريخهم وسيرهم. و عـــــدد اصحاحات هذا السفر اثنان وعشرون .

وأما محتوياته فهي الحديث عن شيخوخة داود وانتقال الملك منه الى أحد ابنائه وهو سليمان عليه السلام، الذى تولى الحكم والبلاد في حالة استقـــرار من جميع النواحي ، وقام بمصاهرة فرعون، واخضاع الأمم المجاورة له ،و ببناء الهيكل الضخم سبع سنوات، و بناء بيته الخاص ثلاث عشرة سنة . و تحدث السفر عن وفود قدمت الى سليمان بالهدايا النفيسة، والتي من بينها ملكة اليمن . كما تحدث عن نكاح سليمان لعدد كثير من نساء الأمم الوثنية . و زعم انهن استطعن امالة قلبه الى عبادة الهتهن حتى لم يبق قلبه كاملا مع الله تعالى كداود ابيه مما سبب له المتاعب في آخر أيامه اذ اقام الله عليه خصوما من رعيته تأديبا له على خروجه عن سيرة أبيه داود .

ثم يتحدث السفر عن وفاة سليمان عليه السلام بعد حياة حافلة بالعز والتمكين والعظمة استمرت اربعين سنة. كما يتحدث عن تولى ابنه الحكم بعده وهو رحبعام الذى طلب منه قومه ان يخفف عنهم بعض القيود التي وضعها عليهم أبوه، فأشار عليه مستشارو ابيه المخلصون ان يستجيب لرغبتهم، فأبى، وتوعد انه سوف يزيدهم قيودا اكثر مما فعله ابوه . فأدى هذا الى انشقاق في صفوف الأمة ما بين مبايع لرحبعام و معارض له ، فعمد المعارضون الى رجل من بيت افرايم كان معارضا لسليمان في حياته فعينوه ملكا عليهم فانقسمت

بذلك مملكة اسرائيل الى مملكتين : " مملكة يهوذا " وهي التى يحكمها رحبعام وعاصمتها اورشليم . ومملكة اسرائيل و هي التي يحكمها .بريعام بن نابـــاط ، وكان اغلب سكان المملكة الاولى سبط يهوذا الذى ينتسب اليه آل داود وكان معه سبط بنيامين ، وبقية اسباط بني اسرائيل كانت في مملكة اسرائيل ولما كان اغلب سكان المملكة الاولى من سبط يهوذا، وملكها من سبط يهوذا سميت مملكته مملكة يهوذا ومن هنا نشأت كلمة " اليهود " في الأرجح . وسميت الأخرى اسرائيل لانها تجمع بنى اسرائيل في حكمها اى اغلبهـــم وعاصمة هذه المملكة شكيم .

ثم يتحدث السفر عن انحرافات يربعام وبدعه الدينية ، كما يتحدث عن عدم استقامة رحبعام ايضا . ويستمر السفر في الحديث عن ذهاب ملوك وظهور ملوك آخرين تتابعوا وتعاقبوا على حكم الدولتين ،وعن الغارات التي تشنها الأمم المجاورة على الدولتين الضعيفتين ،وعما جرى لانبياء الله فيهما من القتل والتخويف والاهانة والتعذيب على ايد بنى اسرائيل ، وعن الضعف الذى دب فيهم ،والوهن الذى اصابهم،والانحرافات التي ازدادت فيهم يومـــا بعد يوم،وعن عباداتهم الجماعية للأوثان ،وكفرهم الجماعي المتكرر . ويتكلم هذا السفر عن النبي الاسرائيلى ايليا الذى دعا قومه الى ترك عبادة البعل والرجوع الى عبادة الله تعالى . وهذا النبي هو النبي الياس عليه الســـلام الذى ورد ذكره في القرآن الكريم الذى ذكر ان قومه عبدوا صنما اسمــــه البعل وهو الذى قال لقومه : " أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين".(١)

السادس : سفر الملوك الثاني :

وعدد اصحاحات هذا السفر خمسة وعشرون . اى انه أزيد من سابقه بثلاثة فصول . وأما محتوياته ، فهي لا تخالف ما في سابقه من حيث الموضوع والاسلوب فهو يبدأ من حيث ترك الأول .

---

(١) سورة الصافات ١٢٥

ويتحدث هذا السفر عن الدولتين الاسرائيليتين وملوكهما الذين تعاقبوا عليهما الحكم وعن سيرهم وسلوكهم مع رعيتهم ، ومع الله تعالى في شريعته ، واحكامه ، فيذكر ان اكثر ملوك الدولتين ارتدوا وكفروا بعبادة الأصنام التي شيدوا لها البنيان ، في المرتفعات والحقول .

وقد أخذت قصص الأنبياء في هذا السفر حيزا كبيرا وخاصة قصة النبي ايليا الذي سبق ذكره قريبا ، وقصة النبي اليشع ولعله "اليسع" المذكور في القرآن الكريم . ويتحدث السفر عما قام به هذان النبيان من دعوة اصلاحية في بني اسرائيل ، وما جرى على يديهما من آيات دلت على صدقهما ونبوتهما .

ويركز هذا السفر حديثه على ذكر ما جبلت عليه أنفس ملوك بني اسرائيل من كفر ومعاص في تلك الفترة من الزمن . حتى لم يبق من بيوت بني اسرائيل بيت الا دخلته المعاصي وعبادة الاوثان تقليدا لما تسير عليه الأمم الوثنية التي تجاورهم ، والتي حذرهم موسى ويشوع ان يخالطوها ، ويقتدوا بها في اعمالها .

ثم تحدث السفر بصفة خاصة عن ملك من ملوكهم أنعم الله عليه بالهداية والتقوى والصلاح ، فقام باصلاح ما فسد من قومه ، واعادهم الى الجادة ، وهدم الاصنام والأنصاب التي غصت بها مرتفعاتهم ، وطهر اماكن العبادة من معالم الوثنية ، وقام بترميم اماكن العبادة واصلاحها . ذلك الملك هو يوشيا بن آمون . وتحدث السفر عن أمر ذلك الملك الكاهن المسمى هلقيا باحصاء محتويات بيت الرب من الدخول التي جمعها حراس الباب من شعب اسرائيل . فبينما هو يقوم بعملية الاحصاء اذ عثر على سفر الشريعة فقرأه على الملك ، فلما سمع الملك محتويات ذلك السفر ، مزق ثيابه وبكى ، فقام من يومه باصلاح ما فسد من امور الدين . وقد اعتبر هذا السفر ذلك الملك اعظم ملوك بني اسرائيل صلاحا بعد داود عليه السلام . ويؤخذ من هذا ان الاسرائيليين اقاموا زمنا طويلا وهم لا يدرون عن الشريعة وكتبها شيئا .

وعلى الرغم من عودة الاسرائيليين الى الدين في عصر ذلك الملك الصالح، فان الغضب الالهى ظل يلاحقهم لكثرة ما عملوه من الشر، وما اقترفوه من المعاصى المهلكة، فسلط الله عليهم الأمم بعد عصر ذلك الملك تارة بعد اخرى حتى كان آخرها حملة نبوخذ ناصر ملك بابل الذى استأصل شأفتهم، وأخذهم أسرى الى ارضه، ودمر ما صنعه اسلافهم من ابنية وهياكل. وكان من بين الأسرى ملكهم في تلك الفترة واسمه : (يهوياكين).

وينتهى هذا السفر بالحديث عن نهاية دولتهم على يد ذلك الملك الذى جعله الله سوط عذاب ادب به بني اسرائيل تأديبا لم تقم لهم بعده قائمة. وبهذا ينتهى القسم الثاني من الأسفار في التقسيم اليهودى.

القسم الثالث ـ الأنبياء الآخرون :

الأول : سفر اشعيا :

سمى هذا السفر سفر اشعيا نسبة له الى احد انبياء بني اسرائيل الذى كان اسمه في الاصل " يشعيا هو" (١) اى خلاص الرب. ويذكر انه هو الذى كتب هذا السفر. ولكن ذلك امر يصعب اثباته من الناحية التاريخيه.

وعدد اصحاحات هذا السفر ستة وستون. واما محتوياته فهي توبيخ بني اسرائيل على كثرة معاصيهم وتهديدهم بالعقوبة العاجلة والعذاب القريب على المعاصى، والرزايا التي انغمسوا فيها.

وقد عاش النبي اشعياء في زمان اربعة من ملوك يهوذا، وعاصر ما يجرى في تلك المملكة من انحرافات وبعد عن شريعة الله. فكانت مواعظه وتهديداته بنفس الحجم الذى وصلت اليه الضلالات والانحرافات في تلك المملكة العاصية.

---

(١) انظر السنن القويم جـ٨ ص ٦٠

ومع ان هذا السفر تحدث في اغلب اصحاحاته عن الغضب الالهي على بنى اسرائيل حتى ان الله توعدهم على لسان هذا النبي بالأخذ الاليم واخبرهم انه لن يلتفت اليهم ولن يستجيب دعاءهم ولن يقبل عثراتهم لأنّ عقابه واقع بهم لا محالة ، ومع هذا كله نراه يعود الى تغيير هذا الاسلوب الملئ بالتهديد الى اسلوب ملئ بالأماني والآمال العريضة فيخبرهم ان الله سيكون معهم ويرفع قدرهم ، و يغدق عليهم عطاءه ونعمه . وهاتان الفكرتان تتصارعان في هذا السفر كثيرا . فبينما نراه يتحدث عن أمة اخرى سيقيمها الله مقام بنى اسرائيل التي ستزول ويرفع شأن تلك الأمة ، اذا به يتحدث عن شعب اسرائيل ووعد الله تعالى له بالعز والغلبة والسيادة والتمكين .

و يتحدث هذا السفر عن بعض الأمم الاخرى وما سيؤول اليه امرهم من ضعف وانهيار ، و يتحدث عن وعد الله تعالى بارسال رسول عظيم يدعو الناس الى العمل بشريعة الله ويظهر الحق للأمم، وان ذلك الرسول سمح ، كريم ، حليم ، ينشر الله به الحق في الأرض . و هذا نص تلك البشارة :

" هوذا عبدى الذى اعضده ، ومختارى الذى سرت به نفسى ، ووضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، و فتيلة خامدة لا يطفئ الى الامان يخرج الحق . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض ، و تنتظر الجزائر شريعته" (١) فالرسول الذى هذه صفاته وتلك رسالته ، لم يبعث في بنى اسرائيل مطلقا . فرسالة موسى التي تعتبر اول رسالة تشريعية في بنى اسرائيل لم تكن رسالة عامة ، وانما هي خاصة ببني اسرائيل ، وكذلك رسالة المسيح لم تكن رسالة عامة وهو الذى لم يرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (٢) . وما دام

---

(١) اشعياء ٤٢ : ١-٤

(٢) متى ١٥ : ٢٤

الأمر كذلك، فان النبي الموعود الذى تنطبق عليه هذه الصفات المذكورة، هو محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما سيأتي توضيحه في الفصل الأخير من الباب الثالث ان شاء الله تعالى .

وهذا السفر وان كان فيما يحتويه من الموضوعات تضارب احيانا، فانه سفر الدعوة الى التوبة، والتحذير من عقاب الله وسطوته، والاخبار بما سيقع من الحوادث في مملكتي بنى اسرائيل، وما ينزل بهما، وما سيحدث في الممالك الاخرى من تقلبات وتغييرات. والنبى اشعياء الذى ينسب اليه هذا السفر، من الانبياء الذين قتلهم بنو اسرائيل، وقد قتل منشورا شطرين بأمر احد ملوكهم الفجرة، وهو منسى الذى جاء في سيرته أنه انغمس في المعاصي، وتمرغ في حمأة الفواحش . وكان اشعياء قد وبخه على فجوره، وأغلظ له القول، وعنفه، فكان قتله بهذه الطريقة جزاءه عند ذلك الكافر المجرم (١) .

الثاني : سفر ارميا :

هذا السفر ينسب الى احد انبياء بنى اسرائيل وهو ارميا . وصحة نسبته اليه امر غير مقطوع به اى كونه كاتب هذا السفر . وعدد اصحاحاته اثنان وخمسون .

وأما محتوياته، فهي كسفر اشعياء اذ انه سفر وعظ وتوبيخ وارشاد، وان كان يمتاز على سفر اشعياء بما فيه من التألم والتشكى الذى بدا في خطب ارميا العديدة، حيث كان قومه يطاردونه ويزجون به في السجن كثيرا لانهم لم يستطيعوا ان يسمعوا مواعظه وانذاراته على ما هم فيه من الغرق في اوحال الرذائل والموبقات التي ما خلت منها فترة من فترات حياتهم، ولا جيل من اجيالهم المتعاقبة .

وتحدث السفر عن الامور التي ستقع لبني اسرائيل في المستقبل الذى

---

(١) انظر السنن القويم جـ٨ ص ٦ ومفاتيح كنوز الاسفار الالهية جـ١ ص ٢٢٥

ليس بعيدا عن زمن النبي ارميا ،ويصرح بان الاسرائيليين سيؤخذون اسرى الى بابل ،ويؤكد ارميا ان الله تعالى أراه ذلك ممثلا في سلتين ملوءتين تينا وموضوعتين امام الهيكل ، وفي احدى السلتين تين جيد ، وفي الأخرى ردىء لا يؤكل لرداءته . فاخبره الرب بأن التين الجيد عبارة عن مملكة يهوذا التي سوف تزول ،ويؤخذ رعاياها اسرى ، ثم ينعم الله عليهم بالتوبة و يرعاهم برحمته ، فيعودون الى ارضهم من ارض الكلدانيين . وانهم سيغرسون من جديد ولا يقلعون . ذلك لأنّ هؤلاء الرعايا لم يبتعدوا عن الدين بمعاصيهم قدر ابتعاد رؤساء مملكتهم وسكان مدينة اورشليم . وأما التين الرديء فهو عبارة عن الملك صدقيا ملك يهوذا وعن سكان اورشليم ورؤساء تلك المملكة الذين نزحوا الى مصر ، وهؤلاء يصيبهم الشر والقلق واللعنة في جميع الأرض التي يطردون اليها ،و يبتلون بالسيف والجوع والوباء حتى لا تبقى لهم باقية على وجه الأرض (١) .

ثم يتحدث السفر عما تعرض له ارميا من الاهانة والاذلال على ايدى بنى اسرائيل الذين لم يستسيغوا انذاراته وتنبوءاته بما سيحل بهم ، ويذكر أنهم أرادوا قتله ولكنهم خافوا عاقبة الأمر لعلمهم ان الانبياء السابقين اخبروا بما أخبر به ارميا من الاحداث التي حلت قريبا من ديارهم و هي وشيكة الوقوع بهم .

وتحدث هذا السفر عن قتل احد الانبياء على يد الملك " يهوياقيم " وهو النبي " أوريا " لأنه اخبر بما اخبر به النبي ارميا من خراب اورشليم وذهاب ملك اليهود وأخذهم اسرى ، وبعد ان هرب هذا النبي الى مصر من يهوياقيم ارسل وراءه من قبض عليه وأتى به اليه ، ولما أتى به من مصر ضربه بالسيف فقتل .

---

(١) انظر ارميا ٢٤ : ١-٢٠

ثم يتحدث هذا السفر عن كراهية الاسرائيليين لتنبوءات ارميا ومقاومتهم الشديدة له ، حتى سجنوه اخر الامر ، واحرقوا السفر الذى كتبه ،ومع ذلك لم يخف ارميا ما أراه الله تعالى مما سيقع بهم وبغيرهم من الأمم ، فكان ما كان من سيطرة نبوخذ ناصر على مدينة اورشليم العاصية، واحراقه لسورها وهيكلها ،وتدميره معالمها، واخذه للاسرائيليين الى بلاده اسرى .

هذه اهم الموضوعات التى يحتويها هذا السفر، وهو كما سبق ان قلنا نظير سفر اشعياء في الوعظ والانذار والاخبار بالمغيبات .

الثالث : سفر عزرا :

هذا السفر منسوب الى احد كهنة بني اسرائيل وهو عزرا الذى يرى بعض المفسرين انه "عزير" الوارد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : " وقالت اليهود عزير ابن الله "(١) و يسميه البعض عزرا الوراق . وعدد اصحاحات هذا السفر عشرة .

قال في السنن القويم : " كان سفر نحميا وعزرا سفرا واحدا باسم عزرا بالتوراة العبرانية القديمة، وهكذا في الترجمة السبعينية، والترجمة اللاتينية ، اى الفولكات ، وأقر ذلك مجمع ترانت سنة ١٥٦٣م وانفصل الواحد عن الآخر في القرن السادس عشر باسمى "عزرا الأول" و "عزرا الثاني" ثم سمى "عزرا" و "نحميا" كما هما عندنا اليوم"(٢) .

وأما محتويات هذا السفر ، فهي الحديث عن عودة بني اسرائيل الى بلادهم من الأسر ،وذلك بعد وفاة الملك نبوخذ ناصر وانتقال الحكم بعده الى الملك كورش" الذى سمح لبني اسرائيل ببناء الهيكل الذى ازاله سلفه، وأعانهم على بنائه، وأمر باعادة الأواني الفضية والذهبية المأخوذة من الهيكل قبل تدميره على ما كانت عليه .

---

(١) سورة التوبة ٣٠

(٢) السنن القويم جـ٥ ص ١١١

ويتحدث هذا السفر عن الجهود المضنية التي بذلها بنو اسرائيل في بناء الهيكل رغم بعض الصعوبات التي صادفتهم ،والعقبات التي وقفت في طريقهم حتى لم يكن في استطاعتهم اكمال بنائه الا في عصر الملك الفارسي " ارتحشتا " الذى خلف "داريوس" على عرش فارس وكان داريوس خلفا للملك " كورش ".

ثم يتحدث السفر بالتفصيل عن القبائل اليهودية التي عادت من السبي، والطريق التي سلكتها في عودتها والاماكن التي نزلت بها في ترحالها ،كما يتحدث عن دعوة الاصلاح التي قام بها الكاهن عزرا الذى يعرف هذا السفر باسمه ، والذى جعل الاسرائيليين يتوبون عن المعاصي التي توارثوها عن آبائهم ، وقد دعاهم عزرا الى العمل بالشريعة ،والتخلص من النساء الغريبات اللاتي تزوجهن بنو اسرائيل من الامم مع تحريم ذلك عليهم في شريعتهم . فاستجابوا لندائه ، وعادوا الى الشريعة ،وفارقوا نساء الامم .

هذه خلاصة هذا السفر ، وهو سفر تاريخي ، يحكي عودة بني اسرائيل من الاسر ، كما كان سفر الخروج يحكي خروجهم من مصر .

وهذا السفر في التقسيم اليهودى ، في القسم الثالث هو " الانبياء الآخرون " ويأتي في هذا القسم الثالث بعد سفر عزرا " الانبياء الصغار " وعددها في التقسيم المسيحي اثنا عشر سفرا . وأما في التقسيم اليهودى ، فهي مجموعة سفرا واحدا ، ونحن هنا سنعتمد على اعتبارها اثنى عشر سفرا لتسهيل مراجعتها عند الحاجة .

الأنبياء الصغار :

هذه المجموعة من الاسفار تابعة للقسم الثالث حسب التقسيم اليهودى .
ووصفها بالأنبياء الصغار يرجع الى حجمها لا الى صفة انبيائها او عدم أهميتها .

الأول : سفر هوشع :

هذا هو السفر الأول من اسفار الانبياء الصغار . وهو منسوب الى هوشع بن بنيرى الذى عاش قبل سقوط دولتي بني اسرائيل (١) . وهو حسب الروايات اليهودية والمسيحية نبى من انبيائهم . وعدد اصحاحاته أربعة عشر .

وموضوعاته الدعوة الى التوبة، والحث على الاقلاع عن المعاصى والذنوب التي فشت في قومه وازدادت يوما بعد يوم . وفيه تهديد ووعيد لبني اسرائيل على عصيانهم المستمر، وتمردهم المتتابع على الأوامر الالهية، رغم نصائح الأنبياء الكثيرة، وصيحاتهم المتوالية فيهم .

ويلاحظ في هذا السفر امر غريب ليس له نظير في بقية الأسفار . وهو ما جاء فيه من ان الله تعالى امر النبي هوشع بأن يتخذ لنفسه امرأة زانية، وكان ذلك - حسب الرواية اول ما خوطب به هذا النبي من قبل الله تعالى حيث يقول :

" أول ما كلم الرب هوشع ، قال الرب لهوشع : خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا لأن الارض قد زنت زنا تاركة الرب " (١) .

ويقول في موضع آخر على لسان هذا النبي :

" وقال الرب لي : اذهب ايضا احب امرأة حبيبة صاحب وزانية، كمحبة الرب لبني اسرائيل " (٢)

---

(١) هوشع ١ : ٢ (٢) هوشع ٣ : ١

وهذا الأمر مما يجعلنا نجزم بعدم صحة نسبة هذا السفر الى نبي من انبياء الله تعالى ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء ، وانما يهدى الى الطيب من القول والعمل .

والانبياء انما يبعثون لتطهير المجتمع الانساني من الرذائل والفواحش ، وليكونوا قدوة للناس في الطهر والتقوى والصلاح ، لا ليكونوا واقعين في حمأة الرذائل التي هم ابعد الناس منها . واذا كانت الفاحشة قبيحة من عوام الناس ، فهي أشد قبحا وشناعة ممن هم في أعلى مراتب الانسانية .

الثاني : سفر يوئيل :

هذا السفر منسوب الى احد انبيائهم ايضا وهو يوئيل بن فثوئيل . وعدد اصحاحاته ثلاثة .

ومحتوياته حث الاسرائيليين على العودة السريعة والرجوع القوي الى سابق عهدهم من التدين والتمسك بالشريعة . وفيه وعيد وانذار لغيرهم من الأمم التي تقاسمت بني اسرائيل فيما بينهم أسرى . ويحث السفر بني اسرائيل على الاستعداد للحرب باعداد رجالها انتقاما من الأمم التي تجاوزهم ، بسبب ما نالهم على أيديهم من المذلة والهوان .

الثالث : سفر عاموس :

وهذا السفر منسوب الى عاموس الملقب بالرائي . الذى أراه الله ما سيكون عليه أمر بني اسرائيل من قتل وتشريد . ولذلك نرى صاحبه ينذر قومه ويخوفهم عقاب الله الذى لا مناص من وقوعه عليهم بسبب كفرهم وعنادهم ويخبرهم انهم سيؤسرون ويخرجون من أرضهم واموالهم وأولادهم ، ثم يعدهم ويمنيهم بالعودة الظافرة من السبي ، وبالعيش الهنيء الرغيد بعد رجوعهم من الأسر ، ويخبرهم ان الله سيغرسهم في الارض ، ولن يقلعوا من ارضهم أبدا .

ويظهر ان هذا لون من الوان الأماني التي عاشها اليهود أيام المحنة

وليس من وعد الله في شيء ، لانهم أذلوا واهينوا بعد رجوعهم من السبي ولم يهنأوا بالعيش مطلقا ، بل قلعوا من ارضهم وتفرقوا أيدي سبأ . ولو كان ذلك وعدا الهيا لما تخلف ، فان الله لا يخلف الميعاد .

الرابع : سفرعوبديا :

وهذا السفر منسوب الى رجل يدعى "عوبديا" ومعناه : عبدالله .

وليس لهذا السفر اصحاحات وانما هو قطعة واحدة . وأما موضوعه فهو عبارة عن رؤيا تتعلق بما سيحل ببني عيسو من الغضب الالهي المدمر بسبب مواقفهم من ابناء عمومتهم بني اسرائيل ، حينما سبوا وأخذوا الى بلاد الأعاجم ، حيث لم يكترثوا بما حل بهم ، بل قطعوا عليهم طرق النجاة وكانوا لهم شركا في كل المسالك . ويشبه السفر بيت يعقوب بنار وبيت يوسف بلهيب وبيت عيسو بقش يشعله بيت يعقوب ويوسف ، ويأكلونه بحيث لا يبقى لهم اثر . ثم يتحدث السفر عن اهل الجنوب الذين يرثون جبل عيسو . وعن اهل السهل الذين يرثون الفلسطينيين ، وبلاد افرايم والسامرة . وعن بلاد بنيامين الذين يرثون جلعاد . وعن استيلاء بني اسرائيل على أرض كنعان وأهل اورشليم على مدن الجنوب . وهكذا .

الخامس : سفر يونان :

وهذا السفر منسوب الى النبي يونان بن أمتاي ، وهو المعروف في الاسلام ب (يونس بن متى) عليه السلام . والى اسمه نسبت سورة من القرآن الكريم وهي (سورة يونس) وهي السورة العاشرة في ترتيب سور القرآن الكريم . وقد نسب هذا السفر اليه لأنه يحكي قصته ، لا لأنه هو كاتبه ، فانه غير معروف .

وعدد اصحاحات هذا السفر أربعة .

ومحتويات هذا السفر تتحدث عن قصة هذا النبي الكريم ، اذ بعثه الله

الى المدينة العظيمة (نينوى) (١) فهرب يونان من وجه الرب - حسب الرواية - ونزل الى مدينة " يافا " (٢) قاصدا " ترشيش " (٣) فاستأجر السفينة المتوجهة اليها . فلما ركب السفينة، وتوسط البحر، وعلى السفينة ركاب اخرون ، هاج البحر وماج حتى اوشكوا على الغرق ، فطرح الركاب امتعتهم في البحر كي لا تغوص السفينة بسبب الحمل الثقيل . فكان يونان نائما في جوف السفينة، فأيقظه قائدها، وطلب منه ان يدعو الهه لينجيهم من الغرق . ثم اتفق الركاب على الاقتراع فيما بينهم ،فأيهم وقعت عليه القرعة ، قذف في البحر لأنه هو الذى سبب لهم اضطراب البحر وعصيانه . فلما اقترعوا، وقعت القرعة على يونان فهنالك اخبرهم يونان بقصته . وبعد تردد منهم وتوقف ، ألقوه في البحر ، ولكن الله تعالى هيأ له حوتا عظيما ابتلعه، فقضى في جوفه ثلاثة أيام ، ثم قذفه الحوت الى البر بأمر الله تعالى حيا . ثم ارسل الله يونان الى نينوى، فذهب اليها ودعا أهلها الى الله تعالى، واخبرهم ان مدينتهم ستقلب بعد اربعين يوما . فجزع اهلها وأسرعوا بالتوبة النصوح الى الله تعالى وآمنوا بالنبي يونان . فقام ملكها وعظماؤها، فأمروا الناس أن لا يذوقوا شيئا، وكذلك البهائم لا ترعى ولا تشرب ، وأن يتوجه الجميع بالدعاء الى الله تعالى ليعفو عنهم و يقبل توبتهم ، ففعلوا ، فاستجاب الله لهم وتاب عليهم وعفا عنهم .

ولما علم يونان ان المدينة لن تقلب ، غضب خجلا من الناس الذين أخبرهم أنها ستقلب حتى تمنى ان يموت ، فخرج من المدينة وجلس شرقيها

---

(١) نينوى : عاصمة مملكة اشور وهي على مقربة من الموصل بأرض العراق .
(٢) يافا : ميناء فلسطيني على البحر الأبيض المتوسط .
(٣) ترشيش : في بلاد اسبانيا في الغرب الأقصى .

تحت مظلة عملها ليرى ما سيحل بالمدينة ،فأنبت الله عليه يقطينة فأظلتـه ففرح بذلك فرحا عظيما وزال غمه . ثم جاءت دودة في الغد صباحا فضربت اليقطينة فيبست ، وبعث الله ريحا حارة فأضرت حرارة الشمس يونان ،فهنالك طلب من الله ان يميته . فقال الله له حسب الرواية انت اشفقت علـى اليقطينة التى لم تتعب فيها ، أفلا اشفق على نينوى المدينة العظيمـة التي يوجد بها عدد كثير من الناس والبهائم ؟ ! .

وينتهى هذا السفر بنهاية هذه القصة وهي قصة مطابقة لما جاء في القرآن الكريم عن يونس عليه السلام في كثير من الوجوه. ويلاحظ هنا انها رويت مقلوبة ، فان يونس لم يركب البحر من البداية وانما كان ذلك بعد ان خرج مغاضباً لتأخر العذاب عن قومه "أهل نينوى" فكان ما كان من ابتلاع الحوت له وقذفه على الساحل ،فهنالك انبت الله عليه شجرة مـن يقطين .

وما جاء في القرآن الكريم أليق بمقام النبوة لأنه لا يظن بنبـي أن يعصى اوامر ربه بالذهاب الى أهل نينوى فيركب البحر ، ثم يعود الى العصيان فيعترض علـى الله الذى قبل توبة اهل نينوى حتى يبلغ بـه الامر الى تمنى الموت . فانظر الى القرآن الكريم حيث يقول :

" وان يونس لمن المرسلين . اذ أبق الى الفلك المشحون ،فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وأنبتنـا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهم الى حين "(١)

---

(١) سورة الصافات ١٣٩ - ١٤٨

السادس : سفر ميخا :

وهذا السفر منسوب الى احد الانبياء وهو " ميخا المورشتي " نسبة الى مورشة ، او مريشة التي تقع الى الغرب من اورشليم . ومعنى " ميخا " : (من مثل يهو) واصل الكلمة مختصرة من " مي كا يهوه " (١) .

وعدد اصحاحات هذا السفر سبعة . وأما محتوياته ، فهي المواعظ والانذار والتحذير لبني اسرائيل من سوء العاقبة ، وفيه اخبار لهم بما سينزل بهم من العذاب المهين على أيدي اعدائهم ، كما ان فيه الدعاء والتضرع الى الله تعالى ليعيد لبني اسرائيل مجدهم باعادتهم الى الحق الذي اعرضوا وانصرفوا عنه من اول يوم ، وفيه الاخبار بما سيقع في المستقبل من الحوادث .

السابع : سفر ناحوم :

وهذا السفر منسوب الى احد الأنبياء وهو " ناحوم القوشي " ويقال : انه غير معروف كما ان قوش التي نسب اليها مجهولة أيضا (٢) .

وعدد اصحاحاته ثلاثة . واما محتوياته ، فهي الرؤى التي رآها هذا النبي على " نينوى " اذ رأى صاحب السفر ان نينوى ستعاقب بسبب فسادها وعصيانها وما فيها من فجور وفسوق ورذائل .

الثامن : سفر حبقوق :

وينسب هذا السفر الى نبي يدعى " حبقوق " ويقال : انه غير معروف الا من خلال سفره . ومعنى حبقوق " المعانق " (٣) .

---

(١) انظر السنن القويم جـ١٢ ص ٨٧

(٢) انظر السنن القويم جـ١٢ ص ١٠٧

(٣) انظر السنن القويم جـ١٢ ص ١١٦

وعدد اصحاحاته ثلاثة . واما محتوياته فالاصحاح الاول فيه دعاء النبي حبقوق ربه . والاصحاح الثاني فيه شكواه وقلقه من المعاصي التي غرق فيها الناس في عهده. وفيه وعيد وتهديد شديد للذين يرتكبون المعاصي وذلك من غير ان يعين شعبا من الشعوب أو امة من الأمم ، ويقتصر على قوله : ويل لمن يفعل كذا وكذا .

التاسع : سفر صفنيا :

وينسب هذا السفر للنبي "صفنيا بن كوسى" الذى عاصر الملك الصالح "يوشيا بن آمون" ومعنى "صفنيا" : يستره يهوه" أى يستره الله (١) .

وعدد اصحاحاته ثلاثة . وأما محتوياته؛ فتتحدث عن الغضب الالهى الشامل لأهل الأرض من انسان ، بهائم ، وطيور واسماك . وعن البلاء الذى يعم الصالح والطالح ، ويبيد الاحياء عن وجه الأرض .

ويفهم من سياق الحديث ان المراد بالغضب الالهي الشامل ، هو نهاية العالم وقيام الساعة ، وذلك بدليل قوله : " قريب يوم الرب العظيم ، قريب وسريع جدا ، صوت يوم الرب يصرخ حينئذ الجبار مرا ، ذلك اليوم يوم سخط ، يوم ضيق وشدة ، يوم خراب ودمار ، يوم ظلام وقتام ، يوم سحاب وضباب ، يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشرف الرفيعة . واضايق الناس فيمشون كالعمى لأنهم أخطأوا الى الرب فيسفح دمهم كالتراب ولحمهم كالجلة . لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع انقاذهم في يوم غضب الرب ، بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها ، يصنع فناء باغتا لكل سكان الأرض" (٢) . وهذا دليل واضح على ان المراد بهذه الأهوال هي اهوال القيامة وشدائدها نسأل الله السلامة والنجاة .

---

(١) انظر السنن القويم جـ٢ ص ١٢٦ (٢) صفنيا : ١٤-١٨

العاشر : سفر حجى :

ينسب هذا السفر الى أحد انبياء بني اسرائيل بعد الأسر، وهو النبي "حجى".

و يتألف هذا السفر من اصحاحين فقط . وأما موضوعه، فهو الاخبار عن الوعد الالهي باعادة بني اسرائيل من السبي، واخبارهم بما سيحل من الدمار والهلاك، بالدول المجاورة لهم .

الحادى عشر: سفر زكريا :

وينسب هذا السفر للنبي الاسرائيلى زكريا بن برخيابن عد والنبي احد الكهنة الذين رجعوا من بابل (١) .

وعدد اصحاحاته اربعة عشر . وموضوعه تبشير بنى اسرائيل المسبيين بقرب عودتهم من السبى الى أورشليم . وبقرب عودة المجد اليهودى الذى ضاع بسبب معاصيهم ، ويخبرهم ان ربهم الذى عاقبهم وانتقم منهم لتمردهم على اوامره، سيعود اليهم ويسكن في وسطهم بأورشليم كما كان من قبل ؟!

وفي هذا السفر تبدو مسألة لا يكاد يخلو عنها سفر من أسفار العهد القديم، وهي ان اله اليهود له من الصفات ما يقربه من صفات احد ملوك البشر ، فهو ان رضى عنهم اقام في وسطهم وسكن في مدينتهم ، وان غضب عليهم احتجب عنهم وفارق مدينتهم ؟! وهذا ضلال مبين .

الثاني عشر : سفر ملاخى :

وينسب هذا السفر للنبى ملاخى، وهو شخص لا يعرف الا من خلال سفره هذا، ولا يوجد بهذا الاسم غيره في العهد القديم (٢) واصحاحات هذا السفر أربعة .

---

(١) انظر مفاتيح كنوز الاسفار جـ١ ص ٣١٣ .
ومعنى زكريا : من يذكره الله . انظر السنن القويم جـ١٢ ص ١٤٥

(٢) انظر السنن القويم جـ١٢ ص ١٧٩ ومفاتيح كنوز الاسفار جـ١ ص ٣٢٢

وأما محتويات هذا السفر، فهي توبيخ الاسرائيليين على تمردهم ، وانذارهم سوء العاقبة، ووعدهم بأن في المستقبل نبيا عظيما ، وان الله تعالــــى يرسل قبله ملاكا يهيئ طريقه ، وعند مجيء ذلك النبي سيزول المستكبرون والاشرار، فلا يبقى لهم أصل ولا فرع . وأما المتقــــون، فسوف تشرق عليهم شمس البر و يتقوون حتى تدون على يدهم نهاية الاشرار.

ثم يختتم السفر حديثه بقوله : " ها أنا ارسل اليكم ايليــا قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى واضرب الأرض بلعن "(١) .

فمن الواضح من هذا النص ان النبي الذى يبشر به كاتب السفر هو محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ يوم الرب العظيم والمخوف، هو يوم القيامة. ولا شك ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث في آخر الزمان، ولا نبي بعده وهو الذى اعاد قلوب الآباء على الابناء، وقلوب الابناء على آبائهم، اذ دعا الى بر الوالدين والاحسان اليهما ، بعد دعوته الى عبادة الله وحده لا شريك له ، ودعا الاباء الى مراعاة حقوق ابنائهم بالتربية الحسنة، والمساواة بينهم في العطايا . وسيأتي في الباب الأخير التعليق على هذا النص واشباهه من النصوص التي تبشر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في بيان موقف بنى اسرائيل من محمد صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى .

و بهذا ينتهى الحديث عن محتويات القسم الثالث من اسفار العهد القديم حسب التقسيم اليهودى . ويليه الحديث عن محتويات القسم الرابع، وهو القسم الأخير .

---

(١) ملاخى ٤ : ٥-٦

القسم الرابع : الكتب المقدسة :

الأول : سفر المزامير :

يسمى هذا السفر بالعبرانية " تهاليم " اى تهاليل وهى تسابيح .
والمزامير جمع مزمور . وهذا السفر يتألف من مزامير لا من اصحاحات . وكل مزمور عبارة عن قطعة نثرية فيها تسبيح و تحميد و تمجيد لله عز وجل و تضرع اليه . وهو احسن ما في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .

قال في السنن القويم : " المزامير بلا مراء من اجمل اسفار الكتاب المقدس ، و قلما تضارعها الاسفار الاخرى بالاهمية و سمو التعاليم والافكار وعمقها . وهي توحد بين العهدين القديم والجديد لا سيما وان السيد المسيح كان يأخذ الكثير من اقتباساته من هذا السفر الجليل . و تسمى بالعبرانية " تهاليم " اى تهاليل من كلمة هلل التى منها " هللويا " الشهيرة في كل اللغات ومعناها سبحوا الرب . فتهاليم اى تسابيح او ترانيم او تراتيل "(١) .

وليست المزامير في اصلها سفرا واحدا كما انها لم تكن لمؤلف واحد اذ منها ما ينسب الى داود عليه السلام وهي الأكثر ، ومنها ما ينسب الى سليمان عليه السلام ، ومنها ما ينسب الى موسى عليه السلام . ومنها ماينسب الى بني قورح و منها ما ينسب الى بني ناثان . ومنها ما ينسب الى امام المغنين ومنها ماينسب الى أساف . ومنها قصيدة هيمان الازراحى . و منها قصيدة ايثان الأزراحي ومنها ما لم ينسب الى أحد . فمن هذه الاجزاء المختلفة يتألف سفر المزامير . وعدد مزاميره مائة وخمسون مزمورا . وقد قسمه اليهود قديما الى خمسة اجزاء (٢) .

---

(١) السنن القويم جـ٦ ص أ

(٢) السنن القويم جـ ٦ صأ

الجزء الاول من المزمور الاول حتى الحادى والاربعين ، وهى المجموعة المنسوبة الى داود عليه السلام .

الجزء الثاني من المزمور الثاني والاربعين حتى الثاني والسبعين .

الجزء الثالث من المزمور الثالث والسبعين حتى التاسع والثمانين .

الجزء الرابع من المزمور التسعين الى المائة والسادس .

الجزء الخامس من المزمور المائة والسابع الى آخر المزامير .

وهذه المزامير جديرة بأن توضع في مقدمة الكتب الدينية لما تشتمل عليه من صفات الله تعالى وافعاله المقدسة وقدرته الغالبة ، ورحمته الشاملة ، ووجوده الأزلى ، وبقائه السرمدى .

وقد سمى هذا السفر بالمزامير لاشتماله على المقطوعات التي تتلى مقترنة بآلة المزامير (١) .

واذا كان كثير من اسفار العهد القديم مشتملا على احكام دينيه من اعتقاد وعبادات ومعاملات ، فان سفر المزامير اوثق صلة بالدين ، فان صلة العبد بربه في هذا السفر صلة عميقة. ويظهر ذلك في التسابيح والادعية التى اشتملت على صفات الله الحسنى ، وافتقار عباده اليه .

نماذج من نصوص المزامير :

" أرفعك يا الهى الملك وابارك اسمك الى الدهر والابد . في كل يوم اباركك واسبح اسمك الى الدهر والأبد . عظيم هو الرب وحميد جدا . وليس لعظمته استقصاء . دور الى دور يسبح اعمالك وبجبروتك يخبرون بجلال مجد حمدك وامور عجائبك الهج . بقوة مخاوفك ينطقون وبعظمتك احدث. ذكر كثرة صلاحك يبدون وبعدلك يرنمون . الرب حنان ورحيم طويل الروح وكثير

---

(١) انظر مقارنة الاديان ١ـ اليهودية ص ٢٤٦

الرحمة . الرب صالح للكل ومراحمه على كل اعماله يحمدك يا رب كل اعمالك .
ويباركك اتقياؤك . بمجد ملكك ينطقون وبجبروتك يتكلمون . ليعرفوا
بني آدم قدرتك ومجد جلال ملكك . ملكك ملك كل الدهور . وسلطانك
في كل دور فدور . الرب عاضد كل الساقطين ومقوم كل المنحنين . أعين
الكل اياك تترجى وانت تعطيهم طعامهم في حينه . تفتح يدك فتشبع
كل حي رضا . الرب بار في كل طرقه ورحيم في كل اعماله . الرب قريب
لكل الذين يدعونه بالحق . يعمل رضا خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم .
يحفظ الرب كل محبيه ويهلك جميع الاشرار . بتسبيح الرب ينطق فمي .
وليبارك كل بشر اسمه القدوس الى الدهر والابد "(١) .

" هللويا . سبحوا الرب من السموات سبحوه في الاعالي ، سبحوه
يا جميع ملائكته . سبحوه يا كل جنوده . سبحيه يا أيتها الشمس والقمر ،
سبحيه يا جميع كواكب النور . سبحيه يا سماء السموات ويا أيتها المياه التي
فوق السموات ، لتسبح اسم الرب لأنه امر فخلقت . وثبتها الى الدهر
والأبد . وضع لها حدا فلن تتعداه . سبحي الرب من الارض ياأيتها
التنانين وكل اللجج . النار والبرد والثلج والضباب والريح العاصفة الصانعة
كلمته . الجبال وكل الاكام الشجر المثمر وكل الارز ، الوحوش وكل البهائم
الدبابات والطيور ذوات الاجنحة . ملوك الأرض وكل الشعوب . الرؤساء
وكل قضاة الأرض . الاحداث والعذارى أيضا الشيوخ مع الفتيان ليسبحوا
اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده . مجده فوق الأرض والسموات ،
وينصب قرنا لشعبه فخرا لجميع اتقيائه لبني اسرائيل الشعب القريب اليه ،
هللويا "(٢) .

---

(١) مزامير : ١٤٥

(٢) مزامير : ١٤٨

ويقول داود في دعائه :" ارحمني يا الله حسب رحمتك حسب كثرة رأفتك أمح معاصي . اغسلني كثيرا من اثمي ومن خطيتي طهرني لأني عارف بمعاصي وخطيتي امامي دائما . اليك وحدك اخطأت ، والشر قدام عينيك صنعت لكي تتبرر في اقوالك و تزكو في قضائك . ها انا ذا بالاثم صورت وبالخطيئة حملت بي أمي "(١)

وبعد / فهذه بعض ما اشتملت عليه المزامير من ادعية و تسبيح و تمجيد و ثناء على الله تعالى بما هو أهله من الاسماء الحسنى والصفات العلى ،وفيها من الخضوع والتذلل والتضرع الى الله تعالى ما يلمس اثره كل قارئ لهذا السفر . وقبح الله رأى من نسب مثل هذا النبي الكريم والعبد الصالح الأواب الى الفاحشة ، اذ زعموا انه فجر بامرأة احد جنوده فحملت منه سفاحا ، ثم احتال على زوجها حتى قتل في الحرب فخلفه على امرأته ومنها ولد سليمان في زعمهم . كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا . وسيأتي الحديث عن ذلك ومناقشته في بيان موقفهم من داود عليه السلام في الباب الاخير ان شاء الله تعالى .

الثاني : سفر الأمثال :

وهذا السفر منسوب الى نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ما عدا الاصحاح الحادى والثلاثين الذى ينسب الى رجل يسمى "لموئيل ملك مسا" والاصحاح الثلاثين الذى ينسب الى رجل يدعى "اجور بن منفيه مسا"

وعدد اصحاحاته واحد وثلاثون . واما محتوياته ، فهى الحكم والمواعظ والارشادات . ويبدو من خلال القراءة ان هذا السفر يعتبر جامعا لما تفرق من اقوال سليمان من ألسنة الناس . ولا يوجد ما يدل على ان كاتبه هو سليمان عليه السلام. ولكن عدم صحة نسبة الكتاب اليه لا يمنع ان تكون نسبة

---

(١) مزامير : ٥١

هذه الحكم والامثال اليه صحيحة . وقد قيل ان الشخصين المذكورين في السفرين الاخيرين وهما " اجورين متقيه " و " لموئيل " غير معروفين . وقيل ان المراد بهما سليمان نفسه (١) .

اما النصائح الموجودة في هذا السفر فهي اما خاصة واما عامة . فالخاصة هي التي ينصح فيها سليمان ولده من غير ان يذكر اسمه . واما العامة فهي التي خلت من الاشارة الى شخص معين ، والحكم اكثر من الامثال في هذا السفر و تسميته بالأمثال تسمية للكل باسم الجزء .

الثالث : سفر ايوب :

وينسب هذا السفر الى نبي الله ايوب عليه السلام . وقد قيل انه كان في الاصل شعرا ما عدا المقدمة والخاتمة (٢) . و مما يعتقد ان ايوب عاش قبل الشرائع والقواعد الموسوية لعدم تعرضه لذكر شيء مما يدل على المعبد والكهنوت (٣) .

وعدد اصحاحاته ثلاث واربعون . واما محتوياته ، فهي سرد ما وقع لنبي الله ايوب عليه السلام من البلاء من قبل الله عز وجل . اذ كان اغنى بني المشرق وابرهم واتقاهم مع ذلك . ولكن الشيطان أراد ان يضله عن الحق ويخرجه عن الجادة ، فادعى ان ايوب لم يكن مستقيما الا لأن الله انعم عليه بالمال الوفير والولد الكثير في عافية وسلامة ، وطلب من الله ان يزيل عنه تلك النعم ليرى هل يبقى صابرا شاكرا ، او يكون ساخطا كافرا . فتم للشيطان ما أراد اذ سلب الله عبده ايوب جميع تلك النعم ، ولكن أيوب عليه السلام نجح وافلح ، اذ استطاع ان يقاوم وساوس الشيطان و كيده الى النهاية ، فلم

---

(١) انظر مفاتيح كنوز الاسفار ج١ ص ٢٣ و ٢٠٤

(٢) انظر السنن القويم ج٥ ص ١٦١

(٣) انظر السنن القويم ج٥ ص ١٦٣ ويذكر ايوب على السنة الناس كلما ذكر الصبر فيقال فلان له صبر ايوب .

فلم يجزع ولم يسخط لما نزل به، ومع ذلك نازعته نفسه - كما تقول الرواية - في كثير من الاوقات. ولكنه اخمد ثورتها بصبره الجميل . فعوضه الله خيرا مما فقد وضعفا .

وقد كان لأيوب اصحاب يحاورهم ويحاوورنه . وهو اسلوب ينفرد به هذا السفر من بين الاسفار اليهودية الاخرى . ثم ينفرد بعباراته المتناسقة المتألقة ، وهو كتاب له من السمات الدينية ما يجعله من احسن اسفار اليهود صلة بالايمان، وخاصة تلك الأدعية التي نسبت فيه الى ايوب وما يتبعهما من المخاطبات الالهية له ، امور تجعل القارئ يحكم على هذا السفر بانه سفر يغلب عليه السلوك الايماني لما له من معان عميقة تحرك الوجدان .

وهذا الاسلوب الذى ينفرد به هذا السفر من بين الاسفار المتقدسة هو الذى جعل الباحثين الغربيين يحكوون له بأنه من امتع الاسفار . وقد ذكر ذلك الدكتور احمد شلبي بقوله " ويعتبر الدارسون الغربيون سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية . ويقول عنه كارليل : هو كتاب نبيل ، وهو كتاب الناس اجمعين . وهو أول واقدم شرح لتلك المشكلة التي لا آخر لها ، مشكلة مصير الانسان وتصرف الله معه على ظهر هذه الأرض(١)".

وقصة أيوب المتعلقة بابتلاء الله اياه وصبره على ما اصيب به من فقد أهل ومال ومرض ، وما من الله به عليه من مضاعفة الاجر واعادة ما فقد اليه ، كل ذلك مذكور في القرآن الكريم ذكرا جميلا ويكفي ان نذكر هنا ان الله تعالى اثنى عليه بقوله : " انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب "(٢) . ومن أراد الوقوف على قصته فليرجع الى سورة "ص" وسورة الأنبياء(٣) .

---

(١) مقارنة الاديان ١ - اليهودية ص ٢٤٥

(٢) سورة ص ٤٤

(٣) الاية ٨٣ - ٨٤

الرابع : نشيد الانشاد :

وينسب هذا السفر الى سليمان عليه السلام، فير ان فريقا من الباحثين يطعن في صحة هذه النسبة , قال في السنن القويم : " والارجح ان السفر ليس لسليمان حقيقة بل انه منسوب الى سليمان ومؤلفه مجهول الاسم كسفر " الحكمة " الغير قانوني الذى تاريخه نحو مائة سنة قبل المسيح وهو منسوب الى سليمان "(١) .

وعدد اصحاحاته ثمانية . وأما محتوياته فهي الاحاديث الغرامية المبتذلة والغزل المكشوف المخجل بين كاتب السفر وبين من يحب من بنات اورشليم . فيصف الكاتب محبوبته من بداية السفر الى نهايته بأوصاف خليعة لا تليق الا باللئام من الناس فضلا عن ان تكون لائقة بنبي كريم أتاه الله النبوة والملك . و يتخلل تلك الأوصاف التى يخاطب بها الكاتب محبوبته خطاب مغاير لخطابه يدعو الى القول انه من محبوبته ،فمثلا حينما يقول المتغزل لمحبوبته : " هاانت جميلة يا حبيبتى هل أنت جميلة عيناك حمامتان " ، يأتى بعد هذا القول مباشرة : " ها أنت جميل يا حبيبى وحلو وسريرنا أخضر "(٢)

و هذا يدل على ان هذا السفر من اوله الى آخره غزل جرى بين رجل وامرأة وهو ليس من الدين في شيء . ولهذا سماه ابن حزم رحمه الله : " هوس الأهواس "(٣) .

---

(١) السنن القويم جـ ٨ ص ٤٠

(٢) نشيد الانشاد ١ : ١٥-١٦

(٣) الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ١ ص ٢٠٧ لأبي محمد على بن احمد بن حزم الظاهرى الاندلسى المولود بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ المتوفى سنة ٤٥٧ هـ انظر ترجمته في مقدمة كتابه : مراتب الاجماع المطبوع سنة ١٩٧٨م الطبعة الاولى بدار الافاق الجديدة في بيروت .

الخامس : سفر راعوث :

وهذا السفر منسوب الى امرأة موآبية تزوجها رجل من بنى اسرائيل يسمى : " بوعز " فولدت له " عوبيد " الذى يعتبر جد نبي الله داود عليه السلام . لانه داود بن يسى بن عوبيد ، كما تقول الرواية اليهودية .

وعدد اصحاحاته اربعة . وأما محتوياته ،فليست لها صلة بالحياة الدينية لبنى اسرائيل . بل انه سفر خاص بقصة تلك المرأة الموآبية " راعوث " التي تزوجها رجل اسرائيلى نزح ابوه من بيت لحم بسبب مجاعة نزلت بها . و يسمى ذلك الرجل " اليمالك " اى الأب . وكان مع الرجل في تزوحه زوجته وولداه . فقد حل معهم في ارض موآب . ثم تزوج الولدان امرأتين موآبيتين ، فيرانهما توفيا كما توفي ابوهما ، فعادت زوجة الأب الى أرض اسرائيل فعادت معها راعوث الموآبية ،فتزوجت رجلا اسرائيليا اسمه " بوعز " فولدت له " عوبيد " الذى ولد له فيما بعد " يسى " والد داود عليه السلام . ومن هنا يعلم ان هذا السفر يتحدث عن عرق من عروق شجرة نسب داود . ولعل المراد هنا هو التمهيد لترجمة حياة ملك من ملوك بنى اسرائيل الكبار ، وهو داود عليه السلام .

السادس : سفر المراثى لأرميا :

وهذا السفر منسوب الى النبي ارميا الذى سبق الحديث عنه في سفر ارميا . وعدد اصحاحاته خمسة ؛ وموضوعاته الرثاء والبكاء على بني اسرائيل وملكهم ،وما حصل لمدينة اورشليم من الدمار والخراب سنة ٥٨٨ قبل الميلاد . وقد اخبر ارميا في سفره السابق بما سيقع لقومه من المحنة والبلاء ؛ فوقعت تلك الحوادث في حياته ؛ فصار يبكى على قومه ، وعلى ذهاب ملكهم ،وما صاروا اليه من ذل بعد عز . ولقد آلمه وهز مشاعره ما آل اليه عاقبة أمر قومه ،وما صارت

اليه مدينتهم من خراب ودمار ، فرثاهم ورثا مدينتهم من اول سفره الى آخره مبينا في رثائه ان الله تعالى على الرغم مما حاق بهم من العذاب والعقاب - لم يظلمهم لأنّ ذلك كان جزاء على ما قدمت ايديهم من تفريطهم المتكرر في جنب الله تعالى ، رغم كثرة الرسل والانبياء الذين ما خلت منهم فترة من فترات حياتهم ، ولا خلت مسامعهم من صرخاتهم وتأوهاتهم طوال تلك القرون والاجيال التي جاءت بعد موسى عليه السلام .

ولقد افتتح الكاتب سفره بقوله : " كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب ؟ كيف صارت كأرملة العظيمة في الأمم ، السيدة في البلدان صارت صارت تحت الجزية تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها ؟ ليس لها معز من كل محبيها ، كل اصحابها غدروا بها ، صاروا لها اعداء "(١) .

ويقول ايضا في تعليل ما نزل بالاسرائيليين من المصائب : " لماذا يشتكى الانسان الحي الرجل من قصاص خطاياه ؟ لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع الى الرب لنرفع قلوبنا وأيدينا الى الله في السموات : نحن أذنبنا وعصينا ، انت لم تغفر "(٢) .

وبالاضافة الى ما في هذا السفر من الرثاء والبكاء على ملت بنى اسرائيل وانكسارهم ؛ فان اسلوب هذا السفر يدعو الباحث الى القول : انه ليس صادرا عن نبي من انبياء الله يعلم ما للرب من صفات الكمال والجلال . فان كاتب السفر لم يتأدب مع الله تعالى في مخاطبته ، بل ظل يصفه بصفات سلبية فقط واليك نماذج لذلك :

" قتلت ولم تشفق "(٣) " انظر يا رب وتطلع بمن فعلت هكذا "(٤)

---

(١) المراثي ١ : ١-٢ (٢) المراثي ٣ : ٣٩-٤٣

(٣) المراثي ٣ : ٤٢ (٤) المراثي ٢ : ٢٠

" كيف غطى السيد بغضبه ابنته صهيون بالظلام ؟ القى من السماء الى الارض فخر اسرائيل . ولم يذكر موطئ قدميه في يوم غضبه . ابتلع السيد ولم يشفق كل مساكن يعقوب . نقض بسخطه حصون بنت يهوذا . اوصلها الى الأرض . نجس المملكة ونجس رؤساءها "(١) " صار السيد كعدو . ابتلع اسرائيل . ابتلع كل قصوره . اهلك حصونه . واكثر في بنت يهوذا النوح والحزن "(٢) .

وما كان لنبى ان يجرؤ على الله تعالى ويخاطبه بهذه العبارات السلبية التي لا تدل منفردة على المدح ، وهي عبارات تنم عن عدم الرضا بما قدر الله وتدل على السخط من العدل الالهي .

السابع : سفر الجامعة :

وهذا السفر منسوب الى النبي سليمان عليه السلام ولكن هذه النسبة غير مبنية على اساس علمي مؤكد . وقد افتتح صاحب السفر كلامه بقوله : " كلام الجامعة ابن داود الملك في اورشليم "(٣) ويقول ايضا : " انا الجامعة كنت ملكا على اسرائيل في اورشليم "(٤) .

وفي حديث الكاتب عن نفسه في هذا السفر ما يدعو الى القول ان كاتبه سليمان . فان ابن داود الذى كان ملكا على اسرائيل هو سليمان عليه السلام ، وقد يساعد على هذا القول اسلوب هذا السفر القريب من اسلوب سفر الامثال الذى ينسب الى سليمان ايضا نسبة غير مقطوع بها .(٥)

---

(١) المراثي ٢ : ١ - ٢ (٢) المراثي ٢ - ٥

(٣) الجامعة ١ : ١ (٤) الجامعة ١ : ١٢

(٥) انظر السنن القويم جـ٨ ص ٢ ومفاتيح كنوز الاسفار جـ١ ص ٢٠٥

قال في السنن القويم : " واكثر المفسرين المحدثين ينسبون هذا السفر الى كاتب غير سليمان ويبنون رأيهم على ما يأتي : ١ - لغة الكتاب فانها تختلف عن لغة سفر الامثال وسفر نشيد الانشاد وتشبه لغة الاسفار التي كتبت بعد السبى ٢ - ان مضمون السفر لا يوافق ما يعرف عن احوال الشعب في ايام سليمان" (١) . كون مضمون السفر لا يوافق احوال الشعب لأنه يتحدث عن المظالم المنتشرة ،ودموع المظلومين ،وعدم وجود من ينصفهم ، وهو امر لم يحصل في عهد سليمان لان حكم الاسرائيليين بالعدل والانصاف ولم يتسلط عليهم وكانت ايامه خير ايام بنى اسرائيل فقد عاشوا في عــز وتمكين .

وعدد اصحاحات هذا السفر اثنا عشر واسمه بالعبرانية " فوهلت" قال في السنن القويم : " الجامعة بالعبرانية "فوهلت" لم ترد هذه الكلمة الا في هذا السفر ، والكلمة مذكر بالمعنى وان كانت مؤنثا باللفظ . ومعناها من يجمع الناس ليعظهم . وهو الواعظ او كما يقول البعض من يجتمع مع الناس ويشترك معهم في المناقشة " (٢)

ومحتويات هذا السفر ، القلق ،والانزعاج ،والشكوى عما في مجتمع الكاتب من تناقضات ،وما في الحياة من صراع بين الخير والشر ، حتى ان الكاتب ليرى ان الحكمة وكثرتها في المرء ، تعنى كثرة الغم ، وان الذى يزداد علما ، لا يزداد الا حزنا وغما . وفي هذا السفر دعوة ضمنية الى الخلوة بالنفس والتأمل والتدبر فيما يجرى حول المرء من اعمال الناس واخلاقهم ، وحركات المخلوقات وسكناتها ، وما يوجد من تنازع وتفاوت بين البشر . ولعل السر في اظهار الجزع والقلق من كاتب السفر وفي الحكم على زيادة الحكمة والعلم بزيادة الغم والحزن ،ان الكاتب يرى ان العلماء والحكماء هم الذين يشعرون

---

(١) السنن القويم جـ٨ ص ٢-٣

(٢) السنن القويم جـ٨ ص ٢

بما في الناس من عيوب ونقائص بسبب ما امتازوا به عليهم من العلم والحكمة فيهتمون باصلاح شؤونهم و تغيير احوالهم ،فيواجهون في سبيل ذلك مشقة وعنتا ، يترتب عليه الحزن والغم .

الثامن : سفر استير :

وينسب هذا السفر الى امرأة اسرائيلية كانت في السبى مع ابن عم لها يسمى " مردخاى " الذى سعى في حيلة ومكر حتى تمكن من ادخال تلك المرأة الى قصر الملك " أحشو يروش " فاصبحت زوجته واحب النساء اليه

وعدد اصحاحات هذا السفر عشرة . واما محتوياته ،فهي تتحدث عن المكر اليهودى في بلاط الملك احشريروش ،وما جرى على ايدى اليهود للشعب الفارسي من قتل وابادة .

ويذكر هذا السفر ان الملك احشويروش كان له وزير اسمه " هامان " وكان ذا هيبة وعظمة بحيث يسجد له كل من لقيه، الا ان مردخاى اليهودى لم يسجد له ، فغضب هامان منه حتى فكر في التخلص من اليهود في كل مملكة فارس ،فاصدر بذلك امرا ملكيا ، واعد لمردخاى مشنقة ليصلبه عليها ، ولكن ابنة عمه استير التي اصبحت زوجة الملك ، دبرت مكيدة للتخلص من وزير الملك هامان ، فاستطاعت ان تثير عليه غضب الملك ، فأمر الملك بصلبه عوضا عن مردخاى ثم طلبت استير من زوجها الملك ان يهب لها شعبها، وان لا يفنيهم بسبب مكيدة دبرها هامان ،فوافق الملك على ذلك واعطاها هي وابن عمها مردخاى مطلق التصرف فيما يريان اصداره من اوامر الى رعيته . فأصدر امرا بالكف عن قتل اليهود ، كما اصدر امرا الى اليهود بلغتهم الخاصة بأن يقتلوا ويبيدوا كل من يقف في وجههم من الشعوب الفارسية . فقام اليهود بتنفيذ الأمر فقتلوا من اهل فارس اكثر من خمسة وسبعين الفا .

ويرى الدكتور احمد شلبي ان قصة استير هذه ليست قصة تاريخيه ،وانما هي قصة اسطورية اراد بها مؤلفها رسم الطريق للنساء الاسرائيليات ليتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة قومهم بني اسرائيل وخدمة أغراضهم .

---

(١) مقارنة الأديان ١ - اليهودية ص ٢٤٤

التاسع : سفر دانيال :

وهذا السفر منسوب الى النبي دانيال احد سبايا بنى اسرائيل الى بابل . وعدد اصحاحاته اثنا عشر . وأما محتوياته فهى الاخبار عن الرؤيا التى رآها الملك نبوخذ ناصر بعد السبى والتى لم يجد من يعبرها لـه من المنجمين والكهان في مملكته ،وذلك لبعد ما ترمز اليه تلك الرؤيا ولصعوبة معناها. ففسرها دانيال تفسيرا اطمأنت اليه نفس الملك ،فمكافأة بأن جعله في بابه، وولى ثلاثة من اليهود أعمال ولاية بابل وهم "شدروخ " و"ميشخ" و"عبدنغو" . ثم تحدث السفر عن رؤيا اخرى رآها الملك فعبرها له دانيال بزوال ملكه وذهاب سلطانه ،وبأنه يطرد من رعاياه . ثم تحدث السفر عن طرد الملك نبوخذناصر من ملكه فتولى الحكم بعده "بيلشاصر" وأما نبوخذناصر ، فيقول السفر عنه ؛ انه بعد ان تاه في البرارى وعاش مع الحيوانات وأكـل العشب كالثيران ، وابتل جسمه بالندى حتى طال شعره مثل النسور ، وأظفاره مثل الطيور ، بعد هذا كله ، تاب الى الله تعالى وأناب ، فأعاده الله تعالى الى ملكه ، وازدادت عظمته فصار يسبح الله تعالى ويحمده ويمجده .

ثم يذكر السفر ان "بيلشاصر" جمع عظماء مملكته وزوجاته وسراريه في محفل فشربوا جميعا في الاواني الذهبية والفضية التي جلبت من اورشليم فبينما هم على ذلك اذ ظهرت لهم يد انسان فكتبت على الحائط في قصـر الملك كتابة مجهولة لم يعرف رمزها غير دانيال الذى اخبر الملك بزوال ملكه واستيلاء الفرس على مملكته بسبب ما عمله الملك وعظماؤه من الاستهانة بالأواني المقدسة . فقتل الملك في تلك الليلة واستولى على المملكة "داريوس" المادى من فارس .

ثم تحدث السفر عن الرؤيا التى رآها دانيال وهو في بابل . وعن المكانة التي نالها دانيال عند الملوك السابقين واللاحقين : تلك الرؤى التى رآها تتحدث عن أمور غريبة في المستقبل قريبة الوقوع ، ومنها ما هو غير قريب وقوعه .

واذا تأمل المرء فى محتويات هذا السفر ،فانه يرى انعكاسا لما يجرى في تلك الأيام من ذهاب دولة ومجيء دولة أخرى ، ومن الآمال والأماني التي كانت تراود الضعفاء مثل بني اسرائيل حيث كانوا يتمنون ان يصبح المجتمع البشرى في فوضى أى يتربصون بغيرهم ان ينالهم مثل ما هم فيه من الذل والاهانة وزوال الملك . لذلك لا يستبعد ان يكون ما تضمنه السفر حلما من احلام بني اسرائيل .

العاشر : سفر حزقيال :

وينسب هذا السفر الى أحد انبياء بني اسرائيل بعد السبي وهو : " حزقيال بن بوزى " .

قال متى بهنام : " حزقيال بن بوزى وهو كاهن وأحد الانبياء العظام (اشعياء وارميا وحزقيال ودانيال) وقد اخذ الى السبي مع يهوياكين (الذى ملك ٣ شهور فقط) بواسطة نبوخذ نصر نحو سنة ٦٠٠ قبل الميلاد . أى قبل خراب أورشليم بمدة احدى عشرة سنة . وكان حزقيال معاصرا لأرميا في الثماني سنين الاولى من المدة التى تنبأ فيها . كما أن دانيال كان في ذلك العصر أيضا" (١) .

وعدد اصحاحات هذا السفر ثمانية واربعون . وأما موضوعاته فهى ،الرؤى والتنبوءات بما سيقع لبني اسرائيل وغيرهم من الأمم، فيبشر الاسرائيليين بالعودة من السبي ،وينذر الأمم المجاورة لهم بالحروب والفتن . ويكثر في هذا السفر مناداة حزقيال من قبل الرب ب (يا ابن آدم) وهو أمر لا نظير له في بقية الأسفار. ولعل السر في ذلك، انكسار شوكة بني اسرائيل، وزوال غطرستهم وافتخارهم على الناس بنسبهم الاسرائيلي، وفقدانهم لفضيلة الاصطفاء من قبل الله تعالى بعد ان كثرت فيهم المعاصي والانحرافات، والخروج عن شرع الله تعالى ، مع ما من الله به عليهم من ارسال الرسل، وانزال الكتب . وبعد ان فقدوا هذا المركز

---

(١) مفاتيح كنوز الاسفار جـ١ ص ٢٥٢

وخسروا تلك المكانة الرفيعة المنوطة بالطاعة الالهية ،سقطوا فأصبحوا كغيرهم من الأمم . أذن فلاعجب ان خوطب حزقيال بـ (يا ابن آدم) تلك المخاطبة الدالة على ان الناس من آدم ولا فضل لأحد على أحد الا بما يمتاز به من الصلاح والتقوى والعمل الصالح .

ومما يجدر بالتنبيه عليه هنا انه ورد في هذا السفر نص يعتبر من أقبح ما جاء في اسفار اليهود. ذلك أنه يزعم أن الله أمر حزقيال أن . يأكل الخبز على ما يخرج من بطن الانسان من الفضلات، وذلك في قولـــه : "وتأكل كعكا من الشعير على الخرء الذى يخرج من الانسان تخبزه أمـــام عيونهم . وقال الرب هكذا يأكل بنو اسرائيل خبزهم النجس بين الأمـــم الذين أطردهم اليهم" (١) .

وليس من المعقول ومن صحيح المنقول ان يأمر الله تعالى بأكل النجاسة ، وهذا لون من الوان التحريف في المصادر اليهودية .لأن الله تعالى لا يأمـر الا بالاكل من الطيبات كما قال تعالى : " ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم" (٢) .

الحادى عشر : سفر نحميا :

وينسب هذا السفر الى أحد انبيائهم ايضا وهو : (نحميا بن حكليا) . ويمتاز هذا السفر بأن صاحبه يتكلم عن نفسه بضمير المتكلم ،بينما تتحدث الاسفار المنسوبة الى موسى (مثلا) عن موسى بضمير الغائب مع ان التقليد المسيحـى واليهودى جازم على ان موسى هو الذى كتبها بيده ؟! فشتان ما بين التعبيرين وما بين الدلالتين .

وعدد اصحاحات هذا السفر ثلاثة عشر . وأما محتوياته فهي الحديث عن سبب بناء الهيكل وسور أورشليم بعد السبى . ذلك ان الكاتب (نحميا) هو الذى

---

(١) حزقيال ٤ : ١٢-١٣

(٢) سورة المؤمنون ٥١



استأذن الملك الفارسي "ارتحشتا" في بناء الهيكل اذ كان جليسه دائما . فرأى عليه الملك ذات يوم أثر الحزن والنكد وسأله عن ذلك ، فأجابه نحميا قائلا : مالى لا أحزن ومقابر آبائي ومدينتهم وابوابها خراب قد أكلتها النار ، فطلب منه السماح له بالذهاب الى اورشليم لبناء الهيكل وسور المدينة فسمح له الملك بذلك فذهب نحميا الى اورشليم و تفقد سورها المحطم فبدأ يحث الاسرائيليين العائدين من السبى ، على البناء ،فوافقوا ،ثم اخذ يقسم على كل قبيلة منهم جزءا من السور ، فأقاموا السور وأكملوا بناءه . وكان معهم الكاهن عزرا (الذى ينسب اليه سفر عزرا السابق ذكره) الذى قرأ على بنى اسرائيل سفر الشريعة و حثهم على التوبة والطهارة والتمسك بشريعة موسى بجانب ما قام به نحميا من اصلاحات دينية ، واجتماعية . وفي هذا السفر خلاصة لما جاء ذكره في سفر عزرا .

ثم ينتهى هذا السفر بسرد بعض ما قام به نحميا من اعمال اصلاحية تتسم بالشدة والعزم والاقدام والحزم ، حيث ضرب العصاة وخاصم ولعن ، و نتف شعور بعضهم ، ليثنيهم عن العصيان ومخالفة شريعة موسى عليه السلام.

الثاني عشر : سفر اخبار الأيام الأول :

هذا السفر والذى يليه هما في الأصل سفر واحد . ولا يعرف كاتبهما وان كان بعض المفسرين ينسبونهما الى عزرا بناء على مشابهة اخبار الايام لسفر عزرا .

وعدد اصحاحاته تسعة وعشرون . وأما محتوياته فهي شجرة الأنساب البشرية عامة ،والعشائر الاسرائيلية خاصة . كيف ملكوا، و كيف هلكوا، وأين سكنوا . فبدأ بالحديث عن آدم وأبنائه الى نوح عليهما السلام . ثم تحدث عن اولاد نوح ، والامم البشرية التي تفرعت عنهم ، ثم عاد الى الاسرائيليين فذكر كل عشيرة ومسكنها وعملها ، وذكر ملوك بنى اسرائيل واعمالهم ،وحروبهم مع الأمم ،مبتدئا بشاول اول ملوك بني اسرائيل ومنتهيا بداود عليه السلام .

ولقد أطال هذا السفر الحديث عن ملك داود وقوته وسيطرته على مملكته ، واستقامته في سياستها وعن احصاء الاسرائيليين في عصره ، وعن وصيته ا بنه سليمان عليه السلام بأن يخلفه على حكم البلاد ويتولى بناء بيت اللـــه تعالى (الهيكل) . ويذكر هذا السفر ان داود عليه السلام صنف بني اسرائيل اصنافا ، صنف منهم يخدم في الجيش ، وصنف لمناظرة بيت الرب ، وصنف للغناء في بيت الرب ، وصنف اخر للقضاء . ثم ينتهي هذا السفر بالحديث عن خلافة سليمان لأبيه في الملك بعد كبر سنه ، وعن حسن سيرة سليمــان في ملكه وقوة مملكته . ويعتبر هذا السفر وما اشتمل عليه تكرارا لما سبق عرضه في سفر التكوين وسفر الخروج وسفر العدد ، وكذلك فيه تكرار لما جاء فـــي سفر صموئيل وسفرى الملوك .

الثالث عشر : سفر اخبار الأيام الثاني :

عدد اصحاحات هذا السفر ستة وثلاثون . وأما محتوياته فهي تكملـــة ما سبق ابتداؤه في سفر أخبار الأيام الأول ، فقد بدأ حديثه عن سليمان وعظمة ملكه وقوة سلطانه ، وعن بنائه الهيكل حسب وصية أبيه داود عليـــه السلام . وعن وفود الممالك التي قدمت عليه مثل ملكة سبأ وغيرها ، وعـــن الهدايا التي قدمت له من ملوك الأمم .

ثم يتحدث السفر عن انقسام مملكة اسرائيل بعد وفاة سليمان حسب ماسبق ذكره في سفر الملوك الاول . وأورد هذا السفر أسماء كثير من الأنبياء الذين كانوا في عصر الملوك .

ثم ينتهي هذا السفر بالحديث عن انتهاء مملكة يهوذا بوفاة ملكها الصالح يوشيا بن آمون على يد ملك مصر (نخو) الذى لم يرد قتاله أو التعرض له ، ولكن يوشيا أبى الا ان يقاتله ، فلقى حتفه . فتولى الحكم ابنه آحاز ، فعزله ملك مصر بعد ثلاثة شهور من حكمه ، وملك مكانه اخاه " الياقيم " وغير اسمه الى "يهوياقيم".

وأما آحاز ، فأخذه الى مصر . ثم جاء نبوخذناصر ، فأخذ يهوياقيم أسيرا الى بابل ، فتولى بعده ابنه " يهوياكين " فأخذه نبوخذناصر الى بابل ايضا وولى مكانه أخاه صدقيا الذى انتهت الدولة اليهودية في عهده انتهاء أليما .

وبهذا ننتهى من استعراض أهم محتويات الأسفار اليهودية ، وننتقل الى بيان تاريخ هذه الأسفار وآراء الباحثين فيها وفيمن كتبها .

المبحث الثالث

تاريخ الأسفار اليهودية وآراء الباحثين فيها وفيمن كتبها

ان أهم المعايير التي تمكن الباحث من الوقوف على صحة الاسفار اليهودية او عدم صحتها ؛ هي معرفة تاريخها الذى كتبت فيه ،ومعرفة كتابها . ليتمكن الباحث على ضوء ذلك من الحكم على هذه الأسفار بالصحة ، أو عدم الصحة. وهذا ما وضع من اجله هذا الفصل، مع ان ذلك في غاية الصعوبة من الناحية العملية ، لعدم توفر الأدلة التى توصل الى ذلك بطريقة موجزة ، ومع هـذا فلا بأس من أن نشير هنا الى آراء الباحثين التى تحدثت عن ذلك.

الكلام في الأسفار الخمسة الأولى :

سبق أن ذكرنا ان اليهود والنصارى ينسبون الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم الى موسى عليه السلام، وأنهم يعتقدون أن موسى هو الذى كتبها بيده. الا انهم مع ذلك يقولون ان الله تعالى هو الذى كتب على الألواح لموسى ، وهذا هو الذى نعتقده ونقول به في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ، لا في هذه الأسفار الموضوعة . لقوله تعالى " وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء" (١) .

يقول ول ديورانت في حديثه عن الأسفار الخمسة :" كيف كتبت هذه الأسفار ؟ ومتى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤال بريء لا ضير منه ،ولكنه سؤال كتب فيه خمسون الف مجلد ، ويجب أن نفرغ منه هنا في فقرة واحدة نتركه بعدها من غير جواب .

ان العلماء مجمعون على أن اقدم ما كتب من أسفار التوراة ، هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى فى سفر التكوين ،تتحدث احداهما عن الخالق باسم "يهوه" على حين تتحدث الأخرى عنه باسم " الوهيم" ويعتقد

---

(١) سورة الأعراف ١٤٥

هؤلاء العلماء ان القصص الخاصة بـ " يهوه " كتبت في يهوذا ، وأن القصص الخاصة بـ " الوهيم " كتبت في افرايم ، وأن هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة . وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية ، أغلب الظن ان كاتبه ، أو كتابه غير كتاب الاسفار السالفة الذكر وثمة عنصر رابع يتألف من فصول اضافها الكهنة فيما بعد . والرأى الغالب ان هذه الفصول تكون الجزء الاكبر من سفر الشريعة الذى أذاعه عزرا . ويبدو أن هذه الاجزاء الاربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق . م " (١) .

هذا ما يراه ول ديورانت في الاسفار الخمسة . وهو قول مبنى على الأدلة المستقاة من أسفار العهد العتيق اذ جاء في سفر عزرا ان الملك يوشيا بن آمون امر الكاهن حلقيا باحصاء اموال النذور الموجودة في بيت الرب ، فعثر ذلك الكاهن بالصدفة على سفر الشريعة وهو يحصى أموال النذور ، ففرح الملك بذلك فرحا شديدا ، وقرأ ذلك السفر على بني اسرائيل الذين ابتهجوا بذلك (٢) .

ومعنى هذا ان بني اسرائيل بقوا زمنا طويلا وهم لا يدرون عن سفر الشريعة شيئا الى ان عثر حلقيا على تلك النسخة التي لا يعلم احد من كتبها ووضعها في أموال النذور .

ويقول الشيخ رحمة الله الهندى تعليقا على هذه القصة : " ... ان تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون ، والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشر سنة من جلوسه على سرير السلطنة ، لا اعتماد عليها يقينا . ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة ايضا غالبا قبل حادثة بختنصر وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسا ،

---

(١) قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ طبعة جامعة الدول العربية ترجمة محمد بدران .

(٢) الملوك الاول ٢٢ : ٣-١١ و٢٣ : ١-٣

ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها واكثر نقولها في حادثة أنتيوكس" (١) .

وقال وليم لانجر : " كتبت التوراة ونشرت في غضون السنوات الألف الواقعتين أنشودة دبورة في سفر القضاة ... (حوالى ١١٥٠) حتى كتاب استير (حوالى ١٣٠) . أما أسفار موسى الخمسة التى نشرت في صورتها النهائية حوالى عام ٤٠٠ ، فتحتوى على كتابات يرجع تاريخها الى القرون الستة السابقة" (٢)

وقال الشيخ رحمة الله الهندى : " قال دكتر سكندر كيد س الذى هو من الفضلاء (٣) المسيحية المعتمدين في ديباجة (البيبل) الجديد : ثبت لى بظهور الأدلة الخفية ثلاثة امور جزما .

الأول : ان التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى .

والثاني : أنها كتبت في كنعان أو اورشليم ، يعنى ما كتبت في عهد موسى الذى كان بنو اسرائيل في هذا العهد في الصحارى .

والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود ، ولا بعد زمان حزقيال ، بل أنسب تأليفها الى زمان سليمان عليه السلام . يعنى قبل ألف سنة من ميلاد المسيح ، أو الى زمان قريب منه فى الزمان الذى كان فيه الشاعر هومر. فالحاصل ان تأليفه بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى" (٤)

---

(١) اظهار الحق جـ١ ص ٥٨ تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى طبعة وزارة الشؤون الاسلامية المغربية بالقاهرة بمطبعة الرسالة اخراج وتحقيق عمر الدسوقي ١٣٨٤هـ .

(٢) موسوعة تاريخ العالم جـ١ ص ٦٦ أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة . ونشرته مكتبة النهضة المصرية .

(٣) لعل الصواب : " فضلاء المسيحية او الفضلاء المسيحيين " .

(٤) اظهار الحق جـ١ ص ٦٠ - ٦١

وهذه الفترة الطويلة التي مضت على بني اسرائيل وهم لم يعرفوا خلالها التوراة مكتوبة ، وهي فترة خمسة قرون او أكثر، لا تسمح للتوراة ان تبقى في صدور الكتبة من بني اسرائيل ،وخاصة مع ما عرف عنهم من الفساد والعناد والاعراض عن الشريعة ،والردة الجماعية المتكررة منهم حتى في عصرهم الذهبي من الناحية الدينية ،وهو العصر الذى عاشوه مع موسى عليه السلام ووحي الله يتزل فيهم . ولعل الاضطراب والتناقض اللذين يسودان تلك الأسفار خير شاهد على ان أسفار موسى او التوراة لم تبق كما هي عبر تلك القرون .

ويقول محمد عزة دروزة : "ومع ما قلناه من أن الأسفار الأربعة التي تلي سفر التكوين هي عائدة الى حقبة موسى عليه السلام ، فان فيها عبارات كثيرة تسوغ القول بحزم انها لم تكتب من قبل موسى ولا باملائه ولا في حياته ، وانما كتبت بعده وبأقلام كتاب عديدين ، وفي أزمنة مختلفة ، وقد تكون كتبت بعده بمدة طويلة أو اعيدت كتابتها بعد سبي بني اسرائيل من أورشليم - القدس - وعودتهم من السبي في القرن السادس قبل الميلاد" (١) .

ويؤكد هذا المعنى ما نقله عبد الكريم الخطيب عن رسالة لأيوب صبرى جاء فيها قوله :

" أثبت مئات من محققي المؤرخين ضياع التوراة من صندوق الشهادة التي كان موسى عليه السلام أمر بوضعها فيه ، وعدم اخراجها الا مرة كل سبع سنين لتلاوتها على بني اسرائيل ،كما أوضح كيفية وضعها في الصندوق بآية ٩ من الباب ٣١ تثنية . وكيفية ضياعها منه بآية ٩ باب ٨ سفر الملوك " (٢)

---

(١) تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ص١٧ طبع بالمطبعة العصرية للطباعة والنشر صيدا لبنان سنة ١٣٨٩هـ

(٢) المسيح في القرآن والتوراة والانجيل ص ٦٧-٦٨ وقد عرف في الهامش أيوب صبري فقال : " مسيحي دخل الاسلام بعد أن درس المسيحية وعاش فيها ليكون رجلا من رجال الدين ،ثم لما لم يطمئن الى ما وقع له من المسيحية - وبعد ان ظل مضطربا سنين طويلة يدرس الديانات المختلفة . درس الاسلام ودخله عن يقين واطمئنان . ورسالته المشار اليها هي : بهجة التفريح بحقيقة السيد المسيح . وهي مطبوعة على هامش كتاب : السيف الصقيل . للشيخ بكر بن السيد عمر التميمي .

ويقول ول ديورانت معلقا على قصة عثور الكاهن حلقيا على عهد يوشيا على سفر الشريعة بطريق الصدفة : " فلما كانت السنة الثامنة عشرة او نحوها من حكمه أبلغ الكاهن حلقيا الملك أنه وجد في سجلات الهيكل ملفا عجيبا قضى فيه موسى نفسه في جميع المشكلات التاريخية والخلقية التي كانت مثارا للجدل المنيف بين الانبياء والكهنة .وكان لهذا الكشف أثر عظيم في نفس القوم . فدعا يوشيا كبارهم الى الهيكل وتلا عليهم فيه " سفر الشريعة " فى حضرة الاف من الشعب ... ولسنا نعلم علم اليقين ما ذا كان سفر الشريعة هذا ؟"(١) .

ثم أكد ول ديورانت ان سفر الشريعة الذى عثر عليه الكاهن حلقيا ليس هو كتاب شريعة موسى الذى قرأه عزرا بعد ذلك على بنى اسرائيل في القرن الخامس قبل الميلاد ، فقال ما نصه :

" وفي عام ٤٤٤ ق.م ،دعا عزرا - وهو كاهن عالم - اليهود الى اجتماع عام خطير وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار الى منتصفه " سفرا شريعة موسى" وظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة يقرأون عليهم ما تحتويه ملفات هذا السفر" (٢) .

ثم يوجه ول ديورانت هذا السؤال بقوله : " ترى ماذا كان " كتاب سفر شريعة موسى " هذا ؟ - ثم يجيب فيقول " لم يكن هذا الكتاب بعينه "كتاب العهد " الذى قرأه يوشيا من قبل . لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد ، على حين ان قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت الى اسبوع كامل" (٣) .

ويقول على عبد الواحد وافى : " ... وأهم أسفار العهد القديم ، هى اسفار القسم الاول التى ينسبها اليهود الى موسى ويعتقدون أنها بوحى

---

(١) قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٥٦

(٢) قصة الحضارة جـ١ ص ٣٦٦

(٣) قصة الحضارة - ـ

من الله وأنها تتضمن التوراة . ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والاساليب التي كتبت بها هذه الاسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها ،ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (وعصر موسى يقع على الارجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) . وأن معظم سفرى التكوين والخروج قد ألف حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألف في اواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفرى العدد واللاويين قد الفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أى بعد النفى البابلى ... (وهو اجلاء بنى اسرائيل الى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد) وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الافكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل "(١) .

الكلام في بقية الاسفار اليهودية :

وأما بقية أسفار العهد القديم ،فلا يختلف امرها عن أمر الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام من حيث الجهل بتاريخها وهوية كتابها . ومع أن الدراسة التفصيلية لبقية الاسفار تحتاج الى مجلدات عديدة وامكانات متنوعة ، فان بعض ما يتضح لنا من استخلاص آراء الباحثين في تاريخ هذه الاسفار ، يغنينا عن البحث التفصيلى الذى يصعب ادراكه . من أجل ذلك نكتفي بعرض نماذج من آراء الباحثين في تاريخ هذه الاسفار وهوية كتابها .

لم يجمع اليهود على قدسية بعض أسفار العهد القديم ، فيرى البعض من أحبارهم قدسية جميع هذه الاسفار وهم الاكثرية ، بينما يرى البعض الآخر منهم عدم قدسية بعضها . فطائفة السامرية لا تؤمن الا بأسفار ستة

---

(١) الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ١٦

وهى الأسفار المنسوبة الى موسى مضافا اليها سفر يشوع(١) . وكذلك الحال عند المسيحيين اذ يرى البروتستانت قدسية هذه الأسفار كلها ، بينما يرى الكاثوليك ان سفرين منهما غير مقدسين وهما سفرا صموئيل ، الأول والثانى(٢) .

وعن سفر يشوع يقول الشيخ رحمة الله الهندى :" واذا عرفت حال التوراة الذى هو(٣) أس الملة الاسرائيلية ،فاسمع حال كتاب يوشع الذى هو في المنزلة الثانية من التوراة ،فأقول : لم يظهرلهم الى الآن بالجزم اسم مصنفه ،ولا زمان تصنيفه ،وافترقوا الى خمسة أقوال :

قال جرهارد ،ودبودیتی ،وهیوت ،وباترك ،وتاملان وداكتركرى (أى الدكتور) انه من تصنيف يوشع .

وقال داكترلائت فت : انه تأليف فينحاس .

وقال كالون : انه تصنيف العازار .

وقال وانتل : انه تأليف صموئيل .

وقال هنرى : انه تصنيف ارميا .

فانظروا الى اختلافهم الفاحش ،وبين يوشع وارميا مدة ثمانمائة وخمسين سنة تخمينا . ووقوع هذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على عدم استناد هذا الكتاب عندهم ،وعلى أن كل قائل منهم يقول بمجرد الظن رجما بالغيب بلحاظ بعض القرائن الذى ظهر(٤) له ان مصنفه فلان . وهذا الظن هو سند عندهم(٥) .

---

(١) التوراة السامرية الموجودة الآن تقتصر على الأسفار الخمسة وهذا يدل على انهم لا يقبلون سواها من الاسفار . انظر الاسفار المقدسة ص ٥٨ و يذكر صاحب اظهار الحق ان السامريين لا يعترفون الا بسبعة من الاسفار جـ ١ ص ٥٢

(٢) انظر مقارنة الأديان ١ - اليهودية ص ٢٣٤ - ٢٣٥

(٣) الصواب ان يقول : " التى هى " لأن التوراة مؤنثة والموصول صفة لها .

(٤) الصواب ان يقول " التى ظهرت له " لأن القرائن جمع والجمع مؤنث .

(٥) اظهار الحق جـ١ ص ٦٦

وبالاضافة الى هذا ،وردت أسماء بعض الأسفار التي لا وجود لها الآن في بعض أسفار العهد القديم فمن تلك الأسفار :

١ - سفر حروب الرب (١)
٢ - سفر ياشر (٢)
٣ - سفر أخبار ناثان النبى (٣)
٤ - سفر اخبار النبى جاد (٤)
٥ - سفر شمعيا (٥)
٦ - سفر عدو الرائى الغيب (٦)
٧ - سفر تاريخ شمعة
٨ - سفر أيام الملك داود (٧)

وقد أشار الى هذه الأسفار عبد الكريم الخطيب وذكر أنها غير موجودة الآن. (٨)

فمن حق كل باحث أن يسأل المتمسكين بهذه الأسفار من اهل الكتاب: لماذا ضاعت تلك الأسفار الثمانية ؟ وكيف ضاعت ؟ ومتى ؟ وكيف لم يكتب لها البقاء مع سائر أسفار العهد القديم ؟ وكيف اصبحت هذه الاسفار الباقية الآن جديرة بالبقاء مع ان بعضها - وان لم يكن كلها - غير جديــر بالبقاء ، وغير لائق ان يوضع في ضمن الكتب الدينية كنشيد الأنشاد الذى يخجل ذو عقل ان ينسبه الى عاقل فضلا عن ان ينسبه الى نبي كريم مثل سليمان عليه السلام ؟ ولعل الفريقين من أهل الكتاب لا يجدون جوابا شافيا علــى هذه الأسئلة . أو لعلهما لا يكلفان انفسهما بالبحث عن اجابة لهـــذه الأسئلة لعلمهما ان الجواب سيكون معول هدم لما بنته اجيالهم المتعاقبـــة على شفا جرف من الجهل والأوهام والظنون ، بحيث لا تقوم لعقيدة الفريقيــن المستقاة من هذه الأسفار قائمة . ولهذا تراهم يكتفون بقولهـم عند الحديث عن قدسية هذه الأسفار وثبوتها التاريخي : انها ثبتت عــن طريق التواتر ، وعلماء الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) ، أكدوا ثبوتها ؟! (٩)

---

(١) سفر العدد ٢١ : ١٤ (٢) يشوع ١٠ : ١٣
(٣) و (٤) اخبار الايام الاول ٢٩ : ٣٠
(٥) و (٦) اخبار الايام الثاني ١٢ : ١٥
(٧) مصادر الكتاب المقدس ص ٨٦-٨٧ للقس صموئيل مشرقي صدر في مصر بمطبعة الأمانة سنة ١٩٧٣م
(٨) المسيح في القرآن ص ٤٣-٤٤ (٩) راجع كتاب مصادر الكتاب المقدس

وأما التواتر الذى يزعمونه ،فهو أمر بين البطلان لأنّ التواتر أمر ثانوى يبحث فيه بعد التأكد من اتصال السند وصحته . أما وقد ثبت أن هذه الأسفار لا سند لها ، فلا سبيل الى ثبوتها بالتواتر ولا عن طريق الآحاد . أضف الى هذا ما تمتلىء به من تضارب و تناقض بين في اكثر قضاياها .

وتقول المستشرقة كاترين هنرى : " ودراسة هذه المصادر مسألة معقدة ،تفتقر الى المام تام باللغة العبرية وأساليب الكتابة والتاريخ . على انه ينبغى أن لا نزعم بأن تلك المصادر الأصلية أو أى سفر من الأسفار الحالية من عمل انسان واحد ، فحتى أشعارهم القديمة أو اناشيدهم عن الأبطال والمعارك ، قد اضيفت اليها على مر السنين بعض الألفاظ والعبارات . وهذه الأسفار التي انتهت الينا انما هي نتاج قرون كثيرة متوالية اشترك في صياغتها كثيرون من الكتاب والمؤرخين . ثم جاء بعدهم من تولوها بالتنقيح والتهذيب . فأضافوا اليها ما كان ضروريا للشرح والايضاح ،وحذفوا منها ما رآوه غير جديربالبقاء" (١) .

وكم نود ان تصل الينا تلك العبارات التي راوها غير جديرة بالبقاء - فحذفوها ليدرسها الباحثون دراسة من الممكن ان تجعلها جديرة بالبقاء و تجعل ما أبقوه جديرا بالحذف والفناء! ؟

ثم تذكر هذه المستشرقة أسباب الحذف الذى ذكرت حدوثه في اسفار العهد القديم فتقول :

" عرفنا ان بعض أسفار العهد القديم تتضمن احكاما وشرائع و فتاوى تحدد ما يجب ان يفعله الناس ، وما لا يجب ان يفعلوه . وترجع هذه الأحكام الى تواريخ مختلفة . ولقد صيغت أولا ، ثم أضيف اليها وحذف منها . كما حدث للمدونات التاريخية . وليس من العسير أن نفهم لماذا تتبدل

---

(١) التاريخ في الكتاب ص ٥٣ تأليف المستشرقة كاترين هنرى تلخيص حبيب سعيد صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر.

الأحكام والشرائع . ذلك لأنها وليدة حاجات الناس . فاذا عدل الناس من تلقاء انفسهم عن فعل شيء ما ، لم تعد هناك حاجة للأمر أو النهي عن فعل هذا الشيء واذا ارتقى البلد حسب سنة التطور ، وتشابكت المصالح ، وكثرت الحاجات والمطالب ،وتنوعت الآراء ومتجهات التفكير ، اقتضى سن شرائع واحكام جديدة لمواجهة هذه الأحوال الجديدة . وهناك سبب آخر يدعو الى تبديل القوانين والشرائع ، هو ان آراء الناس عن الصواب والخطأ تت تتبدل من جيل الى جيل . كذلك تتبدل وجهات نظرهم في العقوبة . فمثلا ، تجد في الأحكام والشرائع المبكرة التى ذكرها "كتاب العهد" (حز ٢١-٢٣) أن عقوبة الموت فرضت على الجاني في حالات كثيرة ،اكتفت الشرائع المتأخرة بالغرامة او التعويض فيها .."(١)

وهذا القول انما يستساغ لو كان الذى يدور البحث حوله القوانين الوضعية لا التشريعات الالهية التى تشريعها وتغييرها ليس من صلاحيات البشر ،وانما الخالق المشرع وحده هو الذى يملك ذلك ،لأنه أعلم بما يصلح للناس في معاشهم وأمور دينهم .

ويقول الشيخ رحمة الله الهندى نقلا عن هورن :" اذا قيل : ان الكتب المقدسة أوحيت من جانب الله ، فلا يراد ان كل لفظ ، والعبارة كلها من الهام الله ،بل ليعلم من اختلاف محاورة المصنفين واختلاف بيانهم انهم كانوا مجازين ان يكتبوا على حسب طبائعهم وعاداتهم وفهومهم ،واستعمل الالهام على طريق استعمال العلوم الرسمية ،ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه ،أو في كل حكم كانوا يحكمونه"(٢) .

ومع أن آراء الباحثين تدل على أن تلك الأسفار لم تكن من وحى الله تعالى على ما هي عليه الآن ، فان اليهود يعتقدون ان كل كلمة

---

(١) التاريخ في الكتاب ص ٥٤-٥٥

(٢) اظهار الحق ج١ص ١٧٥- ١٧٦

من أسفارهم من وحى الله تعالى :

يقول ول ديورانت : " ويعتقد اليهود ان كل كلمة من كتابهم المقدس ، من كلمات الله بالمعنى الحرفى لهذه العبارة ، وحتى نشيد الانشاد نفسه ان هو الا ترنيمة موحى بها من عند الله لتصور بصورة مجازية اقتران يهوه باسرائيل عروسه المختارة" (١) .

ولكي يكون القارئ على بينة من أمر أسفار العهد القديم من حيث الجهل بمؤلفيها بعد أن علمنا أنها لم تكن من وحى الله تعالى على ما هي عليه ، نقدم فيما يلى نماذج مما جاء في كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم حيث جاء فيه ان بعض هذه الاسفار لا يعلم كاتبوها واليك بيانها .

(١) قصة الحضارة عصر الايمان جـ١٤ ص ١٧

المبحث الرابـــــع

نماذج من الأسفار التي لم يعرف مؤلفوهـــا

جاء في السنن القويم عن كل هذه الأسفار الآتية ما يأتي :

١ - سفر يشوع :

" كاتب هذا السفر عند اليهود يشوع وهذا تواتر عندهم ، وانتصل اليهم من الأقدمين . ولم تحدث مناقشة فيه ولكن علماء هذا العصر لا يسلمون بأن يشوع كاتب كل هذا السفر، ويذهبون الى أنه كتب بعضه ، وكتب سائره بعض الشيوخ الذين عاصروه وماتوا بعده ، وأن الدليل على أنه كتب بعضه قول السفر نفسه : " وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله " (يش ٢٤ : ٢٦ .)

وأن الدليل على أنه لم يكتب كل السفر عدة آيات :

منها نبأ موته ،

ومنها : " فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم الى هذا اليوم " (١٥ : ٦٣) وهذا يدل على ان ذلك كان بعد موت يشوع . وان أخـــذ كالب لحبرون ، واخذ عثنئيل لدبير المذكوران (١)

في هذا السفر ذكرا في سفر القضاة أنهما كانا بعد موت يشوع (انظر مافي ص ١٥ : ١٣-٢٠ و ١٩ : ٤٧ وقابله بما في قض ١ : ١-١٥ و ١٨ : ٢٩) .

فالقول بأن كتب بعضه يشوع وبعضه من عاصره وأخذ عنه يوافق ماذكر كل الموافقة . وان السفر نسب اليه لأنه يتضمن نبأ اعماله . هذه خلاصة ما قاله بعض المفسرين " (٢) .

والقول في سفر يشوع هذا كالقول في سفر التثنية الذي يزعم اليهود ان موسى هو الذي كتبه بيده مع ان السفر يتحدث عن حوادث وقعت بعد وفاة

---

(١) الصواب ان يقول : " المذكورين " لأنّ الكلمة صفة لمجرورين .

(٢) السنن القويم جـ٣ ص ٦

موسى عليه السلام . وسفر يشوع كذلك تحدث عن وفاته بعد ما عمر مائة وعشر سنين وعن دفنه بعد ذلك بأرض كذا ، ثم عن استقامة بني اسرائيل على عبادة الرب بعد موته في أيام الشيوخ. وهذا لا يمكن ان يقوله يشوع . وكذلك كانت صيغة الكتابة تدل على أن كاتبه غير يشوع لأنه يتحدث عن يشوع فيقول مثلا : وفعل يشوع كذا وكذا . وهذا ما لا يقوله يشوع عن نفسه . وكذلك تضمن سفر يشوع حوادث تاريخية تأخر وقوعها عن عصر يشوع وهو دليل آخر يدل على أنه لم يكتب هذا السفر.

٢ - سفر القضاة :

" اختلفت الأقوال في كاتب هذا السفر حتى تعذر القطع بكاتبه ، فذهب بعضهم الى ان كاتبه صموئيل . وبعضهم الى أنه حزقيا ، وبعضهم الى أنه عزرا ، وأنه جمعه مما كتبه القضاة في كل زمان ولايته (١) . . . واكثر اليهود والمسيحيين على ان كاتبه صموئيل ، فان ما فيه موافق لعصره ".(٢)

ويقول القس صموئيل مشرقي بعد حديثه عن سفر يشوع : " ويأتي بعده سفر القضاة ، ولا يعرف بالتأكيد من هو مؤلف هذا السفر ، ومع أن التقليد اليهودي ينسبه الى صموئيل ، لكنه لا ريب قد جمع من مدونات كانت موجودة وقت كتابته ".(٣)

٣ - سفرا صموئيل :

" اسم الكاتب مجهول . والأرجح ان السفر مجموع من مصادر شتى ، من صموئيل . . . ومن ناثان النبي . . . ومن جاد النبي . . . ومن أناس في مدارس الأنبياء . . . ومن سفر أخبار الأيام للملك داود . . . وربما كـان

---

(١) يبدو ان الصواب أن يقول : " كل في زمان ولايته " لا كما قال لأن الضمير يعود اما على المفرد في اللفظ وهو " كل " واما على الجمع وهو القضاة وعليه فينبغي ان يقول في كل زمان ولايتهم .

(٢) السنن القويم ٣ ص ١٨٢

(٣) مصادر الكتاب المقدس ص ١٣

سفرا جمعت فيه قصائد متعددة كقصيدة حنة ... ورثاء داود لابنير ... وقصيدة الشكر لداود ... ، وكلمات داود الأخيرة ... ولا نعرف من هو موءلفه ، ولعل القسم الأكبر منه من تأليف صموئيل نفسه "(١) .

٤ - سفرالملوك :

" يظن ان الموءلف هو ارميا النبي "(٢) .

وهذا كما ترى مجرد ظن ، والظن ليس مما تبنى عليه الحقائق وخاصة الحقائق الدينية التي ينبغي ان تكون مشيدة على أساس متين . وهذا الظن يتناول سفرى الملوك الأول والثاني ، وقد علمنا أنهما سفر واحد في الأصل اليهودى .

٥ - سفرأشعياء :

" ولا يخفى ان بعض العلماء في عصرنا قد ذهب الى ان السبعة والعشرين اصحاحا الأخيرة لشخص آخر عاش في أثناء مدة السبى ... واذا فرضنا ان الجزء الثاني من هذا السفر لموءلف آخر غيراشعياء ، يقال : من هو هذا الموءلف ؟ هل يهودى أو أممى ؟ وبالطبع يحكم بأنه ليس بأممي ، لأن الأممى لا يقدر أن يكتب كما كتب هذا الموءلف في الاله الحقيقي وبطل عبادة الأصنام . واذا كان يهوديا ، فلماذا لم يذكر اسمه ؟ فانه كان من أعظم الأنبياء . وكان معاصرا لحزقيال ودانيال . وكيف انضم هذا السفر الى سفر اشعياء ؟ هل عرف عزرا انه لموءلف غير اشعيا ؟ واذا عرف ذلك فلماذا جمعه مع سفر اشعيا وباسم اشعيا لا باسم موءلفه ؟ ومن هو الذى أضاف هذا السفر الى سفر أشعياء ؟ وكيف يمكنه ان يضيفه والاسفار المقدسة محفوظة عند اليهود بكل ضبط واعتناء ؟ "(٣)

---

(١) السنن القويم جـ٤ ص ٣ وانظر ص١٤٢ من نفس الجزء

(٢) السنن القويم جـ٤ ص ١٤٢

(٣) السنن القويم جـ٨ ص ٦٦ و ٦٨

وهذه الأسئلة الكثيرة لا تجدى نفعا، ولا تضيف الى السفر حجة يعتمد عليها في بقائه، لأن كتابة عزرا لهذه الأسفار وجمعه لها ليس أمرا مقطوعا به، فكيف يعلق تصحيح سفر مجهول المصدر على أمر مجهول الحدوث لا يعدو أن يكون مجرد ظن أوهى من خيط العنكبوت ؟

٦ و ٧ - سفرا عزرا ونحميا :

" وكاتب السفر حسب قول اليهود عزرا . وهذا قول اكثر رجال الكنيسة المسيحية أيضا . غير أن بعض العلماء يقولون ان كاتبا اسمه مجهول كتب سفر عزرا . وكتب ايضا سفر نحميا وسفرى أخبار الأيام وجمع أخباره من مصادر شتى " (١) .

٨ - سفر عوبديا :

" لا نعرف شيئا عن النبي عوبديا الا المذكور في نبوته " (٢) .

كيف ينظر العاقل الى سفر لا يعرف صاحبه ؟ هل يعلق عليه أمور دينه أو انه يتركه ويتجاهله ما دام يجهل كاتبه ؟! ولكن أهل الكتاب يعتمدون على مثل هذه الأسفار التي لا يعلمون عمن صدرت .

٩ - سفر يونان :

" الأرجح ان يونان هو المذكور في ٢ مل ١٤ : ٢٥ الذى تنبأ في أيام يربعام الثاني برد تخم اسرائيل الى مدخل حماة والى بحر العربة ، وهو من جات حافر في زبولون بقرب بحر طبرية . ولا يوجد غيره بهذا الاسم ، ولا غير ابيه باسم أمتاى . والأرجح ان يونان هذا هو كاتب هذا السفر مع أن الكلام في صيغة الغائب لا في صيغة المتكلم " (٣) .

---

(١) السنن القويم جه ص ٨١

(٢) السنن القويم ج١٢ ص ٧٥

(٣) السنن القويم ج١٢ ص ٧٩

١٠ - سفر ناحوم :

" لا نعرف عن ناحوم الا المذكور بنبوته ،ولا نعرف وطنه القوش" (١)
اذا كان هذا النبي لا يعرف عنه شيء فكيف يثق هوءلاء القوم بكتاب يجهلون مصدره ؟ انه لأمر عجيب .

١١ - سفر حبقوق :

" لا نعرف عن حبقوق شيئا غير المذكور في نبوته " (٢) .

١٢ - سفر زكريا :

" والاصحاحات ٩ -١٤ تختلف عما سبقها . فيظن كثيرون من أحسن المفسرين انها من موءلف آخر ،وكتبت بعد زمان زكريا " (٣) .

" يقسم هذا السفر الى قسمين : الأول ص ١-٨ والثاني ص ٩-١٤ . ولا يخفى على كل من يمعن النظر في هذا السفر ان القسم الثاني يختلف اختلافا واضحا عن القسم الاول . فان القسم الأول يوافق أحوال اليهود في زمان تجديد الهيكل وخدمته وفيه تحريض على العمل والانذار والتشجيع . وأما القسم الثاني فلا يوجد فيه ذكر زربابل ولا يشوع ولا ملاك يكلم النبى ، ولا سنى ملك داريوس . ويذكر دمشق وصور وصيدا والفلسطينيين ،وأيام المسيح الآتى ونجاة اورشليم ومجدها الأخير. فيقول البعض ان القسم الثاني هو تأليف نبي أو أنبياء غير زكريا . ويظنون أن تاريخ هذا القسم هو قبل السبى في زمان هوشع واشعياء او في اول السبى في زمان ارميا . ويقول غيرهم : ان تاريخه هو في آخر القرن الرابع ق.م . وتقليد اليهود والكنيسة على مدة ١٦٠٠ سنة هو ان السفركله لزكريا . فلا يمكننا الحكم في هذا الأمر . ومن جهة وحى السفر وفوائده ،لا فرق اذا قلنا انه كله من زكريا او قلنا : ان الذين جمعوا الأسفار القانونية أضافوا الى نبوة زكريا نبوات أخرى وعنونوا الكل باسم زكريا" (٤)

---

(١) السنن القويم جـ١٢ ص ١٠٧
(٢) السنن القويم جـ١٢ ص ١١٦
(٣) السنن القويم جـ١٢ ص١٤٥
(٤) السنن القويم جـ١٢ ص ١٦٣

١٣ - ملاخى :

" لا نعرف عن ملاخى الا المذكور في نبوته ولا يوجد غيره بهذا الاسم في العهد القديم . . . فيظن البعض ان كاتب السفر هذا نبي مجهول اسمه . . وتقليد بعض اليهود ان عزرا هو الكاتب . ومضمون السفر ونفسه يوفقان هذا الرأى ولكن لا يثبتانه "(١) .

١٤ - مزامير :

" ومن جهة أخرى نجد ان المؤلف او المؤلفين لم يذكروا ،لأنّ لا أهمية لذلك في نظر الناس في تلك العصور القديمة . وربما كان ان عددا من المزامير المنسوبة الى داود لم ينظمها داود قط وانما ذكرت تحت اسمه لكي تعرف أنها نظمت على النسق الداودى ليس الا . ونجد ان عددا من هذه المزامير المنسوبة الى داود ، لا يمكن ان تكون لداود حقيقة . ."(٢)

١٥ - أيوب :

" قال لوثيروس : ان أساس سفر أيوب حادثة حقيقية . اى انه كان رجل اسمه ايوب وهو رجل صالح وأصابته مصائب كما ذكروا ،احتملها بصبر فصار مثالا لجميع المصابين . ثم قام شاعر لا نعرف اسمه ولا زمانه ، ونظم من هذه الحادثة الحقيقية رواية شعرية مرتبة حسب قوانين الشعر والروايات . وتلك الروايات نعتبرها الآن كأحد الأسفار المقدسة القانونية وان كنا لا نعرف اسم المؤلف"(٣) .

١٦ - نشيد الأنشاد :

" والأرجح ان السفر ليس لسليمان حقيقة بل انه منسوب الى سليمان ومؤلفه مجهول الاسم "(٤)

---

(١) السنن القويم جـ١٢ ص ١٧٩ (٢) السنن القويم جـ٦ ص (و)
(٣) السنن القويم جـ٥ ص ١٦٣ (٤) السنن القويم جـ٨ ص ٤٠

١٧ - سفر الجامعة :

" وأكثر المفسرين المحدثين ينسبون هذا السفر الى كاتب غير سليمان . ويبنون رأيهم على ما يأتي :

١ - لغة الكتاب فانها تختلف عن لغة سفر الأمثال وسفر نشيد الانشاد ، وتشبه لغة الأسفار التي كتبت بعد السبى .

٢ - ان مضمون السفر لا يوافق ما يعرف عن احوال الشعب في زمان سليمان "(١) .

١٨ - سفر استير :

" اننا لا نعرف من هو المؤلف ويظن بعضهم أنه عزرا ، وغيرهم أنه مردخاى . والأرجح أن تأليف السفر كان بعد أيام الملك "أحشويروش" بقليل من الزمان ، وكان المؤلف في بلاد الفرس وجمع بعض أخباره من سجلات الحكومة ... ولعل المؤلف وجد في هذه السجلات ما كان مردخاى وأستير قد كتباه وفصلاه " (٢) .

١٩ - سفر أخبار الأيام :

" يقول أكثر المفسرين القدماء ان الكاتب هو عزرا ، ويسندون قولهم على مشابهة أخبار الايام وسفر عزرا في النفس ومقابلة خاتمة ٢ اى ، بمقدمة سفر عزرا ويقولون : ان تاريخ تأليفهما ما بين ٤٥٠ و ٤٣٥ ق.م"(٣) .

وقد سبق ايراد نص عند الحديث عن سفرى عزرا ونحميا ، يدل على أن البعض يرى ان كاتب سفرى عزرا ونحميا وسفرى الأخبار كاتب واحد مجهول الاسم .

---

(١) السنن القويم جـ٨ ص ٢

(٢) السنن القويم جـ٥ ص ١٤٥

(٣) السنن القويم جـ٥ ص ٥

هكذا ننتهي من استعراض بعض ما قيل في بعض أسفار العهد القديم. وما لم يذكر هنا من الأسفار لم يكن أسعد بالدليل على معرفة كتابها من هذه المذكورة . فان الجهل بموءلفي تلك الأسفار التي لم تذكر كالجهل بموءلفي هذه الأسفار المذكورة هنا .

وأما تاريخ كتابة أسفار العهد القديم ، فهو أمر مجهول من العبث النظر فيه أو نقل آراء الباحثين المختلفة فيه لتشعبها وعدم تقاربها ، ولأنها مبنية على ظنون واستنتاجات ، لا على أدلة مقنعة .

ولو كان كتاب هذه الأسفار معروفين لكان الوصول الى معرفة تاريخها في متناول أيدي الباحثين وذلك بدراسة تاريخ موءلفيها . أما وقد أدركنا أن كتابها مجهولون . فان معرفة تاريخ كتابتها أبعد من متناول أيدي الباحثين .

وبما سبق استعراضه من آراء الباحثين في هذه الأسفار ، تكون لدينا تصور عن الأسفار اليهودية التي تصور لنا عقائد اليهود في الذات الالهية العلية وفي أنبياء الله الكرام . وخلاصة ما خرجنا به من هذه الدراسة ما يأتي :

١ - ان اسفار العهد القديم لم تثبت عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد .

٢ - لا تصح نسبتها الى موسى عليه السلام ولا الى غيره ممن نسبت اليه من الأنبياء وغيرهم .

٣ - لا يعلم تاريخها ، متى كتبت ولا أين كتبت .

٤ - لم يكن كاتبها شخصا او شخصين بل كتبها اشخاص متعددون مجهولون .

٥ - لم تكتب في عصر واحد . بل كتبت في عصور مختلفة تقارب الف سنة او تزيد .

٦ - محتوياتها مزيج من الحق والباطل وخليط غريب من السمو والتردي .

وها نحن قد فرغنا من استعراض آراء الباحثين في هذه الأسفار اليهودية ، ووصلنا الى النتائج ننتقل فيما يأتي الى بيان شروط ومعايير يتوقف على توفرها اثبات صحة أي كتاب من الكتب الدينية .

المبحث الخامس

أسفار التلمود ومحتوياتها

كان المجتمع اليهودى كغيره من المجتمعات البشرية البدائية يؤمن بعقائد ونظريات وأساطير مما قد يكون له اصل في أسفار العهد القديم أو مما ليس له اصل فيها ، وكانوا يتناقلون ذلك على أنه مما انزل على موسى في طور سيناء ، ويطلقون على ذلك "التعاليم الشفوية" . وفي السنوات الاخيرة من القرن الميلادى الثاني ، قام بعض علماء اليهود من الفريسيين الذين ينتسب اليهم "الربانيون" بجمع تلك التعاليم الشفوية ،وأطلقوا عليها اسم "المشناه" أى المثنى او المكرر . فبلغ مجموع ما تكون من تلك التعاليم ثلاثة وستين سفرا ، فيها من الابواب والفصول عدد كثير .

ثم قام فقهاؤهم بشرح "المشناه" والتعليق عليها ،فأطلقوا على ذلك الشرح اسم "جمارا" ومعناه : الاكمال ، ثم اطلقوا على المشناه مع الجمارا معا اسم : "التلمود" اى التعاليم .

وقد تم شرح المشناه في فلسطين أولا ،ثم تم مرة اخرى في بابل اثناء السبى اليهودى . فسمي الاول "تلمود اورشليم" اى القدس أو "تلمود فلسطين" وسمى الثاني "تلمود بابل".

يقول ول ديورانت : " كانت الكنيسة ورجال الدين المقيمون في المعابد والمدارس الفلسطينية والبابلية ، هم الذين ألفوا أسفار الشريعة الضخمة المعروفة بالتلمود الفلسطيني والتلمود البابلى ، وكانوا يقولون ان موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة تحتويها الأسفار الخمسة ، بل ترك له ايضا شريعة شفوية تلقاها لهم التلاميذ عن المعلمين ووسعوا فيها جيلا بعد جيل . وكان اهم ما دار حوله الجدل بين الفريسيين والصدوقيين الفلسطينيين هو ، هل هذه الشريعة الشفوية هي الاخرى من عند الله ، فهي لذلك واجبة الطاعة ؟

ولما ان زال الصدوقيون بعد تشتت اليهود عام ٧٠ م وورث رجال الدين تقاليد الفريسيين ؛ ورؤياتهم ، قبل جميع اليهود المتمسكين بدينهم الشريعة الشفوية وآمنوا بانها اوامر من عند الله وأضافوها الى اسفار موسى الخمسة، فتكونت من هذه وتلك ، التوراة ،او الشريعة الموسوية التى استمسك بها اليهود وعاشوا بمقتضاها ،وكانت حقيقة لا مجازا ، هي كيانهم ، وقوام حياتهم، وأن القصة التى تروى تلك العملية الطويلة التي استغرقت الف عام ،والتي تجمعت في خلالها الشريعة الشفوية ،واتخذت فيها صورتها النهائية المعروفة بالمشناه : والقرون الثمانية التى تجمعت فيها ثمار الجدل والاحكام والايضاح ، فكانت هي الجمارتين او شروح المشنا ، وانضمام المشنا الى اقصر هاتين الجمارتين ليتألف منها التلمود الفلسطيني ، والى اطولهما ليتألف منها التلمود البابلى "(١) .

وقال الدكتور زوهلنج : " أخذ الربانيون والحاخامات تعاليمهم ومبادئهم عن الفريسيين الذين كانوا متسلطين على الشعب ايام المسيح ، يحضونه على اتباع ظواهر شريعة موسى ، ويحفظون لأنفسهم تفسير التقليدات المتصلة اليهم . وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف احد الحاخامات المسمى " يوضاس " ان تلعب ايدى الضياع بهذه التعاليم ، فجمعها في كتاب سماه " المشنا " وكلمة " مشنا " معناها : الشريعة المكررة ، لأن شريعة موسى المرصودة في الخمسة كتب التي كتبها مكررة في هذا الكتاب . أما الغرض من المشنا ، فهو ايضاح وتفسيرلما التبس في شريعة موسى ، وتكملة الشريعة على حسب ما يدعون . وقد زيد في القرون التالية على كتاب المشنا الاصلى شروحات اخرى صار تأليفها في مدارس فلسطين وبابل .

ثم علق علماء اليهود على المشنا حواشي وشروحاً مسهبة دعوها باسم : " غامارا " فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع الغامارا كونت التلمود . فكلمة التلمود معناها : كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود .

---

(١) قصة الحضارة عصر الايمان ج١٣ ص ١١

وهذه الشروحات ؟ مأخوذة عن مصدرين اصليين : (احدهما) المسمى بتلمود أورشليم ، وهو الذى كان موجودا في فلسطين سنة ٢٣٠ . (وثانيهما) تلمود بابل وهو الذى كان موجودا فيها سنة ٥٠٠ بعد المسيح . ولا يحتوى على اقل من اربع عشرة ملزمة ، وهو يكون تارة بمفرده ، واخرى مضافا مع المشنا و تلمود بابل ، وهو المتداول بين اليهود والمراد عند الاطلاق"(١)

ويقول ظفر الاسلام خان :" ينقسم التلمود الى جزأين هامين :

١ ـ المشناه "Mishnah" وهو الأصل (المتن)

٢ ـ جمارا "Gemara" ، شرح مشناه . ومشناه اول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة ، جمعها يهوذا هاناسي - "Judah Hanassi" فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠ م ، اى بعد قرن تقريبا من تدمير تيطس الروماني الهيكل . أما جمارا ، فاثنان : جمارا أورشليم (أو فلسطين) . وجمارا بابل . جمارا اورشليم (أو فلسطين) هو سجل للمناقشات التي اجراها حاخامات فلسطين (أو بالأخص علماء مدارس طبرية) لشرح اصول المشناه . ويرجع تاريخ جمعه الى عام ٤٠٠ م .

وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه ، دونها علماء بابل اليهود ، وانتهوا من جمعه سنة ٥٠٠ م تقريبا . فمشناه مع شرحه جمارا اورشليم يسمى : " تلمود اورشليم " ومشناه مع شرحه جمارا بابل يسمى : (تلمود بابل وكلاهما يطبع على حدة"(٢) .

ويقول عجاج نويهض : " والتجمير او شرح المشنا لم يتناول التلمودين (حتى) ولا احدهما بشرح كامل يأتي على كل ابوابه . فالفلسطيني

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله من الفرنسية الى العربية واسمه الاصلي : (اليهود على حسب التلمود) ص ٤١-٤٢ الطبعة الثانية في بيروت سنة ١٣٨٨ هـ

(٢) التلمود ، تاريخه وتعاليمه ص ١١-١٢ دار النفائس للطباعة والنشر بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٩٧١م

أو الاورشليمي مجموعه ٣٩ بابا ، والعراقي او البابلي ٣٧ بابا . والمعتمد اليوم عند اليهود بالاكثر هو العراقي ، وذلك بسبب لغته في الدرجة الاولى (١)

المباحث الاساسية العامة في المشناه :

علمنا مما سبق ان المشناه هو الاساس الذى يتكون منه ومن شرحه الجمارا التلمود بنوعيه الاورشليمي والبابلي . ونود ان نعرف هنا المباحث الاساسية التي كونت المشناه .

يقول ظفر الاسلام خان : " يتكون " المشنا " من ستة مباحث تسمى : " سيداريم " اى " أحكام " " order " وهى كمايلي :

١ - زيرائيم " Zeraim " (البذور : seeds) ، ويتضمن اللوائح الزراعية ، ١١ رسالة " Tractates ".

٢ - موئيد " Moed " (الأيام المقررة : Appointed times) يحتوى على لوائح الأعياد والصيام ١٢ رسالة .

٣ - نشيم " Nashim " (المرأة) يتضمن قوانين الزواج والطلاق والنذور والناذر ٧ رسائل ، منها رسالة " عابوده زاره " الشهيرة ، ومعناها : " عبادة الاوثان " وتتناول علاقة الوثنيين باليهود .

٤ - نيزكين " Nezekin " (الاضرار) يشمل القوانين المدنية والجنائية ١٠ رسائل .

٥ - كوداشيم " Kodashim " (الاشياء المقدسة) عن قوانين الصلاة ١١ رسالة .

٦ - توهاروت " Toharot " (الطهارة) عن قوانين الطهارة والنجاسة ١٢ رسالة .

---

(١) روبرتسون هكذا صهيون جـ٤ مجلد ٢ ص ١٥٤ منشورات فلسطين المحتلة الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ .

ويبلغ عدد هذه الرسائل ٦٣ رسالة ،وكلها مقسمة الى فصول وجمل .
والتلمود يشار اليه احيانا بكلمة شاش" shas " وهي اختصار للكلمة العبرية " Shishah " اى " الاحكام الستة" (١)

ثم ذكر ظفر الاسلام خان رسائل تلمودية صغيرة لم يذكر معانيها ، لذلك اضربت صفحا عن ذكرها للاكتفاء بما يعرف معناه فقط .

نماذج مما قيل في بعض محتويات التلمود :

١ - الذات الالهية :

قال ابن حزم رحمه الله : " وفي كتاب لهم يسمى شعرتوما من كتاب التلمود - والتلمود هو معولهم وعمدتهم في فقههم واحكام دينهم وشريعتهم، وهو من اقوال احبارهم بلا خلاف من احد منهم - ففي ذلك الكتاب المذكور ان تكسير جبهة خالقهم من اعلاها الى انفه ، خمسة الاف ذراع . حاشى لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات . وفي كتاب آخر من التلمود يقال له : " سادرناشيم " ومعناه تفسير احكام الحيض : ان في رأس خالقهم تاجا فيه الف قنطار من ذهب وفي اصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب ، وان الملك الذى يخدم ذلك التاج اسمه " صندلفون " تعالى الله عن هذه الحماقات (٢) .

يقول الدكتور روهلنج نقلا عن التلمود : " ان تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ! ! وقد وقع يوما اختلاف بين البارى تعالى وبين علماء اليهود في مسألة ، فبعد ان طال الجدال تقرر احالة فصل الخلاف الى أحد الخامات الرابيين ، واضطر الله ان يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور" (٣)

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ١٥-١٦ (٢) الفصل في الملل جـ١ ص ٢٢١
(٣) الكنز المرصود ص ٤٧

ويقول بولس حنا مسعد : " لم اطالع كتابا شوه الحقائق كالتلمود ، ولم أعرف كتابا اقدر على قلب الحقائق و تسخيرها لأغراضهم من موء لفي التلمود ، فهم اساطين فن التمويه بلا نزاع ، وانا قلنا ان التلمود هو معرض الحقائق الأزلية المشوهة فقد لا نغالي" (١) .

ويقول ظفر الاسلام خان نقلا عن الدكتور جوزيف باركلي : " بعض أقوال التلمود عقال ، وبعضها كريه ، وبعضها الاخر كفر ، و هي تشكل " مخلوطة " كما هي وهي اثر غير عادي للجهد الانساني ، وللعقل الانساني وللحماقة الانسانية " (٢)

ويقول ول ديورانت : " والله كما يصفه التلمود اله متصف صراحة بصفات البشر ، فهو يحب و يبغض و يغضب و يضحك و يبكي و يحس بوخز الضمير و يلبس التمائم ، ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة المختلفي الدرجات يقومون على خدمته ويدرس التوراة ثلاث مرات كل يوم" (٣) .

ونقل الدكتور روهلنج عن التلمود مايلي : " ان الله اذا حلف يمينا غير قانونية احتاج الى من يحلله من يمينه . وقد سمع احد العقلاء من الاسرائيليين الله تعالى يقول : من يحللني من اليمين التي اقسمت بها ؟ ولما علم باقي الحاخامات انه لم يحلله منها اعتبروه حمارا ، لانه لم يحلل الله من يمينه . ولذلك نصبوا ملكا بين السماء والارض اسمه (مي) لتحليل الله من أيمانه و نذوره عند اللزوم "!!(٤)

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية ص ١٠٩

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٩١

(٣) قصة الحضارة عصر الايمان ج١٣ ص ١٨-١٩

(٤) الكنز المرصود ص ٥١

٢- التلمود والملائكة والشياطين :

" الملائكة قسمان : من لا يطرأ عليه الموت ، وهو الذى خلق في اليوم الثاني ، ومن يطرأ عليه الموت ، وهو قسمان : - من يموت بعد مكثه زمنا طويلا قدر له فيه الحياة بأجله ، وهو الذى خلق في اليوم الخامس . ومن يموت في يوم خلقه بعد ان يرتل لله ، ويقرأ التلمود و يسبح التسابيح ، وهو الذى خلق من النار . وقد أهلك الله منهم جيشا جرارا بواسطة احراقه بطرف اصبعه الخنصر" (١) .

٣- آدم وسليمان مع الشياطين :

" وبعض الشياطين من نسل آدم لأنه بعد ما لعنه الله أبى ان يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلا تعيسا ، فحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا له شياطين . وجاء في التلمود : ان آدم كان يأتى شيطانه مهمة اسمها (ليليت) مدة ١٣٠ سنة فولدت منها شياطين . وكانت حواء ايضا لا تلد في هذه المدة الا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين . والشياطين على حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون مثله . وأمهات الشياطين المشهورات أربع ،استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهن من السلطة ، وكان يجامعهن" (٢) .

٤- التلمود وابراهيم عليه السلام :

" وجاء في التلمود ايضا ان ابراهيم الخليل كان غذاؤه مقدار غذاء ٧٤ شخصا،وشربه بقدر شربهم ، ولذلك كانت قوته/ قوة ٧٤ شخصا . وكان قصيرا بالنسبة الى الملك عوج . ومما يحكى عن الملك عوج انه خلع له ضرس فأخذه ابراهيم واستعمله سرايرا لينام عليه " (٣)

---

(١) الكنز المرصود ص٥٢
(٢) الكنز المرصود ص ٥٤-٥٥
(٣) الكنز المرصود ص ٥٩

٥ - التلمود وارواح اليهود وارواح غيرهم :

" وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودى روح جديدة على روحه الاصلية وهي التي تعطيه الشهية للأكل والشرب وتتميز ارواح اليهود عن باقي الأرواح بانها جزء من الله كما ان الابن جزء من والده . ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الارواح ،لأن الارواح الغير يهودية هى ارواح شيطانية و شبيهة بارواح الحيوانات ، وذكر في التلمود أن نطفة غير اليهودى ، هى كنطفة باقي الحيوانات . وبعد موت اليهودى تخرج روحه وتشغل جسما اخر . فاذا مات احد الجدود مثلا تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثى الولادة . وكان لقابيين ثلاث ارواح ، الاولى دخلت فى جسد " قورش " ، والثانية دخلت في جسد (جنترو) والثالثة فى المصرى الذى قتله موسى" (١) .

٦ - التلمود والمسيح عيسى ابن مريم:

" يقال في التلمود أيضا : " ان الكفار كما قال الحاخام (اليعازر) هم يسوع المسيح ومن اتبعه" (٢) .

" وجاء في التلمود :" أن من راىانه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، بدليل ما جاء في كتاب الأمثال (٢١٣) : ان الحكمة تدعى : "والدة" . ومن يرى انه جامع خطيبته فهو محافظ على الشريعة ، ومن يرى انه جامع اخته فمن نصيبه نور العقل . ومن يرى انه يجامع امرأة قريبه فله الحياة الأبدية . ناشدتك الله أيها القارىء اذا كانت تلك هي القواعد الأدبية افلا يتمنى الانسان بعد ذلك ان يرى تلك الأحلام حقيقة ،ويترقى من هذه الى تلك ،لانه ان كانت نتيجة الاحلام بالكيفية المشروحة ، فما بالك بالحقيقة ؟؟" (٣) .

---

(١) الكنز المرصود ص ٦٠ (٢) الكنز المرصود ص ٨٦

(٣) الكنز المرصود ص ٩٠

٧ - التلمود ومحمد صلى الله عليه وسلم :

يقول محمد على الزعبى : " سلخ اليهود الثلاثة قرون الاولى يغرون ملوك الرومان باضطهاد المسيحيين قتلا للمسيحية ، وما كادوا يجدون طعم الانخذال والاخفاق ثلاثة قرون ، حتى جاء الاسلام فقابلوه بما نرى في القرآن ، والسيرة النبوية والتاريخ من مؤامرات ، وأضاف التلمود لمقرراته هذا النص : (حيث ان المسيح كذاب ، وحيث ان محمدا اعترف به ، والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، يجب ان نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول "(١) .

وبعد : فهذا هو التلمود كما صوره لنا الباحثون الذين تيسر لهم الاطلاع عليه فهو بحر ملىء بأقبح النفايات التى تقذفها النفوس المريضة في دنيا البشر ، فتلوث بها العقول المستخفة على مر الأجيال ، وهؤلاء هم اليهود الذين ينسبون أنفسهم الى العنصر الالهى ، ويدعون انهم يدينون بدين موسى ، فهل يوجد عاقل سوى العقل سليم التفكير يقول ان هؤلاء يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله مع ما مر علينا هنا من نصوص تلمودية صورت لنا موقفهم من الذات الالهية والملائكة والانبياء ، وسائر بنى آدم ممن ليسوا من بنى اسرائيل ؟

---

(١) دفائن النفسية اليهودية ص ١٢٨ طبع في بيروت سنة ١٩٦٨م

المبحث السادس

في بيان شروط ومعايير لا بد من توفرها لاثبات قدسية أي كتاب ديني

اذا كانت العادة قد جرت بأن يستوثق الناس من صحة ما يسمعونه من أخبار تتعلق بأمورهم الدنيوية ،فلأن يستوثقوا من صحة الكتب التي يستمدون منها عقائدهم وشرائعهم الدينية أولى وأحرى .

ومن المسلم به لدى جميع اصحاب الديانات . ان الدين الذى يؤمنون به ، له قدسيته ومكانته في نفوسهم . وأن ذلك الدين لا بد له من مصدر أو مرجع يستمد منه قوته في عقائده وشرائعه . ذلك المصدر أو المرجع هو الكتاب الذى يعتبر الاساس الاول لكل دين عند اصحابه . وذلك كالقرآن الكريم عند المسلمين ، وأسفار العهد القديم عند اليهود ،وأسفار العهدين ،القديم والجديد عند المسيحيين .

ومع أن اصحاب كل دين يعتقدون ان كتابهم فوق كل الشبهات في ثبوته وصحة محتوياته . وانه غير خاضع للنظر فيه والنقد ، فلا بد ان يعتمد هذا الاعتقاد على أساس متين لأن العقائد الدينية ينبغى عدم قيامها على نصوص لا تصمد امام الدراسات التحليلية والنقد المبنى على أساس علمي متين .

وما دام الأمر كذلك فهل توجد معايير ينبغى ان يدرس على ضوئها كل كتاب من الكتب التي يعتمد عليها أصحاب كل دين في امور عقائدهم وشرائعهم على أساس من الانصاف والنظر السليم ؟

الجواب ان تلك المعايير موجودة فعلا . فقد وضعها علماء الاسلام في فجر تاريخهم وعملوا بها فعرفوا بها الصحيح من السقيم والغث من السمين من المرويات . فحفظوا بذلك مصادر دينهم وعقيدتهم من الشوائب ،وحالوا بينها وبين الاختلاط بالمرويات التى لا تثبت امام تلك المعايير عند تطبيقها عليها .

ولقد كان للمسلمين قدم السبق في وضع تلك المعايير والعناية بمصادر دينهم القويم . تلك المعايير التى تعتبر الموازين القسط لكل خبر مروى فغربلوا بها المرويات غربلة جعلتهم يعرفون ما صح منها وما لم يصح ،فثبت للمسلمين جدارة تلك المعايير بالقبول ،فتلقوها بالرضا والاستحسان والاقبال الشديد عليه حتى أصبح علما مستقلا له شأنه في الاسلام . ذلك العلم هو علم الاسناد الذى قال في شأنه عبدالله بن المبارك : "الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء"(١) . وسماه القوائم فقال : " بيننا وبين القوم القوائم"(٢) يعني الاسناد .

والاسناد مصدر من قولك : أسندت الحديث الى قائله اذا رفعته اليه بذكر ناقله . وأما السند فهو في اللغة ما استندت اليه من جدار وغيره ، وهو في الاصطلاح طريق متن الحديث . وسمى سندا لاعتماد الحفاظ عليه في صحة الحديث وضعفه . وسند الحديث ماذكر قبل المتن ويقال له الطريق .(٣)

وهذا السند هو الحبل المتين الموصل الى مصدر تلك الاخبار .فالنصوص المسندة هي التي ذكر سندها أى طريقها الموصلة الى الأصل . والكتاب المسند هو الذى ذكر سنده اى الرجل او الرجال الذين نقلوه من مصدره الأصلى الى يوم كتابته نقلا متصلا . فاذا ثبت اتصال السند بحيث روى كل راو عمن قبل مباشرة حتى وصل به ذلك المصدر ، نظر بعد هذا في عدالة الرواة وضبطهم . ثم يأتي النظر في حالة المتن .

هذه المعايير التى طبقها علماء الاسلام على المرويات الاسلامية فميزوا بها بين الصحيح المقبول والسقيم المردود ، هل يمكن ان نطبق على أسفار اهل الكتاب ؟ فاذا طبقت عليها هل تبقى لها مكانتها في نفوس من يؤمن بها أولا ؟

---

(١) توجيه النظر الى علم الأثر ص ٢٤ تأليف طاهر بن صالح الجزائرى الدمشقى نشره صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة محمد الشمنكانى .

(٢) نفس المصدر والصفحة (٣) انظر نفس المصدر ص ٢٥

ان اهل الكتاب من اليهود والنصارى يدركون قبل غيرهم ان تطبيق هذه المعايير على أسفارهم غير ممكن . ذلك لأنّ اسفارهم لم يعرف كاتبوها فضلا عن ان يعرف رواتها و رجال سندها . فاذا كان لا يعرف كاتب سفر من هذه الاسفار ، فان البحث فيها للوصول الى مصدرها بحث لا فائدة من ورائه ،لأنها اسفار مجهولة السند والمصدر .

قال الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : " لأجل ان يكون الكتاب الديني حجة يجب الأخذ به على انه شريعة الله ودينه ،ومجموع أوامره ونواهيه ،ومصدر الاعتقاد وأساس الملة ،يجب ان يتوافر في هذا الكتاب أمور : أحدها أن يكون الرسول الذى نسب اليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك بأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة أى بامر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين .وان يشتهر أمر ذلك التحدى وهذا الاعجاز ،و يتوارثه الناس خلفا عن سلف ،ويتواتر بينهم تواترا لا يكون للانسان مجال لتكذيبه . ثانيها : أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا ، فلا تتعارض تعليماته ،ولا تتناقض اخباره ،بل يكون كل جزء منه متمما للآخر و مكملا له ،لأنّ ما يكون عن الله لا يختلف ولا يفترق ولا يتناقض ،بل ان العقلاء يتحرون أن لا يتناقض قولهم ، ولا يختلف تفكيرهم . ثالثها : أن يدعى ذلك الرسول انه اوحى اليه به ،ويدعم ذلك الادعاء بالبينات الثابتة . وهى المعجزات التي بعث بها الرسول ،ودعا الى كتابه على أساسها ، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر ،أو يثبت بالكتاب نفسه . رابعها : ان تكون نسبة الكتاب الى الرسول الذى نسب اليه ثابتة بالطريق القطعي بأن يثبت نسبة الكتاب الى الرسول ، بحيث يتلقاه الاخلاف عن الأسلاف جيلا بعد جيل من غير اى مظنة للانتحال وأساس ذلك التواتر ان يروى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، حتى تصل الى الرسول بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوى عن الجمع الذى سبقه ، والذى سبقه كذلك

حتى يصل الى الرسول الذى أسند اليه الكتاب ونسب اليه ، ونزل بـه الوحى عليه" (١)

ويقول الشيخ رحمة الله الهندى : " اعلم أرشدك الله تعالى أنه لا بد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم ، أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبى الفلاني ووصل بعد ذلك الينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل . والاستناد الى شخص ذى الهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في اثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص ، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه "(٢) .

وبعد ان اورد تلك الشروط الأربعة السابقة قال الشيخ محمد أبو زهرة : " ان الكتب في الدين هى أساسه ، فان لم تكن مستوفية الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان الى صحتها كاملا ، وتطرق اليها الريب والظن من كل جانب . وبذلك يتهدم الدين من أساسه ويؤتى من قواعده ، ولا يكون شيئا مذكورا في الأديان ، بل يكون طائفة من أساطير الأولين اكتتبها طائفة من الناس وادعوها دينا ، ونسبوها لشخص معترف به ، لتروج عند العامة ، وتدخل في اوهامهم ، ويعتمدون على الزمان في تمكينها فـي نفوسهم وقلوبهم . وهل الكتب المقدسة عند النصارى سواء أكانت من كتب العهد القديم ام العهد الجديد ، مستوفية هذه الشروط ، فتكون ملزمة للكافة ؟ "(٣) .

وبعد ذلك أثبت الشيخ محمد ابو زهرة ان تلك الكتب لم تستوف تلك الشروط وأن دعوى الالهام في كتابتها دعوى عارية عن الدليل .

وبهذا نصل الى القول : ان اسفار اليهود اسفار لا تثبت قدسيتها ولا تصح نسبتها الى احد من الناس ، وأنها منقطعة السند مضطربة المتن متضاربة الأفكار .

---

(١) محاضرات في النصرانية تأليف الشيخ محمد ابو زهرة ص ٧٩-٨٠ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٥هـ بمطبعة يوسف .

(٢) اظهار الحق جـ١ ص ٥٦ (٣) محاضرات في النصرانية ص ٨٠

المبحث السابـــع

موقف الاسلام من الأسفار اليهوديـــة

ان للاسلام نظرتين الى الاسفار اليهودية تتلخص فيما يأتي :

النظرة الاولى تختص بالكتب التي أنزلها الله تعالى وهي التوراة المنزلة على موسى والزبور المنزل على داود وغيرهما من الكتب التي أوتيها الأنبياء السابقون وقصها الله علينا بلا تعيين لها ولمن نزلت عليه .

فخلاصة الموقف الاسلامي من هذا النوع من الكتب وجوب الايمان على وجه الاجمال بأن الله تعالى انزل تلك الكتب على اولئك الأنبياء نورا وهداية للناس وذلك لقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين :

" قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفـــرق بين احد منهم ونحن له مسلمون "(١) .

وقوله تعالى : " ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون "(٢) .

ويؤمن المسلمون ايمانا جازما أن الله تعالى انزل على عبده موسى التوراة فيها هدى ونور وأنه أنزل على ابراهيم صحفا ، وعلى عيسى الانجيل ، وأنزل على داود الزبور ، وأنزل كتبا اخرى لم يسمها لنا على أنبياء آخريـــن لم يسمهم لنا ، وان هذه الكتب وتلك ، ليس بينها تناقض ، ولا في نصوص أحدها تضارب . ذلك لأنها نزلت من عند العزيز الحكيم ، ومن أصدق من اللـــه حديثا ؟ ولذلك يصدق بعضها بعضا كما قال الله تعالى في ذلك :

---

(١) سورة البقرة ١٣٦

(٢) سورة العنكبوت ٤٦

" نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام "(١) .

" وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون "(٢) .

فاذا كان هذا شأن الكتب الالهية في تصديق بعضها بعضا ، فمن الاولى ان تكون اجزاء أحد الكتب المنزلة مصدقة بعضها بعضا ، ولا يوجد بين نصوص الكتاب الواحد تعارض أو تناقض .

النظرة الثانية تختص بالأسفار اليهودية التي توجد الآن في ايديهم وسبق الحديث عنها ، وتتلخص هذه النظرة في أن الاسلام يرى ان هذه الاسفار في صورتها الحالية ،ليست مما انزله الله على الانبياء وانها كتب محرفة موضوعة ، فيها بعض الحقائق الثابتة بجانب أشياء كثيرة من القصص والاحكام الموضوعة .

ويؤمن المسلمون بأن ما في هذه الاسفار من حقائق تتفق مع المبادئ الاسلامية والنصوص الثابتة ، صدقنا بها ، ولا حاجة لنا اليها ،لأنّ الله أغنانا عنها بالاسلام وكتابه العزيز ، وأن ما فيها من الاشياء التى تتعارض مع

---

(١) سورة آل عمران ٣-٤

(٢) سورة المائدة ٤٦-٤٨

المبادئ الاسلامية والنصوص الثابتة ،رددناها ، وما لم يرد في النصوص الاسلامية الثابتة ما ينافيه أو يثبته وكان مما يجوز ثبوته وانتفاؤه ،توقفنا عن تصديقه او تكذيبه ، وفوضنا امره الى الله تعالى ، وذلك كتعيين أسماء بعض الانبياء في اسفارهم ممن لم يرد ذكر اسمه في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة .

وهذا الموقف الاسلامي نابع من نصوص القرآن الكريم التي بينت لنا ان الله تعالى انزل تلك الكتب على اولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأن بني اسرائيل قاموا بتحريفها ـ وكتبوا بأيديهم ما شاؤوا ونسبوا ذلك الى الله تعالى افتراء عليه وكذبا . فقال تعالى :

" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون" (١) .

" وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" (٢)

وهاتان الايتان دلتا دلالة صريحة على انهم كانوا يكتبون ما يشاؤون ثم يقولون للناس كذبا ان ما يكتبونه هو منزل من عند الله عز وجل وهم كاذبون مفترون على ربهم ، ويعلمون انهم انما يقولون ذلك على الله كذبا ، وقد فعلوا ذلك نظير ما ينالونه من حطام الدنيا ومتاعها الرخيص . وبجانب هاتين الايتين توجد آيات عديدة في القرآن كشفت سوآتهم ودلت على تحريفهم لآيات الله عز وجل وكتبه المنزلة قال تعالى :

" افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " (٣) .

---

(١) سورة البقرة ٧٩ (٢) سورة آل عمران ٧٨
(٣) سورة البقرة ٧٥

" فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين " (١) .

" يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعض مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم " (٢) .

وهكذا بين القرآن الكريم طبيعة اليهود في تحريف الكلم واتباع الباطل ، وما لم يحرفوه كتابة ولم يكن موافقا لهواهم اخفوه وكتموه عن الناس مدعين ان الله تعالى ما أنزل على احد من الانبياء شيئا مما يمكن ان يكون حجة عليهم في انكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى مبينا هذا الموقف :

" وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون " (٣) .

" يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين " (٤) .

وكانوا يخلطون الحق بالباطل ويموهونه حتى يتمكنوا بذلك من كتمان الحق قال تعالى في بيان ذلك :

---

(١) سورة المائدة ١٣ (٢) سورة المائدة ٤١

(٣) سورة الانعام ٩١ (٤) سورة المائدة ١٥

" ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون" (١) .

هكذا كان اليهود يحرفون الكتب المنزلة ، وهكذا فضحهم القرآن الكريم . وعلى هذا اعتمدنا فيما تقرر من النظرة الاسلامية الى الأسفار اليهودية . وهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية الكريمة .

وأما السنة النبوية الشريفة ، فقد ورد فيها النهى عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم والدعوة الى الايمان بما أنزل الله تعالى على الأنبياء ، كما دلت على ذلك آية سورة البقرة ، وآية سورة العنكبوت السابقتين (٢) .

وقد جاء ذلك فيما رواه ابو هريرة رضى الله عنه قال : كان اهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا " (٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " يا معشر المسلمين كيف تسألون اهل الكتاب وكتابكم الذى انزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم احدث الأخبار بالله ، تقرأونه لم يشب ، وقد حدثكم الله ان اهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؟ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسايلتهم ؟ ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذى انزل عليكم " (٤) .

وهكذا بينت السنة النبوية الثابتة موقف الاسلام الثابت من أسفار اهل الكتاب وأثبتت تحريفهم لها .

---

(١) سورة آل عمران ٧٠ - ٧١ (٢) آية سورة البقرة ١٣٦ آية سورة العنكبوت ٤٦

(٣) اخرجه البخارى في كتاب التفسير باب قولوا آمنا بالله وما انزل الينا .

(٤) اخرجه البخارى في كتاب الشهادات باب لا يسأل اهل الشرك عن الشهادة وغيرها .

الفصل الثاني

وفيه عشرة مباحث

- المبحث الأول : بيان الجذور التاريخية لنشأة بنى اسرائيل
- المبحث الثاني : تاريخ بنى اسرائيل قبل دخولهم أرض مصر
- المبحث الثالث : بنو اسرائيل في مصر قبل موسى عليه السلام
- المبحث الرابع : تاريخ بنى اسرائيل في عهد موسى عليه السلام
- المبحث الخامس : موسى وهارون عليهما السلام في مواجهة فرعون كما فى سفر الخروج .
- المبحث السادس : خروج بنى اسرائيل من مصر
- المبحث السابع : بنو اسرائيل بعد الخروج في عهد موسى
- المبحث الثامن : بنو اسرائيل في عهد يشوع والقضاة
- المبحث التاسع : بيان معنى التفضيل الالهي لبنى اسرائيل
- المبحث العاشر : عنصرية بنى اسرائيل موءثرة في عقيدتهم وسلوكهم

*

المبحث الأول

بيان الجذور التاريخية لنشأة بنى اسرائيل

أ - آباء بنى اسرائيل :

١ - ابراهيم عليه السلام :

تمتد الجذور التاريخيه لنشأة بنى اسرائيل الى نحو ألفى سنة قبل ميلاد عيسى ابن مريم عليه السلام (١) اذ ولد جدهم الثاني ابراهيم عليه السلام في مدينة أور الكلدانية الواقعة بين نهرى دجلة والفرات (٢)، ونشأ بها بين قوم يعبدون آلهة متعددة من الأجرام السماوية، ويعكفون على عبادتها في معابد وهياكل شيدوها بأسمائها (٣) .

ولد ابراهيم عليه السلام في مدينة أور المقدسة عند الكلدانيين ونشأ بها ، وكان ابوه من عباد الأصنام كسائر أهل تلك المدينة ،ولكن ابراهيم عليه السلام أدركته عناية الله فلم يعبد أصنام قومه . وسيأتي بيان موقف ابراهيم من قومه ومايعبدون ، وموقف قومه منه في الباب الأخير ان شاء الله تعالى .

أما والد ابراهيم فقد ذكر القرآن الكريم ان اسمه "آزر" وهو الذى دلت عليه السنة النبوية الثابتة ، أما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى فيه : " واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين " (٤) .

---

(١) انظر مفاتيح كنوز الاسفار ص ٣٣١ وتاريخ الاقباط والمسيحية جـ٨ ص ٣

(٢) انظر تاريخ شعب العهد القديم ص ٩٤-٩٥

(٣) انظر كتاب : خليل الله في اليهودية والمسيحية والاسلام ص ٩

(٤) سورة الأنعام ٧٤

وأما السنة فقد جاء فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابو هريرة رضى الله عنه : " قال : يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ... "(١) الحديث . فمجيئه في الحديث منصوبا ومجرورا يقطع حجة من زعم من المؤرخين ان ما جاء في رواية أهل الكتاب في بيان اسم والد ابراهيم هو الصحيح ، وما جاء في القرآن محتمل وليس نصا على أن اسمه آزر ، لأنّ اللفظ قرئ بالضم على النداء وبالفتح على انه بدل من الاسم المجرور قبله . فعلى هاتين القراءتين يعتبر اللفظ اسما لوالد ابراهيم كما تحتمل قراءة الفتح ان يكون اللفظ صفة للاسم المذكور قبله .

وعلى هذا فلا يلتفت الى ما ذهب اليه البعض للتوفيق بين النص القرآني وبين رواية اهل الكتاب حيث قالوا ان والد ابراهيم لم يذكر باسمه العلمي في القرآن وانما ذكر باسم صنم كان يعبده أو بصفة كانت له كالشيخوخة ونحوها (٢) . الى غير ذلك مما لا دليل عليه سوى ارادة الجمع بين ماذكره القرآن الكريم وبين ما رواه اهل الكتاب .

أما رواية أهل الكتاب فتقول ان اسمه : " تارح " كما جاء ذلك في قول سفر التكوين : " وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران "(٣) .

واذا صحت رواية أهل الكتاب في تعيين هذا الاسم فمن الممكن ان يكون والد ابراهيم قد عرف باسم في زمن وباسم آخر في زمن آخر ، وعليه فالاسم المذكور عند اهل الكتاب هو الاسم السابق الذى عرف به منذ ولادته . والاسم الذى ذكره القرآن الكريم هو الذى عرف به فيما بعد . وتغيير الاسماء

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب الانبياء باب قوله تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا)
(٢) انظر قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار ص ٧٢ وانظر غرائب القرآن للنيسابورى جـ ٧ ص ١٣٨ الطبعة الاولى ١٣٨١هـ مطبعة مصطفى الحلبي .
(٣) تكوين ١١ : ٢٦

في تلك السلالة ليس مما ينكر حدوثه . فقد روى اهل الكتاب ان ابراهيم كان اسمه الذى عرف به منذ ميلاده هو : " ابرام " ثم غيره الرب الى : " ابراهيم " (١) . وكذلك كان لزوجته اسمان : الاول " ساراى " وهو الذى عرفت به منذ ولادتها . والثاني " سارة " وهو الذى كان بأمر الهى حسب الرواية (٢) . وكذلك ليعقوب اسمان : الاول يعقوب الذى عرف به منذ مولده ، ثم غيره الرب فاصبح : " اسرائيل " (٣) .

هذا ولم يرد في القرآن ولا في السنة ان لابراهيم غير هذا الاسم. كما لم يرد في السنة الصحيحة ان لزوجته اسما اخر غير سارة . وأما يعقوب فقد ورد ذكر اسميه في القرآن الكريم.

فعلى هذا فان من الخطأ التصور بان ما جاء في القرآن في هذا الشأن يتعارض مع ما جاء في رواية اهل الكتاب . فان من الممكن الجمع بينهما على هذا النحو على افتراض ان ما جاء عندهم صحيح . وقد يكون ما جاء عنهم غير صحيح ، فانهم قد نسوا حظا مما ذكروا به فاختلط عليهم الأمر كثيرا . وقد سموا طالوت (٤) الذى ورد ذكره في القرآن " شاول " (٥) .

وذكرت رواية أهل الكتاب ان والد ابراهيم انتقل من أور الكلدانيين الى حاران قاصدا أرض كنعان ، وقد اخذ معه في تلك الرحلة ابنه ابراهيم وابن ابنه لوطا بن هاران ، وسارة امرأة ابراهيم . وبعد ان اقاموا بحاران فترة من الزمن مات قائد الرحلة وهو والد ابراهيم .

يقول سفر التكوين في بيان ذلك : " وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه ، وساراى كنته ،امرأة ابرام ابنه . فخرجوا معا من أور

---

(١) تكوين ١٧ : ٥
(٢) تكوين ١٧ : ١٥
(٣) تكوين ٣٢ : ٢٨
(٤) سورة البقرة ٢٤٧
(٥) صموئيل الأول ٩ : ٢

الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان ،فأتوا الى حاران ،وأقاموا هناك وكانت أيام تارح مائتين وخمس سنين ومات تارح في حاران "(١) .

هذه هي المرحلة الاولى التي انتقل فيها ابراهيم من أرض ميلاده ، تحت قيادة أبيه ،وكانت سن ابراهيم عند وفاة أبيه في حاران خمسا وثلاثين سنة لأنه عليه السلام ولد ولأبيه من العمر سبعون سنة ومات أبوه وعمره مائة وخمس سنين . وبعد موت أبيه انتقلت القيادة الى ابراهيم عليه السلام ،فقام باتمام الرحلة الى أرض كنعان . ولكن هذه الرحلة تمتاز بأنها كانت بأمر الهي كما وردت به رواية سفر التكوين حيث يقول : " وقال الرب لابرام : اذهب من ارضك و من عشيرتك و من بيت أبيك الى الأرض التي أريك "(٢) .

ف فخرج ابراهيم من حاران مصطحبا زوجته وابن أخيه لوط عليه السلام قاصدا ارض كنعان . فلما وصل اليها أقام في مواضع متعددة منها . وكان ابراهيم عليه السلام يبلغ من العمر عند رحيله من حاران خمسا وسبعين سنة . أي انه قام بهذه الرحلة بعد موت أبيه باربعين سنة حسب ما جاء في الرواية اليهودية حيث قال سفر التكوين :

" فذهب ابرام كما قال الرب ، وذهب معه لوط . وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران فأخذ ابرام ساراى امرأته ، ولوطا ابن اخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا ،والنفوس التي امتلكا في حاران . وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان . فأتوا الى ارض كنعان . واجتاز ابرام في الأرض الى مكان شكيم ، الى بلوطة مورة ... ثم نقل من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل ونصب خيمته ، وله بيت ايل من المغرب وعاى من المشرق .. ثم ارتحل ابراهيم ارتحالا متواليا نحو الجنوب "(٣) .

---

(١) تكوين ١١ : ٣١-٣٢ في التوراة السامرية كان عمره : خمس سنين واربعين ومائة سنة . وهذا يدل على تخبط اهل الكتاب في امور دينهم حيث يزعمون ان هذا السفر مما نزل على موسى من عند الله .

(٢) تكوين ١٢ : ١ (٣) تكوين ١٢ : ٤ - ٩

ثم بدأت مرحلة اخرى من الرحلة الابراهيمية ،وهى المرحلة الثالثة ،
وهي رحلة فرضتها الظروف السائدة يومئذ في ارض كنعان ، اذ نزلت مجاعة
بأهلها ، فقرر ابراهيم ان ينتقل الى مصر مع من معه من المرافقين انتقالا موقتا
ولما كانت زوجة ابراهيم "ساراى" على جمال عظيم . ادرك ابراهيم ان المصريين
سيأخذونها من يده ويقتلونه ،فرأى ان يقول هو وزوجته للمصريين انهما -
أخوان ، وذلك خوفا من ان يقتلوا ابراهيم ان علموا انها زوجته ،وطمعا في
أن يجد العطاء ممن سيأخذها منه على أنها اخته . فلما دخلوا أرض مصر ،
حدث ما كان يخشاه ابراهيم اذ رأى المصريون زوجته فوصفوها لفرعون .فأخذها
الى بيته ،فأغدق على ابراهيم العطاء ظنا منه انها اخته . وبعد ان أقامت
المرأة في بيت فرعون ما شاء الله ان تقيم ، تعرض فرعون لعقوبة الهية ، فعلم
فرعون ان ذلك بسبب تلك المرأة التي أخذها ، فدعا ابراهيم فوبخه على اخفاء
الحقيقة وعاتبه عتابا شديدا ، فرد امرأته عليه ،وأمره بالخروج من أرض مصر
وجعل عليه رجالا يخرجونه من أرضه . جاء ذلك كله في قول سفر التكوين :

" وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك ،لأن
الجوع في الأرض كان شديدا .وحدث لما قرب أن يدخل مصر انه قال لساراى
امرأته : اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر . فيكون اذا رآك المصريون
أنهم يقولون هذه امرأته . فيقتلونني ويستبقونك ، قولي انك اختي ليكون لي
خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك . فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن
المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ورآها رؤساء فرعون ،ومدحوها لدى
فرعون فأخذت المرأة الى بيت فرعون . فصنع الى ابرام خيرا بسببها . وصار له
غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال فضرب الرب فرعون وبيته ضربات
عظيمة بسبب ساراى امرأة ابرام ، فدعا فرعون ابرام ، وقال : ما هذا الذى صنعت
بي ؟ لماذا لم تخبرني انها امرأتك ؟ لماذا قلت هي أختي حتى اخذتها لي

لتكون زوجتي ؟ والان هوذا أمرأتك خذها واذهب . فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له "(١) .

وبعد هذه الحادثة عاد ابراهيم عليه السلام ومعه لوط عليه السلام الى أرض كنعان . فلما عادا الى ارض كنعان ضاقت الارض بمواشيهما حتى وقع بين رعاة مواشيهما نزاع أدى الى اتفاقهما على الافتراق ، فسكن لوط في دائرة الأردن ،وانتقل ابراهيم الى بلوطات ممرا في حبرون فأقام بها فعقد مع بعض جيرانه معاهدة.

وبعد افتراقهما ،وقعت حرب بين حلفاء ابراهيم من الملوك وبين ملوك اخرين فهزموا حلفاء ابراهيم ، واستولوا على الأملاك والنساء واسروا لوطا وساقوا املاكه ايضا فبلغ ابراهيم ذلك النبأ ، فهب على رأس ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا من أتباعه لنجدة ابن اخيه الاسير ، فانتصر على الغزاة واسترجع منهم الاموال والنساء . كما استخلص منهم لوطا . ولما عاد ابراهيم من تلك المعركة منتصرا ، استقبله ملك سدوم ومعه ملوك اخرون استقبالا عظيما ، فعرض عليه ملك سدوم ان يستبقى كل الاموال التي استردها من الأعداء ، غير ان ابراهيم عليه السلام أبى ان ياخذ شيئا سوى ما اخذه للرجال الذين حاربوا معه من اجرة (٢) .

ثم حدث لابراهيم بعد مدة طويلة حادث يماثل الذى حدث له في مصر. وذلك ان أبيمالك ملك الفلسطينيين أعجبه جمال زوجته ، فأخذها منه بعد ان قال ابراهيم انها اخته . ولكنه رأى في المنام انها زوجته وانه نبي . وانه ان لم يردها يموت فورا ، فأعاد أبيمالك الى ابراهيم زوجته قبل ان يمسها ،فعاتبه عتابا شديدا . وسأله عن سبب اقدامه على هذا العمل الذى كاد ان يقضى عليه وعلى مملكته ، وهو لا يدرى حيث اخفى الزوجية وذكر انها اخته . فأخبره

---

(١) تكوين ١٢ : ١٠-٢٠ (٢) تكوين ١٤

ابراهيم انه خاف من أهل تلك البلاد على نفسه وانها اخته ايضا حقيقة من أبيه لا من أمه :" فقال ابراهيم اني قلت : ليس في هذا الموضع خوف الله البتة ، فيقتلو ننى لأجل امرأتي . وبالحقيقة أيضا هي اختى ابنة ابى غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة . فحدث لما أتاهنى الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين الى في كل مكان نأتي اليه قولي عني : هو أخي " (١) .

وكانت سارة في سن التسعين من عمرها في هذه الحادثة . ومن المستغرب جدا ان تكون امرأة في هذه السن محلا لرغبات الرجال وخاصة الملوك منهم .

٢ - ميلاد اسماعيل عليه السلام كما في الرواية اليهودية :

يروى اهل الكتاب ان سارة كانت لها جارية مصرية اسمها " هاجر " وكانت سارة لم تلد لابراهيم حتى سن اليأس ، فلما تجاوزت السن التي تلد فيها النساء عادة وأيقنت انها لن تلد بعد ذلك ، عرضت على ابراهيم عليه السلام أن يتزوج جاريتها هاجر لعل الله يرزقهما منها ولدا ، فوافق عليه السلام فتزوجها بعد ان وهبت له ، فحملت باسماعيل عليه السلام فولدته . وكان عمر ابراهيم عليه السلام ستا وثمانين سنة (٢) . ومعنى اسماعيل : " يشمع ايل " أى سمع الله .

فقد احدث حمل هاجر باسماعيل خلافات ومشاحنات بين المرأتين ، حتى أدى الى ندم سارة على أنها وهبت لزوجها جاريتها التي حملها حملها على الاستعلاء على ساره كما تقول الرواية (٣) . والرواية اليهودية تجعل هاجر هي المذنبة لأنها في نظر اليهود والنصارى استنكفت ان تخضع لسيدتها بعدما

---

(١) تكوين ٢٠ : ١١-١٣

(٢) انظر الاصحاح السادس عشر برمته من سفر التكوين

(٣) تكوين ١٦ : ٤

رأت انها حامل . وقد يكون هذا صـ ... ، وقد يكون عكس هذا هو الصحيح فان الدافع الى الغيرة من هاجر ...ـر في نفسية سارة اذ رأت جاريتهـا بالأمس قد اصبحت سيدة بحملها ،وهي لا تزال محرومة من الولد .

ولما بلغ اسماعيل ثلاث عشرة سنة شرع الله الختان وفرضه على ابراهيم ليختن كل ذكر من ذريته وعبيده ، ففعل ذلك ابراهيم ، اذ اختتن وختـن ابنه اسماعيل وكل ذكر من عبيده وخدمه ، وكانت سن ابراهيم عند اختتانـه تسعا وتسعين سنة (١) .

وفي تلك السنة التي شرع الله فيها الختان بشر الله ابراهيم بولد سيولد له من سارة التى تبلغ التاسعة والثمانين من عمرها (٢) .

٣ ـ ميلاد اسحق عليه السلام كما في الرواية اليهودية :

جاء في الرواية اليهودية أن الله بشر ابراهيم وسارة بالولد بعد ان بلغ ابراهيم مائة سنة وبلغت سارة تسعين سنة تقريبا . وقد كانت تلك البشارة الالهية مثار دهشة لابراهيم وسارة وخاصة سارة التى قد يئست من الانجاب منذ زمن طويل . لقد جاءت تلك البشارة على لسان احد الرجال الثلاثة الذين ذكروا في القصة الاتية :

قصة الرجال الثلاثة في سفر التكوين :

تحدث سفر التكوين ان الرب ظهر لابراهيم وابراهيم جالس في باب خيمته في وقت الظهيرة ومعه ملكان . فاستضافهم ابراهيم جميعا فقدم لهم الطعام والشراب ،فاكلوا وشربوا بعد ان غسلوا ارجلهم وهم تحت ظل شجرة ، وهذا نص القصة :

---

(١) انظر الاصحاح السابع عشر كاملا .

(٢) انظر تكوين ١٧ : ١٧

" وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الارض وقال : يا سيد ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك . ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة . فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا : هكذا تفعل كما تكلمت . فاسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة وقال : أسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا اعجني واصنعي خبز ملة . ثم ركض الى البقر واخذ عجلا رخصا وجيدا واعطاه للغلام فأسرع ليعمله . ثم اخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة اكلوا . وقالوا له : أين سارة امرأتك ؟ فقال ها هي في الخيمة . فقال اني ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه . وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام . وقد انقطع ان يكون لسارة عادة كالنساء . فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدى قد شاخ ؟ فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة : أفبالحقيقة ألد وانا قد شخت ؟ هل يستحيل على الرب شيء ؟ في الميعاد أرجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن . فأنكرت سارة قائلة : لم اضحك لأنها خافت . فقال : لا بل ضحكت . ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم وكان ابراهيم ماشيا معهم ليشيعهم فقال الرب : هل اخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله وابراهيم يكون امة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض ؟ لاني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده ان يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا لكي يأتي الرب لابراهيم بما تكلم به . وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا أنزل وارى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الاتى الي والا فاعلم . وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم . وأما ابراهيم فكان لم يزل واقفا امام الرب " (١)

---

(١) تكوين ١٨ : ١-٢٢

وبعد هذه البشارة حملت سارة ، فولدت اسحاق عليه السلام ،وكان ذلك بعد البشارة و هلاك قريتي لوط عليه السلام بعام. وحادثة ملك جرار أى ابيمالك ملك الفلسطينيين كانت في تلك السنة وهي سنة الحمل باسحاق ، ومعنى اسحاق : " يضحك " لأنّ سارة قالت : " قد صنع الله الي ضحكا كل من يسمع يضحك لي "(١) .

وبعد ولادة اسحاق لم تدم اقامة الأخوين اسماعيل واسحاق معا ، لأنّ سارة رأت اسماعيل ذات يوم وهو يمزح فأثار ذلك غضبها وغيظها ، فطلبت من ابراهيم ان يطرد هاجر وابنها ، ففعل ذلك ابراهيم وهو يشعر بمرارة ، اذ صرفهما بعد ان زودهما بقربة من ماء و خبز فتاهت في برية بئر سبع(٢) .

وأما اسحق فقد بقي في كنف ابويه ورعايتهما حتى كبر و بلغ مبلغ الرجال ، ثم ماتت امه سارة و عمرها مائة و سبع وعشرون سنة(٣) . واسحاق بلغ سبعا وثلاثين سنة يوم وفاتها .

وبعد وفاة سارة بثلاث سنين تزوج اسحاق رفقة بنت بتوئيل ابن ناحور أخي ابراهيم . وقد تم ذلك حينما ارسل ابراهيم احمد مواليه الى آرام النهرين ليجد لابنه اسحاق زوجة من عشيرته التى فارقها ابراهيم منذ مدة طويلة ،واستحلفه على ان يفعل ذلك ، وان لا يعيد ابنه اسحاق الى تلك الأرض التى خرج منها ، وأن لا يزوجه من بنات الكنعانيين(٤) .

وفاة ابراهيم عليه السلام :

وعاش ابراهيم بعد وفاة سارة ثمانية واربعين عاما ، ثم انتقل الى الرفيق الاعلى وعمره مائة وخمس وسبعون سنة فقام بدفنه ولداه اسماعيل واسحاق عليهما السلام(٥) .

---

(١) تكوين ٢١ : ٦ (٢) تكوين ٢١ : ٩-١٤ (٣) تكوين ٢٣ / ١
(٤) تكوين ٢٤ : ١-٦٧ (٥) تكوين ٢٥ : ٧-٩

ومما يجدر بالملاحظة هنا ان الرواية اليهودية ذكرت ان ابراهيم صرف هاجر واسماعيل فتاها في برية بئر سبع . وتذكر ايضا الرواية اليهودية بنسبة ان ابراهيم سكن في بئر سبع (١) . كما تذكر انه عليه السلام جاء من موضع آخر الى المكان الذى ماتت فيه سارة (٢) . ثم تذكر كذلك أن اسماعيل واسحاق اشتركا في دفن ابيهما (٣) . وهذه الأمور الاربعة تدل على ان ابراهيم عليه السلام يقيم مع ابنه اسماعيل في آخر ايام حياته . وقد دلت النصوص الاسلامية الصحيحة القاطعة ان ابراهيم عليه السلام اقام مع ابنه اسماعيل بعد ما بلغ اسماعيل اشده فقاما معا ببناء الكعبة المشرفة في مكة المكرمة بأمر الله تعالى . وسيأتي ذكر هذا في الباب الاخير ان شاء الله تعالى . كما سيأتي هناك استعراض الأدلة الدالة على هوية الذبيح ، اهو اسحاق كما يقول به اهل الكتاب و من حذا حذوهم من المسلمين ،أم هو اسماعيل كما يقول به المحققون ودل عليه سياق النص اليهودى .

ان تاريخ الابناء امتداء لتاريخ الآباء ،وسيرة الابناء قبس من سيرة الآباء ، لذلك تقول الرواية اليهودية ان اسحاق عليه السلام اقتدى بأبيه ابراهيم ،فادعى في جرار ان امرأته الحسناء رفقة بنت بتوئيل ليست زوجته وانما هي اخته ، ولكن ملك جرار عرف الحقيقة حينما شاهد اسحاق على سبيل الصدفة من كوة في داره وهو يلاعب زوجته ، فدعاه فوبخه على ذلك . ثم حذر الشعب من ان يمسوه بأذى وابلغهم ان من يمسه او يمس امرأته بسوء فانه يقتل (٤) .

ثم اقام اسحاق في جرار واشتغل بالزراعة وتربية المواشي فاصبح في ثراء عظيم ثم انتقل من هناك الى بئر سبع فسكن بها (٥) .

---

(١) تكوين ٢٢ : ١٩

(٢) تكوين ٢٣ : ٢ ماتت سارة في قرية اربع التى هي حبرون في أرض كنعان

(٣) تكوين ٢٥ : ٩ (٤) تكوين ٢٦ : ١-١١ (٥) تكوين ٢٦ : ٢٣

٤ - ميلاد يعقوب عليه السلام وبنيه :

بعد ما تزوج اسحاق عليه السلام رفقة بقي عشرين سنة ولم يرزق منها ولدا ، ثم تضرع الى الله أن يرزقه ولدا فاستجاب له ،فولدت له توأمين عيسو ويعقوب (١).

ويبدو ان ابراهيم عليه السلام لا يزال حيا عند ميلاد يعقوب . فحسب رواية سفر التكوين يكون يعقوب ابن خمس عشرة سنة عند ماتوفي جده الكريم ابراهيم عليه السلام . لأنّ أباه ولد ولابراهيم مائة سنة (٢) . وولد يعقوب ولأبيه ستون سنة (٣) . وتوفي ابراهيم وله مائة وخمس وسبعون سنة (٤) .

وكان يعقوب آخر التوأمين ولادة ، وقد ولد ممسكا بعقب أخيه عيسو عقبه . فسمي يعقوب ، وكانت أمه تحبه اكثر من عيسو . وأما أبوه فكان يحب عيسو بسبب طعام الصيد الذى يقدم له . فأراد اسحاق ان يطعمه عيسو من الصيد في أحد الايام ليدعو له بالبركة فطلب منه ذلك فانصرف عيسو للصيد وكانت أمه تسمع ما قال اسحاق لابنه فأسرعت نحو يعقوب وأخبرته بالخبر وطلبت منه أن يذبح جديين من المعز لتصنع لأبيه طعاما على انه صيد صاده عيسو ، وألبست يعقوب ثياب اخيه كما جعلت على رقبته و يديه جلودا من الجديين حتى لا يفطن اسحاق لهذه الخديعة ، لأنّ عيسو كان أشعر فقدم له الطعام ،فشك اسحاق في الأمر وهو لا يبصر ،فسأله من هو ؟ فأجابه انه عيسو وطلب أن يدنو منه فلمسه بيده وشم رائحة ثيابه ، فقال : " الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو " (٥) فأكل من الطعام ،ودعا له بالبركة ،فأخطأت الدعوة صاحبها عيسو ،ونالها يعقوب بالمكر والخداع والكذب كما تزعم الرواية .

---

(١) تكوين ٢٥ : ١٩-٢٦
(٢) تكوين ١٧ : ١٧
(٣) تكوين ١٥ : ٢٦
(٤) تكوين ٢٥ : ٧
(٥) تكوين ٢٧ : ٢٢

وقبل هذه الحادثة ، عاد عيسو ذات يوم الى البيت وهو جائع فرأى يعقوب وهو يطبخ عدسا فطلب منه ان يعطيه منه ،ولكن يعقوب طلب منه أن يتنازل عن البكورية لأنه ولد قبله بقليل وذلك في نظير اطعامه ، فوافق عيسو على بيع البكورية وهو مضطر ، فباعها واكل طعام يعقوب(١) .

وهاتان الحادثتان كانتا مرارة في نفس عيسو ، فوجد على اخيه بسببهما وفي الحادثة الاخيرة نفد صبره ، فتوعد يعقوب بالقتل بعد وفاة ابيه . ولما بلغ ذلك الى امه نصحت يعقوب بالفرار الى فدان آرام حيث يقيم اخواله ،حتى يهدأ غضب اخيه ،وطلبت من اسحاق ان يوافق على سفره الى أرض العراق ليتزوج من بنات قومه ،لا من بنات كنعان كما فعل عيسو . فوافق اسحاق على ذلك ودعا له بالبركة وصرفه ، فذهب يعقوب الى فدان أرام ، وأقام عند خاله لابان.

ثم تعاقد الرجلان على ان يخدم يعقوب عند خاله سبع سنوات(٢) نظير زواجه من صغرى ابنتيه وهي راحيل فخدم سبع سنين . وبعد انقضاء الأجل ، أقام لابان وليمة ،فأدخل الى يعقوب ليلا ابنته الكبرى ليئة ، ولم يتبين يعقوب امرها الا بعدما دخل عليها صباحا . ولما عاتب خاله على فعله ،أجابه أن الصغرى لا تتزوج قبل الكبرى حسب العادة المتبعة في أرضه . وطلب منه ان يخدم سبع سنوات اخرى ليتزوج راحيل التي كانت جميلة ، وأما لينة ، فقد كانت ضعيفة العينيين . فخدم يعقوب سبع سنين اخرى ،ولكنه تزوجها بعد ان اكمل اسبوع الكبرى(٣) ثم عاد الى موطن ابيه بأرض كنعان ، وقد اصبح صاحب

---

(١) تكوين ٢٥ : ٢٩ : ٣٤

(٢) قصة عمل يعقوب اجيرا عند خاله لابان على ان يزوجه احدى ابنتيه شبيهة بقصة موسى عليه السلام حينما خرج من مصر هاربا من قوم فرعون وهي قصة مذكورة في القرآن كما هي واردة ايضا في سفر الخروج ٢ :١٥-٢٥ و ٣ : ١

(٣) تكوين ٢٩ : ١٥-٣٠

اموال ، وأولاد ،ان ولدت له ليئة اربعة بنين وهم : ١ - رأوبين ٢ - شمعون ٣ - لاوى ٤ - يهوذا فتوقفت عن الولادة بعد ذلك (١) ، ثم ولدت له ٥ - يساكر ٦ - زبولون ٧ - دينة . وأما راحيل فلم تلد ليعقوب زمنا طويلا ، فطلبت ذات يوم من يعقوب أن يهب لها بنين ،فأثارت بذلك غضبه حتى قال : " ألعلي مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن " فطلبت منه ان يدخل على جاريتها بلهة لترزق منها بنين . فدخل عليها فولدت له دانا ثم ولدت له ايضا نفتالى (٢) .

وأعطت ليئة ايضا جاريتها ليعقوب ، وهى زلفة ، فولدت له ،جاد ، وأشير (٣) .

ثم حملت راحيل ، فولدت له يوسف عليه السلام. ثم رجع يعقوب قافلا الى ارض كنعان بمال وفير بعد ان استوفى أجرته من لابان ،لأنه خدمه ست سنوات أخر نظير اجرة اعطاها له من الغنم وكانت المدة التي قضاها عشرين سنة (٤) .

وبينما هو في طريقه الى أرض كنعان ، ولدت راحيل ابنها الثاني وهو نفتالى وتوفيت عند الولادة ،فأصبح بذلك عدد اولاده اثنى عشر ذكرا وبنتا واحدة وهي : دينة . فهؤلاء الابناء الاثنا عشر هم الذين تتكون منهم النواة الاولى لبنى اسرائيل . وما سبق عرضه من النصوص اليهودية ،يبين لنا النشأة التاريخية لبنى اسرائيل حسب الرواية اليهودية .

وما دمنا قد فرغنا من دراسة النشأة التاريخية لبنى اسرائيل وتكون نواتهم الاولى بميلاد ابناء يعقوب الاثنى عشر ،يجدر بنا ان نقدم هنا بعض الاسماء

---

(١) تكوين ٢٩ : ٣١ - ٣٥

(٢) تكوين ٣٠ : ١ - ٨

(٣) تكوين ٣٠ : ٩ - ١٣

(٤) تكوين ٣١ : ٤٠ - ٤١

التي اطلقت على هؤلاء القوم في مراحل حياتهم المختلفة ،وندرس معاني تلك الأسماء دراسة تاريخية ولغوية . أما تلك الأسماء التي اطلقت عليهم فهي :

١ - عبريون أو عبرانيون ٢ - بنو اسرائيل او اسرائيليون

٣ - اليهـود ٤ - الصهاينة او الصهيونيون

وسنرى في الفقرات القادمة معنى هذه الكلمات الأربع ان شاء الله تعالى .

ب - دراسة معاني الكلمات الاتية :

١ - معنى كلمة : " عبرى او عبرانى :

قيل في معنى هذه الكلمة : انها مأخوذة من عبر يعبر اذا جاوز نهرا أو مكانا الى مكان . سموا بذلك لأن جدهم ابراهيم عليه السلام عبر نهر الفرات بمن معه من الخدم والاتباع ،قاصدا أرض الكنعانيين فسمى عبرانيا (١) .

ولقد جاء اطلاق كلمة " العبراني " على ابراهيم عليه السلام في قول سفر التكوين عند الحديث عن غارة كدرلعومر ومن معه من الملوك على حلفاء ابراهيم وابن اخيه لوط : " فأتى من نجا واخبر ابرام العبرانى " (٢) وجاءت تسمية ابناء يعقوب بهذا الاسم على لسان يوسف عليه السلام وهو سجين في مصر حيث قال لأحد الرجلين اللذين قصا عليه روءياهما : " حينما يصير لك خير تصنع الى احسانا وتذكرني لفرعون . وتخرجنى من هذا البيت ، لأنى سرقت من ارض العبرانيين " (٣) .

قال في السنن القويم عند تفسير هذا النص : " أبرام العبراني : أى الذى عبر الى هذه الأرض من عبر الفرات . ويصح ان يكون وصف بالعبراني من " عابر " الذى عبر نهر دجلة " (٤) .

وعابر هذا الذى قال انه عبر نهر دجلة هو احد اجداد ابراهيم عليه السلام (٥) . فتكون النسبة اليه على غير قياس ، اذ القياس ان يقال : "العابرى" لا العبراني .

وأما ما ذكره بعض الباحثين من ان سبب اطلاق هذه العبارة يرجع الى عبورهم نهر الاردن ،فمرده عدم رجوعهم الى تاريخ اطلاق هذه العبارة علـى

---

(١) انظر السنن القويم جـ١ ص ١١١ (٢) تكوين ١٤ : ١٣

(٣) تكوين ٤٠ : ١٤-١٥ (٤) السنن القويم جـ١ ص ١٢١ (٥) انظر تكوين ١١ : ١٦-٢٦

ابراهيم في سفر التكوين ،لأن ابراهيم عليه السلام لم يكن قد عبر نهر الاردن حينما اطلق عليه هذا اللقب . بل عبر نهرى دجلة والفرات فقط (١) .

يقول الدكتور احمد شلبى تحت عنوان " ما معنى كلمة عبرى ؟" : "في الاجابة عن هذا السؤال نقرر ان العلماء لا يتفقون على معنى هذه الكلمة ، وان اتفقوا جميعا على مدلولها ، فالعبرى هو المنحدر من ذرية ابراهيم ،ولكن لماذا سمى عبريا او عبرانيا ؟ يرى بعض الباحثين ان ابراهيم سمى عبريا لأنه عبر النهر ، و يحتمل ان يكون النهر المقصود هو نهر الفرات كما يحتمل ان يكون نهر الأردن" (٢) .

ثم يقول الدكتور احمد شلبى : " ويرى الدكتور اسرائيل ولفنسون رأيا آخر وهو احتمال ان يكون ابراهيم منسوبا الى جد من أجداده الأقدمين يعرف باسم " عبر" ولكن الدكتور ولفنسون لا يرضى بهذا الرأى ، ولا بالرأى الذى قبله ، ويرى ان كلمة عبرى لا ترجع الى حادثة بعينها ، او شخص بعينه ، وانما ترجع الى الموطن الاصلى لبنى اسرائيل وذلك أن بنى اسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر في مكان ، بل ترحل من بقعة الى أخرى بابلها ومواشيها للبحث عن الماء والمرعى ،وكلمة عبرى في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر ، بمعنى قطع مرحلة من الطريق ، أو الوادى ، أو النهر ، من عبره الى عبره ، او عبر السبيل : شقها ، وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل سواء في العربية او العبرية ، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذى هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ،فكلمة عبرى مثل كلمة بدوى والمصريون والفلسطينيون يسمون بنى اسرائيل بالعبرانيين لعلاقتهم بالصحراء ،وليميزوهم عن اهل العمران ولما استوطن بنو اسرائيل ارض كنعان ،وعرفوا المدنية والاستقرار ، صاروا ينفرون من كلمة عبرى التى كانت تذكرهم بحياتهم الاولى ، حياة البداوة والخشونة ،وأصبحوا يؤثرون ان يعرفوا ببنى اسرائيل فقط" (٣)

(١) انظر مقارنة الاديان - اليهودية ص ٤٧ (٢) نفس المصدر السابق ص ٤٤

(٣) اليهودية ص ٤٤-٤٥ نقلا عن كتاب " تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ٧٧-٧٨ .

واذا كان سبب التسمية مجموع ما ذكر او واحد منها ، فان بني اسرائيل ليسوا وحدهم العبريين أو العبرانيين ، لان ابراهيم عليه السلام الذى اطلقت عليه كلمة " عبراني " كان له من الأولاد والأحفاد غير بني اسرائيل ، الا أن هذا الاسم لم يطلق على غيرهم من ذراريه الكثيرة ، ولعل السر في ذلك ان الاسرائيليين أنفسهم هم الذين اطلقوا على أنفسهم هذا الاسم لادعائهم انهم وحدهم هم الأبناء الوارثون لابراهيم وراثة أبدية ، ولا يشاركهم في هذا الميراث غيرهم من ابناء ابراهيم وأحفاده . غير ان افتخارهم بانتمائهم لأبيهم اسرائيل اكثر من افتخارهم بانهم ابناء ابراهيم أو ابناء اسحاق ، لأنّ لهما ذرية غير بني اسرائيل .

وقد ذكر صابر عبد الرحمن طعيمة كما ذكر غيره ، أن ابراهيم وذريته لم يطلق عليهم وحدهم أنهم عبريون وانما أطلق على غيرهم كذلك ممن يرتحل من مكان الى آخر و يعبر من بلد الى بلد ، وأن هجرته قد سبقتها هجرات كثيرة متعاقبة قام بها أفواج من البابليين والاشوريين وغيرهم ممن سبق ابراهيم بقرون الى النزوح الى ارض الشام ، واليك نص كلامه :

" والذى نود ان نشير اليه ببعض التوضيح قبل الدخول موضوعيا في موضوع محفوف بالغموض والتناقضات في الفترة التي بدأت بـ ١٨٠٠ ق.م تقريبا لم يكن النبي الرسول ابراهيم عليه السلام يمثل قيادة " العبريين " الذين خرجوا من " أور " الكلدانية ، والذين اكتسبوا من حياة البداوة أسلوب الاستغلال والانتهازية فأصبحوا بما اكتسبوه بدوا خلقهم السطو والاغارة والصيد والقتل والحل والترحال . وانما ابراهيم عليه السلام حين كان مهاجرا من العراق الى فلسطين التصقت به هذه الصفة التى خلعها عليه العبريون بعد ذلك نظرا لانّه هو ايضا كان يعبر البادية والانهار . فالعبريون حين بدأوا رحلاتهم على نفس خط سير ابراهيم في الهجرة لم يكونوا يمثلون اخلاق ابراهيم ، ولا يعبرون عن دينه " (١)

---

(١) التاريخ اليهودى العام جـ١ ص ١٠ الطبعة الاولى سنة ١٩٧٥م (دار الجيل بيروت) .

ان ما قاله صابر طعيمة من أن العبريين الذين رحلوا من أرض العراق الى أرض كنعان في فترات متعاقبة لا يعتبر ابراهيم عليه السلام قائدا لهم ، ولا يمثلهم في كل ما يعملون من اعمال السطو والعدوان ، قول صحيح لأنّ الذين سبقوا ابراهيم بالهجرة بمئات السنين لا يمكن ابراهيم ان يكون قائدا لهم ولا ممثلا لاخلاقهم ، ألا ترى انه فارق ارض قومه وهاجر من عشيرته لما اختلفت عقيدته مع عقيدتهم . ولما كانت العقيدة هي الموجهة لسلوك الانسان واخلاقه ، كانت عقيدة الكلدانيين والاشوريين الذين من بينهم قوم ابراهيم عليه السلام ، هي التي صدرت منها الاخلاق المنحرفة والسلوك الطائش وما ذلك الا لأنّ عقيدتهم منحرفة . وأما ابراهيم عليه السلام فهو في معزل عن عقيدة القوم وسلوكهم واخلاقهم ، فهو مهاجر الى ربه لا الى الكلأ والمراعي الخصبة والملذات الدنيوية . وأما هم فقد رحلوا طلبا للرزق أيا كان مصدره ، بالنهب أو بالكسب ، هذا هو الفرق بين عبور ابراهيم العبرى لتلك الاراضى ، وعبور بقية العبرانيين الذين سبقوه او جاءوا بعده .

٢ - بنو اسرائيل أو الاسرائيليون :

ان منشأ هذه الكلمة كما تقول رواية سفر التكوين هو ان الرب هو الذى لقب يعقوب عليه السلام بهذا اللقب ، وذكرت الرواية ان ذلك كان في موضعين :

الموضع الاول : حينما قفل يعقوب راجعا الى ارض كنعان من ديار خاله لابان بعد مقامه الطويل بها ، اذ تزوج ابنتيه ، ليئة ، وراحيل ، ورزق منهما عددا من الأولاد ، كما كانت لديه قطعان من المواشى التى نالها أجرة على عمله راعيا عند لابان . وفي ليلة من الليالى التي كانت من ايام عودته حدث له ما يأتي :

" فبقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى انه لا يقدر

عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه . وقال : أطلقني لانّه قد طلع الفجر فقال : لا اطلقك ان لم تباركني . فقال له : ما أسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل اسرائيل : لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال : اخبرني باسمك فقال : لماذا تسألني عن اسمي ؟ وباركه هناك ، فدعى يعقوب اسم المكان : فنيئيل . قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي" (١) .

الموضع الثاني : ، عندما كان يعقوب في موضع يسمى "بيت ايل" حينما ظهر له الرب كما تقول الرواية وباركه قائلا : " لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسرائيل فدعا اسمه اسرائيل" (٢) .

هذان النصان يدلان بوضوح على ان منشأ هذه الكلمة "اسرائيل" هو الاطلاق الالهى وان يعقوب هو الذى اطلق عليه هذا اللقب بعد ان كان معروفا باسمه يعقوب حينا من الدهر .

ومع ان النصين يدلان على ان يعقوب ينبغى ان لا يدعى بعد الحادثة الاولى وبعد الحادثة الثانية يعقوب بل اسرائيل ، فان الاسرائيليين ظلوا يطلقون على أبيهم اسم يعقوب أيضا بجانب لقبه الجديد . وقد كانوا في شأن اسم ابراهيم وزوجته سارة اكثر استجابة للأمر الالهى ، فانهم لم يسموا ابراهيم أبرام ولا سارة ساراى بعد ان اعطيا الاسمين الجديدين ، و هذا ظاهر من نصوص سفر التكوين .

وأما معنى هذه الكلمة ، فهو على ما ذهب اليه اهل الكتاب من اليهود والنصارى : مصارع الله أو غالب الاله" (٣)

---

(١) تكوين ٣٢ : ٢٤-٣٠ (٢) تكوين ٣٥ : ١٠

(٣) انظر تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٨ ص ١٣ والتطور التاريخي لبنى اسرائيل تاليف عماد عبد الحميد النجار ص ٢٤ واليهود بين الدين والتاريخ تاليف صابر عبد الرحمن طعيمة ص ٧٠ - ٧٤

وكلمة " اسرائيل " مركبة من كلمتي " اسر " و " ايل " . واما كلمة " اسر " فمعناها القوة والغلبة كما ذكر الباحثون . وفي القاموس المحيط ؛ الأسر الشد والعصب وشدة الخلق والخلق . وأما كلمة " ايل " فمعناها الاله او الله . وعلى هذا دلت نصوص العهد القديم والعهد الجديد .

ومن استعمالها في العهد القديم "بيت ايل " و " فنوئيل " الأول ؛ بمعنى بيت الله . والثاني ، بمعنى وجه الله . وهما اسما موضعين . وكذلك جاء في اسماء الاشخاص مثل هذا مثل اسماعيل اى يشمع ايل بمعنى الله يسمع . واسرائيل بمعنى قوة الله ، وفي العهد الجديد جاء في قصة المصلوب الذى يزعم اهل الكتاب انه المسيح قوله وهو على الصليب "ايلى ايلى لما شبقتنى ؟ أى الهى الهى لماذا تركتنى" (١)

والقرآن الكريم اقر هذين الاسمين ليعقوب عليه السلام ، اذ ذكره كثيرا باسمه يعقوب ، وذكره باسمه اسرائيل مرتين ، وخاطب ذريته بـ (يا بنى اسرائيل) كثيرا ، ولم يخاطبهم بـ (يا بنى يعقوب) ولعل ذلك يرجع الى ما يرمز اليه اسم اسرائيل من معنى حسن .

وأما التفسير الاسلامي لهذه الكلمة فيدل على ان معناها : عبدالله أو صفوة الله (٢) أى ان المفسرين يرون ان كلمة "اسر" لا تدل على ماذهب الى قوله اهل الكتاب ، وأما الكلمة الثانية فهى كما ترى موضع اتفاق بين المسلمين واهل الكتاب ، اذ لا يختلفون في دلالتها على الله تعالى .

وتفسير اهل الكتاب مستبعد ، لأن هذه الكلمة لو كانت دالة على ذلك المعنى الفاسد الذى لا يليق بمقام الألوهية لما استعملها القرآن الكريم في عديد من سوره واياته ، فان الله عز وجل لا يقر عباده على المعاني الفاسدة

---

(١) متى ٢٧ : ٤٦ وانظر مرقس ٣٤

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ١ ص ٨٢ وفتح القدير للشوكاني جـ١ ص ٧٣-٨٤ وتفسير ابى السعود جـ ١ ص ٧٥ وتفسير النيسابورى جـ١ ص ٢٩٣ .

والاعتقاد الخاطئ ،وخاصة هذا المعنى القبيح الذى دل عليه نص سفر التكوين الاول . ولمحو مثل هذا الفساد وتطهير الاعتقاد عن الزيغ والالحاد ، بعث الله الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فكيف يبقى القرآن الكريم على هذا اللقب ويورده اكثر من اسم يعقوب لو كان دالا على ذلك المعنى ؟ فثبت بحمد الله تعالى أنه لا يدل على ما يقدح في الدين .

وعلى هذا تكون كلمة اسرائيل دالة على ذرية يعقوب عليه السلام سواء كانوا من يدين باليهودية او النصرانية أو الاسلام .

٣ - يهود أو يهودى :

اختلفت اقوال العلماء في معنى كلمة يهود في اصل وضعها ،وان كانوا متفقين في ان المراد باليهود من حيث الاصطلاح ، هم الذين يدعون انهم اتباع موسى عليه السلام .

وعلى هذا دل القرآن الكريم حيث وردت فيه هذه الكلمة ومشتقاتها في اثنين وعشرين موضعا منه اشتملت عليها عشر من سوره (١) .

قال ابن كثير رحمه الله :" واليهود من الهوادة ،وهى المودة . أو التهود ،وهى التوبة . كقول موسى عليه السلام : (انا هدنا اليك) أى تبنا فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض . وقيل لنسبتهم الى يهوذا اكبر اولاد يعقوب . وقال ابو عمرو بن العلاء : لأنهم يتهودون أى يتحركون عند قراءة التوراة "(٢) .

وقال ابو السعود : " هادوا أى تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية . ويهود اما عربي من هاد اذا تاب . سموا بذلك حين تابوا من

---

(١) انظر ١ - سورة البقرة ٦٢ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٤٠ - ٢ - وآل عمران ٦٧ - ٣ - والنساء ٤٦ ، ١٦٠ - ٤ - والمائدة ١٨ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٨٢ - ٥ - والانعام ١٤٦ - ٦ - والاعراف ١٥٦ - ٧ - والتوبة ٣٠ - ٨ - والنحل ١١٨ - ٩ - والحج ١٧ - ١٠ - والجمعة ٦٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٠٣

عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة . واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر أولاد يعقوب(١) عليه الصلاة والسلام"(٢) .

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي : " (والذين هادوا) أى تهودوا . يقال : هاد يهود ، وتهود اذا دخل في اليهودية . وهو هائد ، والجمع هود . وهم أمة موسى عليه السلام . وانما لزمهم هذا الاسم ، لأن الاسرائيليين الذين رجعوا من جلاء سبعين سنة ، ومن سبى بابل الى وطنهم القديم ، كان اكثرهم من نسل يهوذا بن يعقوب (بالذال المعجمة) فقلبتها العرب دالا مهملة"(٣) . وهذا المعنى هو الذى تميل اليه النفس وتؤيده الأدلة التاريخية . وأيا كان المأخذ الذى أخذ منه لفظ يهود ، فانه يدل على الذين يدعون أنهم اتباع موسى عليه السلام. أى ان دلالة هذه الكلمة على اتباع الملة الموسوية ، واضحة . واذا اطلقت كلمة يهودية أو يهودى أو يهود ، فانها تعنى الديانة المسماة باليهودية ومن يدين بها من الناس . وليست لها أية دلالة عرقية او قومية .

فهنا يتجلى الفرق بين كلمتى اسرائيلى ويهودى ، فالاسرائيلى هو من ينتسب الى اسرائيل (يعقوب) بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام من ذريته . وأما اليهودى فهو من ينتسب الى اليهودية و هي الديانة التي عرفت بهذا الاسم بعد موسى . وجاء في كتاب الصهيونية العالمية واسرائيل :" أما تسميتهم (اليهود) فانها احدث من ذلك بكثير ، ترجع الى الوقت الذى نجح فيه داود وسليمان - وأبناؤهما في اقامة مملكة في فلسطين حوالى سنة الف قبل الميلاد وما بعدها . ولما كانت هذه الاسرة الحاكمة تنتمى الى قبيلة من العبريين تدعى سبط يهوذا ، فقد نسبوا اليها الرعية كلها واصبحوا يسمون اليهود "(٤)

---

(١) ماذكره ابو السعود من ان يهود اكبر اولاد يعقوب مخالف لما هو معروف في اسفار اليهود لأن يهوذا هو الابن الرابع لابناء يعقوب ورآوبين هو الابن الاكبر . تكوين ٢٩ : ٣١-٣٥

(٢) تفسير ابى السعود جـ١ ص ٨٥-٨٦ (٣) تفسير القاسمي جـ٢ص١٤٣

(٤) تأليف د .حسن ظاظا ود . عائشة راتب و د . محمد فتح الله الخطيب . وطبعته الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية بالقاهرة عام١٩٧١م ص ٢٠

وجاء في كتاب : (اليهودية بين المسيحية والاسلام " : اليهود كلمة أعم من كلمة بنى اسرائيل لأن الاولى تطلق على كل من تهود أو صار يهوديا ، سواء اكان من نسل (يهوذا) رابع ابناء يعقوب ، أم من نسل العرب او الفرس او الروم اوغيرهم ، ويؤيد هذا ما ذكره (ربلى) في كتابه (أجناس أوربة) من أن تسعة اعشار يهود العالم لا ينتمون الى اليهود الأولين بأى نسبة ، وان القول بنقاء الدم اليهودى حديث خرافة . فاليهودية دين ، وليست جنسا ، اعتنقها على مر العصور أشتات من البشر تباينوا في اللون والسحنة والملامح ينتمون الى اجناس مختلفة وشعوب عدة "(١) .

وبين اليهودى والاسرائيلى عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان فيمن كان اسرائيليا في نسبه يهوديا في دينه ، ويفترق اليهودى من غير بنى اسرائيل وهم يهود الأمم ، والاسرائيلى الذى ليس يهوديا ، مثل من كان قبل مبعث موسى من بنى اسرائيل . ولا شك في أن ابناء يعقوب لم يكونوا يهودا ، لأن اليهودية نشأت بعد نزول التوراة بزمن طويل . ولذلك رد الله على اليهود والنصارى الذين زعموا ان ابراهيم منهم بقوله : " يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون "(٢) . أى ان هاتين الملتين والتسمية بهما انما نشأت بعد نزول التوراة والانجيل ، وابراهيم عاش قبل ذلك بقرون فكيف تزعمون ان ابراهيم يهودى أو نصرانى ؟

يقول عبد المسيح البيراوى : " .. فاليهود هم معتنقوا الدين اليهودى ، واتباع الشريعة الموسوية أيا كانت اجناسهم وجنسياتهم ، وأنى كانت اوطانهم ومنازحهم . وقد عرف اليهود بالعبرانيين ابتداء ثم لقبوا بالاسرائيليين ، ثم عرفوا اخيرا باليهود "(٣)

---

(١) تاليف خلف محمد الحسينى طبعة المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة عام ١٩٦٤ ص ١٢

(٢) آل عمران ٦٧

(٣) الصهيونية بين الدين والسياسة . طبعته الهيئة المصرية العامة عام ١٩٧٧ م ص ١٠

ويقول عفيف عبد الفتاح طبارة: " ويقال لهم (هود) و(هادوا) وقد تغلبت كلمة (يهود) عليهم وأصلها (يهوذا) وهم سبط من أسباط بنى اسرائيل سموا بهذا الاسم تمييزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا (اسرائيل) الى ان تشتت الاسباط وأسر يهوذا فمن ثم دعى جميع نسل يعقوب (يهودا) ويهوذا جد هذا السبط وهو رابع أولاد يعقوب ،ومعنى هاد ، يهود ،هوذا ،وتهود : تاب ورجع الى الحق : وفي القرآن (انا هدنا اليك) أى تبنا وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أى تابوا" (١) .

٤ - الصهيونيون أو الصهاينة :

الصهيونيون او الصهاينة اسم يطلق على الدولة اليهودية القائمة على أرض فلسطين في عصرنا هذا منذ عام ١٩٤٨م بعد أن طردت اهلها من منازلهم وأراضيهم ظلما وعدوانا ،ويطلق على كل يهودى يدافع عن هذه الدولة في أى بقعة كان ، ولو لم يرأرض فلسطين الا في حلمه وأمانيه المريضة من النيل الى الفرات .

والصهيونية نسبة الى جبل بأرض فلسطين يعتبره اليهود المعاصرون جبلا مقدسا وهو احد الجبال التي بنيت عليها مدينة القدس ، وعليه بنى سليمان هيكله .

وقال خلف محمد الحسينى : " وأما الصهيونية ، فهى منسوبة الى صهيون وهو احد تلال القدس ،وهم طائفة من اليهود يسعون لتحقيق فكرة عودة اليهود الى فلسطين ليقيموا فيها مركزا روحيا ،أو دولة تجمع شملهم" (٢) .

ويقول عبد الحميد بن ابي زيان بن شنهو : " جبل صهيون كائن في أورشليم بنى عليه سليمان الهيكل وفيه المسجد الاقصى والصخرة ، لعل اللفظ عربي مشتق من الصهوة اى الربوة او قمة الجبل على وزن فعلون ، فيه صفة المبالغة كما هو معروف عند العرب في بعض الألفاظ كرحمون وسعدون وحمدون ..." (٣)

---

(١) اليهود في القرآن ص ١٥-١٦ طبعته دار العلم للملايين طبعة رابعة بيروت ١٩٧٤م
(٢) اليهودية بين المسيحية والاسلام ص ١٢ طبع بمطبعة مصر سنة ١٩٦٤م
(٣) اصول الصهيونية وامالها ص ١١٠ طبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر
(٤) موئسس الحركة الصهيونية هو (هرتزل) .

وبهذه النصوص يتضح لنا معنى الصهيونية والصهيونيين ، فالصهيونية مزيج من العنصرية والسياسة في قالب ديني مقدس .

يقول عبد السميع الهراوى : " تنسب الصهيونية " الى جبل صهيون بفلسطين ،وهو احد جبال اربعة اقيمت عليها مدينة أورشليم العاصمة الروحية لليهود ، وقد أضفت التوراة هالة من القداسة على جبل صهيون خاصة ففيه يقيم " يهوه " اله اليهود فيما يزعمون ، وفي رحابه يظهر المسيح المخلص الذى ينتظره اليهود بشيرا بغفران الله وتوبته عليهم ،وخلاصهم مما يقاسونه من بأس واعنات بعد تطهرهم من ادران الموبقات والمعاصى التى ظلوا عليها عاكفين لآماد طوال . ومن ثم فقد استطارت شهرة صهيون ، وسمت مكانته لدى اليهود ، حتى غدا رمزا لمنطقة أورشليم المقدسة . والصهيونية ،مذهب ديني استعمارى متطرف يتمذهب به غلاة اليهود ، فحواها السيطرة السياسية الجائحة ،والغرور العنصرى الغشوم والتعصب الديني الجامح ، قد شطبها التعصب حتى جاوزت كل خيال في الجموح والغلو ، فهى ترمى الى تقويض النظم السياسية للمجتمع الدولي بأسره ، واخضاعه لنير اليهود وحكم آل داود المباشر ،واصطناع شعوبه رقيقا منكر الانسانية مغموط الحقوق ، ثم بسط السلطان الروحي للدين اليهودى على شعوب الأرض طرا من دون سائر الأديان ، سماوية كانت أم وضعية ،وسبيلها الى اهدافها ، البطش الدموى والارهاب الفكرى والاجتماعى واهدار القيم الانسانية جميعا" (١) .

وبهذا يتكون لدى القارئ تصور لمعنى الكلمات السالفة وهي الكلمات التي اطلقت على هذا الجنس من البشر فأولها عبرى ، ثم اسرائيلى ،ثم يهودى ، وصهيونى في هذا العصر الذى نحن فيه . فالعبرى نسبة

---

(١) الصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٥ .

الى العبور لعبورهم من موضع الى موضع . والاسرائيلى نسبة الى اسرائيل أبيهم وهو يعقوب عليه السلام ، واليهودى نسبة الى الديانة اليهودية التي جاء بأصلها الصحيح موسى أوهى منسوبة الى يهوذا ابن يعقوب لتكون مجموعة العائدين من الأسر من سبط يهودا ، والصهيونى نسبة الى جبل صهيون بالقدس في الأصل ، ولكن الكلمة تعنى في الوقت الحاضر التعنت العنصرى السياسى تحت مظلة التوراة المحرفة .

المبحث الثانـــــي

تاريخ بنى اسرائيل قبل دخولهم أرض مصـــر

لما كان تاريخ الآباء يؤثر في تاريخ الابناء/ غالبا، اقتضى سير البحث أن يسبق ذلك المبحث الخاص ببني اسرائيل بمبحث يوضح تاريخ آبائهم الذين يرى الأبناء انهم يسيرون في ركبهم وعلى منوالهم . وقد اتضح لنا فـــي المبحث السابق من هم آباء بنى اسرائيل ؟ كما عرفنا من اسرائيل الذى ينتسب اليه القوم وما معناه . ومن اولاده الذين يدعون بنى اسرائيل .

أول عمل نسب الى بنى يعقوب في حياة أبيهم هو أن اثنين منهم وهما شمعون الابن الثاني من أبناء ليئة ،ولاوى ،الابن الثالث من اولادها ،قد دخلا مدينة وقتلوا كل ذكر من اهلها بعد ان احتالوا على اهلها الذين طلبوا ان يصاهروا بنى اسرائيل بأن اشترطوا عليهم الختان الجماعي ، فان فعلوا ذلك وافقوا على مصاهرتهم وزوجوهم أختهم دينة التى تعلق بها أحد أبناء تلك المدينة بعد ان عاشرها ، فلما وافق القوم على شرطهم ، فاختتن كل ذكر منهم ، أتى شمعون ولاوى في اليوم الثالث من ختانهم وهم يتوجعون من أثره فقضيا على كل ذكر في المدينة ونهبا الاموال مع بقية الأخوة وأسروا الاطفال والنساء واخذوا شقيقتهما دينة من القوم ، ولكن يعقوب لم يفرح بعملهم هذا خشيـــة أن يثير ذلك عليه عداوة اهل كنعان وكراهتهم له ،وهو امر لا قبل له به .

واليك نص ما جاء في ذلك من سفر التكوين :" وخرجت دينة ابنـــة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض . فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها (١) . وتعلقت نفسه بدينة ابنـــة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة (٢) فكلم شكيم حمور أباه قائلا : خذ لي هذه الصبية

---

(١) في التوراة السامرية " وافتضها " عوضا من قوله وأذلها
(٢) في السامرية " واستمال قلب الفتاة "

زوجة ... فخرج حمور أبو شكيم الى يعقوب ليتكلم معه . وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا .. وتكلم حمور معهم قائلا : ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم اعطوه اياها زوجة وصاهرونا تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا ، وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها . ثم قال شكيم لأبيها واخوتها دعوني أجد نعمة في اعينكم فالذي تقولون لي أعطي . كثروا علي جدا مهرا وعطية فأعطي كما تقولون لي وأعطوني الفتاة زوجة . فأجاب بنو يعقوب شكيم حمور أباه بمكر وتكلموا لأنه قد نجس دينة اختهم . فقالوا لهما لا نستطيع ان نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلف لأنه عار علينا غير أننا بهذا نواتيكم ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا وان لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي ، فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم بن حمور. ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر لأنه كان مسرورا بابنة يعقوب وكان اكرم جميع بيت أبيه . فأتى حمور وشكيم ابنه الى باب مدينتهما وكلما أهل مدينتهما قائلين : هؤلاء القوم مسالمون لنا فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا . غير انه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا لنصير شعبا واحدا بختننا كل ذكر كما هم مختونون ... واختتن كل ذكر كل الخارجين من باب المدينة ، فحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة ... غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت فقال يعقوب لشمعون ولاوي كدرتماني بتكريهكما اياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين . وانا نفر قليل فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي فقالا : أنظير زانية يفعل بأختنا"(١)

---

(١) تكوين ٣٤ : ١-٣١

اذا قارن الباحث بين هذا النص ، وبين ما سبق عرضه من قصة يعقوب وزواجه بابنة خاله لابان بعد ان أقام عنده سبع سنوات ، وما جاء عقب ذلك من أنه قفل راجعا من حاران بعد أن أقام بها عشرين سنة ، يستخلص من هذه المقارنة ان اكبر ابناء يعقوب لم يتجاوز اثنتى عشرة سنة عند هذه الحادثة ! واذا عرفنا ان شمعون هو الابن الثاني ولاوى هو الابن الثالث من ابناء يعقوب وأنه تزوج أمهما بعد سبع سنوات من مقامه في حاران ، وافترضنا أنها ولدت بكرها رأوبين في السنة الثامنة يكون شمعون ولد في تمام السنة التاسعة اذا كانت الولادة تتم في كل سنة ويكون لاوى مولودا في تمام السنة العاشرة فعليه فان شمعون يبلغ عمره أحد عشر عاما ولاوى يبلغ عشر سنوات عندما خرج يعقوب من فدان أرام عائدا الى أرض كنعان . واذا افترضنا ان يعقوب تأخر في طريق عودته سنة أو سنتين لسيره مع المواشى والنساء والاطفال سيرا بطيئا ، فان شمعون لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ولاوى لا يتجاوز الثانية عشرة ، وبقية ابناء يعقوب اصغر منهما بلا شك ، فكيف استطاع الاخوان شمعون ولاوى ان يقوما بما نسب اليهما من قتل وأسر ونهب ؟! ان هذا لقول في غاية البعد . هذا جانب .

ومن جانب آخر ، على فرض وقوع هذه الحادثة ، كيف يمكن ان يكون جرح الختان سببا يحول بين القوم وبين الدفاع عن أنفسهم أمام غلامين لم يبلغا الحلم ؟ فالتاريخ يحدثنا دائما عن أبطال يحاربون وقد قطعت احدى اطرافهم الأربعة أو جلها ، فكيف برجال لم يقطع منهم سوى قشرة من جسمهم لا تأثير لها على قدرة الانسان وحركاته وخاصة امام مثل هذا الخطر الجسيم الذى عرضهم للفناء ؟!

ولو فرضنا جدلا ان ذلك العجز ممكن من الرجال ، لكان نساء المدينة قادرات على الدفاع عن المدينة ولو بالعصى ، فكيف يتركن رجالهن يقتلون على

يد الغلامين حتى لا يبقى من اهل تلك المدينة رجل ثم يقعن في أسر الغلامين مع اطفال مدينتهن الايتام ؟!

ثم ان أولئك القوم كيف يتركون عاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها على مر العصور فيتقبلون امر الختان من غير ان يتخلف منهم أحد ؟ وهذا بعيد أيضا .

وأمر آخر هو أن ابنة يعقوب تلك كم كان عمرها عند تلك الحادثة ؟ كان ميلاد دينة بعد ميلاد ستة من أبناء ليئة وهي السابعة في سلسلة ولادتها . وقد سبق أن ليئة توقفت عن الولادة فترة طويلة ، ولد ليعقوب خلالها ابنان من بلهة جارية راحيل ، ثم ولد له ابنان آخران من زلفة جارية ليئة . ثم رجعت الى الولادة فولدت يساكر وزبولون ثم ولدت دينة وهي آخر أولادها .

فاذا قدرنا ان ليئة ولدت أولادها الأربعة الاوائل خلال اربع سنين ثم توقفت عن الولادة خمس سنين تقريبا ، ثم ولدت يساكر وزبولون ودينة خلال ثلاث سنين . وعلمنا أن يعقوب تزوجها بعد ان خدم خاله سبع سنين ، وأنه رحل بأهله من فدان أرام بعد أن أقام بها عشرين سنة ، تكون دينة هذه قد ولدت في السنة الأخيرة من مقام يعقوب في أرض أرام وأنها تكون عند الحادثة المذكورة بنت سنتين او ثلاث سنين ، فكيف يقع ما ذكر لتلك الطفلة الصغيرة التي ربما تكون في سن الرضاع ؟ وهذا يدل أيضا على بعد وقوع هذه الحادثة .

ويضاف الى هذه الأمور السابقة التي تدل على عدم صحة وقوع تلك الحادثة أن يعقوب عليه السلام نبي من انبياء الله تعالى فمن غير اللائق ان يسكت على هذا الظلم الفاحش من قتل الأبرياء ونهب اموالهم بالباطل واستعباد أطفالهم ونسائهم ،والأنبياء لا يرتضون الظلم من أحد لأحد فكيف يقبل يعقوب هذا

الظلم الفاحش والعدوان المبين من أولاده ،بحيث لم يزد ان قال لولديه " كدرتماني بتكريهكما اياى عند سكان الارض الكنعانيين والفرزيين وأنا نفر قليل فيجتمعون على ويضربونني فأبيد أنا وبيتى ". أى انه يخاف من الناس أن يعاقبوه على ما جنى ولداه من جرائم. وأما الخوف من الله تعالى فلا أثر له في الرواية . ثم ان هذه الرواية دلت على ان ابنة يعقوب هي التي ذهبت من بيت اهلها الى مدينة القوم، فعلم يعقوب بالامر بعد وقوعه ولم يقل شيئا ، وحينما جاء شكيم وحمور يخطبان ابنة يعقوب كانت هي في بيت شكيم ولم تعد لاهلها ، ولم يقل يعقوب شيئا للرجلين عن ابنته مع ما حصل لها من شكيم من معاشرتها . وهذا امر لا يمكن ان يسكت عليه نبي ، وهو دليل آخر على أن القصة موضوعة مكذوبة .

ويبدو ان الغرض من وضع هذا الباطل تأصيل النزعة العدوانية في نفوس بني اسرائيل وايجاد دليل يحتجون به كلما بغوا على من حولهم من الامم قتلا ونهبا واستباحة للحرمات . فمن أجل ذلك يقولون كلما أفسدوا في الارض وبغوا على أهلها " ليس علينا في الاميين سبيل " كما حكى الله تعالى عنهم ومن أصدق من الله حديثا .

ثم تحدث سفر التكوين أن يعقوب واصل رحلة العودة الى حيث أبوه اسحق عليه السلام . فلما وصل الى موضع يدعى " مجدل عدر" ضاجع رأوبين بلهة سرية أبيه (١) التي ولدت له دان ،ونفتالى ،وسمع بذلك أبوه ولم تذكر الرواية هل قال يعقوب شيئا أو لم يقل " وحدث اذ كان اسرائيل ساكنا في تلك الارض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع اسرائيل" (٢) .

---

(١) قال ابن حزم رحمه الله وهو يعلق على ماذكر من زنا رأوبين بامرأة أبيه وكذلك قصة ابنته دينة مع شكيم : " معاذ الله ان يخذل الله نبيه ولا يعصمه في حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ثم لا ينكر ذلك باكثر من التعزير الضعيف فقط " الفصل ج ١ ص ١٤٣ يريد بالتعزير الضعيف قول يعقوب لابنه في مصر: " رأوبين انت بكرى قوتى واول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز فائرا كالماء لا تتفضل ،لانك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته على فراشي صعد " تكوين ٤٩ : ٣-٤

(٢) تكوين ٣٥ : ٢٢

ثم ذكر اولاد يعقوب الاثني عشر فقال : " وكان بنو يعقوب اثني عشر، بنو ليئة .رأوبين ، بكر يعقوب ، وشمعون ،ولاوى ،ويهوذا ،ويساكر ،وزبولون ، وابنا راحيل يوسف ،وبنيامين ، وابنا بلهة ،جارية راحيل ،دان ،ونفتالى ، وابنا زلفة ،جارية ليئة ،جاد ،وأشير . هؤلاء بنويعقوب الذين ولدوا له فى فدان أرام "(١) .

واطلاق القول بأن هؤلاء الابناء الاثنى عشر ولدوا ليعقوب في فدان أرام غير مستقيم ، لأنه جاء قبل هذا النص قوله : " ثم رحلوا من بيت (٢) ايل ولما كان مسافة (٣) من الارض بعد حتى يأتوا الى أفراته (٤) ،ولدت راحيل وتعسرت ولادتها ،وحدث حين تعسرت ولادتها ان القابلة قالت لا تخافي لأن هذا ايضا ابن لك . وكان عند خروج نفسها ـ لأنها ماتت ـ أنها دعت اسمه ابن أونى (٥) . وأما ابوه فدعاه بنيامين "(٦) .

قال ابن حزم رحمه الله :" هذا كذب ظاهر لأنه ذكر قبل ان بنيامين لم يو يولد ليعقوب الا باقراشا (٧) بقرب بيت لحم على أربعة اميال من بيت المقدس بعد رحيله من فدان أرام بدهر ،والله تعالى لا يتعمد الكذب ،ولا ينسى هذا النسيان" (٨) .

وفيما سبق عرضه من النصوص اتضح ان ليعقوب ابنةً اسمها (دينة) صاحبة القصة ،ولا يوجد ذكر لها هنا في أولاده الاثنى عشر وقد ذكرت في جملة ابناء يعقوب الذين رحلوا الى مصر مع ابيهم لملاقاة يوسف فيها (٩) ولم يذكر لها عقب مع ما ذكر لاخوتها من ابناء وبنات . واذا عدت دينة مع اولاد يعقوب يكون عددهم ثلاثه عشرة نفسا .

---

(١) تكوين ٣٥ : ٢٢-٢٦ (٢) في النسخة السامرية "بيت القادر"
(٣) في السامرية "نحو فرسخ" (٤) في السامرية : "افرثه"
(٥) في السامرية : "ابن حزنى" (٦) تكوين ٣٥ : ١٦-١٨ وفي السامرية "بنيميم"
(٧) افراشا كما في قول ابن حزم وافراته كما في النسخة العبرية . وافرثه كما في السامرية بالثاء المثلثة لا المثناة وفي السنن القويم : "أفراثه" أى مخصية واسمها بيت لحم ايضا "جـ١ ص ١١٨ وذكر ابن حزم أنها قريبة من بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس " ولعل ابن حزم اطلع على نسخة تختلف عن هاتين النسختين المختلفتين أيضا .
(٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ ص ١٤٣ (٩) تكوين ٤٦ : ١٥

قصة يوسف وأخوته كما في سفر التكوين :

يحكي سفر التكوين أن يعقوب كان يحب يوسف ويفضله على ابنائه لانّه ولد له على كبر سنه ،وأن يوسف أتى الى أبيه بتميمة اخوته الرديئة ، ولما أدرك اخوته ان أباهم يحبه اكثر منهم كرهوه حتى لم يطيقوا أن يكلموه من شدة البغض . فبينما هم كذلك اذ رأى يوسف في المنام أنه واخوته حزموا جزما في الحقل فقامت حزمته منتصبة ،فأحاطت حزمهم بحزمته فسجدت لها فقالوا له ألعلك تملك علينا أم تتسلط علينا ؟ فزادهم ذلك كراهية وبغضا (١) . ثم رأى في منامه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا يسجدون له فقص على اخوته فحسدوه ، وقص على أبيه فانتهره وقال له : ما هذا الحلم الذى حلمت هل نأتي أنا وأمك واخوتك لنسجد لك الى الارض(٢) .

وذات يوم أرسل يعقوب ابنه يوسف الى شكيم(٣) حيث يرعى أخوته ليطمئن على سلامتهم ،فذهب الى المكان ولم يجدهم ثم سأل عنهم وعلم أنهم في موضع يسمى " دوثان " فوجدهم هناك . فلما رأوه من بعيد ائتمروا به ليقتلوه ويلقوه في احدى الابار المهجورة ثم يقولون لابيه افترسه وحش ، فنهاهم عن ذلك رأوبين ،ونصحهم بأن يلقوه في البئر حيا ،وهو انما يريد أن ينقذه بهذا من القتل كما تقول الرواية ، فخلعوا عن يوسف قميصه وطرحوه في بئر فارغة فجلسوا للطعام فجاءت قافلة الاسماعيليين المتجهة الى مصر للتجارة ، فلما أبصروها ، قال يهوذا لا فائدة من قتل يوسف فهو اخونا ولحمنا ،فلنبعه الى الاسماعيليين ،فوافقوا على رأيه وقبل ان ينهضوا اذا برجال مديانيين من التجار قد سبقوهم الى حيث يوسف فأخرجوه من البئر وباعوه للاسماعيليين الذين أخذوه الى مصر فباعوه لفوطيفار رئيس شرطة فرعون . وأما اخوة يوسف فعمدوا

---

(١) تكوين ٣٧ : ١-٨ (٢) تكوين ٣٧ : ٩-١١

(٣) فى النسخة السامرية " نابلس "

الى تيس فذبحوه ،وغمسوا قميص يوسف في دمه ، فرجعوا به الى أبيهم ، فسألوه هل هذا قميص يوسف ؟ فتحقق يعقوب من قميصه ، فبكى وقد مزق ثيابه وأبى ان يقبل عزاء الناس فيه (١) .

وأما يوسف فقد أنزله سيده منزلا كريما لما رأى فيه من الخير وائتمنه حتى فوض اليه القيام على شؤون بيته وممتلكاته ،فبارك الله له في امواله على يده . ولما كان يوسف حسن الصورة جميل المنظر ،راودته امرأة سيده عن نفسه . فأبى ان يطيعها قائلا :" هوذا سيدى لا يعرف معي ما في البيت وكل ماله قد دفعه الى يدى ليس هو في هذا البيت أعظم مني ، ولم يمسك عني شيئا غيرك ،لأنك امرأته فكيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطىء الى الله ؟ "(٢) . ولكنها أعادت مراودته مرارا فأبى يوسف عليه السلام . وفي أحد الأيام كانت امرأة الرجل وحيدة في البيت اذ دخل يوسف الدار لبعض أعماله فتعلقت بثوبه تطلب منه ما كانت تطلبه دائما ، فترك الثوب في يدها وهرب ، ولما رأت شدة اعراضه عنها استصرخت أهل بيتها متظاهرة أنه حاول الاعتداء على حرمتها وأنه هرب بعد ان صرخت به تاركا ثوبه . ولما جاء زوجها أخبرته بمكرها مما أغضب عليه الرجل حتى وضعه في السجن فبقي في السجن زمنا . ولقد أحبه رئيس السجن حتى فوض اليه امر السجن (٣) . وبينما هو كذلك اذ وضع في السجن ساقي الملك ورئيس الخبازين فرأى الساقي في منامه كأن كرمة فيها ثلاثة قضبان أثمرت وأنضجت عناقيدها عنبا ،فأخذ العنب وعصره في كأس فرعون وأعطاه في يده . ففسر له يوسف انه سيخرج من سجنه ويعود الى عمله عند الملك . وطلب منه أن يذكره عند الملك ليخرجه من سجنه لأنه سرق من أرض العبرانيين وحبس من غير ذنب جناه .

---

(١) انظر تكوين ٣٧ : ١٢-٣٦ (٢) تكوين ٣٩ : ٨-٩

(٣) تكوين ٣٩ : ١٠-٢٠

وكذلك رأى رئيس الخبازين في منامه أنه يحمل على رأسه ثلاثة أطباق والطبق الاعلى منها ملىء بجميع اصناف الطعام الخاص بفرعون والطير تأكل منها وهي فوق رأسه . فعبر له يوسف أنه سوف يصلب خلال ثلاثة ايام فتأكل الطير لحمه . وبعد ثلاثة ايام كان عيد ميلاد فرعون فصنع فرعون وليمة ،فأخرج ساقيه واعاده الى عمله . وأما رئيس الخبازين فقد صلبه (١) .

وقد نسي رئيس السقاة ان يذكر يوسف بعد خروجه ولم يذكره الا بعد سنين حينما رأى فرعون روءيا لم يجد من يعبرها له من اهل مملكته . فقد رأى سبع بقرات سمان خرجت من النهر وارتعت في روضة . وخرجت وراءها سبع بقرات هزيلة قبيحة المنظر فأكلتهن جميعا . ورأى سبع سنابل حسنة ممتلئة وسبع سنابل ملفوحة تأتي وراءها فتبتلعها . فأخبر رئيس السقاة فرعون أن في السجن رجلا يحسن تعبير الروءيا فقص عليه من أمره ما كان فاخرجه فرعون فقص عليه روءياه فعبر له يوسف البقرات السمان والسنابل المليئة بسنوات الخصب والرخاء . والبقرات الهزيلة والسنابل الملفوحة بسنوات القحط التي تعقبها فنصحه أن يجعل على شوءون الارض واستغلالها في مصر رجلا بصيرا حكيما يأخذ من اهل مصر خمس غلتهم في سنى الشبع فيدخرها لسنى الجوع السبع . ففرح فرعون بتعبيره ونصحه فقال : "هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله .. بعدما اعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي الا ان الكرسي اكون فيه اعظم منك ... أنظر جعلتك على كل أرض مصر " انا فرعون فبدونك لا يرفع انسان يده ولا رجله في كل ارض مصر "(٢) .

ولما عين فرعون يوسف في هذا المنصب الرفيع في دولته ،زوجه ابنة احد الكهنة (٣)

---

(١) تكوين ٤٠-٢١-٢٢ (٢) تكوين ٤١ : ١ - ٤٤

(٣) في التوراة السامرية " امام الاسكندرية " وفي العبرية " كاهن أون ".

ودعا اسمه صفنات فعنيح (١) ، وكان يوسف يبلغ من العمر ثلاثين سنة (٢) حينما اخرجه فرعون من السجن ، كما كان ابن سبعة عشرعاما حينما القى فى البئر (٣) .

ثم جاءت سنوات الخصب السبعة فقام يوسف فيها بتخزين الطعام في خزانة الدولة استعدادا لمواجهة سنوات الجوع السبعة المقبلة . وفي سنوات الرخاء السبع ولد ليوسف ابنان ،اولهما سماه منسى لأن الله انساه تعبه وبيت أبيه ، والثاني أفرايم لأن الله أثمره في الأرض (٤) .

وأما حياة يعقوب وبنيه بعد غياب يوسف ،فلم يأت في سفر التكوين شيء في ذلك الا ما كان من أمر يهوذا احد ابناء يعقوب مع كنته ثامار التى مات عنها زوجها فبقيت أرملة وكانت عادتهم قد جرت أن الأخ / الباقي يتزوج امرأة أخيه المتوفى فتكون الذرية للمتوفى عوضا عن الأب الذى ولدت له . لذلك أمر يهوذا ابنه أونان أن يدخل على أرملة أخيه ليقيم له نسلا فدخل عليها غير انه لم يكن يحب ان يكون ولده لأخيه المتوفى ، فكان يعزل عنها ،فأماته الله من أجل ذلك . فبقيت المرأة كذلك حتى يكبر الأخ الصغير شيلة بن يهوذا ، فيتزوجها وأقامت في بيت أبيها . وذات يوم أقبل يهوذا الى الموضع الذى هي فيه لينظر جزازغنمه فعلمت بذلك فألقت ملابس الحداد ولبست لباسا آخر وتبرقعت حتى لا تعرف ،وتعرضت ليهوذا في الطريق ولما رآها

---

(١) فى النسخة السامرية :" دعا فرعون اسم يوسف كنز العلم " وقال في السنن القويم : " صفنات فعنيح : هاتان الكلمتان مصريتان معناهما على ماقال القانون كوك " طعام الحياة " أو " قوت الأحياء " وفسرها اخر " بمخلص العالم " والمعنى على التفسيرين ان يوسف كان علة قوت الأحياء او طعامهم وانقاذهم من الموت بما أتاه من خزن الحنطة الى زمن القحط" جـ ١ ص ٢٤٢

(٢) تكوين ٤١ : ٤٦ (٣) تكوين ٣٧ : ٢

(٤) تكوين ٤٢ : ٥٠-٥٢ ومنسى مأخوذ من النسيان وأفرايم مأخوذ من الوفرة والاثمار . انظر السنن القويم جـ١ ص ٢٤٤

لم يعرفها ،وظن انها امرأة زانية فراودها عن نفسها على ان يمنحها أجرتها جديا فاشترطت عليه ان يرهنها خاتمه وعصاه ،وعصابته حتى يأتيها بأجرتها فرهنها ذلك. ودخل عليها. ثم عادت فلبست لباس الحداد فلما أرسل يهوذا اجرتها لم يجدها الرسول ،ولما سأل عن المرأة الزانية الموجودة بالمكان ، قيل له ليست ههنا زانية . فحملت المرأة من تلك المضاجعة فبلغ يهوذا ان امرأة ابنه حامل من الزنا ، فطلب احضارها لتحرق ، ولما علمت بالأمر أرسلت الى يهوذا بخاتمه وعصاه وعصابته قائلة : " من الرجل الذى هذه له أنا حبلى ، وقالت حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه " فعلم يهوذا انه صاحب تلك الثمرة الخبيثة فترك اقامة الحد عليها فولدت تلك المرأة توأمين سمى احدهما فارص والآخر زارح (١) ولم يتحدث السفر بعد ذلك الا عن قصة يوسف هذه .

قال ابن حزم رحمه الله : " ففي هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة ،وكذب فاحش مفرط القبح . فأما العار فالذى ذكر عن يهوذا من طلبه الزنا بامرأة لقيها في الطريق على ان يعطيها جديا ، ثم جوره في الحكم عليها بالحرق ، فلما علم انه صاحب الخصلة أسقط الحكم عن نفسه وعنها"(٢)

وبعد ما مر نحو عشرين سنة على غياب يوسف عن أبيه ،دخلت سنوات المجاعة التى رآها فرعون في منامه ،فبلغ أثرها الى أرض كنعان حيث يقيم يعقوب وبنوه ،فأرسل يعقوب عشرة من بنيه الى مصر لشراء القمح ،فلما أتى القوم الى مصر ورآهم يوسف ، عرفهم و هم لم يعرفوه لأنه تنكر لهم ، فسجدوا له وتكلم معهم بغلظة وجفاء وسألهم فأخبروه انهم جاءوا لشراء الطعام من أرض كنعان فتذكر رؤياه القديمة ، فقال لهم ،انتم جواسيس فأنكروا ذلك مؤكدين انهم ما جاءوا الا لشراء الطعام لأهلهم ، وأنهم ابناء رجل واحد ،

---

(١) تكوين ٣٨ : ١-٣٠ (٢) الفصل جـ١ ص ١٤٦

وأن صغيرهم عند أبيهم ،وأحدهم مفقود فتظاهر يوسف بعدم تصديقهم، ثم أمر ان يذهب احدهم فيأتي بأخيهم الصغير ،وهم رهن الحبس حتى يفعلوا ذلك ،وحبسهم ثلاثة أيام ،ثم طلب منهم ان يتركوا واحدا منهم في الحبس ويعودوا الى أهلهم بالطعام ،ثم يأتون باخيهم والا فهم جواسيس يستحقون الموت (١) .

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فيما سبق ان فعلوا باخيهم يوسف وان هذه عقوبة من الله على ما فعلوا به اذ لم يسمعوا له وهو يسترحمهم ،ولما سمع يوسف كلامهم تحول عنهم فبكى ثم عاد وأخذ شمعون وقيده ، وهم ينظرون ،وأمر أن تملأ أوعيتهم بالطعام و توضع فضة كل واحد في وعائه فانصرفوا قافلين . وفي الطريق فتح احدهم عدله لاطعام حماره فوجد فضته قد ردت اليه ، فأخبر اخوته فخافوا ان يراد بهم سوء ، فلما وصلوا الى أرض كنعان أخبروا أباهم بما كان من أمرهم ولما فتحوا أوعيتهم وجد كل واحد منهم فضته في وعائه ، فزاد ذلك من خوفهم ،وخاف ابوهم أيضا ، فأبى ان يترك ابنه بنيامين ليذهبوا به الى مصر ،حتى لا يفقد ثلاثة من ابنائه ، ولكن رأوبين عاهد أباه ان يتولى رده اليه والا فليقتل يعقوب اثنين من أبنائه مكان ولده بنيامين فأبى يعقوب ان يرسل ولده معهم لمصير مجهول (٢) . ولكن المجاعة أخذت في الازدياد ، والطعام الذى جلبوه قد نفذ ، ولا يوجد طعام الا بمصر ، ولم يكن بد من الرجوع اليها ، فوافق يعقوب على ارساله بعدما ضمنه يهوذا . وأمرهم ان يحملوا للرجل هدايا ،والفضة التى أعيدت اليهم لاحتمال كونها اعيدت سهوا مع مبلغ آخر يحتاجون اليه لشراء الطعام. فصرفهم داعيا لهم بأن يعطف الله قلب الرجل عليهم (٣) . فلما وصلوا مصر استضافهم يوسف على الطعام وسأل عن ابيهم الشيخ الذى اخبروه ، ونظر

---

(١) تكوين ٤٢ : ١-٢٠ (٢) تكوين ٤٢ : ٢١-٢٨ (٣) تكوين ٤٣ : ١-١٤

الى بنيامين فاستعجل لقاءه وبكى منفردا ثم أمر ان تملأ اوعيتهم وتعاد كذلك فضتهم وأمر (١) بوضع طاسه الخاص في وعاء شقيقه الصغير ، فانصرفوا وهم لا يعلمون ولما خرجوا من المدينة أرسل وراءهم من يدركهم و يفتشهم ، ليقبض على من وجد الطاس في رحله ، فأنكروا ان يوجد فيهم من يسرق شيئا ففتشت رحالهم رحلا رحلا ،حتى وجدوا أخيرا في رجل بنيامين . فقالوا ليوسف نحن جميعا نستعبد لك فقال لهم: حاشا لي أن افعل/الا بمن سرق ، وهو بنيامين ،فأمرهم ان يعودوا الى أبيهم بسلام (٢) . فتقدم اليه يهوذا فاخبره كيف ان أباهم أخذ عليهم المواثيق ليعودوا به . وأن شقيقه قد مات من قبل و (ويعنون به يوسف) وأنهم ان رجعوا بدونه فان أباهم سيموت حزنا و فزعا . فعرض عليه نفسه عوضا عن بنيامين (٣) .

ولما انتهى يهوذا من كلامه ،أمر يوسف ان يخرج عنه كل من عداهم ، فعرف لهم نفسه ، وهو يبكي وصوته يسمع قائلا :" أنا يوسف أحي أبي بعد ؟" (٤) . فأخذ الرعب من اخوته مأخذا حتى لم يستطيعوا ان يجيبوه بشيء ولكنه طلب منهم ان يتقدموا نحوه قائلا :" أنا يوسف أخوكم الذى بعتموه الى مصر والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا ،لأنكم بعتموني الى هنا لانه لاستبقاء حياة ارسلني الله قدامكم لأن الجوع في الأرض الان سنتين وخمس سنين ايضا لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد . فقد ارسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض و ليستبقي لكم نجاة عظيمة . فالآن ليس أنتم أرسلتموني الى هنا بل الله وهو قد جعلني أبا لفرعون وسيدا لكل بيته و متسلطا على كل أرض مصر ، أسرعوا واصعدوا الى أبي وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف ، قد جعلني الله سيدا لكل مصر انزل الى لا تقف فتسكن في أرض جاسان ، وتكون قريبا مني أنت و بنوك وبنو بنيك و غنمك و بقرك و كل مالك "(٥) .

---

(١) تكوين ٤٣ : ١٥-٣٠ (٢) تكوين ٤٤ : ١-١٧

(٣) تكوين ٤٤ : ١٨-٣٤ (٤) تكوين ٤٥ : ١-٣ (٥) تكوين ٤٥ : ٤-١٠

ثم قبل يوسف اخاه بنيامين وبكى فبكى معه بنيامين ،ثم قبل سائر اخوته وبكى عليهم . ولما سمع فرعون خبر اخوة يوسف طلب من يوسف ان يستقدم أباه واخوته وجميع آل يعقوب وأموالهم للاقامة في أرض مصر ومنحهم عجلات يحملون عليها يعقوب وآل بيته وأعطاهم من الزاد ما يكفيهم للسفر والعودة مع الهدايا الخاصة بهم وبأبيهم ، ونصحهم ان لا يتنازعوا في الطريق . فلما وصلوا أرض كنعان ،بشروا أباهم بحياة يوسف وما هو فيه من النعيم والجاه ،ولم يصدقهم ،غير انه رأى العجلات التي معهم فصدقهم وفرح بحياة يوسف وتمنى ان يراه قبل أن يموت(١) .

---

(١) تكوين ٤٥ : ١٤-٢٨

قصة يوسف واخوته كما في القرآن الكريم :

ان قصة يوسف عليه السلام واخوته جاءت في القرآن الكريم في سورة سميت باسم سورة يوسف فهي قريبة مما جاء في سفر التكوين من حيث المعنى ، ولكنها بعيدة من حيث الاسلوب بعد المشرقين .

ذلك لأن القصص القرآني يقصد منه تقوية الايمان و تسلية المؤمن ، فمن أجل ذلك ترتبط كل آية من آياته بالدعوة الى الايمان والصبر على ما يصيب العبد في سبيله ارتباطا وثيقا . بينما تخلو الاسفار اليهودية عن هذا خلوا ظاهرا بحيث تعرض هذه القصص عرضا تاريخيا بحتا .

فاذا قارن المرء بين قصة يوسف في سفر اليهود و بين ما جاء منها في القرآن الكريم ، يجد أن اليهود لم يصيبوا وجه الحق فيها في عدة مواضع من أول القصة الى آخرها . ومن المفيد هنا الاشارة الموجزة الى تلك المواضع .

الوجه الاول : ان يوسف لم يكن أحب الى ابيه وحده كما في سفر التكوين ، بل يشاركه في ذلك أخوه ولعله بنيامين المذكور عندهم . قال الله تعالى حكاية عنهم : " اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين " (١) .

الوجه الثاني : ان يعقوب عليه السلام لم يرسل يوسف لينظر اخوته كما حكى اليهود . وانما أرسله معهم حينما طلبوا منه ذلك وألحوا في الطلب ، بسبب خوفه على يوسف منهم . قال تعالى : " قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون . أرسله معنا غدا نرتع و نلعب وانا له لحافظون . قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون " (٢) .

---

(١) سورة يوسف ٨

(٢) سورة يوسف ١١-١٣

الوجه الثالث : أن اخوة يوسف جاءوا الى أبيهم ليلا وهم يبكون ولم يقولوا لأبيه تحقق هل هذا قميص يوسف أو لا ؟ بل جاءوه وهم يؤكدون له ان ابنه افترس . قال تعالى : " وجاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " (١) .

الوجه الرابع : ان يعقوب شك في صدقهم وقال لهم : " بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " (٢) .

الوجه الخامس : ان امرأة العزيز أغلقت أبواب بيتها فراودت يوسف عن نفسه فلما امتنع وهرب الى الباب سابقته للامساك به وقدت قميصه من دبر فكان ذلك دليل براءته عند سيدها قال تعالى : " وراودته التي هو في بيتها وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون " (٣) وقال : " واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم ، قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم " (٤) .

الوجه السادس : انتشار الخبر بين نسوة المدينة واتهامهن امرأة العزيز بالضلال المبين حتى عمدت المرأة الى دعوتهن الى بيتها ليشاهدن ما أفقدها الصواب من جمال يوسف ، وأعدت لهن مجلسا للطعام وأعطت كل واحدة منهن سكينا ثم أمرت يوسف بالخروج عليهن ليقعن فيما وقعت فيه من الهوى ،

---

(١) سورة يوسف ١٦-١٧ (٢) سورة يوسف ١٨ (٣) سورة يوسف ٢٣
(٤) سورة يوسف ٢٥ - ٢٨

ولما رأينه عظم حسنه وجماله في عيونهن حتى فقدن التوازن وغابت أحلامهن فأخذن يشققن أيديهن وهن ينظرن اليه . قال تعالى : " وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم . قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين" (١) .

الوجه السابع : ان امرأة العزيز حين توعدت يوسف بالسجن أو التعذيب ان لم يفعل ما تأمره به من الفاحشة ، اختار يوسف عليه السلام السجن راضيا مطمئنا عوضا عن الانقياد لأمرها " قال رب السجن أحب اليّ مما يدعونني اليه ، والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم " (٢) .

الوجه الثامن : ان يوسف دعا صاحبي السجن الى عبادة الله تعالى قبل ان يعبر رؤياهما بعد أن قصا عليه ما رأياه في المنام . وأخبرهما أنه من فضل الله تعالى عليه يستطيع ان يخبرهما ما سيكون قبل ان يكون فقال مخاطبا اياهما : " لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي . انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (٣)

---

(١) سورة يوسف ٣٠-٣٢ (٢) سورة يوسف ٣٣-٣٤ (٣) سورة يوسف ٣٧-٤٠

الوجه التاسع : ان يوسف لم يعبر الرؤيا أمام فرعون كما ذكر سفر التكوين بعد خروجه من السجن ولكنه عبر لرئيس السقاة الذى تذكره وجاء فطلب منه تعبير رؤيا الملك " وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويلـــه فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهــــن سبع عجاف . ." (١) الآية

الوجه العاشر : ان يوسف عليه السلام لم يخرج من السجن الا بعـــد اعلان براءته مع أن فرعون طلب حضوره اليه لتعبيره رؤياه : " وقال الملـك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم. قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين" (٢) .

الوجه الحادى عشر: ان يعقوب قد كف بصره بسبب بكائه وحزنه على يوسف : " وتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحـــزن فهو كظيم" (٣) .

الوجه الثاني عشر: ان يعقوب ما قطع رجاءه من حياة يوسف حتى ذلك العهد ولذلك قال لبنيه حينما أخبروه ان عزيز مصر استبقى أخاهم حتى يأتوه بأخيهم الصغير : " بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم " ولما عاتبوه على ذكره المستمر ليوسف حتى يشرف على الهلاك قال لهم : " انما أشكوا بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون . يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا مــن روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون " (٤) .

---

(١) سورة يوسف ٤٥-٤٦
(٢) سورة يوسف ٥٠-٥١
(٣) سورة يوسف ٨٤
(٤) سورة يوسف ٨٦-٨٧

الوجه الثالث عشر : ان يوسف ارسل لابيه قميصه وأمر اخوته أن يلقوه على وجهه ليبصر : " اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين " (١)

الوجه الرابع عشر : ان يعقوب وجد ريح يوسف قبل وصول بنيه الى أرض كنعان " ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون . قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم . فلما أن جاء البشير ألقاه على وجه أبيه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون" (٢)

الوجه الخامس عشر : أن يوسف أعلمه الله حينما ألقوه في البئر بأنه سيخبر اخوته بما فعلوا به وهم لا يعلمون " فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون" (٣)

الوجه السادس عشر : وهو الأخير ، أن القرآن دل على أن أم يوسف لم تمت حتى حين دخول آل أبيه مصر وان كان سفر التكوين يروى أنها ماتت عند ولادة بنيامين وقبل عودة يعقوب الى بئر سبع . قال تعالى : " فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا" (٤)

وهذه الرؤيا مذكورة في القرآن كما هي في سفر التكوين . ومما يدل على حياة أم يوسف من سفر التكوين تعبير يعقوب رؤيا ابنه يوسف قائلا : " هل نأتى أنا وأمك واخوتك لنسجد لك الى الأرض" وهذا دليل على أنها لم تزل تعيش حتى ذلك الوقت والا لما استقام أن يعبر يعقوب بذلك.

---

(١) سورة يوسف ٩٣
(٢) سورة يوسف ٩٤-٩٦
(٣) سورة يوسف ١٥
(٤) سورة يوسف ٩٩-١٠٠

ومن هذه الوجوه نعلم أن أسفار اليهود لا يمكن الاعتماد عليها فيما تنقلها من الأحداث التاريخية لأن فيها زيادات ونقصانا . وذلك دليل واضح على أنها ليست من عند الله تبارك وتعالى على ما هي عليه ، وليست هذه الوجوه المذكورة كل وجوه الاختلاف بل هي بعض وجوه الاختلاف في هذه القصة . فقد تركتها خشية الاطالة . وما أراني الا قد أطلت.

وبعد فهذه قصة يوسف واخوته وهي قصة بني اسرائيل ، وبداية أمرهم وهي التي مهدت السبيل لاقامة بني اسرائيل في أرض مصر من عهد يوسف الصديق عليه السلام الى عهد موسى الكليم عليه الصلاة والسلام . ولهذا السبب أسهبت في عرض هذه القصة.

المبحث الثالث

بنو اسرائيل في مصر قبل موسى عليه السلام

ان الحكمة الالهية اقتضت ان يكون يوسف في مصر بتلك الطريقة التي سبق عرضها ، ذلك لأنّ الله أراد أن يمن عليه ، وعلى اخوته الذين أرادوا به سوءا ، وهموا بقتله ، ثم ألقوه في غيابة الجب ، فأصبحت عاقبة ذلك الجرم المكروه خيرا كثيرا على آل يعقوب جميعا : " وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم " . ولولا لطف الله وعنايته بعبده يوسف عليه السلام ، لذهبت بآل بيت يعقوب تلك السنوات العصيبة ، ولكن الله عز وجل لطيف بعباده ، اذ كتب في نفوس اخوة يوسف كراهيته حتى أبعدوه عن أرضهم بما أقدموا عليه من عمل فترتب على ذلك صلاح امرهم وهم لا يعلمون فكانت حياته في غربته سببا لحياتهم وصلاح امرهم . والى ذلك أشار يوسف بقوله " ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم " (١) .

تلك هي الحادثة الأليمة ترتبت عليها حياة ذرية يعقوب ، وهجرتهم الى مصر ، واقامتهم فيها . وقد ذكر ذلك سفر التكوين بقوله :

" فارتحل اسرائيل وكل ما كان له وأتى الى بئر سبع وذبح ذبائح لا له أبيه اسحاق فكلم الله اسرائيل في رؤى الليل وقال : يعقوب يعقوب . فقال ها أناذا . فقال أنا الله اله أبيك لا تخف من النزول الى مصر لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك . أنا أنزل معك الى مصر وأنا اصعدك ايضا ويضع يوسف يده على عينيك . فقام يعقوب من بئر سبع و حمل بنو اسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله ، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذى اقتنوا في أرض كنعان الى مصر . يعقوب وكل نسله معه بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه الى مصر" (٢)

---

(١)

(٢)

ثم ذكر أن عدد آل يعقوب الذين دخلوا معه مصر عدا نسائهم ست وستون نفسا . وباضافة يوسف وولديه اليهم يكون المجموع سبعين نفسا .

غير أن الدراسة التفصيلية لعدد هؤلاء تدل على أنهم أقل من ذلك قليلا . وبيان ذلك أنه ذكر لرأوبين اربعة ابناء . ولشمعون ستة . وللاوى ثلاثة . وليهودا ثلاثة أبناء وابنى ابن . وليساكر اربعة . ولزبولون ثلاثة . ولجاد سبعة . ولأشير خمسة أولاد وابني ابن ، ولدان ابنا واحدا . ولنفتالي اربعة . ولبنيامين عشرة . وليوسف اثنان . فيكون المجموع مع الأصول تسعة وستين ذلك لأن ابنة يعقوب دينة كانت من المعدودين .

ولا يستقيم هذا الأمر الا اذا كان يعقوب نفسه داخلا في الاحصاء مع أن العبارة لا تعطى هذا المعنى ، وهي قوله : " جميع النفوس ليعقوب التى أتت الى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب جميع النفوس ست وستون . وابنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان . جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت الى مصر سبعون " (١) .

قال ابن حزم رحمه الله وهو يستعرض نصوص سفر التكوين بعد أن ناقش اليهود في صحة ما نسبوا ليهودا من بعض الأحفاد في زمن لا يمكن ان يتسع لذلك : " وبعد ذلك ذكر عدد بني يعقوب المولودين بالشام عند خاله لابان الداخلين معه مصر . فذكر الذين ولدت له ليئة وهم ستة ذكور وابنة واحدة . وذكر أولاد هؤلاء الستة وسماهم . فذكر لرأوبين اربعة ذكور ، ولشمعون ستة ذكور ، وللاوى ثلاثة ذكور ، وليهوذا ثلاثة ذكور وابنى ابن له ، فهم خمسة ، وليساخر اربعة ذكور ، ولزابلون (٢) ثلاثة ذكور ، المجتمع من بنى ليئة في نص توراتهم - بعقب تسميتهم هؤلاء بنى ليئة وعدد اولادها وبناتها ثلاثة وثلاثون هكذا نص توراتهم ، وهذا خطأ في الحساب تعالى الله عن ان يخطئ في الحساب ، او ان يخطئ فيه موسى عليه السلام . فصح أنها من توليد جاهل غث او من عابث سخر بهم وكشف سوأتهم " (٣)

---

(١) تكوين ٤٦ج ٢٦-٢٧

(٢) في النسخة العبرية " يساكر " و " زبولون " وفي السامرية " يششكر " و " زبولن " . ولعل ذلك يرجع الى عدم وجود الضبط في الترجمة .

(٣) الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ١ ص ١٥٠

ومما يؤكد ان يعقوب غير داخل في المعدودين قوله في سفر التكوين وهو يعد اولاد يعقوب من ليئة " هؤلاء بنو ليئة الذين ولدتهم ليعقوب في فدان أرام مع دينة ابنته جميع نفوس بنيه وبناته ثلاث وثلاثون " (١) . ولم يكن عددهم كذلك ، بل عددهم اثنان وثلاثون فقط . ومن هنا جاء الخطأ في العدد الاجمالي .

ومما يجدر بالتأمل هنا أن ابنة يعقوب التي ذكر ان شكيم بن حمور ضاجعها ، لم يذكر لها نسل في سفر التكوين ، غير انه جاء في السنن القويم أن اليهود ينسبون الى دينة هذه شأول الذى ذكر أنه ابن شمعون بن يعقوب في سفر التكوين وذلك على أن دينة ولدته لشكيم بن حمور الذى زنى بها على (٢) ما سبق ايضاحه في موضعه مع استبعاد وقوعه ! وعلى فرض وقوعه فلا يصح أن ينسب ولد الزنا الى بيت الأنبياء المكرمين .

ومما ينبغي ان يوجه نظر القارئ اليه ، ما ذكره سفر التكوين من أن يهوذا بن يعقوب زنى بثامار أرملة ابنيه المتوفيين فولدت له فارص ، وزارح توأمين ، كما ولد لأحد التوأمين وهو فارص ولدان هما ، حصرون ، وحامول .

فهؤلاء أربعة اولاد نسبوا جميعا في سفر التكوين الى يعقوب بن اسحاق عليهما السلام مع جملة بنيه وأبنائهم الذين دخلوا معه مصر . فكيف يستبيح عاقل أن ينسب الى آل ابراهيم الذين اصطفاهم الله تعالى فروخ الزنا ونتاج السفاح ؟!

وهذا ليس مما انزله الله تعالى على موسى عليه السلام من نور وهداية . بل هو مما وضعه اهل الفسق والغواية ، فضلوا وأضلوا ، وقالوا " هو من عند الله وما هو من عند الله " .

ويضاف الى هذا ما ذكره سفر التكوين من أن يهوذا فارق اخوته وذهب الى رجل عدلامى اسمه حيرة فنظر ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فتزوجها ، فولدت

---

(١) تكوين ٤٦ : ١٥ (٢) السنن القويم جـ١ ص ٢٦١

له ثلاثة أبناء وهم ،عير ،وأونان ،وشيلة ، وأما عير فقد بلغ وتزوج ثامار ولكن الرب أماته لأنه شرير . فطلب يهوذا من أونان أن يتزوج امرأة أخيه لابقاء نسله فتزوجها ، ولكنه كان يعزل عنها لما أدرك ان الولد لا ينسب اليه ،فقبح ذلك في عينى الرب فأماته أيضا ، ثم طلب يهوذا من ثامار ان تنتظر في بيت أبيها حتى يكبر شيلة فكبر شيلة ولكن يهوذا لم يزوجها من شيلة خوفا من ان يموت . فمن أجل ذلك تنكرت ثامار لحميها فتمثلت له زانية فمكنت نفسها له فكان ماكان من ولادة فارص وزارح .

فاذا علمنا ان يوسف كان له سبعة عشر عاما حينما بيع الى مصر ،وأن عمره ثلاثون عندما خرج من السجن ،ثم جاء آل بيت يعقوب بعد ذلك بتسع سنين ،تكون المدة التي مرت بعد غياب يوسف اثنتين وعشرين سنة .

فهل يعقل ان يتزوج يهوذا بعد بيع يوسف فيولد له ثلاثة أبناء ، ثم يتزوج الابن الكبير فيموت ثم يتزوج الثاني أرملته فيموت أيضا . ثم تؤمر المرأة بالانتظار حتى يكبر الولد الصغير ليتزوجها فيكبر ، ثم يزني بها يهوذا فتحمل توأمين فتلد ثم يكبر التوأمان فيتزوج احدهما فيولد له اثنان . وهذا كله يتم في بحر اثنين وعشرين عاما !! ؟

قال ابن حزم رحمه الله : " هبك ان يهوذا اعتزل عن اخوته وتزوج بنت شوع بأثر بيع يوسف بيوم وحبلت زوجته ، وولدت له الولد الاكبر في عامها الثاني ،ثم الثاني في عام آخر ، ثم الثالث في عام ثالث . وهبك ان الاكبر زوج وله اثنا عشر عاما ، من جملة اثنين وعشرين عاما وبقي معها مابقي ، ثم زوجت من الثاني وله اثنا عشر عاما فبقي يعزل عنها لئلا ينسب الى أخيه من يولد له منها ،ثم مات ، وبقيت تنتظر أن يكبر شيلة وتتزوج منه حتى طال عليها ، ورأت انه قد كبر ولم تزوج منه . وهذا لا يكون البتة في اقل من عام فهذه أربعة عشر عاما . ثم زنت بيهوذا فحملت فولدت فهذا عام أو أقل بيسير ، فلم يبق من الاثنين وعشرين عاما الا سبعة أعوام الى ثمانية اعوام لا اكثر البتة ، فمن

المحال الممتنع في العقل ان يوجد لرجل ابن ثماني سنين ولدان ،مارأيت أجهل بالحساب من الذى عمل لهم التوراة ،ت وحاشى لله ان يكون هذا الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى ،أو عن موسى عليه السلام ،ولا عن انسان يعقل ما يقول و يستحيى من تعمد الكذب الفاضح و نسأل الله العافية" (١) .

و هذه التناقضات في رواية اليهود في تلك الأمور المختلفة ، تظهر للدارس ان كتبهم ليست موضع ثقة على الاطلاق . فعليه فان عدد بنى اسرائيل المذكور في سفر التكوين الذين دخلوا مصر مع أبيهم يعقوب عدد غير صحيح .

وفاة يعقوب كما في سفر التكوين :

ولما دخل يعقوب وبنوه أرض مصر خصص لهم فرعون مكانا يقيمون فيه بطلب من يوسف عليه السلام : " وسكن اسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان ، وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جدا ،وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة فكانت أيام يعقوب و سنو حياته مائة وسبعا وأربعين سنة" (٢) .

وبعد أن اقام يعقوب وبنوه سبعة عشر عاما في أرض جاسان التي اختارها لهم يوسف لكونهم اصحاب مواش ورعاة غنم ،حضرته الوفاة ، فجمع بنيه وأحفاده ،فدعا لهم بالخير والبركة ، واخبرهم بما سيصيبهم في مستقبل أيامهم ،ووصاهم أن يدفنوه عند أبويه ابراهيم واسحاق عليهم السلام ،ثم توفي فحنطه الأطباء المصريون ، فمرت عليه أربعون يوما حسب عادة المحنطين ، وبكى عليه المصريون سبعين يوما . ثم استأذن يوسف فرعون في أن يذهب بجنازة أبيه لدفنه عند آبائه في أرض كنعان حسب وصيته ،فأذن له ،فحملت جنازته مع عدد من المصريين وآل بيته ،فدفن في أرض كنعان بعد ان بكى عليه بنوه سبعة أيام في بيدر أطاد (٣) بعبر الأردن (٤) . وكان يعقوب قد حفر لنفسه قبرا بجانب آبائه فى مغارة المكفيلة (٥) .

---

(١) الفصل جـ١ ص ١٤٩-١٥٠ (٢) تكوين ٤٧ : ٢٧-٢٨

(٣) في السامرية " أندر العوسج الذى في جيزة الاردن" . في السنن القويم : " بيدر أطاد " اختلف في موقع هذا الموضع فرأى بعضهم انه كان شرقى الأردن ورأى غيره انه كان غربي الأردن " جـ١ ص ٢٨١

(٤) تكوين ٤٩ و ٥٠ (٥) تكوين ٥٠ : ٥

وفاة يعقوب في القرآن الكريم :

جاء ذكر وفاة يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم مقرونا بذكر وصيته لأبنائه ، وذلك في قوله تعالى وهو يخاطب اليهود : " أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون "(١) .

هذه الآية جاءت بعد ان ذكر القرآن الكريم ملة ابراهيم عليه السلام ، وسفه من أعرض عنها قائلا : " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين "(٢) ثم ذكر ان ملة ابراهيم هذه وصى ابراهيم بالتمسك بها ابناءه كما وصى بها يعقوب أيضا بنيه ، فقال : " ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون "(٣) .

ولم يأت في كتاب الله ذكر لمكان وفاته أو دفنه ، لأن ذلك ليس مما يتصل بهداية الناس ، ولما كانت وصية يعقوب لبنيه ذات اثر في نفوس المهتدين ، ذكر الله تعالى ذلك . ولولا ذلك لما ذكر موته .

وفاة يوسف عليه السلام كما في سفر التكوين :

كان يوسف يبلغ من العمر ستا وخمسين سنة عند وفاة أبيه . ثم عاش بعده أربعا وخمسين سنة فمات . وذلك بعد ان رأى ذريته قد كثرت . ووصى اخوته أن يعودوا بعظامه الى أرض كنعان ليدفن مع آبائه هناك قائلا : " أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض الى الأرض التى حلف لابراهيم واسحاق ويعقوب ... الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا "(٤) .

ثم توفي عليه السلام فحنط ، ووضع في التابوت في أرض مصر : " ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضعوه في تابوت في مصر "(٥) .

---

(١) سورة البقرة ١٣٢ (٢) سورة البقرة ١٣٠-١٣١ (٣) سورة البقرة ١٣٢
(٤) تكوين ٥٠ : ٢٤-٢٥ (٥) تكوين ٥٠ : ٢٦

وبوفاة يوسف عليه السلام تنتهي الصفحة الأولى من حياة بني اسرائيل في أرض مصر . فاذا كان وجود يوسف في مصر سببا لعزهم ورخائهم فقد كان لوفاته أثر كبير عليهم . وهذا ما سنراه في المبحث القادم ان شاء الله تعالى .

المبحث الرابـــــع

تاريخ بني اسرائيل في عهد موسى عليه السلام

تمهيـد :

عاش بنو اسرائيل في مصر بعد يوسف يرعون مواشيهم ،فيزداد عددها يوما بعد يوم ،ويزداد عددهم تزايدا جعل المصريين ينظرون اليه في قلـق وخوف. ذلك لأنهم غرباء اعتزلوا المصريين ولم يخالطوهم في جميع شؤون الحياة . غير ان مكانة يوسف في نفوس المصريين كانت عظيمة ،مما جعلهـم يتغاضون عما يرونه خطرا على مجتمعهم . ولكن الأيام بيد الله تعالى يداولها بين الناس . فقد انتقل يوسف الى الدار الاخرة ، وبقي بنو اسرائيل في عزلتهم وتكاثرهم حينا من الدهر . حتى جاء الى مصر ملك لا يعرف ليوسف ما يعرفه خلفه من مكانة فبدلهم من بعد أمنهم خوفا ،وانقلبت افراحهم اتراحا ،وعزهم ذلا . قال في سفر الخروج : " ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف . فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي فيثوم ورعمسيس . ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا . فاختشوا من بني اسرائيل فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف . ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل . كل عملهـم الذى عملوه بواسطتهم عنفا "(١) .

قال في السنن القويم : " ان العمل الذى سخر به الاسرائيليون كان شاقا ، وكانوا مكلفين ان يعملوا من الصباح الى الليل تحت عصا السخر ، فكان الاسرائيلي اذا أراح رجله دقيقة ضربه السخر بالعصا على فخذيـه وكان حر الشمس هناك شديدا . وكان ما يحمله الفاعل ثقيلا جدا حتى كـاد بعض الفعلة يموت ،وربما مات كثيرون بذلك . وقد جاء في أنباء هيرودوتس . أن نيخو أحد الملوك المصريين قتل بمثل ذلك ١٢٠٠٠٠ من رعيته "(٢)

---

(١) خروج ١ : ٨-١٤ (٢) جـ١ ص ٢٩٨

وهذا الاضطهاد المصرى لبنى اسرائيل يعتبر المرحلة الاولى من الاستضعاف والاستعباد على قسوته وشدته . ثم جاءت المرحلة الثانية التى تعتبر أشد ما عاناه الاسرائيليون من البلاء والعذاب . هذه المرحلة التي يعبر عنها سفر الخروج بقوله : " وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات اللتين اسم احداهما شفرة واسم الاخرى فوعة . وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي ان كان ابنا فاقتلاه وان كان بنتا فتحيا . ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيا الاولاد فدعا ملك مصر القابلتين فقال لهما : لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الاولاد ؟ فقالت القابلتان لفرعون ان النساء العبرانيات لسن كالمصريات ،فانهن قويات يلدن قبل ان تأتيهن القابلة . فأحسن الله الى القابلتين ونما الشعب وكثر جدا . وكان اذا خافت القابلتان الله أنه صنع لهما بيوتا " (١) .

هذه المرحلة الثانية لم يتحقق تنفيذها بسبب امتناع القابلتين من ذلك غير ان فرعون عدل الى طريقة اخرى لتنفيذ هذه الخطة اذ اصدر مرسوما عاما يلزم المصريين ان ينفذوه في الاسرائيليين كما قال سفر الخروج :" ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلا : كل ابن يولد تطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيونها " (٢) .

لقد نفذت هذه المرحلة تنفيذا دقيقا ،فألقى أولاد الاسرائيليين في نهر النيل فكان هذا اعظم ما واجهوه في مصر . ولا يختلف ما جاء في سفر الخروج عما جاء في القرآن الكريم الا في بعض التفاصيل الجزئية ، مع البون الشاسع بين الأسلوبين كما سبق توضيح ذلك مرارا .

قصة الاضطهاد كما في القرآن الكريم :

جاء في القرآن الكريم في كثير من آياته وسوره ان فرعون استعبد بني اسرائيل وعذبهم وأنه قتل أبناءهم واستحيا نساءهم ،وأنه سامهم سوء العذاب وأذاقهم الشدائد والعذاب المهين .

---

(١) خروج ١ : ١٥-٢١ (٢) خروج ١ : ٢٢

قال تعالى : " ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم انه كان من المفسدين "(١) .

و هذه الآية تدل على الاضطهاد العام الواقع على من في أرض مصر ، وان كان ذلك يتفاوت باختلاف من تحت سلطانه .

ويقول الله تعالى وهو يمتن على بنى اسرائيل : " واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم "(٢) .

" واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم "(٣) .

والايات القرآنية في هذا المعنى كثيرة ، وهي توكد ما نزل ببنى اسرائيل بمصر بعد وفاة يوسف عليه السلام .

ولادة موسى ورسالته عليه السلام كما في سفر الخروج :

في تلك الأيام العصيبة التي حلت ببنى اسرائيل ولد موسى عليه السلام ، ولما خشيت عليه أمه بعد ثلاثة أشهر من ولادته اذ اخفته خلالها ،ألقته على حافة النهر ، وأمرت اخته ان تراقب ما يفعل به من بعيد ، فالتقطته ابنة فرعون ،فلما رأت بكاءه رقت له ، وعلمت انه من اولاد العبرانيين ، فعرضت اخته ان تأتي له بمرضعة ،فوافقت ابنة فرعون . فأتت ام موسى ، فطلبت منها ابنة فرعون ان ترضعه لها على أن تعطيها أجرتها ،فأخذته ،وأرضعته ولما كبر اعادته الى ابنة فرعون ، فتبنته ودعت اسمه موسى ، اى المنتشل من الماء(٤) .

فشب موسى في بيت فرعون ، وذات يوم خرج موسى لينظر احوال بنى اسرائيل فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا . فنظر موسى حواليه ،فلم ير أحدا ، فقتل المصرى ، ودفنه في الرمل . ثم رأى في اليوم الثاني رجلين عبرانيين يتخاصمان ، فقال للمعتدى منهما " لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال من جعلك رئيسا علينا ؟ أمفتكر

(١) سورة القصص ٤ (٢) سورة البقرة ٤٩

(٣) سورة الاعراف ١٤١ (٤) خروج ٢/ ١-١٠

أنت بقتلي كما قتلت المصرى ؟ فخاف موسى وقال حقا قد عرف الأمر . فسمع فرعون هذا الأمر فطلب ان يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر " (١) .

فهناك رأى سبع بنات لكاهن مديان جئن لاسقاء الغنم ، فطرد هن الرعاة ،ولكن موسى أنجدهن ، وسقى لهن . فلما رجعن أخبرن أباهن بخبره ،فأرسل اليه يستضيفه ، فرضى موسى أن يقيم عنده ، فزوجه الرجل صفورة ،احدى بناته ، فولدت له ابنا سماه " جرشوم" (٢) .

وفي هذه الفترة مات ملك مصر الذى كان موسى في بيته ،فتوقع بنواسرائيل تبدل الأحوال مع تبدل الحاكم ، ولكن خلف فرعون لم يكن احسن من سلفه في معاملتهم ، فازداد تضرعهم الى الله عز وجل لينقذهم من تلك العبودية . فاستجاب لهم ربهم (٣) ، فأوحى الى موسى وهو يرعى غنم حميه يثرون ، فأمره ان يذهب الى قومه فينقذهم من العبودية . ولمزيد من التوضيح اليك ما جاء في سفر الخروج :

" وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب . وظهر له ملاك الرب بهليب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الان لأنظر هذا المنظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة ؟ فلما رأى الرب انه مال لينظر ، ناداه من وسط العليقة وقال : موسى موسى فقال هاأناذا فقال لا تقترب الى ههنا . اخلع حذاءك من رجليك . لأنّ الموضع الذى أنت واقف عليه ارض مقدسة ثم قال : أنا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب . فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر الى الله (٤) . فقال الرب : انى قد رأيت مذلة شعبى الذى في مصر وسمعت صراخهم من اجل مسخريهم اني علمت اوجاعهم ،فنزلت لانقذهم من أيدى المصريين ،واصعدهم من تلك

---

(١) خروج ٢/١١-١٥ (٢) خروج ٢:١٦-٢٢ (٣) خروج ٢:٢٣-٢٥

(٤) في السامرية : " فستر موسى وجهه اذ خاف من التأمل الى ملاك الله "

الأرض الى أرض واسعة . الى ارض تفيض لبنا وعسلا . الى مكان الكنعانيين و والحثيين والاموريين والغرزيين والحويين واليبوسيين . والان هوذا صراخ بني اسرائيل قد أتى الي ، ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بها المصريون فالآن هلم فارسلك الى فرعون وتخرج شعبي بني اسرائيل من مصر" (١) .

هكذا جاء الأمر الالهي الى موسى ليخرج قومه من الذل والعبودية لفرعون ، ولكن موسى الذى يعلم عظمة الفراعنة وطغيانهم ، وجد نفسه ذرة أمام كبرياء فرعون وجبروته فقال : " من أنا حتى اذهب الى فرعون وحتى أخرج بني اسرائيل من مصر ؟! " (٢) .

ولكن الرب طمأنه بقوله : " انى اكون معك ووجهه الى ما سيقول لقومه في مصر " وأعطاه معجزة قلب العصا حية . وجعل يده بيضاء كالثلج اذ ادخلها في جيبه واخرجها وقلب ماء النهر دما اذا غرفه بيده وسكبه على اليابسة (٣) . فأبى موسى ان يقبل الرسالة قائلا :

" استمع ايها السيد لست انا صاحب كلام منذ أمس ولا أول امس ، ولا حين كلمت عبدك بل انا ثقيل الفم واللسان " (٤) .

فأمره الرب مرة اخرى قائلا : " من صنع للانسان فما ؟! أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟ فالآن اذهب وأنا اكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به " (٥) .

فأبى موسى مرة اخرى قائلا : " استمع ايها السيد أرسل بيد من ترسل " (٦)

وهذا الرفض الثاني أثار عليه غضب الرب " فحمي غضب الرب على موسى وقال أليس هارون اللاوى اخاك ؟ أنا أعلم انه هو يتكلم. وأيضا ها هو خارج لاستقبالك فحينما يراك يفرح بقلبه فتكلمه وتضع الكلمات في فمه وانا اكون مع فمك ومع فمه

---

(١) خروج ٣ : ١-١٠ (٢) خروج ٣ : ١١

(٣) خروج ٣ : ١٢-و ٤ : ٢-٩ (٤) خروج ٤ : ١٠

(٥) خروج ٤ : ١١-١٢ (٦) خروج ٤ : ١٣

وأعلمكما ماذا تصنعان . وهو يكلم الشعب عنك . وهو يكون لك فما وأنت تكون له الها (١) وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الايات" (٢) ولما تخوف موسى من المصريين لقتله السابق رجلا منهم ،طمأنه الاله ان الذين يعرفونه قد ماتوا (٣) .

بعد هذا التردد و هذه المراجعة المتكررة ،توجه موسى الى مصر راضيا مطمئنا وقد اصطحب زوجته وبنيه (٤) .

وحدث لموسى في الطريق ما لم يكن في الحسبان . كما قال سفر الخروج : " وحدث في الطريق في المنزل ان الرب (٥) التقاه وطلب ان يقتله فأخذت صفورة صوانة (٦) وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه فقالت انك عريس دم لي ، فانفك عنه (٧) حينئذ قالت عريس دم من اجل الختان" (٨) .

ان موسى لم يقو على مقاومة الاله مثل يعقوب . ولو لم تكن زوجته أنقذته بما فعلت ،لقتل موسى على يد الرب الذى أراد ان ينقذ شعبه من أيدى المصريين فأرسله لذلك لأنه لم يختن ابنه . فاعتبروا ياأولى الابصار، كيف يقتل الرب رجلا ارسله لانقاذ بنى اسرائيل ؟

ثم أمر الرب هارون ان يتوجه نحو موسى لاستقباله ، فاستقبله في سيناء ، فأخبره موسى بجميع ما ارسل به . فرجعا معا الى مصر. فأخبر هارون بنى اسرائيل بالأمر ، وأراهم الايات فآمنوا وسجدوا لله شكرا على ما أراد لهم من النجاة (٩) .

---

(١) في السامرية " وانت تكون له سلطانا " (٢) خروج ٤ : ١٤-١٧

(٣) خروج ٤ : ١٩ (٤)

(٤) في السامرية : " فأخذ موسى زوجته وابنيه " بالتثنية " و في العبرانية " وبنيه " ولم يسبق ذكر غير جرشوم .

(٥) في السامرية : " قصده ملاك الله وطلب اهاجته "

(٦) " صوانة قطعة من حجر الصوان محددة كالسكين " السنن القويم جـ١ص٨ ٢١

(٧) في السامرية : " فتخلى عنها " (٨) خروج ٤ : ٢٤-٢٦

(٩) خروج ٤ : ٢٧-٣١

ولادة موسى ورسالته كما في القرآن الكريم :

لا يوجد فرق كبير بين ما جاء في القرآن الكريم ،وما جاء في سفر الخروج من قصة موسى عليه السلام . لذلك ينبغي الاقتصار هنا على مواضع الاختلاف التى ابرزها القرآن الكريم ،لانّ موسى سيأتي الكلام عنه في الباب الأخير .

وينحصر الاختلاف بين القصتين في نحو أربعة عشر موضعا :

١ - ان أم موسى لم تقدم على القاء ابنها الا بوحي من ربها وعد منه أنه سيرده اليها ويجعله من المرسلين قال تعالى :" وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين" (١) .

٢ - أنها القته في اليم ولم تتركه على حافة النهر كما جاء في رواية اليهود قال تعالى " فاذا خفت عليه فألقيه في اليم" وقال :" اذ أوحينا الى أمك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم/ فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له" (٢) .

٣ - ان امرأة فرعون هي التي تبنته لا ابنة فرعون كما في سفر الخروج قال تعالى :" وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون "(٣) .

٤ - ان موسى عليه السلام لم يخرج من المدينة كما في الرواية اليهودية ولكنه دخل المدينة ،وذلك يدل على انه هجر بيت فرعون قال تعالى :"ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين" (٤)

---

(١) سورة القصص ٧ (٢) سورة طه ٣٨-٣٩ (٣) القصص ٩ (٤) القصص ١٥

٥ - ان موسى عليه السلام اصبح خائفا بعد ان قتل الرجل يترقب تعقب المصريين له ، وذلك قبل وقوع الحادثة الثانية قال تعالى :" فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين "(١) فأراد لموسى أن يبطش بالاسرائيلي لما أدرك انه سبب ما حاق به بالأمس ، وهو المعتدى اليوم/ على المصرى قال تعالى " فلما أراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ان تريد الا ان تكون جبارا في الأرض وما تريد ان تكون من المصلحين "(٢) فسمع المصريون الخبر وأرادوا به سوءا فجاء رجل من أبعد موضع في المدينة ، ونصحه بالخروج قال تعالى :" وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين "(٣) ولم يخرج موسى الا وهو مستيقن بأن المصريين يريدون قتله . وليس بمجرد الظن كما في سفر الخروج .

٦ - ان ذلك الشيخ الذى صاهر موسى في مدين ليس له سبع بنات حضرن الى الماء كما يرويها اليهود ، وانما كان له ابنتان كما ذكرها القرآن الكريم بقوله :" ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير "(٤) .

٧ - ان الرعاة لم يطردوا البنتين كما يرويه سفر الخروج ولكنهما امتنعتا عن السقى حتى لا يخالطا الرعاء لضعفهما عن منافستهم قال تعالى :" قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ".

٨ - ان موسى عليه السلام سار بأهله الى مصر بعد انقضاء اجله فحينما وصل الى جبل الطور رأى بجانبه نارا فترك أهله ثم ، وذهب ليعود بخبر عن الطريق ،أو ياخذ من تلك النار جذوة ليستدفئ بها اهله ،فهناك ناداه الله عز وجل بوحيه ،واصطفاه برسالته قال تعالى :

---

(١) القصص ١٨ (٢) القصص ١٩ (٣) القصص ٢٠
(٤) القصص ٢٣

" فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ،قال لأهله امكثوا انى نست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة أن يا موسى انى انا الله رب العالمين " (١) . ولم يكن موسى يرعى الغنم حينما شاهد النار وأوحى الله اليه كما زعمت رواية اليهود .

٩ - جاء في سفر الخروج أن موسى غطى وجهه ، لأنه خاف أن ينظر الى الله . فهذا ضلال مبين بعيد عن الحق ، لأنه لم يرالله عز وجل وانما رأى النار . ولما طلب موسى من ربه أن يمكنه من رؤيته بعد هـــذا بزمن ، قال له الرب : " لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقرمكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين " (٢) .

١٠ - ان الله أعطى موسى آيتين فقط في بداية أمره ،وهما العصا ، واليد ،وأما الدم الذى ورد ذكره في سفر الخروج فليس مما أوتى موسى في البداية قال تعالى :" فذانك براهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين" (٣) . والدم المذكور هذا غير الذى أرسل على المصريين بعد كفرهم في جملة من آيات الله تعالى .

١١ ب - لم يراجع موسى ربه في قبول تكليفه بالرسالة ، ولم يقل لمولاه تلك المقالة التى تدل على الغلظة والجفاء ، والتي يكون الانبياء ابعد مايكونون من امثالها / حتى مع الناس ، فضلا عن ان يقول موسى لربه تلك المقالة السيئة وهى قوله : " استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل " .

١٢ - ان موسى عليه السلام هو الذى طلب من ربه ان يؤازره ويعضده بأخيه هارون مبينا انه افصح منه لسانا وأنه سيكون له عونا على عبادة اللـــه

---

(١) القصص ٢٩-٣٠ (٢) الاعراف ١٤٣ (٣) القصص ٣٢

وذكره ، فاستجاب الله له قال تعالى :" وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي رداء يصدقني اني اخاف ان يكذبون " وقال تعالى :" سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا ،أنتما ومن اتبعكما الغالبون "(١) وقال تعالى :" واجعل لي وزيرا من اهلي هارون أخي أشدد به أزري واشركه في أمري . كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا . انك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى "(٢).

١٣ - ان الله تعالى أراد ان يمن على بني اسرائيل برسالة موسى ، وكتب لهم على يده النجاة من العبودية ، والهداية من الضلالة ،فأوحى اليه بذلك ،وأمره بابلاغ رسالته . فكيف يريد قتله في الطريق وقد وضعه على سبيل الخلاص ،ووعده أنه سيكون معه ؟ هذا في غاية البعد والغرابة . أضف الى هذا تلك الطريقة التي وصف بها الرب في قوله : " ان الرب التقاه وطلب ان يقتله "لأنّ الرب ينزه عن ان يوصف بذلك ، لأنّ الالتقاء من صفات المخلوقين .

١٤ - ان ما جاء في سفر الخروج من أن الرب أخبر موسى ان الذين يعرفونه ويطلبونه قد ماتوا ، ليس صحيحا ، لأنّ الله تعالى اخبرنا في كتابه العزيز ان فرعون عرف موسى ، وامتن عليه بتربيته ونشأته بينهم ، كما عابه بقتل النفس . قال تعالى :" قال : ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين "(٣) .

ولما أبدى موسى عليه السلام خوفه من فرعون بسبب ما وقع منه من قتل النفس بقوله : " اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون " وقوله : " ولهم علي ذنب فأخاف ان يقتلون " ، طمأنه الله عز وجل وبدد شكوكه بقوله :" كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون " وقوله " قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ".

---

(١) القصص ٣٤-٣٥ (٢) طه ٢٩-٣٦ (٣) سورة الشعراء ١٨-١٩

وهذا دليل صريح على ان الله تعالى لم يخبر موسى ان الذين يعرفونه قد ماتوا ، حينما أبدى خوفه من الذهاب الى مصر، وهو دليل أيضا على ان الذين جاءهم موسى كانوا يعرفونه ، وقد عرفوه ، حينما وقف أمامهم وقال له فرعون ما قال . واذا علمنا ان الفترة التي غابها موسى لا تتعدى عشر سنوات كما ذكر في قوله تعالى حكاية عن صهر موسى " انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثماني حجج ، فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين " فوافق موسى على ذلك بقوله :" قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل ". وعلمنا أيضا أن الوحى نزل على موسى بعد تمام الأجل ، فأمره الله بالذهاب الى فرعون وملائه ليدعوه الى عبادة ربه وترك استعباد بنى اسرائيل ، نستخلص من ذلك ان المصريين الذين يعرفون موسى ويطلبونه لا يمكن ان يموتوا جميعا في تلك الفترة الوجيزة .

المبحث الخامس

موسى وهارون عليهما السلام في مواجهة فرعون كما في سفر الخروج

لما رجع موسى الى مصر بأمر من ربه ،وأخبر قومه بما نزل عليه من وحي الله تعالى الذى أراد أن يمن عليهم فيخرجهم من العبودية الى الحريسة ، ومن الجهل الى نور العلم ،ومن الضلالة الى الهدى ،صدقه بنو اسرائيل وسجدوا لربهم شكرا . وكان هارون عليه السلام هو الذى خاطب بني اسرائيل نيابة عن موسى ،فأخبرهم أن الله سيخرجهم من أرض مصر .

وكان تبليغ هذه البشارة الى قوم موسى اول عمل قام به الرسولان الكريمان . ذلك لأنّ ما بعده يعتمد على مدى انقياد بني اسرائيل لموسى وهارون . فبدون تصديقهم وانقيادهم ، لا جدوى من مخاجة فرعون ومخاصمته . لذلك أرشد موسى وهارون الى هذه البداية الطيبة من قبل الله تعالى كما قال في سفر الخروج :

" هكذا تقول لبني اسرائيل يهوه اله آبائكم ، اله ابراهيم ،واله اسحاق ، واله يعقوب أرسلني اليكم هذا اسمي الى الابد وهذا ذكرى الى دور فدور . اذهب واجمع شيوخ اسرائيل وقل لهم : الرب اله آبائكم اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ظهر لي قائلا اني قد افتقدكم وما صنع بكم في مصر فقلت اصعدكم من مذلة مصر الى أرض الكنعانيين ...."(١) .

فسمع بنو اسرائيل لموسى وهارون عليهما السلام ،فمهدوا لهما بذلك سبيل الانتقال بالدعوة الى فرعون وقومه . فذهب الرسولان الى فرعون فبلغاه رسالة الله تعالى ، وطلبا منه ان يترك بني اسرائيل ليخرجوا من مصر ،فأبى فرعون واستكبر ،وتحدى الرسولين الكريمين ، فأرياه من آيات الله العظام ما يدل على صدقهما ،ولكنه ازداد عتوا ونفورا ، فسلط الله على مملكته من العذاب ما فيه مزدجر ، ولكنه لم يخضع مع ما أصاب مملكته من الفتن التي توالت عليه وعلى قومه على يد موسى وهارون . وكانت تلك الضربات الالهية تتلخص في عشرة أشياء :

---

(١) خروج ٣ : ١٥-١٧

الأول : قلب مياه المصريين دما حتى لا تصلح للشرب (١)

الثاني : ارسال الضفادع على مياههم وبيوتهم وجميع اراضيهم بحيث تملئ بها اطعمتهم وأشربتهم ومضاجعهم (٢) .

الثالث : ارسال البعوض عليهم حتى امتلأت به منازلهم (٣) . وفي النسخة السامرية " القمل " عوضا عن البعوض (٤)

الرابع : ارسال الذباب عليهم كذلك (٥)

الخامس : أهلاك جميع مواشيهم (٦) .

السادس : ارسال غبار حمل الى جميع ارض مصر الدمامل ، فأصيب بها الناس والبهائم (٧) .

السابع : انزال البرد على أرضهم حتى اذهبت الاشجار والاعشاب واهلكت الناس والبهائم (٨) .

الثامن : ارسال الجراد عليهم حتى اهلك كل اخضر من النبات والزروع (٩)

التاسع : اطلاق ظلمة كثيفة عليهم ثلاثة أيام ؛ حتى لم يستطع أحد أن يرى من بجانبه ولا ان يقوم من موضعه (١٠) .

العاشر : اماتة كل بكر في أرض مصر ابتداء من بكر فرعون وانتهاء بالبهائم فكان في مصر بسببه صراخ عظيم وبكاء (١١) .

هذه الضربات الموجعات كلها نزلت بالمصريين فقط. واما بنو اسرائيل فلم يصابوا بشيء منها . وأما فرعون ،فكان يطلب من موسى وهارون ان يتضرعا الى ربهما ليكشف عنه وعن قومه ما نزل بهم ويعدهما ان يفعل ما يطلبان منه من اطلاق قومهما ان زال البلاء . وفي كل مرة يعد بذلك ،ولكنه سرعان ما ينقلب

---

(١) خروج ٧ : ١٩-٢١ (٢) خروج ٨ : ٥-٦ (٣) خروج ٨ : ١٦-١٧

(٤) والقمل المذكور في السامرية مذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى :" فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ..."
الاعراف ١٣٣.

(٥) خروج ٨ : ٢١-٢٤ (٦) خروج ٩ : ٣-٦ (٧) خروج ٩ : ٨-١١

(٨) خروج ٩ : ١٨-٢٥ (٩) خروج ١٠ : ٤-٦ و ١٢-١٥

(١٠) خروج ١٠ : ٢١-٢٣ (١١) خروج ١٢ : ٢٩-٣٠

ويرفض ،وهكذا توالت تلك الايات حتى جاءت الاخيرة وهي موت كل بكر من المصريين . وهنا امر الرب موسى وهارون ان يخرجا ليلا ببنى اسرائيل وقد انشغل المصريون بمصيبة الموت لأنه لم يخل بيت من ميت في تلك الليلة (١) .

لقد حشد فرعون سحرته لدفع ما شاهد من ايات الله على يد موسى وهارون ،ولكن ذلك لم يثبت امام سلطان الحق الذى جعل الله لموسى وهارون عليهما السلام. فعصا موسى التي تنقلب حية باذن الله تعالى ابتلعت عصى سحرة فرعون التى انقلبت ثعابين (٢) . ولما أرسل الله الضفادع على أرض مصر ، فعل السحرة كذلك ،فأرسلت الضفادع على ارض مصر ، كما جاء في سفر الخروج (٣) ولعلهم أرادوا ازالتها بسحرهم فعاقبهم الله بعكس ما قصدوا . ولما أرادوا ازالة البعوض من أرضهم لم يستطيعوا ان يفعلوا شيئا ، فأدركوا ان قدرة الله هي التي تدبر هذه الايات التي تجرى على يد موسى وهارون ، وقالوا لفرعون : "هذا اصبع الله" (٤) اى ان هذه العجائب التي أوتيها موسى ليست من السحر وانما هي من آثار قدرة الله تعالى وتدبيره .

وهكذا شدد الله على قلب فرعون وقومه ، فلم يخشع لايات الله المتتابعة ،ولم يخش سوء العاقبة ،فكلما جاءته آيات ربه مبصرة ، كذب بها ، وأعرض عن الانقياد لها . ولكن الطغيان لا بد أن يزول ،وأن المستضعفين في الأرض آن لهم ان يستريحوا من العذاب المهين .

هذه صورة ما جاء عن قصة موسى وهارون وقصة فرعون وقومه وما جرى بين الفريقين كما جاءت في الرواية اليهودية . وقد توخيت الايجاز تجنبا للاطالة مشيرا الى مواضع النصوص في الهامش ليسهل الرجوع اليها .

---

(١) خروج ١٢ : ٣٠-٣٣
(٢) خروج ٧ : ٩ - ١٢
(٣) خروج ٨ : ٥ - ٧
(٤) خروج ٨ : ١٦ - ١٩

خلاصة قصة موسى عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم :

بعد أن من الله تعالى على نبيه موسى بالرسالة ، وآتاه من الايات ما يدل على صدقه وصدق رسالته ،وأمره بالذهاب الى فرعون لاستخلاص قومه وشد أزره بأخيه هارون عليه السلام ، قام موسى ومعه هارون بابلاغ رسالة ربه خير قيام. قال تعالى مخاطبا موسى و هارون " فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين . أن ارسل معنا بني اسرائيل " (١)

ولما سمع فرعون مقالة الرسول الكريم ،تذكر ما كان منه من قتل النفس قبل خروجه الى مدين ،وذكره بالاحسان الذى أسدى اليه ، وهو تربيته في بيت فرعون ،فقال : " ألم نربك فينا وليدا و لبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين " (٢) فأجابه موسى عليه السلام قائلا : " .. فعلتها اذا وانا من الضالين ،ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بني اسرائيل " (٣) أى ان تلك النعمة التى تمن بها على ما كانت لتقع الا بسبب استعبادك بني اسرائيل . ولو لم تقتل ابناءهم لكانت أمي هي التي تتولى تربيتي ،فكيف تمتن على بأمر كان طغيانك سببا له ؟ ثم سأله فرعون سؤال المتجاهل عن رب العالمين بقوله : " وما رب العالمين " ؟ (٤) فأجابه موسى عليه السلام باجابة كاملة شاملة قائلا : " رب السماوات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين " (٥) اى ان الذى تسأل عنه و تستفهم عن جنسه لا جنس له ، و هو غنى عن التعريف ،فالكون كله علوه وسفله ،يدل على ربوبيته وألوهيته ،ان كنتم توقنون بذلك.

قال الامام الشوكاني (٦) رحمه الله :" لما سمع فرعون قول موسى وهارون : " انا رسول رب العالمين " قال مستفسرا لهما عن ذلك ،عازما على الاعتراض

---

(١) سورة الشعراء ١٦-١٧ (٢) الشعراء ١٨-١٩ (٣) الشعراء ٢٠-٢٢
(٤) الشعراء ٢٣ (٥) الشعراء ٢٤

(٦) الشوكاني هو محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني اليماني ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ مقدمة فتح القدير ج١(ص٤)

لما قالاه فقال : " وما رب العالمين " اى اى شيء هو ؟ جاء في الاستفهام بما التي يستفهم بها عن المجهول ويطلب بها تعيين الجنس ، فلما قال فرعون ذلك قال موسى : " رب السماوات والارض وما بينهما " فعين له ما أراد بالعالمين ، وترك جواب ما سأل عنه فرعون لأنه سأله عن جنس رب العالمين ولا جنس له . فأجابه موسى بما يدل على عظيم القدرة الالهية التي تتضح لكل سامع انه سبحانه الرب ولا رب غيره " ان كنتم موقنين " اى ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا أولى بالايقان" (١) .

ثم توعد فرعون موسى عليه السلام بالسجن ان عبد الها غيره فقال : " لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين " (٢) . فذكر له موسى عليه السلام ان لديه آية تدل على صدقه سائلا اياه : أيفعل به ما ذكر من السجن ولو كانت لديه براهين تدل على صدقه ؟ فعند ذلك طلب فرعون ان يريه تلك الايات بقوله : " فأت بها ان كنت من الصادقين " (٣) .

فأراه موسى عليه السلام آيتين الأولى قلب العصا ثعبانا . والثانية بياض يظهر على يده اذا اخرجها من جيبه قال تعالى : " فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين . ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين " (٤) . فما كان من فرعون الا ان حكم على ما رأى من آيات الله بأنها عائدة الى مهارة موسى وبراعته في السحر : " قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم" (٥) وطلب من وجوه قومه ان يشيروا عليه ماذا يفعل بهذا الساحر الذى يريد ان يخرج المصريين من ارضهم بسحره . فأشاروا عليه أن يؤجل عقاب موسى وأخيه حتى يحشد للأمر عددا كثيرا من السحرة :" قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين" (٦) . فألقى السحرة حبالهم وعصيهم قائلين :" بعزة فرعون انا لنحن الغالبون " (٧)

---

(١) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير جـ٤ ص ٩٧
(٢) سورة الشعراء ٢٩ (٣) سورة الشعراء ٣١ (٤) سورة الشعراء ٣٢-٣٣
(٥) سورة الشعراء ٣٤ (٦) سورة الشعراء ٣٦-٤٠ (٧) سورة الشعراء ٤٤

يا له من مشهد عظيم تتجلى فيه القدرة الالهية وسلطان الحق ، وينتصر فيه اولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، فقد ألقى موسى عصاه فكان ما لم يكن بالحسبان " فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون "(١) انها عصا واحدة ألقى بها رجل واحد ،تأتى على حبال وعصي لا تعد ولا تحصى ، فتبتلعها بقدرة الله عز وجل وعزته التى لا تغلب .

فهنا أدرك السحرة ان قدرة الله الواحد وحدها هي التى وراء هذا السر العظيم . فليس موسى وهارون ساحرين كما زعم فرعون ،وانما هما رسولان من رب العالمين ،فانطلق نور الايمان من قلوبهم كلمح البصر أو هو أقرب ،فساقهم الى السجود لله تبارك وتعالى امام الطاغوت المتأله فرعون فسجدوا معلنين ايمانهم برب العالمين " فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى و هارون "(٢) كان هؤلاء قبل قليل يقولون : بعزة فرعون انا لنحن الغالبون "، ولكنهم الآن ساجدون يعلنون ايمانهم برب العالمين .

وأما فرعون ، فقد اسقط في يده ،ووقع في الحيرة ، فالسحرة الذين جمعهم لتقوية سلطانه وجبروته اصبحوا مؤمنين في لمح البصر امام ذلك الجمع الكثير ،والجم الغفير ، من قومه الذين جمعهم ليروا غلبته وعلوه . ولم يستطع ان يقول الا كلمة باردة تدل على حيرته وطيشه :" قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر "(٣) هيهات هيهات أن يستأذن مؤمن احدا في ايمانه بربه بعدما أذن له سيده ومولاه الذى بيده ناصية الأمور ، وحلت قلبه الهداية ، وخشعت لربها الأعضاء ولله در من قال في

---

(١) سورة الشعراء ٤٥ (٢) سورة الشعراء ٤٦-٤٨

(٣) سورة الشعراء ٤٩

في مثل هذا (١) :

واذا حلت الهداية قلبـــا نشطت في العبادة الأعضـــاء

ان فرعون ليعلم يقينا ان موسى لم يكن ساحرا ،لأنه تربى في بيته ولم يتعلم السحر ، ويعلم كذلك ان السحرة لم يكونوا قد اجتمعوا بموسى الا فـــي تلك الغداة ، ولكنه فقد الصواب ونطق بما يعلم الحاضرون أنه كذب وافتراء ، وادعى ان موسى هو الذى علم السحرة سحرهم. وتوعدهم علـى ايمانهم بربهم كما هي عادة الظالمين الذين ترتجف قلوبهم وترتعش أقدامهم من زوال سلطانهم الزائف : فقال :" انه لكبيركم الذى علمكم السحر فسوف تعلمون . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين "(٢) .

ولم يكن هذا الوعيد الشديد بصارف قلوبهم عن الايمان بعد ما ذاقوا حلاوته ، وهيأتهم العناية الالهية لتحمل الآلام واستعذاب العذاب ، كما يهيء الطبيب مريضه للعملية الجراحية باعطائه/ما يمنعه الاحساس بالألـم ، فأقبلوا على فرعون وهو يهددهم بالعذاب والعقاب وقد ملأت لـــذة الايمان قلوبهم قائلين : " لا ضير انا الى ربنا منقلبون . انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين "(٣) وقالوا : " لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحيـــاة الدنيا . انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى "(٤) .

ثم أجرى الله على لسانهم كلمات يشع منها نور الايمان ،وحسن الاقبال الى الله تعالى اذ قالوا : " انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى "(٥)

---

(١) قائل هذا البيت شرف الدين ابوعبدالله محمد بن سعيد الشهير بالبوصيرى قاله في همزيته المشهورة والبيت من " الخفيف " انظر ديوان البوصيرى المطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٩٣ هـ الطبعة الثانية ص ٥٢ بتحقيق محمد سيد كيلاني .

(٢) الشعراء ٤٩ (٣) الشعراء ٥٠-٥١ (٤) طه ٧٢-٧٣ (٥) طه ٧٤-٧٦

وهنا توقفت المحاورة بين الفريقين ،فريق الايمان الذين وصلوا القمة في الطهر والشوق الى لقاء الله وغفرانه العميم ،وفريق الكفر وأئمة الطغيان الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فشتان ما بين الفريقين ، فريق في الجنة وفريق في السعير .

ان هذا الفيض الايماني الذى يغمر من قرأ هذه القصة في القرآن الكريم ، لا يوجد له اى اثر في سفر اليهود ،وشتان ما بين كتابين ، كتاب أنزل نورا وهداية للناس ، وكتاب وضعه البشر لاضلال السفهاء ممن لا بصائر لهم .

ولعل من المهم الاشارة الى الفروق بين ما جاء في كتاب الله تعالى وما جاء في سفر الخروج من هذه القصة . وذلك ليقف القارىء على حقيقة أسفار اليهود وما تحتويه من قصص مادية بحتة بعيدة كل البعد عن منهج الرسالات الالهية . واليك بيان ذلك بايجاز :

١ - ان الله دعا موسى الى عبادته قبل ان يحمله اعباء الرسالة ، وذلك واضح من قوله تعالى " وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى "(١) ولم يرد في سفر اليهود ذكر لهذه الدعوة الالهية .

٢ - ان الله عز وجل بين لموسى في بداية أمره ان الله ضرب لبقاء الدنيا أجلا ، وان العباد سيحاسبون على اعمالهم في الدار الاخرة فقال : " ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى "(٢) وأنه حذر عبده موسى من ان يحول بينه وبين الايمان بها والاستعداد لها أولئك الذين يكفرون بالساعة فقال : " فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى "(٣) . وهذا أيضا امر لا وجود له في سفر الخروج .

---

(١) سورة طه ١٤ (٢) سورة طه ١٥

(٣) سورة طه ١٦

٣ - ان الله تعالى امر موسى وهارون بملازمة ذكر الله تعالى فقال: " اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى "(١) ولا يوجد ذكر لهذا الأمر المهم في سفرهم.

٤ - انه عز وجل أمر موسى وهارون ان يكون قولهما لفرعون لينا بحيث لا يثير غضبه فقال: " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى "(٢) ولم يرد ذكر هذا في سفر اليهود.

٥ - ان المحاورة التي جرت بين موسى عليه السلام وفرعون لم تذكر في رواية اليهود. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله: " قال فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. قال فما بال القرون الأولى. قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى "(٣).

٦ - ان فرعون عرف موسى، وعرف ما كان منه من القتل فقال له: " ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين "(٤) ولم يذكر هذا الأمر في رواية اليهود. بل ورد ما ينافي معرفة فرعون بموسى اذ جاء في سفر الخروج قوله: " وقال الرب لموسى في مديان اذهب ارجع الى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك "(٥).

٧ - ايمان السحرة بموسى بعد ما رأوا آيات الله، وتهديد فرعون اياهم، لم يذكر في رواية اليهود، وان كان قد يفهم ايمانهم من قولهم: " هذا اصبع الله " اشارة الى آيات الله التي ظهرت على يد موسى.

هذا الذى أشرت اليه هو أهم مواضع الفرق بين قصتي موسى كما وردت في القرآن الكريم، وكما وردت في سفر الخروج. وهي فروق تدل على اغفال بني اسرائيل قضايا الايمان بالله والدعوة اليه، والايمان بيوم البعث، والعمل من اجله. وفي ذلك دليل على ان اسفارهم هذه التي نسبوها الى موسى عليه السلام وزعموا انها قد أوحى بها اليه، ما هي الا قراطيس موضوعة لا تشتمل الا على نسبة ضئيلة من الحقائق الممسوخة. والحمد لله الذى انعم علينا بالقرآن، وتكفل بحفظه، وهدانا به الى الحق المبين.

(١) سورة طه ٤٢ (٢) سورة طه ٤٤ (٣) سورة طه ٤٩-٥٢
(٤) سورة الشعراء ١٨-١٩ (٥) سفر الخروج ٤: ١٩-٢٠

المبحث السادس

خروج بني اسرائيل من مصر

بعد أن اصيب فرعون وقومه بتلك النوازل المتتابعة التي كان آخرها قتل كل بكر من الناس والبهائم في مصر ما عدا بني اسرائيل أذن لبني اسرائيل بالخروج ، وقد أمروا ان يستعير كل واحد منهم من جاره المصرى أمتعة من فضة وذهب استعدادا للخروج من مصر. وقد جاء في ذلك قوله : " تكلم في مسامع الشعب ان يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب" (١) .

وأمر بنو اسرائيل أيضا ان يأخذ أهل كل بيت من بيوتهم شاة . فمن لم يستطع ان يأخذ شاة بمفرده فليشترك مع جاره في ذلك بشرط ان تكون الشاة صحيحة مضت عليها سنة من الضأن أو المعز ، وأن تكون ذكرا . كما أمروا ان يعتبروا شهرهم ذلك اول شهور السنة ، فيحفظون تلك الشياه من العاشر حتى الرابع عشر منه ثم يذبح اهل كل بيت شاته مساء ، فيضع من دمها على عتبة بابه العليا ، وعلى القائمتين ،ثم يشوى كل واحد منهم شاته برأسها وكوارعها وجوفها ، فيأكلون الى الصباح مع فطير على أعشاب مرة ، وقد شدوا أخفاءهم ولبسوا احذيتهم واخذوا عصيهم ، وباتوا يأكلون الى الصباح وما بقي من الشواء امروا بحرقه . ولكي يزداد الأمر وضوحا اليك ما جاء في سفر الخروج بنصه اذ قال : " فدعا موسى بني اسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح ، وخذوا باقة (٢) زوفا واغمسوها في الدم الذى في الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى في الطست وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح فان الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب " (٣) .

---

(١) خروج ١١ : ٢ (٢) الباقة : الحزمة من البقل كما في القاموس والزوفا نبات بجبال القدس

(٣) خروج ١٢ : ٢١-٢٣

وقال :" فحدث في نصف الليل ان الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الأسير الذى في السجن وكل بكر بهيمة. فقام فرعون ليلا وهو وكل عبيده و جميع المصريين وكان صراخ عظيم في مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت" (١).

ولما نزل بفرعون وقومه ما نزل من البلاء دعا موسى وهارون ليلا وقال : " قوموا اخرجوا من بين شعبي انتما وبنو اسرائيل جميعا. واذهبوا واعبدو الرب كما تكلمتم خذوا غنكم ايضا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا و باركوني أيضا "(٢).

كانت وطأة الضربة الأخيرة اكثر ايلاما لفرعون ،وأشد تأثيرا على قلبه الجحود ، فقد اطلق بني اسرائيل وأطلق معهم اموالهم المنقولة ، وطلب من عدوه موسى ان يباركه. ويصور سفر الخروج كيف كان بنو اسرائيل عند الخروج من مصر فيقول : " فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على اكتافهم وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا . وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين "(٣) .

وقد ازداد عدد الاسرائيليين في مصر زيادة كبيرة مطردة ، حتى بلغوا يوم خروجهم من مصر ستمائة الف من الرجال القادرين على المشى عدا الاطفال والنساء ، وكانوا يملكون من المواشى ايضا عددا كبيرا كما قال في سفر الخروج : " فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت نحو ستمائة الف ماش من الرجال عدا الأولاد . وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم و بقر ومواش وافرة جدا" (٤) .

وفرض على بني اسرائيل ان يعتبروا ذلك اليوم من كل سنة عيدا الى الأبد ،لان الله اخرجهم من العذاب الذى تعرضوا له في مصر ،و أن يأكلوا

---

(١) خروج ١٢: ٢٩-٣٠ (٢) خروج ١٢ : ٣١-٣٢

(٣) خروج ١٢ : ٣٤-٣٦ (٤) خروج ١٢ : ٣٧-٣٨

فيه دائما خبز عجين لم يختمر ليذكرهم بالحالة التي كانوا عليها يوم خروجهم من مصر ، اذ عوجلوا فخرجوا وهم يحملون على اكتافهم عجينا لم يختمر .

وكانت وجهة بنى اسرائيل أرض فلسطين ، غير انهم لم يهتدوا اليها يوم خروجهم ، لانّ الله صرفهم عن طريقها ، حتى لا يروا حربا في طريقهم فيندموا على خروجهم من مصر فيعودوا اليها ، والله انما يريد اخراجهم منها حتى ينجوا من العذاب المهين . وهذا ما يقوله سفر الخروج :

" وكان لما أطلق فرعون الشعب ان الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لانّ الله قال : لئلا يندم الشعب اذا رأوا حربا ويرجعوا الى مصر فأدار الله الشعب في طريق برية سوف . وصعد بنو اسرائيل متجهزين من أرض مصر " (١) .

وقد اصطحب موسى معه جسد يوسف عليه السلام عند خروجه من مصر عملا بالوصية التي وصاها يوسف عليه السلام عند وفاته حسب ما جاء في الرواية اليهودية (٢) . وتقول الرواية اليهودية : ان الرب كان يرشد بنى اسرائيل الى الطريق التي يسلكونها في حلهم وترحالهم ، وأنه كان يسير أمامهم في النهار في عمود من السحاب ، وفي الليل في عمود من النار ينير لهم السبيل ، وذلك ليستمروا على السير ليلا ونهارا (٣) .

ويؤخذ مما تقدم من النصوص أن فرعون هو الذى أذن لموسى ان يخرج بقومه ليعبدوا ربهم على النحو الذى طلب منه ، وان موسى انطلق بقومه بعد موافقة فرعون على ذلك . الا ان فرعون وقومه ندموا على خروج بنى اسرائيل من مصر لأحد امرين أولأجلهما معا :

الأمر الأول : ما نتج عن خروجهم من توقف الانتاج والبناء الذى يسخر فيه بنو اسرائيل في مصر . ففي هذه الحالة يريد فرعون استعادتهم الى سخرته .

---

(١) خروج ١٣ : ١٧-١٨
(٢) خروج ١٣ : ١٩
(٣) خروج ١٣ : ٢١

الأمر الثاني : ما فعله بنو اسرائيل بالمصريين عند خروجهم حيث استعاروا الحلى والجواهر والملابس منهم ، فخرجوا بها غدرا وخيانة وهو أمر استفز غضب فرعون وقومه . فخرج وراءهم يريد معاقبتهم واستعادة أموال قومه . وهذا الاحتمال الثاني قد يستنبط مما جاء في سفر الخروج من أن الرب أمر موسى ان يطلب من قومه ان يستعيروا من المصريين أمتعتهم ليخرجوا بها ، ففعل موسى ما أمر به ، ونفذ ذلك بنو اسرائيل .

يقول عماد عبد الحميد النجار : " .. وظل فرعون يفسد (١) عليهم لما أخافوه (٢) الى عداوتهم من دين جديد يلتفون حوله كما ان خروجهم قد يشكل خطرا ضده اذا ما تآمروا عليه في الخارج مستعينين بأعدائه فرأى ان يجعلهم في مصر تحت سمعه وبصره على أن موسى دبر أمر الخروج بقومه سرا . وهنا اتجاه الى ان الخروج كان باذن فرعون . وما قامت الحرب عند الخروج بين موسى وفرعون الا لأن فرعون اكتشف ان النسوة الاسرائيليات قد اقترضن ذهب النسوة المصريات وفررن حال خروجهن مع موسى ، وقد ورد في سفر الخروج من التوراة ما يؤكد هذه الواقعة ، اذ يقول السفر : " حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهبا (٣) وثيابا وتضعوها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين" (٤) .

وتدل رواية سفر الخروج على أن الرب أراد ان يستدرج فرعون الى مصرعه فأمر موسى وقومه ان يسيروا سيرا غير مستقيم ، كي تظهر عليهم أمارة الحيرة والارتباك ، أمام المصريين فيقوموا لملاحقتهم .

يقول سفر الخروج : " وكلم الرب موسى قائلا : كلم بني اسرائيل ان يرجعوا وينزلوا امام فم الحيروث (٥) بين مجدل والبحر امام بعل صفون

---

(١) لعل الصواب ان يقول : " يشدد " (٢) لعل الصواب " أضافوه "
(٣) الصواب : " أمتعة ذهب " كما جاءت به الرواية باضافة امتعة الى ذهب.
(٤) التطور التاريخي لبني اسرائيل ص ٣٥-٣٦
(٥) قال في السنن القويم : " فم الحيروث .. مجدل .. بعل صفون .. لم يعرف ما هذه الاماكن ولعلها كانت مدنا او قرى مصرية غير ذات شأن على مقربة من خليج السويس على الشواطئ الغربية ج١ ص ٣٧١

مقابله تنزلون عند البحر فيقول فرعون عن بني اسرائيل هم مرتبكون في الأرض قد استغلق عليهم القفر . وأشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم "(١) .

ولما خرج بنو اسرائيل من مصر بعد هذا الاعداد الالهي ، خرج فرعون بجيش عظيم وراءهم نادما على تركه اياهم ، فلما رآه بنو اسرائيل مقبلا اليهم بجنوده ، ارتاعوا وقالوا لموسى عليه السلام : " هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ أليس هو الكلام الذى كلمناك به في مصر قائلين : كف عنها فنخدم المصريين لأنه خير لنا ان نخدم المصريين من ان نموت في البرية ؟ "(٢) .

ولكن موسى عليه السلام طمأنهم بأن الله سيخلصهم ، وأنهم سيرون عاقبة فرعون وقومه ، لأنه سيقاتل عنهم . فأمر الرب موسى قائلا : " مالك تصرخ الى ؟ قل لبني اسرائيل ان يرحلوا وارفع انت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة "(٣) .

هنالك انتقل عمود السحاب من امام الاسرائيليين الى معسكر المصريين فحال بين الفريقين ، ولم يقترب احد من الاخر حتى الصباح . ومد موسى يده على البحر فهبت ريح شرقية شديدة ، في الليل فانشق الماء ويبست الأرض كما قال سفر الخروج :

" فدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة ، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم ، وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم ، جميع خيل فرعون وفرسانه الى وسط البحر . وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين . وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقلة . فقال المصريون : نهرب من اسرائيل لأن الرب يقاتل عنهم فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم . فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند اقبال الصبح الى حاله الدائمة والمصريون هاربون الى لقائه فدفع الرب المصريين في وسط البحر فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم في البحر لم يبق منهم ولا واحد "(٤)

---

(١) خروج ١٤ : ١-٤ (٢) خروج ١٤ : ١١-١٢ (٣) خروج ١٤ : ١٥-١٦ (٤) خروج ١٤: ٢٠-٢٨

وهكذا غرق فرعون وجنوده ،وظهرت لبني اسرائيل آية من آيات الله الكبرى التي ما كانوا يتصورونها ، ولا يخطر باذهانهم ، فآمنوا بالله وبعبده موسى كما قال سفر الخروج :

" فخلص الرب في ذلك اليوم اسرائيل من يد المصريين ،ونظر اسرائيل المصريين أمواتا على شاطئ البحر. ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى " (١) .

ومن تأمل في نص سفر الخروج لا يجد فيه ما يدل دلالة صريحة على ان فرعون كان من بين من غرق من جنوده ،كما لا يجد ما يدل على نجاته من الغرق . غير ان الوعد الالهي لموسى يشير الى ان فرعون سيلقى مع جيشه مصيره المحتوم وذلك في قول سفر الخروج :

" وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم فاتمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه . فيعرف المصريون أني أنا الرب أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه " (٢) . وكذلك مما يدل على غرق فرعون قوله : " لم يبق منهم ولا واحد ".

وعليه فان ما جاء في السنن القويم من ترجيح عدم غرق فرعون مجانب للصواب " (٣)

وبغرق فرعون وجنوده ،ونجاة قوم موسى بقيادته ،أشرقت شمس جديدة ، على بني اسرائيل ، شمس العبودية لله الواحد الأحد ، حيث لا استعباد ولا خضوع الا لرب موسى وهارون وبطلوع شمس ذلك اليوم ترك الاسرائيليون أرض مصر وأهلها الى غير رجوع . وكان ذلك في نحو عام ١٢٢٥ ق.م (٤) بعد اقامتهم في مصر أربعمائة وثلاثين عاما (٥) .

---

(١) خروج ١٤ : ٣٠-٣١ (٢) خروج ١٤ : ١٧-١٨ (٣) السنن القويم ج١ ص٣٧٦

(٤) انظر تاريخ شعب العهد القديم ص ١٤٧ وقيل انهم خرجوا في نحو عام ١٢٥٠ ق.م وقيل عام ١٢٩٠ ق.م وقيل عام ١٢٣٠ ق.م وقيل غير ذلك . انظر موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية ص ٢٧

(٥) خروج ١٢ : ٤٠

خروج بني اسرائيل من مصر كما في القرآن الكريم :

لما توعد فرعون السحرة الذين آمنوا وجهروا بمقاومة شره ، وفساد امره ، أمر الله عبده ورسوله موسى عليه السلام أن يسير ببني اسرائيل ليلا الى الجهة التي رسمها الله تعالى لمسيرهم واخبره انهم متبعون .

قال الله تعالى : " وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي ليلا انكم متبعون "(١) .

فسار بهم عليه السلام كما أراد الله تعالى ما شاء الله ان يسير حتى وصل الى شاطئ البحر الأحمر في خليج السويس . ويبدو ان مقام الاسرائيليين ليس ببعيد عن البحر ، وأن المصريين كانوا يراقبون حركاتهم وسكناتهم . فلما أحسوا ان القوم خرجوا بقيادة موسى عليه السلام ،جمعوا من الجنود ما أمكن جمعه استعدادا لاستئصالهم . قال تعالى :

" فأرسل فرعون في المدائن حاشرين . ان هؤلاء لشرذمة قليلون . وانهم لنا لغائظون وانا لجميعا حاذرون "(٢) .

ولقد خشي فرعون أن يكون بنو اسرائيل سببا لزوال ملكه وذهاب سلطانه ، فقام بتعبئة جيشه ، واستدعاء جنوده ، خوفا مما قد يمكن ان يحدث له ولبلاده . ولكن الحذر لا ينجي من القدر ،ورب هارب من الموت يسعى اليه على عجل .

وبعد ان جمع فرعون جنوده وحشر ، توجه الى مطاردة الاسرائيليين كما قال تعالى : " فأتبعوهم مشرقين . فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ان معي ربي سيهدين "(٣) .

ولقد خالج قلوب قوم موسى من الرعب والخوف ما الله به عليم عندما شاهدوا فرعون يجر خيله وخيلاءه ، يريد القضاء عليهم ، ولذلك قالوا لموسى مؤكدين : انا لمدركون . أي ان فرعون ممسك بهم لا محالة . غير

---

(١) سورة الشعراء ٥٢ (٢) الشعراء ٥٣-٥٦ (٣) الشعراء ٦٠-٦١

أن موسى الذى كان على بينة من ربه الذى وعده بالنصرة والغلبة ، بدد خوفهم وآمن من روعهم بقوله : " كلا ان معي ربي سيهدين " أى ليس الأمر كما تعتقدون أو تتوقعون ، لأنّ الله تعالى وعدنى وعد الحق بأنه معي بنصره وتأييده وتوفيقه الى سبيل الخلاص والنجاة .

هنالك جاء الأمر الالهي الى موسى عليه السلام : " فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم "(١) ، " ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى "(٢) .

فنفذ موسى أمر ربه ، فانفلق البحر ، فبدأت مرحلة النجاة العظيمة ، انها الصورة مصغرة عن عبور المؤمنين على الصراط يوم المعاد ، وتساقط الكافرين في جهنم جميعا .

قال تعالى " فأزلفنا ثمّ الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه اجمعين . ثم أغرقنا الاخرين "(٣) . وقال : " وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين "(٤) .

وقال :" فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم ، وأضل فرعون قومه وما هدى "(٥) .

هكذا كان مصير الظالمين المعتدين ، وكذلك كانت عاقبة المتقين . ولقد وجه موسى عليه السلام قومه الى التحمل ، وأمرهم بالاستعانة بربهم ، وأن يصبروا على ما يلاقونه من الظالمين" قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين "(٦) .

فقالوا له غاضبين وقد نفذ صبرهم ويئسوا من الخلاص : " يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا . قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون "(٧)

---

(١) الشعراء ٦٣ (٢) طه ٧٧ (٣) الشعراء ٦٤-٦٦
(٤) يونس ٩٠ (٥) طه ٧٨-٧٩ (٦) سورة الاعراف ١٢٨
(٧) الاعراف ١٢٨-١٢٩

فكانت العاقبة للمتقين ، والنجاة لعباد الله الصالحين ، وأما الظالمون المعتدون ، فما يعدلون جناح بعوضة عند الله عز وجل ،ولذلك بين الرب حقارتهم و تفاهتهم بقوله : " كم تركوا من جنات وعيون و زروع ومقام كريم ،و نعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما اخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين " (١) .

وأهم الفروق التي يراها القارئ بين ما ورد في هذه القصة في كتاب الله تعالى ، وما ورد في سفر اليهود هو ان المنتصر في القرآن الكريم ، هو الايمان ، والمؤمنون الصالحون وان المنهزم الغريق ، هو الكفر والكافرون المعتدون . واما في سفر الخروج اليهودى فان المنتصر هو الشعب المختار والقومية المصطفاة لا لحمل الرسالة ، ولكن للاستيلاء على الأرض ومن عليها . وان المنهزمين فيه هم المصريون . اى ان الخلاص لم يكن منوطا بالايمان والعمل الصالح ، وان الهلاك لم يكن نتيجة من نتائج الكفر بالله تعالى ، الذى ترتب عليه استعباد عباده ، والاستعلاء في أرضه بغير حق .

---

(١) الدخان ٢٥-٢٩

المبحث السابع

بنو اسرائيل وموسى بعد خروجهم من مصر

لقد نجا بنو اسرائيل من عذاب فرعون و نجوا من الغرق ، ورأوا بأعينهم اعداءهم المستكبرين قد صرعتهم أمواج البحر العاتية ، وابتلعتهم لججه السحيقة ، فحمدوا الله وأثنوا عليه مرنمين ترانيم تعبر عن مدى فرحهم و عظم سرورهم ، كما جاء ذلك في قول سفر الخروج :

" حينئذ رنم موسى و بنو اسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا أرنم للرب فانه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي . هذا الهي فأمجده . اله أبي فأرفعه الرب رجل الحرب . الرب اسمه . مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر . فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج قد هبطوا في الأعماق كحجر . عينك يا رب معتزة بالقدرة يمينك يا رب تحطم العدو وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك ترسل سخطك فيأكلهم كالقش" (١) .

وخرجت النساء بقيادة أخت موسى (أو اخت هارون) كما في تعبير سفر الخروج ، و رقصن وهن يضربن الدفوف . قال سفر الخروج : " فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها . و خرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص . وأجابتهم مريم : رنموا للرب فانه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما في البحر" (٢) .

ثم ارتحل بنو اسرائيل الى برية شور من بحر سوف الذى هو البحر الأحمر ، أو بحر القلزم ، كما في النسخة السامرية ، وبعد مسير ثلاثة أيام لم يجدوا ماء ، فجاءوا الى موضع يسمى " مارة " لمرارة مائه ، فلم يستطيعوا أن يشربوا من مائه . و هناك شغب بنو اسرائيل على موسى كما في الخروج :

" فتذمر الشعب على موسى قائلين ، ماذا نشرب ؟ فصرخ موسى الى الرب ، فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا" (٣)

---

(١) خروج ١٥ : ١-٧ (٢) خروج ١٥ : ٢٠-٢١ (٣) خروج ١٥ : ٢٤-٢٥

قال في السنن القويم : " ولم تتعين النقطة التى ساروا منها من البحر الأحمر ،والمرجح أنها كانت قرب السويس . والمرجح أن ينابيع موسى أو " عين موسى " و هى على غاية سبعة أميال من السويس هي المكان الذى استراحوا فيه ، و نظمت فيه الاغنية المقدسة . فان في هذه الأرض كثيرا من الكلا والبقول والابار ، وبرية شور هي أرض جرداء تمتد من بحيرة سربونيس في الشمال الى عين حوارى (١) في الجنوب وسميت أيضا برية آثام . . . والاسرائيليون لم يسافروا الا في الجزء الجنوبي . وهنالك البرية عراء وفلاة لا ماء فيها تخلو من الكلا في سوى اول الربيع فساروا ثلاثة أيام : ما بين عين موسى و عين حوارى نحو ٣٦ ميلا . فاذا كانت حوارى هي مارة فيكون معدل سيرهم في اليوم ١٢ ميلا . وهذا ما يتوقع من مثل هذا الجيش الكبير ،ولا داعي له الى السرعة هنالك" (٢) .

ومع ان الموضع الذى عبر منه بنو اسرائيل البحر غير معروف حتى الآن ، فان البحر الذى عبروه هو البحر الأحمر من جهة خليج السويس . ويدل على هذا وصولهم الى تلك المياه المرة بعد مسيرة ثلاثة أيام من موقع البحر الذى عبروه و هي التى تسمى اليوم عين حوارة (٣) .

يقول زكى شنودة :" ثم عبروا بحر سوف الذى هو البحر الأحمر عند الشاطئ الجنوبي الغربي للخليج العربي ، الى شاطئه الجنوبي الشرقي من موضع يقرب على الأرجح من جبل عتاقة ،القائم بجوار مدينة السويس الحالية ، حيث وقعت معجزة انشقاق البحر الشهيرة ،فحلوا في الموضع المسمى اليوم " عيون موسى " وهو بقعة صحراوية تنتشر فيها عيون الماء وأشجار النخيل . ثم ارتحلوا من بحر سوف الى برية شور حيث ساروا ثلاثة أيام دون أن يجدوا ماء ،حتى اذا بلغوا عين ماء في الطرق - وهي التى تسمى اليوم عين

---

(١) في موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية ص ٢٩ جـ ٨ " عين حوارة "
(٢) السنن القويم جـ١ ص ٣٨٢
(٣) انظر موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٨ ص ٢٩

حوارة - وجدوا ماءها مرا فسموها " مارة " ثم تركوها الى " ايليم " الواقعة في الوادى المسمى اليوم وادى غرندل على مسافة نحو ستين ميلا جنوب شرقي السويس ،فوجدوا هناك اثنتى عشرة عين ماء ، وسبعين نخلة ،فمكثوا هناك بعض الوقت . ثم ارتحلوا الى برية "سين " في اطراف وادى طيبة ، بين ايليم وسيناء وهي الصحراء المعروفة ببرية السرقى ، الواقعة بين الجبال شرقا والبحر الأحمر غربا . وقد بلغها اليهود بعد شهر من خروجهم من مصر" (١) .

وبعد مضى شهر من خروج القوم من مصر ،تذمروا على موسى عليه السلام وقالوا له : " ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ،نأكل خبزا للشبع ، فانكما اخرجتمانا الى هذا القفر لكي تميتنا كل هذا الجمهور بالجوع" (٢) .

فأمطر الله لهم المن ليجد كل واحد منهم قوت يومه ،وفي اليوم السادس يجدون قوت يومين لأنّ السبت يوم مقدس للرب . فأمر موسى قومه ان يجمع كل واحد منهم ما يكفيه ليومه فقط ولا يزيد ،وأن لا يدخر شيئا عنده ليوم آخر ، كما لا يجوز أن يجمعوا يوم السبت شيئا من المن لقدسيته ، فعصى بنو اسرائيل ،فمنهم من اكثر جمعه ، ومنهم من ادخر ،و منهم من أراد ان يجمع المن يوم السبت غيرانه لم يجد شيئا (٣) . وقد وصف المن في سفر الخروج بأنه شيء " كبزر الكزبرة ابيض ، وطعمه كرقاق العسل" (٤) .

ثم تمرد بنو اسرائيل مرة اخرى فخاصموا موسى وطلبوا منه ماء ليشربوا فكادوا يرجمونه لولا ان امره الله ان يضرب بعصاه صخرة فتفجر منها الماء ، وكان ذلك في حوريب ، في اول موضع نزل فيه الوحى على موسى قبل رجوعه الى مصر لاخراج قومه منها (٥) .

---

(١) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٨ ص ٢٩ - ٣٠

(٢) خروج ١٦ : ٣-

(٣) خروج ١٦ : ٤ - ٢٧

(٤) خروج ١٦ : ٣١

(٥) خروج ١٧ : ١ - ٦

وفي أثناء ذلك وقعت بينهم وبين العماليق حرب ،فانتصر بنو اسرائيل بقيادة يشوع . وكان ذلك في موضع يدعى : " رفيديم " من شبه جزيرة سيناء(١) .

ثم وصلت اخبار موسى وقومه الى يثرون كاهن مديان الذى أقام عنده موسى وتزوج ابنته صفورة ، فجاء للقائه مصطحبا معه صفورة ،وابني موسى ، جرشوم ، وأليعازر . فاستقبله موسى وسجد ،وقبله . ولما رأى يثرون ان بني اسرائيل يأتون الى موسى ليسأل كل شخص مسألته ،فيقضي موسى نهاره في التعليم والقضاء ، نصحه ان يقيم على قومه روءساء الوف وروءساء مئات وروءساء عشرات أمناء ليحكموا في القضايا الصغيرة ،وأما موسى فيتفرغ لتعليم الشريعة ، والقضايا الكبيرة ، فاستحسن موسى رأى يثرون فعمل بنصحه(٢) .

وبعد ثلاثة أشهر من خروج بني اسرائيل ،جاءوا الى برية سيناء ، فنزلوا مقابل الجبل ، فصعد موسى الى الجبل فناداه الله منه قائلا :" هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني اسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم الى ،فالان ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لي كل الارض وانتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة"(٣) .

ثم أمر الله موسى أن يقدس قومه ، ويأمرهم بتطهير ثيابهم ، ليستعدوا لسماع كلام الله مع موسى قائلا :" اذهب الى الشعب وقدسهم اليوم وغدا . وليغسلوا ثيابهم ، ويكونون مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب امام عيون الشعب على جبل سيناء . وتقيم للشعب حدودا من كل ناحية قائلا : احترزوا من أن تصعدوا الى الجبل أو تمسوا طرفه . كل من يمس الجبل يقتل قتلا . لا تمسه يد بل يرجم رجما أو يرمى رميا . بهيمة كان أم انسانا لا يعيش أما عند صوت البوق فهم يصعدون الى الجبل"(٤)

---

(١) خروج ١٧ : ٨-١٣
(٢) خروج ١٨ : ١-٢٦
(٣) خروج ١٩ : ٣-٦
(٤) خروج ١٩ : ١٠-١٣

فاستعد بنو اسرائيل لذلك اليوم كما أمروا . وفي صباح اليوم الثالث : " صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذى في المحلة . وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله فوقفوا في أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل ان الرب نزل عليه . بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت . ونزل الرب على جبل سيناء الى رأس الجبل" (١)

فصعد موسى الى الجبل ثم اعاده الرب ليحذر قومه من ملامسة الجبل او اقتحامه على الرب لئلا يموتوا ، وأن يعودوا مع هارون الى قمة الجبل ، ففعل موسى ما أمر به وهنا أوتى موسى الوصايا العشر التي اشتملت على العقائد والشرائع (٢) .

وقد بين الرب لبنى اسرائيل ما يجب ان يفعلوه لله تعالى ، وما يجب ان يلتزموا فيما بينهم في التعامل . ومنحهم منهاج حياة كاملا . واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، واصعدهم الى الجبل مع هارون وأبيهو وناداب (٣) ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى أشراف بنى اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا" (٤) .

وهذا النص اليهودى لا يحتاج القارى لادراك معناه الى قواميس أو شروح فانه واضح المعنى لا لبس في دلالته على ما قصده الواضع لأصل اللغة . ذلك المعنى الجلى الذى يفيد ان شيوخ اسرائيل السبعين ومعهم موسى وهارون وناداب وأبيهو ، رأوا اله اسرائيل ، وأنه ذو رجلين تحتهما ما يشبه العقيق الأزرق الشفاف ، غير ان ذلك الاله الذى رآه شيوخ القوم لم يمد يده الى ضيوفه للمصافحة ، ولعله رغب في الحفاظ على حق عدم اللمس ؟!

---

(١) خروج ١٩ : ١٦-١٩ (٢) انظر سفر الخروج ٢٠ وتثنية ٦

(٣) ناداب وأبيهو هما ابنا هارون الاكبران انظر خروج ٦ : ٢٣

(٤) خروج ٢٤ : ١٠-١١

وهل هذه القصة مما نطق بها موسى أو نبي آخر غيره ،أو أي فرد من افراد بني اسرائيل يؤمن بالله ربا ،أو يملك ذرة من عقل ؟! لا وألف لا . انها من وضع سفيه استخف باليهود فأطاعوه . وقد ورد في سفر الخروج هذا ان موسى سأل ربه ان يمكنه من رؤيته ، فقال له : "لا تقدر أن ترى وجهي ، لأن الانسان لا يراني ويعيش"(١) .

واذا قال هذا لموسى فكيف بمن دونه من بني اسرائيل ؟! ان هذا الا اختلاق .

وفي هذه المناجاة أوتي موسى لوحي الشهادة والشريعة والوصية ، بعد ان ترك هارون وحور في قومه ليرجعوا اليهما فيما يجد من دعاوى ،وبقي على جبل سيناء أربعين يوما بلياليها .

ولما رأى القوم أن موسى أبطأ في النزول من جبل سيناء ،خطرت لهم خواطر شيطانية ،فذهبوا الى هارون خليفة موسى ،وطلبوا منه ان يجعل لهم آلهة ترشدهم الى الطريق بأن تسير أمامهم ،فوافق هارون على ذلك ، فأمرهم ان يجمعوا أقراط الذهب من آذان نسائهم وبنيهم وبناتهم ،ففعلوا ، فسبك لهم منها عجلا ذهبيا ، فاعتقد القوم انها هي الالهة التي اخرجتهم من مصر ، وقد بنى هارون ايضا مذبحا أمام الاله الذهبي الجديد ،ونادى فيهم بأن غدا عيد للرب . هذا ما تقوله الرواية اليهودية الكاذبة .

ولكي يقف القارئ على نص ما جاء في ذلك أضع بين يديه ما جاء في سفر الخروج حيث قال : " ولما رأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون : انزعوا اقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه الهتك يا اسرائيل

---

(١) خروج ٣٣/٢٠

التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد للرب فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة" (١) .

هذه فرية اخرى من مفتريات اليهود ،فان هارون ليس هو الذى سبك لهم الذهب عجلا ، ودعاهم الى عبادته ،وانما هو السامرى الذى ورد ذكره في القرآن الكريم ،وما كان لنبى ان يدعو الى عبادة غير الله تعالى . وسيأتي ايراد الأدلة التي تدحض هذه الفرية في الباب الأخير ان شاء الله تعالى .

وقد اخبر الرب موسى بما فعله قومه في غيابه ، فعاد وهو ممتلىء غيظا وغضبا ،وفي يده لوحا الشهادة اللذان كتب الله فيهما بيده شرائع ، وسنن الدين اليهودى ، وقد صنعهما الله لأجل ذلك ، وألقى موسى اللوحين وهو غضبان فانكسرا . وأخذ العجل الذى عبدوه فأحرقه بالنار" وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل "(٢) .

ليت شعرى ماذا يقصد واضع السفر بقوله هذا ؟! أن تدمير موسى للصنم واحراقه ثم ذر اجزائه على وجه الماء بعد طحنه ،امر مقبول ومعقول . أما ان يسقى قومه ذرات الصنم المطحون بعد خلطه بالماء فأمر غير معقول ولا مقبول .

ولعل السبب في وضع هذا النص هو عدم فهم المعنى الذى دل عليه النص الاصلى للتوراة . ذلك لأنّ الله تعالى ذكر أن بنى اسرائيل أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم فظن كاتبهم الذكى ، أن القوم شربوا العجل بعد طحنه واعداده للشرب ، لا أنهم أشربوا حبه الذى تمكن من قلوبهم حتى عبدوه وقالوا هذا الهكم واله موسى الذى اصعدهم من ارض مصر ، وانقذهم من عذاب فرعون وجبروته . وهذا احتمال قوى في نظرى والعلم عند الله تعالى .

---

(١) خروج ٣٢ : ١-٦ (٢) خروج ٣٢ : ٢٠

وبعد هذه الخطيئة العظيمة ،والكفر السريع بربهم الذى أنعم عليهم بنعم كثيرة متوالية صاحبتهم منذ خروجهم من مصر الى يومهم الذى كفروا فيه بربهم ، أمرهم الله تعالى ان يقتل كل واحد منهم صاحبه ،وقريبه ، ففعل ذلك سبط لاوى الذى منه موسى وهارون ، اذ قتلوا نحو ثلاثة آلاف رجل منهم ، فكان ذلك شرطا لتوبة الله عليهم . غير ان النياه لم تعد لمجاريها ، حسب رواية اليهود ، لأنّ الرب الذى كان يسير أمامهم ان ساروا ، وينزل معهم ان نزلوا ، ترك هذه العادة بعد هذه الحادثة فخفض التمثيل الدبلوماسى الى أدنى مستوى ، اذ جعل لهم ملاكا يسير أمامهم عوضا عن ذاته (١) .

والى هذا أشار في السنن القويم بقوله : " ... لكنه أنبأ موسى بأنه عفا عن الشعب وأذن في أن يتمموا مسيرهم الى أرض الموعد ،لكن جعل لهم الملاك قائدا ،بدلا من ان يقودهم هو سبحانه وتعالى بنفسه .."(٢) .

ومع عظم الجرم الذى نسبه سفر الخروج الى هارون عليه السلام ، فانه يذكر أن الله تعالى أمر موسى ان يمسح أخاه هارون وبنيه أئمة يقيمون لبنى اسرائيل الشعائر الدينية ،ويستمر ذلك في نسل هارون الى الأبد . وقد اكتفى موسى بتوبيخ أخيه على ما زعموا انه اقدم عليه .

قال زكى شنودة : " وقد حدث حين كان موسى يناجى الله على الجبل أن اليهود طلبوا من هارون أن يصنع لهم صنما يعبدونه ،فأخذ اقراط الذهب من نسائهم وصنع لهم منه تمثال عجل ،فراحوا يسجدون له ،ثم انطلقوا يأكلون ويشربون ويرقصون . وفي هذه الأثناء نزل موسى من الجبل وفي يده لوحا العهد اللذين أعطاه الله اياهما مشتملين على الوصايا العشر ،فرأى العجل الذهبي قائما ، واليهود يرقصون ،فاستشاط غضبا وطرح اللوحين فتهشما في أسفل الجبل ، ثم أخذ العجل الذى صنعوه ،وأحرقه بالنار ،وطحنه حتى صار ناعما ، ثم ذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل ، ووبخ هارون لأنه صنع

---

(١) انظر سفر الخروج ٣٢ : ٣٤ (٢) السنن القويم جـ١ ص ٤٩٢

العجل لهم . ثم أمر بنى سبط لاوى أن يأخذوا سيوفهم ويؤدبوا بنـــي اسرائيل ، فقتلوا في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل "(١) .

وكلام زكي شنودة هذا الذى يدل على ان بنى لاوى بقوا مخلصين لدعوة موسى ، فلم يعبدوا العجل مع بقية بنى أسرائيل ، لا نجد له مستندا من سفر الخروج ، فانه يدل على ان الاسرائيليين جميعا عبدوا العجل وذلك حيث يقول : " ولما رأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّ موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ... فنزع كل الشعب اقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هارون ... فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى اصعدته من أرض مصر ... فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم وأصيرك شعبا عظيما"(٢) .

وبعد هذه الواقعة أمر موسى قومه أن يبنوا التابوت وخيمة الاجتماع ، ويجمعوا حليهم وجواهرهم من أجل ذلك ، ففعلوا ذلك. ولما تم بناؤهما ، ارتحلوا من برية سيناء وهم يحملون الخيمة والتابوت . وكان ذلك في السنة الثانية لخروجهم من مصر.

قال زكى شنودة : " ثم في اليوم العشرين من الشهر الثاني من السنة الثانية من خروج اليهود من مصر ، ارتحلوا من برية سيناء حاملين خيمة الاجتماع وتابوت العهد معهم ، متجهين شرقا نحو خليج العقبة يستقرون حينا ، ثم يتابعون السير حينا آخر"(٣) .

وفي أثناء رحلة قوم موسى هذه ، آذوا نبيهم موسى عليه السلام وطلبوا منه امورا كثيــرة ،منها ما يستحيل ومنها ما هو جائز . لا ينبغــي وقوعه من المؤمنين الصادقين في ايمانهم .

---

(١) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ ٨ ص ٣٢-٣٣

(٢) خروج ٣٢ : ١-١٠ (٣) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٨ ص ٣٣-٣٤

واليك بيان تلك الأمور التى تدل على عناد القوم وكفرهم بنعم الله تعالـــى عليهم :

١ - بعد خروجهم من مصر وتعقب فرعون لهم ،قالوا لموسى : " هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى اخرجتنا من مصر ؟ أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فـــي مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصرييـــن من أن نموت في البرية "(١) وهو قول يدل على عنادهم وكفرهم الشديد ، رغم ما شاهدوه من آيات الله على يد موسى عليه السلام.

٢ - وبعد غرق فرعون وجنوده ،ونجاة موسى وقومه ، شغبوا على موسى لأنهم لم يجدوا ماء يشربونه " فتذمر الشعب على موسى قائلين : ماذا نشرب ؟ "(٢) وهذا مما يدل على عدم صبرهم على بلاء الله ، وسوء أدبهم مع نبي الله موسى عليه السلام .

٣ - وبعد خروجهم من مصر بشهر واحد ،تمردوا عليه أيضا : "فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهارون في البرية ،وقال لهما : بنو اسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ،فانكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع "(٣) وهذا يدل على عدم رغبتهم فيمـا عند الله تعالى ، وقلة ايمانهم ،وعلى استحبابهم متاع الحياة الدنيا على الآخرة ، مع تضافر الأدلة التى تسوق الى الايمان سوقا .

٤ - حينما أنزل الله عليهم المن ، أمروا ان لا يبقى احد منهم لديه شيئا منه ، حتى الصباح : " لكنهم لم يسمعوا لموسى بل أبقى منـه أناس الى الصباح فتولد فيه دود وأنتن ، فسخط عليهم موسى "(٤)

---

(١) خروج ١٤ : ١١-١٢ (٢) خروج ١٥ : ٢٤
(٣) خروج ١٦ : ٢-٣ (٤) خروج ١٦ : ٢٠

٥ - أمروا على لسان موسى ان يلتقطوا المن ستة أيام في الأسبوع ،فيتركون يوم السبت لأنه يوم راحة فلا يوجد فيه المن فعصوا :

" وحدث في اليوم السابع ان بعض الشعب خرجوا ليلتقطوا فلم يجدوا .. فقال الرب لموسى الى متى تأبون ان تحفظوا وصاياى وشرائعي؟" (١)

٦ - وبعد رحيلهم من برية سيناء أتوا الى موضع اسمه " رفيديم " :

" فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطنا ماء لنشرب . فقال لهم موسى : لماذا تخاصمونني ؟ لماذا تجربون الرب ؟ وعطش هناك الشعب الى الماء وتذمر الشعب على موسى وقالوا : لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش ؟ " (٢)

٧ - في غياب موسى عليه السلام أربعين ليلة لمناجاة ربه ،استطولوا مدة غيابه ،فاتخذوا العجل وعبدوه مرتدين على اعقابهم ،ولما تزل أقدامهم رطبة من آثار عبور البحر الذى غرق فيه عدوهم .

وهذه أشنع ردة عرفها البشر في تاريخهم الطويل ،لأنها وقعت وآيات الله تتلى عليهم وبيناته تتوالى فيهم ،ورسوله هارون ينهاهم ويذكرهم بالله تعالى وموسى في مناجات ربه ، ليعود اليهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة .

٨ - ثم عاد بنو اسرائيل الى تمردهم ،وبكوا أمام موسى قائلين : " من يطعمنا لحما ؟ قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله في مصر مجانا ، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم . والآن قد يبست أنفسنا . ليس شيء غير أن أعيننا الى هذا المن . . . فقال موسى للرب : لماذا أسأت الى عبدك ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على ؟ ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب؟ لأنهم يبكون على قائلين أعطنا لحما لنأكل . لا أقدر انا وحدى ان احمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على فان كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلا ان وجدت نعمة في عينيك فلا أرى بليتي " (٣)

---

(١) خروج ١٦ : ٢٧-٢٨ (٢) خروج ١٧ : ٢-٣ (٣) عدد ١١ : ٤-١٥

فكان من نتيجة هذا التذمر أن انزل الله عليهم السلوى التي ساقتها ريح من البحر ، والقتها حول رحال بني اسرائيل على امتداد مسيرة يوم من جميع الجهات ، وقد بلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ذراعين (١) .

٩ - ولما دعوا الى دخول الأرض المقدسة ، جبنوا فأبوا الامتثال لأمر الله تعالى " فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وهارون جميع بني اسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض/ لنسقط بالسيف ؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ، أليس خيرا لنا ان نرجع الى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا و نرجع الى مصر " (٢) فعاقبهم الله بأن حرم عليهم دخول تلك الأرض الا بعد اربعين سنة يموت خلالها القوم الذين عصوا ربهم ، وهم كل من فوق العشرين من عمره ، من عدا كالب ويشوع فهما يدخلان ، لأنهما نصحا قومهما بأن لا يخافوا ، لأن الله معهم . فكاد القوم ان يرجموهما بالحجارة (٣) .

١٠ - قام منهم رجل يدعى قورح (٤) بن يصهار ومعه ثلاثة اخرون فقاوموا موسى فانضم اليهم مائتان وخمسون رجلا من الرؤساء وقالوا لموسى وهارون : " كفا كما ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟ ... أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا في البرية ؟ حتى تترأس علينا ترؤسا . كذلك لم تأت بنا الى أرض تفيض لبنا وعسلا ولا أعطيتنا

---

(١) عدد ١١ : ٣١ (٢) عدد ١٤ : ١-٤ (٣) عدد ١٤ : ٥-٣٨

(٤) يبدو ان قورح هذا هو قارون الذى ورد ذكره في القرآن الكريم على أنه من قوم موسى وانه بغى عليهم وكفر بربه فعاقبه الله بأن خسف به وبداره الأرض . انظر سورة القصص ٧٦- ٨٢ .

نصيب حقول وكروم . وهل تقلع أعين هؤلاء القوم ؟ لا نصعد" (١) فعاقبهم الله تعالى بأن خسف بهم الأرض مع جميع ما يملكون وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم ، وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال فنزلوا هم وكل ما كان لهم احياء الى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة وكل اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم لأنهم قالوا لعل الأرض تبتلعنا" (٢)

١١ - ولما رأى بنو اسرائيل ما فعل الرب بقورح وأشياعه أخذتهم الشفقة عليهم " فتذمر كل جماعة بني اسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين أنتما قد قتلتما شعب الرب" فسخط الله عليهم وسلط عليهم الوباء الذي قتل منهم أربعة عشر الفا وسبعمائة (٣) .

١٢ - وبعد أن جاء بنو اسرائيل الى برية صين ، وأقاموا في قادش التي ماتت بها مريم أخت هارون " لم يكن هناك ماء للجماعة فاجتمعوا على موسى وهارون وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين ليتنا فنينا فناء اخوتنا أمام الرب لماذا أتيتما بجماعة الرب الى هذه البرية لكي نموت فيها نحن ومواشينا ؟ ولماذا اصعدتمانا من مصر لتأتيابنا الى هذا المكان الردىء؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب" فأمر الله موسى أن يضرب بعصاه الحجر فانفجر منه الماء حتى شرب قومه وشربت مواشيهم .

١٣ - وفي موضع آخر اخذوا يتذمرون وهم يرتحلون " من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم ، فضاقت نفس الشعب في الطريق ، وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف " فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من اسرائيل " (٥) فطلبوا من موسى أن يدعو ربه ليرفع

---

(١) عدد ١٦ : ٣-١٤ (٢) عدد ١٦ : ٣٢-٣٤ (٣) عدد ١٦ : ٤١-٤٩
(٤) عدد ٢٠ : ٢-٥ (٥) عدد ٢١ : ٤-٦

عنهم . ففعل ، فأمره الرب أن يصنع حية من نحاس ويضعها على الراية لينظر اليها اللديغ فيشفى ففعل موسى ما أمر به . وقد عبدوا تلك الحية فيما بعد .

١٤ - وبعد رحلات وتنقلات طويلة ، أقام بنو اسرائيل في شطيم " وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الشعب الى ذبائح الهتهن فأكل الشعب وسجدوا لا لهتهن ، وتعلق اسرائيل ببعل فغور فحمى غضب الرب على اسرائيل " (١) فسلط عليهم الوباء حتى قتل منهم أربعة وعشرين ألفا .

*

منازل بني اسرائيل في رحلاتهم من مصر مع موسى وهارون عليهما السلام

جاء في سفر الخروج وسفر العدد (٢) ذكر منازل بني اسرائيل منذ خروجهم من مصر و حتى وفاة موسى عليه السلام ، وهم يتيهون في الأرض عقوبة من الله تعالى على عصيانهم امره بدخول الأرض المقدسة ، وقد زاد عدد تلك المنازل على أربعين منزلا يحلون فيه فترة من الزمن ، ثم يرتحلون منه الى منزل آخر ، و هكذا استمرت رحلاتهم أربعين سنة لم يخرجوا خلالها من شبه جزيرة سيناء . وقد كانوا يعودون في بعض الأحيان الى الموضع الذى ارتحلوا منه ، ظنا منهم انهم انما يرحلون الى موضع آخر ، فيرون انفسهم وقد عادوا الى موضعهم الذى غادروه (٣) .

يقول ول ديورانت : " ولما سار موسى باليهود الى جبل سيناء ، لم يكن في سيره هذا الا متبعا نفس الطريق الذى كانت تسلكه البعثات المصرية التي تبحث عن الفيروز منذ الف عام . و تبدو الان قصة الأربعين عاما التى تاهوا فيها في الصحراء ، والتى كان يظن من قبل انها قصة غير معقولة ، تبدو الآن من الأمور التي يقبلها العقل ، لأنها تصف مسير قوم من البدو الذين كانوا طوال عهدهم قوما رحلا .. " (٤)

---

(١) عدد ٢٥ : ١-٣ (٢) عدد ٣٣ (٣) انظر السنن القويم جـ٢ ص ٣٤١

(٤) قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٢٦

ومهما قيل في تفسير بقاء قوم موسى هذه الفترة الطويلة في تلك الأرض التي قطعها اسلافهم مرارا للتزود بالطعام من مصر في فترة قصيرة ، فان مما لا شك فيه ،ان القدرة الالهية التي اخرجتهم من مصر بتلك الطريقة العجيبة هي التي جعلتهم يتيهون في تلك الأرض اربعين سنة .

واذا تأملنا في نصوص اسفارهم التى تدل على أن الاسرائيليين كانوا يهتدون في حلهم وترحالهم بعمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا ، اذ يسيرون بسيره وينزلون بتوقفه ،يتأكد لدينا أن ذلك العمود الذى كانوا يتبعونه ،هو الذى يضلهم الطريق ،ويتيههم في الصحراء بقدرة الله تعالى .

وليس من الصواب تفسير بقائهم في سيناء تفسيرا ماديا ،بمعنى أن كونهم بدوا رحلا ،هو الذى جعلهم يبقون في الصحراء تلك المدة الطويلة ،كما يستشف هذا من كلام ول ديورانت السابق ، ومما يقوى القول بخلاف قوله ان الاسرائيليين عاشوا في ضنك من العيش طول تلك الرحلة ، حتى هموا أن يعودوا الى مصر ،وتمنوا انهم ما خرجوا منها ، وما ذلك كله الا لعدم وجود ما ألفوه من أسباب الحياة ،من ماء عذب ،وكلأ وعشب ، وطعام مختلف الألوان والمذاق ، وبقاؤهم في الصحراء كان لسبب خارج عن ارادتهم لا محالة .

وفاة هارون عليه السلام :

حينما نزل بنو اسرائيل عند جبل هور في طرف أرض ادوم ،توفي هارون عليه السلام ،بعدما مضى على خروجهم أربعون عاما . كما جاء ذلك في سفر العدد : " ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف أرض أدوم . فصعد هارون الكاهن الى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور "(١) .

---

(١) عدد ٣٣ : ٣٧-٣٩

وقد كان هارون عليه السلام في قومه اماما يقتدى به في اقامة الشعائر الدينية ، وهو ما يعبر عنه اليهود والنصارى بالكاهن ، وتعبر التوراة السامرية عنه بالامام في كل موضع ورد فيه اسم "كاهن" (١) .

هكذا قضى هارون نحبه بعد أن رافق شقيقه في النسب وفي النبوة والرسالة ،فكان خير وزير له صلوات الله وسلامه عليه .

وفاة موسى عليه السلام :

بعد ما قطع موسى بقومه مراحل الى أرض كنعان ، ودنا من دخولها ،أيقن أنه ميت قبل دخول قومه أرض كنعان ، فأعد قومه للحرب والسلم اعدادا كاملا ، كما بين لهم كيفية اقتسام الغنائم من أرض وغيرها بعد استيلائهم على الأرض المحيطة بهم والتى سوف يحاربون سكانها من أجل السيطرة عليها . ونهاهم عن الخروج عن الحدود التي رسمها لهم في قسمة الغنائم (٢) .

وحينما علم موسى بدنو أجله ،وصى بنى اسرائيل ،ونصحهم ، محذرا من عصيان ربهم الذى أحسن اليهم وقال لهم : " خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هناك شاهدا عليكم ،لأنى انا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى . اجمعوا الى شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لانطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ، لأنى عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ،ويصيبكم الشر في آخر الايام ،لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم" (٣)

وبعد أن بلغ موسى رسالة ربه ،ونصح أمته ،وأدى الأمانة على خير وجه ، مع ما واجهه به قومه من كفر وعناد وتمرد متكرر مدة اربعين عاما ،أوشك ان يستريح من عناء السفر المتواصل ،في دار العبور والمرور ، الى دار الكرامة ،والنعيم الأبدى والحبور ، فقد أمره الرب أن يتوجه

---

(١) وفي هذا الموضع تقول السامرية : " وصعد هارون الامام الى جبل هور "
(٢) عدد ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ (٣) تثنية ٣١ : ٢٦ - ٢٩

الى جبل من جبال ذلك الموضع يشرف على الأراضي الواسعة من حوله ،وهو جبل عاريم المعروف بجبل نبو أو نبا ليشاهد الأرض التي وعد الله بها قومه ،" وصعد موسى من عربات موآب(١) الى جبل نبو الى رأس الفسجة التي قبالة أريحا . فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد الى دان . وجميع نفتالي ، وأرض افرايم و منسى وجميع أرض يهوذا الى البحر الغربي . والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل الى صوغر . وقال له الرب هذه هي الأرض التي اقسمت لابراهيم واسحاق ويعقوب قائلا : لنسلك أعطيها ،قد أريتك اياها بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر ، فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم ، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، ولم تكل عينه ،ولا ذهبت نضارته"(٢)

هكذا توفي موسى عليه السلام بعد حياة حافلة بالأحداث المؤلمة ، وبعد أن حقق الله على يديه لأمته ما لا يخطر بالبال ،ولا غرابة في ذلك فان الله قد صنعه على عينه وجعل له من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا . فصلوات الله وسلامه عليه في كل وقت و حين .

---

(١) عربات موآب : " ما في وادي الأردن تجاه اريحا " . جبل نبو : " هو المعروف عند العرب بجبل نبا وهو أحد جبال سلسلة عاريم تجاه أريحا " . الفسجة : معناها في أصل الوضع رابية أو تل مرتفع ،وهي هنا علم لأكمة على قنة جبل نبو" ،

جلعاد : المرجح أنها الأرض من شرقي الأردن الى بلاد العرب و منها ما يعرف بالبلقاء اليوم " .

البحر الغربي : هو البحر الأبيض المتوسط . أنظر السنن القويم جـ ٢ ص ٥١٣-٥١٤

(٢) تثنية ٣٤ : ١-٧

القرآن الكريم لم يذكر منازل موسى وقومه بعد الخروج .

القرآن الكريم لم يذكر من أين بدأت رحلة قوم موسى والى أين ساروا وأين نزلوا في رحلتهم الطويلة ، وليس له ان يذكر ذلك لأنه كتاب هداية ، لا مذكرة تاريخ .

لقد اكتفى القرآن الكريم من ذكر قصصهم بما فيه عبرة ،وذكرى ،ومنة كبرى على بني اسرائيل ، فذكر العيون الاثنتى عشر التي فجرها الله لقومه بعد أن أمره الله بضرب الحجر بعصاه . واختيار سبعين رجلا لميقات ربه الذى تم اربعين ليلة ، وعبادة بنى اسرائيل العجل في غياب موسى ، وهارون ينهاهم وينادى فيهم ببطلان عملهم ، وعدم صبرهم على طعام يأتيهم من السماء وتمنيهم ان يأكلوا مما في الارض من بقل وقثاء وثوم وعدس وبصل . وطلبهم من موسى أن يريهم الله جهرة ، وعقاب الله اياهم بصاعقة اهلكتهم ، وطلبهم من موسى ان يجعل لهم الها على نحو ما وجدوا عليه قوما من عبدة الأصنام ، ورفضهم دخول الأرض المقدسة رفضا متكررا حتى حرموا من دخولها وفرض عليهم التيه في الأرض اربعين سنة . الى غير ذلك مما ذكره القرآن ذكرا جميلا مفصلا .

وبالمقارنة بين القصتين كما جاءت في القرآن ،وكما جاءت في اسفار اليهود ، تتضح للقارئ الفروق الآتية :

١ - بعد أن عبر بنو اسرائيل البحر ، ورأوا تلك الآيات البينات الدالة على قدرة الله ،وصدق نبيه موسى واختصاصه تعالى بالعبادة دون سواه ،أتوا على قوم من عبدة الأصنام ، فطلبوا من موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه على نحو الهة اولئك القوم وفي ذلك يقول الله تعالى :

" وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ،قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين " (١)

---

(١) الاعراف ١٣٨-١٤٠

وهذه الحادثة على عظمها وخطورة شأنها لم يرد ذكرها في أسفار اليهود .

٢ - لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه ، وسمع كلامه ، اشتاق الى رؤية الذات الالهية ظنا منه ان ذلك هين ،فبين الله له ان ذلك ليس مما يحسن طلبه ،لأن القدرة الانسانية ليست مهيأة لتحمل ما يترتب على ذلك من خطر ،قال تعالى :" ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين "(١) .

ولم يرد ذكر هذا الأمر الا مبتورا مضطربا في سفر الخروج ، حيث ذكر فيه انه طلب من ربه ان يريه ذاته المقدسة ، فأجابه بقوله : "لا تقدر ان ترى وجهي . لأن الانسان لا يراني ويعيش . وقال الرب هوذا عندي مكان فتقف علي الصخرة ، ويكون متى اجتاز مجدي أني اضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى اجتاز ثم ارفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى "(٢) وفي موضع آخر يقول سفر الخروج : " ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل . ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ،ولكنه لم يمد يده الى اشراف بني اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا"(٣) . أي انهم رأوه فلم يموتوا خلافا لقوله السابق : "لأن الانسان لا يراني ويعيش".

وهذا أمر في غاية البعد عن الحق لأن موسى ما رأى ربه ولا من كان معه من قومه . وما جاء في هذه الرواية لا يتفق مع الحق ، ولا يتسق مع بقية الرواية لأن النص الاول دل على عدم امكان الرؤية ،والنص الثاني دل على امكانها فليتأمل .

---

(١) سورة الاعراف ١٤٣ (٢) خروج ٣٣ : ٢٠-٢٣ (٣) خروج ٢٤ : ٩-١١

٣ - ان بني اسرائيل عبدوا العجل وموسى يناجي ربه ،وهذا أمر لا يختلف فيه المسلمون واهل الكتاب استنادا الى ما جاء في القرآن الكريم وفي الأسفار اليهودية .

ولكن موضع الخلاف هو ان الذى صنع العجل لليهود ،هو السامرى ،في القرآن الكريم ،وأن هارون حذر قومه من عبادته مبينا لهم أنهم انما فتنوا ،ودعاهم الى الثبات على عبادة ربهم وإيمانهم به ،ولكنهم استضعفوه وعزموا على قتله ان لم يكف عن مقاومتهم ومناصحتهم . قال تعالى وهو يخبر موسى ما حدث من الردة وهو لا يزال في مناجاته : " قال فانا قد فتنا قومك من بعدك فأضلهم السامرى ، فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى . أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى" (١) ولما سأل موسى أخاه هارون موبخا اياه لم لم يهجرهم ويذهب الى حيث يوجد هو لمناجاة ربه ؟ اخبره هارون انه خشى ان يلومه على ما يحصل من الانقسام بين بني اسرائيل لو ذهب بمن أطاعه وبقى على ايمانه . ثم سأل موسى ذلك الضال المضل " قال فما خطبك يا سامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال اذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه ،وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ،لنحرقنه ثم لننسفنه في اليوم نسفا " (٢)

---

(١) طه ٨٥ - ٩١ (٢) طه ٩٥ - ٩٧

وأما رواية سفر الخروج اليهودى ،فقد زعمت ان هارون هو الـذى صنع لقومه العجل الذى عبدوه . وهو أمر في غاية البعد وغاية الفساد ، ان كيف يأمرهم بعبادة غير الله رجل أشركه الله في أمر موسى بنص كتبهم ، وهو نبي يدعو الى عبادة الله الواحد الأحد ، لا الى عبادة غيره ،وهو مما يعلم فساده بالعقل والنقل ، وبقاء هارون عليه السلام اماما يقتدون به في ممارسة الشعائر الدينية -كما تروى اسفارهم - دليل على أنه لم يقترف شيئا مما افتروا عليه ظلما وعدوانا .

- وهذا دليل من أبين الأدلة وأوضحها على أن اسفار اليهود موضوعة مكذوبة . وليست مما أوحى الله بها على موسى عليه السلام .

المبحث الثامن

بنو اسرائيل في عهد يشوع والقضاة

١ - في عهد يشوع بن نون :

كان عصر موسى بالنسبة لبنى اسرائيل عصر تحول تاريخي ،فقد تحولوا فيه من العبودية الى الحرية ، و من الحيرة الى الهداية ،و من الفوضى الى الانضباط والانتظام ،ومن شرذمة قليلة تدور في فلك الآخرين ،الى أمة ذات منهج تشريعي متكامل . وان كان طبعهم الأعوج حاجزا حال بينهم و بين الوصول الى القمة .

لقد توفى موسى عليه السلام وقد وصل قومه الى عتبة الملك ،ومقارعة الملوك ، وذلك بفضل ما ترك فيهم من منهج الهى انتظم جميع شوءونهم الدينية والدنيوية ، ذلك المنهج الالهى هو كتاب التوراة الذى أمر موسى ان يوضع بجانب تابوت عهد الرب ليكون شاهدا على قومه الذين عرف منهم الغلظة ، وقسوة القلوب . كما سبق ذكر ذلك آنفا طبقا لما جاء في سفر التثنية .

وبالاضافة الى المنهج الذى ترك موسى في قومه ،فانه ترك فيهم رجلا سبر غوره ،وعرف استقامته وصبره ، وهو يشوع بن نون الذى كان خادم موسى وأمين سره منذ خروجه من مصر حتى وفاته . فأوصاه عند دنو رحيله قائلا : " تشدد و تشجع لأنك انت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم الرب لآبائهم أن يعطيهم اياها وأنت تقسمها لهم. والرب سائر أمامك هو يكون معك ،لا يهملك ولا يتركك ، لا تخف ولا ترتعب "(١) .

فاستلم يشوع القيادة بعد موسى ،فتلقى الأوامر من ربه ليواصل بقومه مسيرة دخول الارض المقدسة ، فكان أول امر تلقاه يشوع من ربه ، ما جاء في السفر المنسوب اليه ،سفر يشوع ، حيث قال :" وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات فالآن قم اعبر هذا الأردن ،أنت وكل هذا الشعب ،الى الارض التى انا معطيها لهم ،أى لبنى اسرائيل "(٢) .

---

(١) التثنية ٣١ : ٧-٨ (٢) يشوع ١ : ١-٢

وهيأ يشوع قومه لعبور نهر الأردن ،وامتلاك الأرض الموعودة ، فقال لهم : " هيئوا لأنفسكم زادا لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا ،لكي تدخلوا فتمتلكوا الأرض التي يعطيكم الرب الهكم لتمتلكوها"(١).

فأجابه بنو اسرائيل بقولهم : " كل ما أمرتنا به نعمله وحيثما ترسلنا نذهب ، حسب كل ما سمعنا لموسى نسمع لك ، انما الرب الهك يكون معك كما كان مع موسى ، كل انسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك في كل ما تأمره به يقتل ، انما كن متشددا و تشجع"(٢) .

ويتضح من هذا النص ان الجيل الاسرائيلي الجديد ، قد امتلأ شجاعة وحماسا ،حتى أصبح يطلب من قائده الجديد يشوع أن يشتد مع قومه في زحفه الى أرض كنعان . فشتان بين ما كان عليه آباؤهم في عهد موسى حينما رفضوا دخول الأرض المقدسة خوفا وجبنا ،وبين ما هو عليه حال الابناء حينما قادهم يشوع الى تلك الأرض بعد وفاة موسى ،لأنّ الله تعالى محصهم خلال اربعين عاما ، اذ أهلك الذين عصوا وجبنوا خلال فترة التيه ،ونشأ من كان دون العشرين في وقت العصيان ومن جاء بعدهم ،نشأة أرادها الله شرعا وقدرا .

وبعد هذا الاستعداد الطويل لدخول الأرض المقدسة ، أرسل يشوع جاسوسين الى ارض الاعداء لاستطلاع اخبارهم ومعرفة مدى قوتهم أوضعفهم ، فذهب الرجلان ودخلا أرض الأعداء فاختبآ في بيت امرأة زانية ليلا ، ولما علم ملك أريحا بالأمر ارسل الى المرأة يطلب منها اخراج الرجلين الاسرائيليين من بيتها فأخفتهما على السطح وأنكرت وجودهما عندها ،وادعت أنهما أتيا اليها ، ثم انصرفا ،وهي لا تعلم من أين أتيا ، والى أين ذهبا ،فانصرف الذين أرسلهم الملك للبحث عنهما . وأما المرأة فقد أخرجت الرجلين بحبل أدلته لهما من فوق السطح ، فاخذت منهم العهد والميثاق ان يحسنوا اليها والى آل بيتها ان ظفروا على قومها ، فعاد الرجلان الى قيادة بني اسرائيل فأخبرا يشوع جميع ما جرى لهما ،وما علماه من امر القوم (٣) .

---

(١) يشوع ١ : ١١ (٢) يشوع ١ : ١٦-١٨ (٣) انظر يشوع ٢ : ١-٢٤

فقام يشوع وعبر بقومه نهر الأردن الذى انفلق لعبورهم كما انفلق البحر لهم يوم خروجهم من مصر. وذلك مقابل مدينة أريحا ، وكان الكهنة الذين يحملون تابوت عهد الرب يتقدمون بنى اسرائيل حتى تطأ أقدامهم ماء النهر فينفلق النهر ، فيعبر بنو اسرائيل ، ويظل الكهنة واقفين حتى يتم العبور ، ثم يعبرون وراءهم . فاختار يشوع اثنى عشر من قومه ، ليأخذوا من وسط النهر اثنى عشر حجرا ، ليضعوها في الموضع الذى يحفظ ذكرى انفلاق النهر لبنى اسرائيل ، فنصبها يشوع في الجلجال (١) .

وبعد هذا العبور الذى دل على ان التأييد الالهى مع القوم ، دخل الرعب الى قلوب أعدائهم ، فحمل يشوع بقومه على ملوك تلك الأرض واحدا ، بعد آخر ، فانتصر عليهم جميعا ، وأبادهم وأحرق مدنهم ، وغنم أموالهم ، واستولى على أراضيهم (٢) .

وجاء في سفر يشوع أسماء الملوك الذين هزمهم بنو اسرائيل بقيادة يشوع بن نون ، فبلغ عددهم واحدا وثلاثين ملكا (٣) .

واذا تأمل القارئ في الرواية اليهودية التى تتحدث عن عدد أولئك الملوك ، وعدد القتلى على أيدى اليهود ، والمساحة الواسعة من الارض التى استولوا عليها ، والمدن الكثيرة التي دمروها ، فانه يداخله الشك والارتياب في صحة كل ما ذكر على الوجه الذى جاءت به الرواية .

ومما يقوى هذا الشك ان اليهود ما كانوا يقاتلون من اجل نشر العقيدة والمبادئ الاخلاقية التى جاء بها موسى عليه السلام ، وانما كانوا يقاتلون من أجل الأرض فقط . والأرض التى استولوا عليها اكبر من حاجة الاسرائيليين بكثير ، وعدد بنى اسرائيل لا يتناسب مع سعة تلك الاراضي التى ذكر اليهود أنهم امتلكوها ، بل هم اقل وأضعف من ان يتمكنوا من استغلالها .

---

(١) انظر يشوع ٤ : ٨-٢٠ (٢) انظر يشوع ٥ : ١ -

(٣) انظر يشوع ١٢ : ٧ - ١٤

يقول ول ديورانت عن قتال بنى اسرائيل للكنعانيين :" وقتل المهاجمون من الكنعانيين اكثر من استطاعوا قتلهم منهم ،و سبوا من بقى من نسائهم ،وجرت دماء القتلى أنهارا ، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس" فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى " و" زكاة للرب " . ولما استولوا على مدينتين من المدن ، قتلوا من اهلها ١٢٠٠٠ ! رجل (١) . ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الاسراف في القتل والاستمتاع به ، ومثل هذه السهولة في تعداد القتلى الا في تاريخ الاشوريين" (٢) .

وبعد ان مكن يشوع قومه من الارض التى استولوا عليها ،ووزعها على أسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر بالقرعة ،أوصاهم ان يتمسكوا بعبادة الله الذى اخرجهم من مصر ،والذى مكنهم من الارض الجديدة ،وحذرهم من عبادة الاصنام ، ومخالطة غيرهم من الامم ،ونهاهم عن مصاهرتهم ،ومصادقتهم ،وأخذ منهم العهود والمواثيق ، وأشهدهم على أنفسهم ! كما جاء ذلك في سفر يشوع :

" فقال يشوع للشعب لا تقدرون ان تعبدوا الرب لأنه اله قدوس واله غيور هو ،لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم ،واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة ، يرجع فيسىء اليكم ،ويفنيكم بعد ان احسن اليكم . فقال الشعب ليشوع : لا بل الرب نعبد . فقال يشوع للشعب : أنتم شهود على انفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه فقالوا نحن شهود ، فالآن انزعوا الالهة الغريبة التى في وسطكم ،وأميلوا قلوبكم الى الرب اله اسرائيل فقال الشعب ليشوع ، الرب الهنا نعبد ، ولصوته نسمع ،وقطع يشوع عهدا للشعب في ذلك اليوم" (٣)

وبعد هذا الانجاز الذى حققه يشوع لقومه في فترة وجيزة ،ودع قومه وصرف كل واحد الى أرضه التى ملكه اياها فمات .

" وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه في تخم ملكه ،فى تمنة سارح التي في جبل أفرايم شمال جبال جاعش" (٤) .

---

(١) يشير الى ما جاء في سفر يشوع ان الاسرائيليين قتلوا جميع سكان مملكة عاى فلم يبق فيها شارد ولا منفلت انظر ٨ : ١٨-٢٥

(٢) قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٢٦-٣٢٧ (٣) يشوع ٢٤ : ١٩-٢٥

(٤) يشوع ٢٤ : ٢٩-٣٠

٢ - في عصر القضـــاة :

كان موسى عليه السلام هو المرجع الذى يرجع اليه قومه فيما يجد لهم من أمور تحتاج الى الحكم فيها . ولما كان من العسير ان يرجع كل من لديه قضية أو دعوى الى موسى عليه السلام بسبب كثرة قومه ،واستمرار حالة السفر، اختار موسى لكل سبط من اسباط قومه الاثنى عشر رؤساء يحكمون بين بنى اسرائيل ، وكان لهم القضاء والسلطة ،كما قال في السنن القويم عند تفسير معنى القضاة :

" ومعنى القضاة هنا الرؤساء الحاكمون الأمة العبرانية من أيام موسى الى أيام شاول ، وكان لهم القضاء والسلطة ! فانهم كانوا ينظرون في الدعاوى ، ويثبتون ما يثبتون ،وينفون ما ينفون ،وينفذون احكامهم . ويقودون الجيوش الى الحرب ، وكان مرجع ذلك كله ، الى الكهنة ،لأن حكم بنى اسرائيل كان حينئذ الهيا لا ملكيا ولا جمهوريا . فكان الله سبحانه ملكا والحبر الأعظم الصدر او الوزير الأول ،وكان يخاطب الحبر الاعظم بالأوريم والتميم (١) . وكان لكل سبط رؤساء يديرون اموره ،ولكن كانوا اذا عظم الخلاف في أمر ولم يفضوه يرفعونه الى القضاة فيحكمون به بمقتضى الشريعة ، فكان الله يدعو القضاة الى القضاء احيانا ،والشعب يختارهم أحيانا . وكان عدة قضاة في وقت واحد ، بعضهم يقود الجنود ،وبعضهم يتولى القضاء" (٢) .

---

(١) في التوراة السامرية : " الأنوار ،والكمل " انظر خروج ٢٨ : ٣٠ عوضا عما في العبرانية " الأوريم والتميم " وفي السنن القويم " الأوريم جمع أور في العبرانية ،وهو النور . والتميم جمع تم ،وهو التمام ، او الكمال ، فيكون معناهما الأنوار والكمالات . وان كان المقصود بالجمع مجرد التعظيم فيكون معناهما النور والكمال " جـ١ ص ٤٦٢

(٢) السنن القويم جـ٣ ص ١٨١

وعصر القضاة هو الزمن الممتد بين وفاة يشوع سنة ١٤٤٢ قبل الميلاد ، وبين تولى أول رجل يهودى للملك عام ١٠٩٥ قبل الميلاد (١) وهو شاول الذى كان في عصره صموئيل القاضى . وهو الذى نصبه ملكا على بنى اسرائيل عندما طلبوا منه ان يولى عليهم ملكا .

وقد بلغ عدد القضاة المذكورة اسماؤهم في تلك الفترة نحو ستة عشر قاضيا ، وأسماؤهم كالتالي :

(١) - عـثنئيل بن بـفنـة من سبط يهوذا وقد قاد اليهود ضد الآراميين الذين استولوا على بلاد اليهود واستعبدوهم بقيادة رجل اسمه " كوشان رشعتايم " ملك الاراميين مدة ثماني سنوات من عام ١٣٩٤ ق.م / وقد تغلب اليهود عليهم بقيادة عثنئيل فهزموهم وقتلوا ملكهم كوشان . وبقى عثنئيل قاضيا فيهم مدة اربعين سنة (٢) .

(٢) - أهود بن جيرا من سبط بنيامين ، وهو الذى هزم اليهود بقيادته تحالف العمونيين الذين هم من ذرية لوط كما تزعم الرواية اليهودية ، والعماليق الذين هم من ذرية عيسو بن اسحاق عليه السلام ، وذلك بعد أن استولوا على اليهود بقيادة عجلون ملك موآب واستعبدوهم ثماني عشرة سنة وقد قتله بعد ان احتال عليه ، وتظاهر بان له سرا يقول له ، بعد أن مهد لذلك بهدية حملها الى الملك ، ولما صرف الملك حراسه ، وجميع من بحضرته ليمكنه من الافضاء اليه بسره ، قتله أهود بسيف اخفاه تحت ردائه ثم هرب الى قومه ، ونادى فيهم ليهبوا للقتال ، فانطلق بهم نحو بلاد الموأبيين ، فقتل منهم عشرة الاف رجل . فتنفسوا في عهده ثمانى سنوات عن الحرب والاذلال (٣) وكان ذلك في عام ١٣٣٦ ق.م

---

(١) السنن القويم جـ٣ ص ١٨٣ وموسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٨
(٢) انظر قضاة ٣ : ٥-١١ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ ٨ ص ٦٢
(٣) انظر قضاة ٣ : ١٢-

(٣) - شمجر بن عناة وهو أيضا من الذين قادوا بنى اسرائيل الى النصر ، فقد قادهم شمجر هذا ضد الفلسطينيين وقتل منهم ستمائة رجل و يصفه سفر القضاة بقوله : " وهو أيضا خلص اسرائيل "(١) وكان ذلك في نحو عام ١٣٢٠ق.م(٢) .

(٤) - دبورة وباراق كانت دبورة زوجة لرجل يسمى فيدوت ، و هي نبية في نظر اليهود ، وقاضية بنى اسرائيل . فقد طلبت دبورة هذه من رجل يدعى باراق من سبط نفتالى ، أن يزحف بعشرة الاف جندي من سبط نفتالى وزبولون ، الى الكنعانيين الذين ضايقوا بنى اسرائيل في عهد ملكهم يابين والذين يقودهم رجل يدعى سيسرا ، فقام باراق بتنفيذ ما طلبت ، وقد رافقته دبورة الى ساحة القتال ، فواجه الاسرائيليون جيشا ضخما فيه نحو تسعمائة مركبة حديدية ، فأفنوهم ، وهرب سيسرا ، فلجأ الى خيمة احد اصدقائه ، فاستقبلته صاحبة الدار المسماة ياعيل وأمنته ، فاستسقى الماء وأسقته اللبن ، فنام وقد تعب مما لقي ، فغدرت به المرأة و قتلته بضربة من وتد في صدغه ، وكان ذلك في نحو عام ١٢٩٦ ق.م فاستراحوا أربعين سنة(٣) .

(٥) - جدعون بن يوآش تحالف المديانيون وهم ذرية ابراهيم من قطورة ، والعماليق وهم من ذرية عيسو بن اسحاق . وغيرهم من بنى المشرق ، فأقضوا مضاجع اليهود ، وسببوا لهم الذعر والخوف و عدم الطمأنينة ، وكانوا يغيرون عليهم وينهبون اموالهم ، ويحرمونهم قوت يومهم ، مدة سبع سنين . وفى عام ١٢٤٩ ق.م قام جدعون بن يوآش من سبط منسى بن يوسف ، فحاربهم وهزمهم ، و قتل منهم مائة وعشرين الفا ، وكان عدد جيشه ثلاثمائة رجل فقط .

---

(١) قضاة ٣ : ٣١ (٢) انظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٦٣
(٣) انظر قضاة ٤ : ٢-٢١ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٦٣-٦٤

فظفر بملكي الأحلاف " زيح " و " صلمناع " فذبحهما بيده . كما عاد الى سكوت ، وفنوئيل ، وهما من سبط جاد ، أحد الاسباط الاثنى عشر ، فقتل شيوخهم بالتعذيب بأن القاهم على كوم من الشوك وداسهم بالنوارج حتى انغرست الأشواك في اجسامهم وتمزقت اجسادهم ثم ، قضى جدعون على سكان مدينة سكوت وفنوئيل من بنى اسرائيل ، انتقاما منهم لانهم لم يزودوا جيشه بالطعام عند زحفه لقتال الكنعانيين . وما ان ظفر جدعون هذا الظفر على أعدائه حتى جمع من جنوده ما غنموه من الذهب فصنع صنما لقومه في مدينة عفرة فعبدوه ، كما كان له سبعون ولدا من نساء كثيرة ، ويقول سفر القضاة ان جدعون هذا مات بشيبة صالحة ، ولست أدرى ما ميزان الصلاح عند هؤلاء القوم . وقد استراح بنو اسرائيل في عهده أربعين عاما عن الحرب (١) .

(٦) - أبيمالك بن جدعون

ثم تولى القضاء بعد وفاة جدعون ابنه أبيمالك الذى ولدته له امرأة سرية من شكيم ، فاتفق مع أخواله على ان يكون هو المتسلط عليهم عوضا عن اخوته السبعين الذين ليسوا منهم ، فوافقوا على ذلك ، وأمدوه بالمال ، فاستعمله في شراء ضمائر بعض الأشرار فعاد الى موطن أبيه في عفرة ، فقتل اخوته السبعين ما عدا واحدا منهم يسمى يوثام ، فقد نجا من القتل ، ودعا على أخيه بالهلاك ، بسبب ما ارتكب من الجرائم ضد اخوته . فأثار الله عليه بعض أهل شكيم الذين اعتمد عليهم في قتل اخوته ، فكان حتفه في قتالهم ، اذ ألقت عليه امرأة رحى من احد الأبراج فأصابت جمجمته بجراح ، فلما أيقن انه هالك لا محالة ، طلب من غلامه ان يطعنه بسيفه حتى لا يقال ان امرأة قتلته ، فقتله غلامه ، بعد ان قتل هو من اهل شكيم جميع سكان المدينة ، وهدمها وردم أرضها ملحا وأحرق كل من اعتصم بأحد أبراج المدينة من رجال ونساء وعددهم ألف . ولما توجه نحو مدينة أخرى اسمها ناباص ، اعتصم أهلها ببرج قوى داخل المدينة ، وبينما هو يهم باحراقه بمن فيه ، سبقته المرأة بالرحى فهشمت جمجمته ، فصارت هناك نهايته (٢) .

---

(١) انظر قضاة ٦ و ٧ و ٨ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٦٤-٦٥

(٢) انظر قضاة ٨ : ٢٩-٣٥ و ٩ : ١-٥٧ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٦٥-٦٦

(٧) - توليع بن فواة من سبط يساكر وقد تولى منصب القضاء في قومه ، بعد موت أبيمالك ، وذلك في نحو عام ١١٨٣ ق.م واستمر في القضاء ثلاثا وعشرين سنة (١) . ولم تذكر لتولع حروب .

(٨) - يائير الجلعادى وبعد موت تولع ، تولى القضاء في بنى اسرائيل رجل يسمى يائير الجلعادى ، الذى كان له/من الأبناء ثلاثون تسلطوا على ثلاثين مدينة سميت " حووت يائير " أى بلاد يائير . وقد استمر يائير في القضاء اثنتين وعشرين سنة . وقد تولى القضاء في نحو عام ١١٦٠ ق.م (٢) وهو مثل سلفه تولع لم تذكر له حروب .

(٩) - يفتاح الجلعادى عاد الفلسطينيون والعمونيون يهاجمون اليهود ، ويسومونهم سوء العذاب ، وقد أذلوهم وكسروا شوكتهم ثماني عشرة سنة ، ولم يسلم المقيمون منهم شرقي الأردن والمقيمون غربه .

وكان يفتاح ابنا لجلعاد من امرأة زانية ، وقد طرده اخوته لأبيه ، فهرب الى شرق الأردن ، فكون هناك عصابة من قطاع الطرق عملها السلب والنهب . ولما ضاقت الأرض ببنى اسرائيل ولم يجدوا من ينقذهم من الفلسطينيين والعمونيين ، توجهوا الى يفتاح ، وطلبوا منه ان يقودهم لمحاربة الأعداء ، فكان قائدا لهم ، فحارب بهم وانتصر على عدوهم ، بعد ان قام بمراسلة ملك العمونيين يدعوه فيها الى الكف عن محاربة بنى اسرائيل ، فلم يستجب له . وقد نذر يفتاح لله ان نصره أن يقدم له ذبيحة أول من يخرج للقائه من آل بيته عند عودته من الحرب ، فكانت بنته أول من خرج للقائه ، فمزق يفتاح ثيابه حزنا وفزعا ، فأخبرها بنذره ، فطلبت منه مهلة شهرين ليفعل بها ما يشاء بعد ذلك فتركت الى مدة شهرين لتبكى على نفسها مع صواحبها ، ثم ذبحها لربه .

---

(١) انظر قضاة ١٠ : ١ - ٢ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ ٨ ص ٦٦

(٢) انظر قضاة ١٠ : ٣ - ٥ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ ٨ ص ٦٦

فأصبحت هذه المناحة عادة عند بنات اسرائيل حيث يبكين في مكان ذبحها كل سنة ، احياء لذكراها اربعة أيام ،وكان ذلك في نحو عام ١١٤٣ ق.م وبعد هذا الانتصار الذى حققه يفتاح ،جاءه سبط افرايم فتوعدوه لأنه تركهم ولم يدعهم لمشاركته في الحرب . فأغار عليهم يفتاح فقتل منهم اثنين وأربعين ألفا . فاستتب له الأمر ، وظل يحكم قاضيا ست سنين ثم توفى (١) .

(١٠) - ابصان

ثم تولى القضاء بعد يفتاح ابصان ، وهو من سكان بيت لحم ، فقضى لهم سبع سنين ثم توفى . وكان لابصان هذا ثلاثون ابنا وثلاثون بنتا ، فزوج بنيه الثلاثين نسوة من غير بنى اسرائيل . وقد تولى القضاء في نحو عام ١١٣٧ ق م (٢) .

(١١) - أيلون

وبعد ابصان تولى القضاء ايلون من سبط زبولون في نحو عام ١١٣٠ ق م وظل في القضاء عشر سنين ثم مات (٣) .

(١٢) - عبدون

وبعد وفاة ايلون تولى القضاء عبدون بن هليل في نحو عام ١١٢٠ ق م واستمر في القضاء ثماني سنين ثم مات . وكان له من الأبناء اربعون ومن الأحفاد ثلاثون (٤) .

(١٣) - شمشون

وبعد ان قام يفتاح بتأديب جيرانه العمونيين ، استراح الاسرائيليون عن الحرب ،لأن العمونيين توقفوا عن الاغارة عليهم بعد ذلك . غير ان الفلسطينيين أغاروا على اليهود واستولوا عليهم واستذلوهم أربعين سنة . في هذه الفترة ولد شمشون بن منوح الذى صاهر الفلسطينيين بأن تزوج منهم ،وفي اسبوع وليمة العرس القى شمشون على ثلاثين من الفتيان أحجية ان فسروها أعطاهم ثلاثين قميصا ، وان عجزوا اعطوه ثلاثين قميصا ،فلم يستطيعوا

---

(١) انظر قضاة ١٠ : ٧-١٨ و ١١ : ١-٤٠ و ١٢ : ١-٧
وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٦٧-٦٨
(٢) قضاة ١٢ : ٨-١٠ وموسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٦٨
(٣) قضاة ١٢ : ١١-١٢ = = =
(٤) قضاة ١٢ : ١٣-١٥ = = =

تفسير احجيته ،فعمدوا الى تهديد امرأته ،لتحتال على شمشون في معرفة معناها ،فأخبرها ،فأظهرت الاحجية لبني قومها الذين تظاهروا بأنهم عرفوا تفسيرها . فذهب الى مدينة أشقلون (عسقلان) فقتل ثلاثين من اهلها ، وسلبهم ،فأعطى للفتيان ثلاثين حلة . ثم اختلف مع والد زوجته ، لأنه زوجها من صاحبه في فترة غيابه عنها . فقام وأمسك ثلاثمائة ابن آوى ،وربط في ذنب كل اثنين منها مشعلا مضرما فأطلقها على مزارع الفلسطينيين ،فاحترقت جميع المحاصيل والاشجار والزروع ،ولما علم الفلسطينيون انه فعل هذا انتقاما من صهره الذى أخذ امرأته واعطاها لغيره ، قتلوها وقتلوا أباها حرقا بالنار، ثم قام فقتل منهم مقتلة عظيمة ،ثم هرب وأقام في كهف ، فتبعه الفلسطينيون ، ولما وصلوا الى سبط يهوذا طلبوا منهم تسليم شمشون اليهم ، فأوثقوه وسلموه اليهم ، ولكن الحبل الذى ربطوه به انقطع عنه ، لأنه - كما يزعمون - ذو قوة خارقة . فأخذ فك حمار فقتل به ألف رجل من الفلسطينيين (١) وفي آخر حادثة مات فيها يقال انه قتل ثلاثة الاف رجل من الفلسطينيين كانوا على سطح منزل واحد بأن دفع العمودين اللذين يعتمد عليهما المبنى ، فانهار المنزل على من فيه (٢) ومن الغريب ان اليهود ينسبون الى هذا الرجل وغيره من القضاة ،أعمالا خارقة وأن ملاك الرب يخاطبهم ،ومع ذلك يذكرون أنه يحب العاهرات ، ويصادقهن (٣) ، فكيف يصح ان يصاحب ملك الله ، من يصاحب الفاجرات من النساء ؟ واذا كان قاضيهم من هذه صفاته ،فكيف عامة قومه ؟ وفترة قضاء شمشون كانت في نحو عام ١١٢٠ ق م. وقد استمر في القضاء عشرين سنة (٤) .

---

(١) انظر قضاة ١٣ و ١٤ و ١٥

(٢) قضاة ١٦ : ٢٣-٣٠ وموسوعة تاريخ الاقباط جـ ٨ ص ٦٩ - ٧١

(٣) انظر قضاة ١٦ : ١-٢٢ والموسوعة المذكورة

(٤) قضاة ١٦ : ٣١ وموسوعة تاريخ الاقباط جـ ٨ ص ٧١

(١٤) - عالي مضت فترة على بني اسرائيل لم يقم فيها قاض على شوئونهم ،كما يبدو من نصوص سفر القضاة ،وسفر عوبيد ،وفي هذه الفترة عاش الاسرئيليون في فوضى ،فأصبحوا بلا رابطة تربطهم أو مصلحة تجمعهم او شريعة توحدهم ،لأنهم تركوها ،وعبدوا الاصنام مرارا وتكرارا ،وفي تلك الفترة التي خلت عن القضاة ،قام بنواسرائيل بحرب سبط بنيامين بسبب قتلهم سرية رجل منهم ، بأن تناوب فتيانهم عليها ليلة باكلها يفجرون بها فاستنجد رجلها ببقية قومه ، فاجتمع له ،أربعمائة الف مقاتل لمحاربة ستة وعشرين الفا وسبعمائة من سبط بنيامين ، فالتقى الجمعان فاقتتلوا فمات من الاسرائيليين اثنان وعشرون الفا في المعركة الاولى ؛ وفي المعركة الثانية ، ثمانية عشر الفا منهم قتلوا على يد بنيامين ، وفي المعركة الثالثة ، قتل من سبط بنيامين خمسة وعشرون الفا ومائة رجل ، ثم طاردوهم و قتلوا منهم ثمانية عشر الف رجل ، ثم خمسة الاف رجل ،ثم الفين ، حتى بلغ من قتل بيد بنيامين في تلك المعركة خمسة و عشرين الفا ،فهرب ستمائة رجل من سبط بنيامين و نجوا من القتل (١) .

واذا تأمل القارئ بعدد من قتل من سبط بنيامين ،يكون المجموع خمسين الفا ومائة قتلى ،غيران هذا لا يصح لأنّ عدد البنياميين الذين خرجوا للقتال ستة وعشرون الفا وسبعمائة ، فقط ، فكيف بلغوا خمسين الفا ؟ وان قيل انهم ذكروا مجموع القتلى اولا ، ثم فصلوا حسب اماكن القتال ، و تعدد المعارك ، يقال ان ذلك احتمال ،ولكنه بعيد ،ذلك لأنّ النص ورد هكذا : " وأهلك بنو اسرائيل من بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين الف رجل ومائة رجل . . . وطاردوهم بسهولة ،وأدركوهم مقابل جبعة لجهة شروق الشمس ،فسقط من بنيامين ثمانية عشر الف رجل ، فداروا وهربوا الى البرية الى صخرة رمون فالتقطوا منهم في السكك خمسة الاف رجل . وشدوا وراءهم الى جدعوم وقتلوا منهم الفي رجل ، وكان جميع

---

(١) انظر قضاة ٢٠ : ١٤ - ٤٧

الساقطين من بنيامين خمسة وعشرين الف رجل ... و هرب الى صخرة رمون ستمائة رجل" (١) ولو فرض أن المراد بهذا ،الاجمال ثم التفصيل - مع عدم مساعدة سياق النص - لكان هناك غلط اخر يحتاج الى تصحيح ، وهو اذا كان من نجا من بنيامين ستمائة فقط ، وقتل خمسة وعشرون الفا منهم ، فأين ذهب الف رجل ذكروا في بداية القتال ؟!

وذكر اليهود أيضا ان بنى اسرائيل دخلوا الى ديار بنيامين ، فقتلوا كل نفس فيها ولم يتركوا فيها حتى البهائم ،ثم احرقوها بالنار ، ولما لم يبق من بنيامين سوى ستمائة رجل ، زوجوهم من بنات ، سبط من اسباطهم تخلف عن مشاركتهم في حرب بنيامين ،وهو سبط يهوذا الذى سكن في مدينة يابيش جلعاد (٢) ،فاخذوا بحد السيف اربعمائة فتاة عذراء بعد قتل الرجال والنساء والاطفال ،فزوجوا بقية اهل بنيامين ،اربعمائة منهم ثم امروا البقية ان يكمنوا في بساتين الكروم ، و يخطفوا بنات اهل شيلو اللواتى يخرجن للرقص في عيد لهم ، ففعلوا ذلك فتزوج الجميع (٣) . وهكذا كان بأسهم بينهم شديدا ،وقلوبهم شتى . وقد تولى القضاء عقب هذه الفوضى الكاهن عالى ، ولكن منصبه لم يتجاوز القضاء والامامة ، ولم يكن قائدا حربيا . وقد اشتدت الحروب الفلسطينية على اليهود في عهد عالى ، حتى انهم هزموهم مرارا ، وقتلوا عددا كبيرا من اليهود بلغ اربعة الاف رجل في معركة واحدة ، وفي معركة ثانية ، استعد لها اليهود بأن حملوا تابوت العهد ، وخرجوا للقائهم فى حشد كبير ، فقتل الفلسطينيون منهم ثلاثين الف رجل ، واستولوا على التابوت . فهزم الاسرائيليون شر هزيمة . فاسرع احدهم وعاد بالنبأ الى القاضى الكاهن عالى فأخبره بما جرى من أمر قومه ،وكان من بين القتلى ابناه وهما حفنى ،وفنحاس ،

---

(١) قضاة ٢٠ : ٣٥-٤٧
(٢) انظر قضاة ٢١ : ٧ - ٩ وموسوعة تاريخ الاقباط جـ ٨ ص ٧٩
(٣) قضاة ٢١ : ١٠-٢٣

اللذان وصفا بالفسق والفجور (١) . ولما سمع عالى نبأ الهزيمة ،القى بنفسه من فوق مقعده ، فانكسرت رقبته ومات ، بعد ان ظل قاضيا اربعين سنة ،وكانت وفاته في نحو عام ١١٤١ ق ٠م

(١٥) - صموئيل بن القانة

حينما شدد أهل فلسطين ضربتهم على اسرائيل ،ولد صموئيل لرجل من سبط لاوى ،وكان معاصرا للقاضى عالى وخادما في الهيكل أمامه ،وهو صغير ، وبعد وفاته تولى القضاء لبنى اسرائيل ،ودعاهم الى اقامة الدين و نبذ عبادة الاوثان التى ابتلوا بها فاستجاب له قومه ،فتابوا وأصلحوا ،فنصرهم الله على اعدائهم . وقد أعاد الفلسطينيون تابوت العهد سلما لما ابتلوا به من البواسير بعد اخذه الى ديارهم ، وبقائه بين ظهرانيهم ستة أشهر ، وكان صموئيل يتجول في بنى اسرائيل ليحكم بينهم ،ولما شاخ ولى ابنيه يوئيل ،وأبيا منصب القضاء في بئر سبع ، غير انهما لم يستقيما على الشريعة ، ولم يعدلا في الحكم بين الناس ، بل كانا يأخذان الرشوة ، ويتحازان الى الراشى ، ولو كان ظالما ، و يجوران على الخصم وان كان مظلوما (٣).

ولما رأى بنو اسرائيل ان صموئيل الذى أحبوه وأطاعوه ،وحققوا الانتصار فى ظل ارشاداته و نصحه قد شاخ ،وأن ابنيه لا يعدلان في الحكم ، طلبوا منه ان يختار لهم ملكا كسائر الشعوب المجاورة ، ليقضى لهم (٤) . فساءه طلبهم ولكن الله أمره ان يسمع لقولهم ، و يخبرهم ما يترتب على اقامة الملك عليهم من ضرر يعود عليهم في أولادهم وأموالهم ولكنهم أبوا ،

---

(١) صموئيل الأول/ ٢ : ١٢-١٧ و ٢٢- ٢٥ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٧٤

(٢) سفر صموئيل ٤-١-١٨ وانظر موسوعة تاريخ الاقباط جـ٨ ص ٧٤- ٧٥

(٣) صموئيل ١ : ٢٠- ٢٨ و ٢ : ١١-٢١ و ٣ : ١-٢١ و ٤ : ١ و ٧ : ٣-١٧ وانظر الموسوعة ايضا .

(٤) لعل قصة صموئيل هذه هي التي جاء في القرآن الكريم ذكرها في قوله تعالى : " ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى ، اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله . قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ،فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين" البقرة ٢٤٦

وأصروا على طلبهم قائلين : " لا بل يكون علينا ملك . فنكون نحن ايضا مثل سائر الشعوب و يقضى لنا ملكنا ، و يخرج أمامنا ويحارب حروبنا" (١) .

هوءلاء هم قضاة بنى اسرائيل المذكورون في سفرى القضاة و سفر صموئيل . وصموئيل هذا هو آخر قضاتهم ، و بعصره ينتهى عصر القضاة ، ويأتي عصر جديد على بنى اسرائيل . وهو عصر الملوك ، ولا نرى الخوض في تلك الفترة من تاريخهم المضطرب ، وسوف نرى بعضا من تلك الاضطرابات عندما نتحدث عن عباداتهم الاوثان في الباب التالى ان شاء الله تعالى .

---

(١) صموئيل ٨ : ١٩-٢٠

المبحث التاسع

بيان معنى التفضيل الالهى لبنى اسرائيل في القرآن

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم ورد فيها ما يدل على أن الله تعالى فضل بنى اسرائيل ،واختارهم على العالمين ، وقد امتن عليهم بذلك في عدد من الآيات .

من ذلك قول الله تعالى : " يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ".

جاءت هذه الآية في موضعين من سورة البقرة (١) ؛

و منها قوله تعالى حكاية عن قول موسى لقومه : " قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين "(٢) .

ومنها قوله : " ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات و فضلناهم على العالمين "(٣) .

ومنها قوله عز وجل :" ولقد اخترناهم على علم على العالمين "(٤) ؛

هذه الآيات البينات تدل على أن الله تعالى فضل بنى اسرائيل ، واختارهم على العالمين . والعالم في الأصل كل ما سوى الله عز وجل " وهو الخلق كله . ولكنه في هذه الآيات غير مقصود ،وانما المقصود فيها بالعالم عالم البشر فقط . وقد يراد بالعالم بعض البشر كما سيأتي توضيحه .

و قبل أن ننظر في المراد بهذا التفضيل ،ننظر في السبب الذى فضل من أجله بنو اسرائيل كما يراه العلماء . واليك بيان ذلك :

يرى العلماء أن سبب تفضيل الله اياهم هو ما كان فيهم من الرسل والانبياء / الذين هم سبب صلاح القوم وفلاحهم ،ونجاتهم من كل شدة . ولا شك أن ذلك لا يرجع الى حسبهم ونسبهم ، فان الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب . ولأن من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه . والعمل الصالح الموافق لشرع الله تعالى هو الذى يرفع الله به قوما على قوم فبدونه لا تفاضل بين الناس

---

(١) سورة البقرة ٤٧ و ١٢٢ (٢) سورة الاعراف ١٤٠ (٣) سورة الجاثية ١٦
(٤) سورة الدخان ٣٢

لأنهم جميعا لآدم ، وآدم من تراب ، وفي هذا يقول الله تعالى : " ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم "(١) . وهذا خطاب الهي للناس جميعا بمن فيهم بنو اسرائيل ، وهو مبدأ راسخ لا يقبل التغيير ولا التبديل .

وارادة البشر بالعالمين جاء في قوله تعالى حكاية عما قالت الملائكة لمريم : " يا مريم ان الله اصطفاك و طهرك واصطفاك على نساء العالمين "(٢) . أى على نساء البشر . وارادة بعض البشر بالعالمين ، جاء في قوله تعالى في حق سفينة نوح " وجعلناها آية للعالمين "(٣) أى لمن شاهدها من الناس وهم عدد قليل . وقوله في حق مريم وعيسى :" وجعلناها وابنها آية للعالمين "(٤) . أى لمن آمن بولادة عيسى على تلك الطريقة الفريدة من عذراء لم يمسسها بشر ولم يكن له أب . وهم بعض الناس لا كلهم . وكذلك قوله تعالى في الأرض المقدسة : " باركنا فيها للعالمين "(٥) أى لساكنيها . وهم بعض الناس . وهذه الايات كلها صريحة في الدلالة على أن كلمة " العالمين " الواردة فيها ، لا تدل على ما سوى الله ، كما لا تدل على عموم البشر ، وانما تدل على بعضهم .

وعلى ضوء هذه الآيات ، يتقرر المراد بالعالمين الذين فضل عليهم بنو اسرائيل : وهم الأمم المجاورة لهم الذين يعيشون في ظلام الوثنية ويتخبطون في أوحالها اذ قضت عناية الله ان تختار من بينهم بني اسرائيل ليؤمنوا بالله و يتبعوا رسله ، ويعملوا بكتبه المنزلة عليهم .

وههنا سؤالان : أحدهما هل التفضيل الوارد في القرآن الكريم في حق بني اسرائيل شيء قد وقع ؟ بمعنى أن الله تعالى جعلهم أفضل من غيرهم ، أو أنه تعالى عرض عليهم من أسباب الفضل وموجباته ما لو قبلوه لكانوا أفضل من غيرهم من الناس ؟ . وثانيهما : على من فضل بنو اسرائيل ؟ أعلى جميع البشر في كل زمان ومكان ؟ أم على معاصريهم من الأمم الكافرة ؟

---

(١) سورة الحجرات ١٣ (٢) سورة آل عمران ٤٢ (٣) سورة القصص ١٥
(٤) سورة الأنبياء ٩١ (٥) سورة الأنبياء ٧١

والذى نراه هنا أن الله تعالى عرض على بنى اسرائيل من أسباب الفضل وموجباته ما لو قبلوه ، لكانوا أفضل من غيرهم ولكنهم لم يقبلوه ، فحرموا الفضل الذى لو تحقق شرطه لتحقق لهم . وقد جرى هذا مجرى قوله تعالى في حق اليهود : " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " أى كلفوا حمل التوراة بالعمل بها ، فلم يحملوها أى لم يعملوا بها . فكما أنهم حملوا التوراة فلم يحملوها ، كذلك فضلوا على من سواهم اى أمروا ان يكونوا أفضل من غيرهم بالعمل بدينه وشرعه ، ولكنهم لم يعملوا به فحرموا التفضيل .

واذا لم يكن هذا المعنى هو المراد من تفضيل بنى اسرائيل المذكور في القرآن الكريم ، فمن العسير ادراك معنى الأفضلية هذه . اذ كيف يعقل أن يكونوا أفضل من غيرهم فعلا بسبب أنبياء كذبوا فريقا وقتلوا فريقا وطعنوا فيهم ووصفوهم بأشنع الصفات ؟ وحتى بعض من آمنوا بهم مثل موسى وهارون عليهما السلام ، كان ايمانهم بهم مضطربا ، وكلامهم فيهم عجبا . ناهيك عن تحريف كتبهم ، وتبديل شريعتهم . فكيف يثبت لهم الفضل وقد لعنهم الله في كثير من آيات القرآن الكريم ، وبين أنهم لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم ؟ فتبين أنه لا فضل لهم ولا كرامة الا لقلة مؤمنة علم الله منها الصلاح والتقوى فأولئك فضلهم واضح بين . وأما جمهورهم فقد رفضوا الفضل الذى رشحوا له .

ومما يؤكد أنهم لم يفضلوا على العالمين بسبب الأنبياء الذين بعثوا فيهم كما هو رأى جمهور العلماء ، وانما كان ذلك بسبب ما رشحوا له من موجبات الفضل وأسبابه من الهداية والاعمال الصالحة في عهد موسى عليه السلام ، قول الله تعالى حكاية عما قال لهم موسى حينما طلبوا منه أن يجعل لهم الها مثل آلهة قوم شاهدوهم على شاطئ البحر بعد عبورهم و نجاتهم : " قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين " (١)

---

(١)

وكان هذا التفضيل المذكور قبل ان يكثر فيهم الانبياء اذ لم يثبت أنه بعث فيهم حتى ذلك التاريخ من الأنبياء غير يوسف وموسى وهارون عليهم السلام .

وأما من فضل عليهم بنو اسرائيل في تلك الآيات السابقة ، فقد ذهب المفسرون في ذلك مذاهب شتى ، فمنهم من ذهب الى القول بأنهم مفضلون على الناس جميعا في كل عصر (١) . ومنهم من ذهب الى القول بأنهم مفضلون على من كان في عصر أنبيائهم ورسلهم (٢) ، ومنهم من قال انهم مفضلون على الجم الغفير من الناس (٣) . ومنهم من قال انهم مفضلون على الأمم المجاورة لهم (٤) . ومنهم من قال انهم مفضلون في أمر ما ، فلا يدل ذلك على الأفضلية المطلقة (٥) .

هذه هي أقوال المفسرين في آيات التفضيل ، وهي أقوال مبنية على أن التفضيل وقع فعلا ، ثم اختلفت أقوالهم كما رأيت في متعلق ذلك التفضيل : أهو عموم الناس في كل عصر ، ام على من كان في عصر أنبيائهم ، أو غير ذلك .

---

(١) انظر فتح القدير جـ١ ص ٨١

(٢) انظر تفسير ابي السعود جـ١ ص ٧٩ وتفسير ابن كثير جـ١ ص ٨٨ وتفسير القاسمي جـ٢ ص ١٢٠

(٣) انظر تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٧٨ وتفسير غرائب الفرقان للنيسابوري جـ١ ص ٣٠٤

(٤) انظر كتاب : اليهود من كتابهم المقدس تأليف كمال حسن عون ص٣٤-٣٥

(٥) انظر تفسير غرائب القرآن جـ١ ص ٣٠٤

الشعب المختار كما جاء في الأسفار اليهودية :

وردت في الأسفار اليهودية نصوص تدل على أن بنى اسرائيل شعب مختار يمتاز على بقية الشعوب امتيازا جعله يرى نفسه انه هو الانسان الكامل الذى يستحق الحياة الكريمة في هذه الأرض ، وأن غيره من الشعوب ليس لها الا الخضوع والتذلل لهذا الشعب المختار ، وهو ما لا تتحمله دلالة تلك النصوص .

تلك النصوص التي وردت في الأسفار اليهودية لم تكن واضحة الدلالة على المعنى الذى فهمه اليهود من الخيرية المطلقة لبنى اسرائيل ، وانما تدل على أن الله تعالى اختارهم لعبادته وطاعته والعمل بشريعته ، فان أطاعوا ربهم فيما أمر ونهى واستقاموا على شرعه ،كانوا افضل من غيرهم من الأمم التى تعبد الأوثان من دون الله تعالى ، وان عصوا وزاغوا عن الشريعة حلت عليهم اللعنة ونزعت منهم البركة وأصبحوا كبقية شعوب الأرض .

فأول نص يدل على أن الله اختار بنى اسرائيل ليرثوا أرض الأموريين ، جاء في سفر التكوين الذى روى ان ابراهيم عليه السلام ظهر له الرب في منامه فقال له : " اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم . ويستعبدون لهم . فيذلون أربعمائة سنة ،ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة ،وأما أنت فتمضى الى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون الى هنا ،لأن ذنب الأموريين ليس الى الآن كاملا" (١) .

وفي هذا النص دليل على انهم انما يرثون الأرض بسبب ذنوب غيرهم ، لا لأنهم شعب أفضل من غيره في عنصره .

وجاء أيضا ما يدل على أن الله انما وعدهم بتلك الأرض ليعبدوه وحده لا شريك له حيث قال لابراهيم ربه كما في سفر التكوين :" وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسلك

---

(١) تكوين ١٥ : ١٣-١٦

من بعدك . وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون الههم "(١) .

وجاء في سفر التثنية ما هو أوضح من هذا حيث خاطب موسى قومه وأخبرهم أنهم سوف يعبرون نهر الأردن ، ويستولون على الأرض ، ويطردون أهلها ، ويهلكونهم فقال :" لا تضلل في قلبك حين ينفيهم الرب الهك من أمامك قائلا لأجل بري أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض ولأجل اثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك . ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل اثم أولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من أمامك ، ولكي يفي بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك ابراهيم واسحاق ويعقوب . فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب الهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة "(٢) .

أى ان الله تعالى انما منحهم تلك الأرض لسببين فقط ، وهما الوعد السابق لآبائهم الأولين ابراهيم ، واسحاق ، ويعقوب ، بأنه سيجعل ذريتهم يرثون تلك الأرض ، ولأن القوم الذين يسكنون تلك الأرض قد كثرت خطاياهم ،وذنوبهم ،فاستحقوا الذل والهلاك. ولكن الوعد الذى قطعه الرب لابراهيم عليه السلام لم يكن خاليا من الشرط ،فهو أنه يوصى أبناءه بأن يحفظوا عهد الله ومواثيقه بأن يعبدوه وحده لا شريك له ، فبذلك يتحقق لهم وعد الله تعالى أن يرثوا الأرض من بعد اهلها . وفي ذلك قال سفر التكوين " فقال الرب هل أخفى عن ابراهيم ما انا فاعله ؟ وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض . لأنني عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده ان يحفظوا طريق الرب ليعملوه برا وعدلا لكى يأتي الرب لابراهيم بما تكلم به "(٣) .

وقال لهم موسى أيضا : " لأنه اذا حفظتم الوصايا التي أنا اوصيكم بها لتعملوها لتحبوا الرب الهكم و تسلكوا جميع طرقه و تلتصقوا به ،يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من امامكم فترثون شعوبا أكبر وأعظم منكم "(٤)

---

(١) تكوين ١٧ : ٧-٨ (٢) تثنية ٩ : ٤-٦ (٣) تكوين ١٨ : ١٧-١٩

(٤) تثنية ١١ : ٢٢-٢٣ .

وقال أيضا : " انظر أنا واضع اليوم امامكم بركة ولعنة . البركة اذا سمعتم لوصايا الرب الهكم التي أنا اوصيكم بها اليوم . واللعنة اذا لم تسمعوا لوصايا الرب الهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة اخرى لم تعرفوها " (١) .

وأما تلك الوصايا التي ان عملوا بها استحقوا النصر والغلبة والبركة من الله تعالى ، فقد جاءت في قول موسى عليه السلام : " فالآن يا اسرائيل ماذا يطلب منك الرب الهك الا أن تتقى الرب الهك لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي انا أوصيك بها اليوم لخيرك. هوذا للرب الهك ، السموات وسماء السموات والارض وكل ما فيها ، ولكن الرب انما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذى هو أنتم فوق جميع الشعوب .." (٢)

هذه هي أهم الوصايا التي ان عملوا بها كانوا أفضل من جميع الشعوب ممن لم يعمل بمثلها . ونالوا من ربهم البركة والتأييد ، وهي التي ان تركوا العمل بها وضيعوها استحقوا اللعنة والغضب الالهي .

وبهذا يعلم أن افضلية بنى اسرائيل لم تكن افضلية مطلقة ، وانما هي أفضلية مقيدة / تتحقق بتحقق شرطها ، وتنعدم بانعدامه ، وهذا هو الذى دلت عليه توراتهم المحرفة وهو الذى يدل عليه القرآن الكريم ، كما سيأتي توضيحه قريبا ان شاء الله تعالى .

وأما ما نسمعه وما نراه في هذا العصر من ادعاء اليهود ان لهم الحق في الاستيلاء على أرض فلسطين واذلال اهلها وطردهم من منازلهم وقتلهم بلا رأفة ولا رحمة مستدلين على ذلك بنصوص أسفارهم المحرفة ، فهو أمر بعيد كل البعد عن الحقائق التي دعت اليها التوراة المنزلة وغيرها من كتب الله التي أنزلت لهداية الناس وارشادهم للتي هي أقوم في معاشهم ومعادهم . والتي تؤكد ان الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لجنس على جنس ولا للون على لون .

---

(١) تثنية ١١ : ٢٦-٢٨ (٢) تثنية ١٠ : ١٢-١٥

وانما الفضل لمن آمن واتقى وعمل صالحا من أى جنس كان ، ومن اى لون كان .
وهذا هو الذى نادى به كتاب الله المهيمن على الكتب المنزلة قبله حيث خاطب
الناس جميعا بقوله : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير " (١) .

أى ان العبرة بالاعمال الصالحة والايمان الصحيح ، فمن كان ايمانه
صحيحا وعمله صالحا ، كان أفضل واكرم ممن ليس كذلك ، ولو كانا من فصيلة
واحدة ، ولذلك مكن الله بنى اسرائيل في الارض في عهد داود وسليمان
عليهما السلام ، ولما زاغوا عن شرع الله وهديه ، تخطفهم الناس من حولهم
فأذلوا وأهينوا ، وامتلأت ديار الأمم باسراهم ، ومزقوا كل ممزق (٢) ، ثم
جاءت شريعة الاسلام ناسخة لما قبلها من الشرائع فأصبح الفضل محصورا ومقصورا
على من آمن بها واتبع هداها من أى جنس من الأجناس البشرية ؛

---

(١) سورة الحجرات ١٣

(٢) وفي الاشارة الى انهم نقضوا عهد الله وميثاقه فاستحقوا اللعنة يقول
تعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون
الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به " (سورة المائدة ١٣) .

المبحث العاشر

عنصرية بنى اسرائيل مؤثرة في عقيدتهم وسلوكهم

ان الله عز وجل خلق الكون كله ، علوه وسفله بقدرته الكاملة ،وارادته الغالبة ،وجعل له نظاما لا يزيغ عنه أحد من خلقه . وحفظه من الزوال والانحلال حتى يأتي أمره الذى لا مرد له . وهو رب العالمين ، ومالك امورهم ، ومدبر شوؤنهم ، فله الربوبية الحقة ، والهيمنة المطلقة على خلقه أجمعين .

وصلة هذا الكون بربه هي صلة المخلوق الخاضع الذليل ، بخالقه العزيز الحكيم ،فليس بينه وبين خلقه سوى هذه الصلة التي يتجلى فيها افتقار الكون وحاجته المستمرة الى مكونه لبقائه ، وصلاح أمره . والانسان جزء من هذا الكون الواسع الذى يخضع لعظمة الله وجلاله ، فقد كرمه الله بالعقل وفضله على كثير من خلقه واستخلفه في الأرض ليقوم بعمارتها واصلاحها متبعا هدى الله الذى أنزله على رسله حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . فصلة الانسان بربه هي صلة العبد بسيده ، والمخلوق بخالقه ، والفقير بالغنى المطلق ، فليس بين الله وبين أحد من الناس نسب ،لأنّ الله عز وجل لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ولما كان الانسان مستخلفا في هذه الأرض على هذا النحو ،ولم يكن عقله كافيا ليرشده الى الخير في هذه الحياة الدنيا ، اختار الله عز وجل من بينه رسلا يتلقون وحيه ويبلغونه الى الناس ليسيروا على نوره وهداه . ويتلخص هذا المنهج الالهي الذى أنزله للناس في أمرين مهمين وهما : العبودية الخالصة لله عز وجل ، والاخاء العام بين الناس جميعا بحيث لا فضل لأحد على أحد الا بتقوى الله عز وجل ،وهذان الأمران هما اللذان استخلف الناس في الأرض من أجلهما . فبدون تحققهما لا يستقيم نظام الحياة البشرية . ولم يشذ عن الدعوة اليهما أحد من الرسل . اى لا شريك لله تعالى في ربوبيته وألوهيته ، ولا عنصرية أو عصبية . فالناس لآدم وآدم من تراب . هذه هي خلاصة الأديان الالهية الحقة السابقة واللاحقة .

وأما الدين اليهودى المعروف لدينا من خلال أسفار العهد القديم ، فله نظرة خاصة الى الخالق ، ونظرة خاصة الى بنى اسرائيل ، ونظرة خاصة الى سائر البشر .

أما نظرتهم الى الخالق فهي نظرة مضطربة . فهو خالق الكون جميعا ، يوصف بالقدرة ،ويوصف بالضعف ، ويوصف بالعلم ، ويوصف بالجهل ، وهو خالق الناس عامة ، والههم خاصة .

وأما نظرتهم الى أنفسهم ، فهي نظرة التكبر والعصبية ، فهم شعب الله المختار ، ورعيته الخاصة وأبناؤه الأخيار.

وأما نظرتهم الى من سواهم من البشر ، فهي نظرة احتقار ،واستخفاف ، وأنهم لا يستحقون الرحمة ولا الشفقة ، لأنهم بمثابة البهائم التي خلقت للاستخدام والانتفاع بها .

هذه النظرة اليهودية . قد أثرت في عقيدتهم وسلوكهم ، فهم من الناحية العقدية يرون ان صلتهم بربهم صلة خاصة وأنهم أبناء اللـــه وأحباؤه فلا يعذبهم أو يعاقبهم على فعل محظور ، أو ترك مطلوب . و من الناحية السلوكية ،جعلتهم هذه النظرات يستبيحون كل منكر ويفعلـــون كل فاحش . ويعتدون على أرواح الناس وممتلكاتهم ،وأعراضهم ،ويرون أن ذلك مباح لهم لصلتهم الخاصة بالههم كما يدعون .

يقول عبد السميع الهراوى : " والمفروض أن الأديان السماوية جميعا تحارب الصلف (١) العنصرى بل الصلف في أى من صوره ،لأنه يجافي ماتدعو اليه من المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، وقصر المفاضلة بينهم على أسس من العمل الصالح والخلق الرضى ، وطاعة الله فحسب ،دون اعتبار لحسب أو نسب ، وبحسبانهم جميعا ينتمون الى آدم وحواء أصلا مشتركا ، والتراب هو العنصر الذى خلقا منه ابتداء . ومن ثم فلا وجه للتمييز بينهم على أساس من

---

(١) من معاني الصلف : التمدح بما ليس عندك ، أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا ، قاله في القاموس .

الأصل أو الجنس . غير أن اليهود - على النقيض من كل دعوة سماوية أو انسانية تدعو الى المساواة بين البشر - يؤمنون بتفوقهم العنصري ، و يتعصبون لطائفتهم تعصبا لازمهم منذ قيام الدين اليهودي حتى اليوم" (١) .

و لقد حكى القرآن الكريم أن اليهود فيهم هذه النظرات العصبية الممقوتة التي ليست مما أنزل الله على الرسل . وفيما يتعلق بنظرتهم الى الجانب الالهي نظرة انتقاص قال تعالى : " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء" (٢) الآية وقال تعالى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير و نحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق و نقول ذوقوا عذاب الحريق " (٣) .

و فيما يتعلق بنظرتهم الى أنفسهم نظرة التكبر والاستعلاء وأنهم شعب الله المختار قال الله تعالى : " وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير " (٤) .

وقال تعالى : " قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين" (٥) " وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله وعده أم تقولون على الله ما لا تعلمون " (٦) .

و فيما يتعلق بنظرتهم الى غيرهم من البشر باستخفاف ، ومعاملتهم بقسوة ، يقول تعالى : " وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " (٧) وقال : " من أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك و منهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" (٨)

---

(١) الصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٦١ (٢) سورة المائدة ٦٤
(٣) آل عمران ١٨١ (٤) سورة المائدة ١٨ (٥) سورة الجمعة ٦
(٦) سورة البقرة ٨٠ (٧) سورة البقرة ١١١ (٨) سورة آل عمران ٧٥

قال السيد محمد رشيد رضا نقلا عن أستاذه الشيخ محمد عبده في تفسير هذه الآية : " قال الاستاذ الامام ، كأنهم يقولون ان كل من ليس من شعب الله الخالص ، وليس من اهل دينه ، فهو ساقط من نظر الله ، ومبغوض عنده ، فلا حقوق له ولا حرمة لماله ، فيحل أكله متى أمكن "(١).

هذا ما قصه القرآن الكريم علينا من التعصب اليهودى وسلوكهم الأعوج المخالف لدين الله وشرعه في كل زمان .

وأما اسفارهم التي يتمسكون بها على أنها أسفار التوراة ، أو اسفار الأنبياء ، فهي مليئة بهذه المواقف والنزعات العنصرية وناهيك عما في أسفار التلمود التى وضعها أحبارهم على أنها افضل مما يسمونها بالتوراة . واليك بعض ما جاء في تلك الأسفار من النزعة العنصرية لبنى اسرائيل :

ففى سفر التكوين ذكروا أن نوحا شرب الخمر وسكر فتعرى داخل مسكنه فرآه أحد اولاده فأخبر أخويه فسترا عورة أبيهما ولم ينظرا اليه ، ولما علم نوح بالأمر لعن ابن ذلك الولد الذى كان سببا في ستر عورته لأنّ أباه نظر الى عورته ، ودعا لولديه بخير ، وهما سام الذى ينتسب اليه بنـــو اسرائيل ، وأخوه يافث ، وقد كان نصيب سام من الدعاء اكبر من نصيب أخيه . وأما ذلك البائس الذى كتبت عليه اللعنة بدون حق فهو كنعان أبو الكنعانيين . فالذى ابصر عورة أبيه هو حام ، والذى لعنه نوح هو ابنه كنعان . وفي هذا من الظلم والتعصب ما لا يخفى يقول السفر :" ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته . وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم "(٢).

وجعل الرب هنا اله سام ، فيه نظرة التعصب في العقيدة حيث جعلوه اله سام فقط ، ثم في تكرار الدعوة على كنعان لأنّ أباه رأى عورة جده تعصب عنصرى . وفي كون هذه الدعوة على هذا النحو أيضا تعصب واستعلاء لا يخفى فانه لم يدع عليه بالهلاك ، وانما دعا عليه ان يكون عبدا حقيرا لاخوته ، وهذا دليل على أن المقصود من وضع هذه القصة هو الاستعلاء العنصرى .

---

(١) تفسير المنار جـ٣ ص ٣٣٩ (٢) تكوين ٩ : ٢٥-٢٧

ومن أجل هذا التعصب اليهودى ، وضعت قصص كثيرة باطلة تحط من قدر غيرهم من الأمم . فقد وضعوا في سفر التكوين كذبا وافتراء ان لوطا أسكرته ابنتاه فحطتا منه سفاحا فكان منهما المؤابيون والعمونيون (١) .

وقالوا أيضا ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام لم يكن ابن العهد ولم يرث أباه لأنه ابن الأمة ، وان اسحاق عليه السلام هو ابن العهد الوارث لابراهيم لأنه ابن الحرة . وهم ينتسبون الى اسحاق هذا الذى زعموا انه هو الوارث الشرعي لابراهيم فحاكوا هذه القصة على هذا النحو ليكون لهم الفضل وحدهم في الانتماء الى ابراهيم (٢) .

ثم حصروا البركة والعهد في احد ابني اسحاق ، وهو يعقوب الذى نال بركة أبيه اسحاق بمكر وخديعة ، فاصبحت البركة له ولذريته ضربة لازب ، فحرم بذلك عيسو البركة المخصصة له لبكوريته ، فحرم أبناؤه معه تلك البركة أيضا (٣) .

وهكذا ينظر بنو اسرائيل الى غيرهم من الأمم البشرية ، فيضعون على لسان رسلهم وأنبيائهم هذه القصص المفتراة لتصبح عقيدة راسخة في أجيالهم المتعاقبة فكانت كذلك ولا تزال .

وأما اسفار التلمود ، فهي مليئة بما هو أقبح وأشنع عقيدة وسلوكا . ولولا ان هذا البحث موضوع لتوضيح المواقف اليهودية من الذات الالهية والأنبياء ، لما أقدمت على نقله حياء واستعظاما . يقول بولس حنا مسعد في كتابه همجية التعاليم الصهيونية : " يقول التلمود ان اليهودى أحب الى الله من الملائكة ، فالذى يصفع اليهودى كمن يصفع العناية الالهية سواء بسواء . ويردد الربانيون دوما هذا القول الذى أتينا على ذكره : اليهودي من جوهر الله كما أن الولد من جوهر أبيه . وهذا يفسر لنا استحقاق الوثني وغير اليهودى الموت اذا ضرب يهوديا . يعلمنا التلمود أنه لولا اليهود لا متنعت

---

(١) انظر تكوين ١٩ : ٣٠-٣٨

(٢) انظر تكوين ١٧ : ١٨-٢١ و ٢١ : ٩-١٢

(٣) انظر تكوين ٢٧ : ١-٤٢

البركة عن الأرض . وانقطع المطر وانحجبت الشمس . لذلك لا تستطيع شعوب الأرض الحياة بدون الاسرائيليين . ان المفاضلة ، لموجودة بين جميع الأشياء ، فكما أن الانسان يعلو البهيمة ، كذلك اليهود هم أرفع من شعوب الأرض لأن زرع الأغراب كزرع الحصان "(١) .

ويقول بولس حنا أيضا /نقلا عن التلمود : " ان اعطاء غير اليهود صورة بشرية لنعمة فضلى من الله لليهود . ولذلك قيل : ان الله خلق غير اليهود بالصورة البشرية اكراما لليهود ، لأن غير اليهود وجدوا لخدمة اليهود ليلا ونهارا بدون ملل . ولا يوافق ان يكون خادم الأمير حيوانا له الصورة الحيوانية ، بل يجب ان يكون حيوانا له الصورة الانسانية "(٢) .

هذه هي العنصرية الاسرائيلية في أحط صورها وأقبح معانيها . وقوم هذه مبادئهم وعقائدهم ، هل ينتظر الانسان منهم صلاحا وسلوكا حسنا ؟ ان هذه النزعة العنصرية هي الموجهة لبني اسرائيل في كل زمان ومكان ، وهي المؤثرة فيهم عقيدة وسلوكا . فلا الاعتقاد في الذات الالهية سليم ، ولا السلوك والعمل مستقيم ، لأن السلوك القويم ، ينتج من الاعتقاد السليم وهذا ما سنوضحه في المباحث الآتية .

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية ص ١٣٨ الناشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الاولى سنة ١٩٦٩م

(٢) همجية التعاليم الصهيونية ص ١٤١

الباب الثانى

بيان موقفهم من الذات الإلهية

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول:

بيان موقفهم من أسماء الله وصفاته

الفصل الثانى:

بيان ما فى أسفارهم من تشبيه وتجسيم وتنقيص

الفصل الثالث:

بيان وثنية بنى إسرائيل

الفصل الأول

بيان موقفهم من أسماء الله وصفاته
وفيه تسعة مباحث

- المبحث الأول : عقيدة آباء بنى اسرائيل .
- المبحث الثاني : موقف بنى اسرائيل من وجود الله وأسمائه
- المبحث الثالث : موقفهم من الربوبية
- المبحث الرابع : موقفهم من الالوهية
- المبحث الخامس : معالم الوحدانية في الأسفار اليهودية ونظيرذلك من القرآن الكريم .
- المبحث السادس : نصوص من الأسفار توهم تعدد الالهة
- المبحث السابع : موقفهم من صفة القدرة الالهية
- المبحث الثامن : صفة القدرة الالهية في القرآن الكريم
- المبحث التاسع : موقفهم من صفة العلم الالهى .

*

المبحث الأول

عقيدة آباء بني اسرائيل

ان العقيدة الصحيحة في الذات الالهية المقدسة ، هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "(١) . ولكن الانسان قد يجد من الأسباب ما يساعده على نمو تلك الفطرة وسلامتها عن الرواسب المضلة ، فيستقيم عليها ، ويسير على هداها ، فيهتدى بذلك ويسعد . وأجل تلك الأسباب وأعظمها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم يليهم الآباء الصالحون ، وسائر الصالحين من عباد الله تعالى . وقد تعرض للانسان عوارض تحول بينه وبين نمو تلك الفطرة وبقائها صافية في نفسه ، فيضل ويشقى ، فمن اخطر هذه العوارض ، الأبوان ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .."(٢) ثم بعدهما قرناء السوء والمجتمع الفاسد الذى تسلطت عليه الشياطين ، كما جاء في الحديث القدسى : " اني خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم "(٣) .

واذا كان الأنبياء والرسل عليهم السلام أعظم تلك الأسباب وأجلها في هداية الناس واصلاحهم ، وكان الآباء في المرتبة التالية لهم من حيث التأثير على أبنائهم ، بحيث يصلحون باصلاحهم ويفسدون بافسادهم ، فان من اجتمعت فيه خصلتا النبوة والأبوة لهو أشد تأثيرا على أبنائه منه على غيرهم . ف فهو بحكم نبوته حريص على هدايتهم ، ورشدهم ، وصلاحهم ، فلا يورثهم الا ايمانا وصلاحا . وبحكم أبوته وولايته عليهم ، يلزمهم الجادة فيجد منهم السمع والطاعة والتسليم .

---

(١) سورة الروم ٣٠

(٢) البخارى عن ابي هريرة كتاب الجنائز

(٣) انظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٣٢ عند تفسير آية سورة الروم السابقة . وأورد الامام الشوكاني نحوه نقلا عن مسند الامام احمد في فتح القدير جـ ٤ ص٢٢٦ عند تفسير تلك الآية .

وفي هذا البحث دراسة موجزة لعقيدة آباء بني اسرائيل الذين جمع الله فيهم خصلتي النبوة والأبوة . وهم ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام لنرى هل كان لعقيدتهم تأثير على عقيدة ذريتهم الذين جاءوا بعدهم أولا . وذلك على نحو ما جاء في أسفار اليهود وعلى ضوء ما جاء في القرآن الكريم .

أ - عقيدة ابراهيم كما يصورها سفر التكوين :

ليس في سفر التكوين نصوص يعتمد عليها في بيان عقيدة ابراهيم عليه السلام ، كما لا يوجد في بقية أسفار العهد القديم بيان ما كان عليه هو وقومه الذين هاجر من أرضهم من اعتقاد . فالنصوص التي تحدثت عن صلة ابراهيم عليه السلام بربه ، نصوص معدودة لا توصل الى معرفة عقيدته فضلا عن أن توصل الى الاعتقاد بأن ابراهيم نبي كريم ورسول عظيم ، قام بالدعوة الى الله تعالى كأحسن ما تكون الدعوة واليك بيان تلك النصوص التي وردت فيها الاشارة الى صلة ابراهيم بربه على نحو ما .

الموضع الأول الذى تحدث فيه سفر التكوين عن صلة ابراهيم بربه جاء في قوله : " وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أنا أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (١) .

الموضع الثاني : كان بعد هجرة ابراهيم من أرض قومه الى أرض كنعان حيث قال في ذلك سفر التكوين أيضا : " وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطي هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له" (٢) .

الموضع الثالث : حينما اعتزل لوط عليه السلام ابراهيم بسبب النزاع المتكرر بين رعاة مواشيهما حيث قال سفر التكوين :" وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه : ارفع عينيك وانظر في الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأن جميع الأراضى التي أنت ترى لك اعطيها ولنسلك الى الأبد . وأجعل نسلك كتراب

---

(١) تكوين ١٢ : ١-٣ (٢) تكوين ١٢ : ٧

الأرض حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يعد ثم أمش في الأرض طولها وعرضها لأني لك اعطيها . فنقل أبرام خيامه وأتي وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون . بنى هناك مذبحا للرب"(١) .

الموضع الرابع : حينما انتصر ابراهيم عليه السلام على أربعة من الملوك الذين هزموا خمسة ملوك من حلفائه ، واستولوا على املاكهم ، وأسروا لوطا مع من أسروه ،فاسترجع منهم كل الاملاك والأسرى ،فعرض عليه ملك سدوم ، وهو من حلفائه جميع الأموال التي استرجعها ، فأبى ابراهيم قائلا : رفعت يدى الى الرب الاله العلى مالك السماء والأرض لا أخذنا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك فلا تقول أنا أغنيت ابراهيم"(٢) .

الموضع الخامس : حينما ظهر الرب له في الرؤيا وقال له : " لا تخف يا ابراهيم أنا ترس لك أجرك كثير جدا ، فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما ومالك بيتى هو اليعازر الدمشقى . وقال أبرام أيضا انك لم تعطنى نسلا وهوذا ابن بيتى وارث لى . فاذا كلام الرب اليه قائلا : لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه الى خارج وقال انظر الى السماء وعد النجوم ان استطعت أن تعدها وقال له هكذا يكون نسلك فآمن بالرب وحسبه له برا"(٣) . ثم طلب ابراهيم من ربه علامة على تحقق وعده لذريته بميراث تلك الأرض فأمره أن يذبح عجلا وعنزة وكبشا و حمامة ،ويمامة ، وأن يشق الثلاثة الاولى نصفين ، ويضع كل نصف مقابل النصف الاخر . ففعل ابراهيم فبدأت الجوارح تنزل على الجثث فبينما يزجرها ابراهيم ،أخذته سنة ،فرأى تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك الجثث المقطعة ،وفي ذلك اليوم قطع الرب معه ميثاقا قائلا : "لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات"(٤) .

---

(١) تكوين ١٣ : ١٤-١٨

(٢) تكوين ١٤ : ٢٣

(٣) تكوين ١٥ : ١-٦

(٤) تكوين ١٥ : ١٨

الموضع السادس : حينما ظهر له الرب وقال له : " أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملا فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا فسقط ابرام على وجهه . و تكلم الله معه قائلا : أما انا فهوذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الامم . وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون وأقيم عهدى بينى وبينك و بين نسلك من بعدك في اجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسلك من بعدك واعطى لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا واكون الههم ... وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدك في اجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم و بين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم" (١) ثم أمره أن لا يدعو اسم امرأته ساراى بل سارة ، و بشره بولد منها .

الموضع السابع : حينما ظهر له الرب ومعه ملاكان في بلوطات ممرا وبشره باسحاق ، فاستضافه ابراهيم وقدم لهم الطعام والشراب بعد أن غسلوا أرجلهم واستراحوا تحت ظل الشجرة ، فاكلوا وشربوا ، ثم جاوزوه الى قرية قوم لوط لاهلاكها بعد ان وقف ابراهيم طويلا مع الرب على انفراد يجادله في شأن قوم لوط في حديث طويل أورده سفر التكوين (٢) .

الموضع الثامن : حينما تضرع ابراهيم الى ربه من اجل ابيمالك وأهل بيته الذين أصيبوا بالعقم بسبب أخذ ابيمالك سارة الى نسائه فشفوا جميعا . (٣)

والموضع التاسع : حينما أمره الرب أن يصرف هاجر واسماعيل من عند سارة التى ضاقت بهما ذرعا كما تقول الرواية فاخرجهما طاعة لأمر ربه (٤) .

والموضع العاشر : حينما امتحنه الرب أن يذبح ولده الوحيد اسحاق كما تقول الرواية ، ففداه الله قبل ان يتمكن ابراهيم من ذبحه ، ووعده انه سيبارك في نسله ويكثره كنجوم السماء والرمل الذى على شاطئ البحر (٥) .

---

(١) تكوين ١٧ : ١-١٢ (٢) تكوين ١٨ :
(٣) تكوين ٢٠ (٤) تكوين ٢١ (٥) تكوين ٢٢

والموضع الحادى عشر : حينما أمر ابراهيم عليه السلام كبير خدامه ان يزوج ابنه اسحاق من عشيرته التي فارقها ،لا من الكنعانيين الذين هو نازل فيهم ، وقال له : " الرب اله السماء الذى أخذ نى من بيت أبي ومن أرض ميلادى والذى كلمنى والذى اقسم لي قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض هو يرسل ملاكه امامك فتأخذ زوجة لابنى من هناك "(١) .

هذه النصوص هي كل ما في سفر التكوين من حديث عن صلة ابراهيم عليه السلام بربه ، وهي نصوص لا توصل الدارس الى مفصل عقيدة ابراهيم عليه السلام . فمدار هذه النصوص كلها على الوعود بكثرة الذرارى ، والاستيلاء على الاراضى والسيطرة على أهلها . وأما الجانب العقدى فلا يكاد القارئ يلمس شيئا من خلال سطورها ،لأن النزعة المادية هي المدار الذى تدور القصة في فلكه . فابراهيم ومعه لوط عليهما السلام حسب الرواية ، من كبار ملاك المواشي ،وكذلك سيكون لذرية ابراهيم شأن عظيم في امتلاك أرض كنعان واذلال أهلها ، وفي جميع الاحوال من مواشي وعبيد .

فالرواية اليهودية لم تشر الى السبب الذى أخرج ابراهيم من أرض قومه ، ولم تذكر شيئا من نبوته ورسالته ، بل كل ما ذكرته هي تلك الوعود بكثرة الذرارى وامتلاك الاراضى . فهذه النزعة المادية التي اظهرها اليهود في روايتهم ووصفوا بها هذا النبي الجليل ابراهيم الخليل عليه السلام هي التي ورثها اسحاق منه حسب الرواية اليهودية وهي التي ورثها يعقوب من اسحاق كما يتجلى من خلال سطور سفر التكوين . وهي رواية مختلقة موضوعة يقصد اليهود بها تبرير حبهم الشديد للمال وارتكاب أفظع الجرائم في سبيل جمعه .

هذه النصوص اليهودية وامثالها هي التي أباحت لأحد الكاثوليك وهو المدعو الأب ديلى المدرس في جامعة باريس الكاثوليكية ان يقول بكل جرأة : " ظل الآباء ،ما عاشوا في حاران رعاة غنم . فلما نزحوا الى كنعان ،تلاءموا مع الوسط ، فأخذوا يربون البقر ،وربما الابل أيضا ، الا ان اشتغالهم في

---

(١) تكوين ٢٤ : ٧

تربية المواشي قد ساعدهم على التطور الاجتماعي ،وعلى الاستقرار في الأرض وحولهم من بدو الى نصف متحضرين ، فبدأوا يفلحون . وحلم يوسف بحزمات القمح . كان لاقتناء المواشي وتربيتها أثره في حل الآباء وترحالهم ، اذ كانوا رهينة الجو والمطر . الا ان ما كانوا عليه من حالة البداوة وما كانت عليه البلاد من الحالة السياسية ، قد حال دون ان يقصدوا اماكن المدن والصحارى المقفرة على السواء ، كانت حياتهم حياة بداوة يمكثون في الأراضي الصالحة لمواشيهم ، حيث العشب والماء حتى اذا ما نضب الماء أو جف العشب ، رحلوا بخيامهم وما فيها ينتجعون المراعي الخصبة ، والمياه الغزيرة واذا ما طاب لهم المقام في بقعة من الأرض ، أطالوا مكوثهم فيها ، حتى لتصبح لهم مركز اشعاع يذهب منه من وقت الى اخر مبعوث لهم الى البعيدين من رعاتهم يحملون الاخبار منهم واليهم . في مهمة كهذه أرسل يعقوب يوما ابنه يوسف (تكوين ٣٧ : ١٤ "(١) وقال أيضا : " بدأ ابراهيم ففهم أن الله واحد وانه قدير . الا ان هذه الوجهة العقلية من ايمانه ، تبدو ضئيلة في نظرنا نحن المسيحيين الذين نعرف عن الله اكثر من ذلك . من ان الله يحيا في ثالوثه وفي كل فرد من المؤمنين ، وأن المسيح افتدى الانسانية بموته على الصليب افتداء يتحقق في كل انسان بواسطة الاسرار ، وأن المسيحيين يحيون حياة اتحاد بعضهم مع بعض ومع المسيح "(٢)

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص ٩٨ . وقوله : " ... أرسل يعقوب يوسف يشير به الى قصة يوسف واخوته في بدايتها حيث تزعم رواية اليهود أن يعقوب ارسل يوسف لتفقد احوال اخوته الذين في رعي الماشية فهناك تمت المؤامرة ، والصحيح الذى دل عليه القرآن الكريم أن اخوة يوسف هم الذين طلبوا من أبيهم ان يرسله معهم ليلعبوا معه فوافق على ارساله معهم على تخوف قال تعالى :" قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون . ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال انه ليحزنني أن تذهبوا به فأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون . فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون " يوسف ١٤-١٥

(٢) نفس المرجع ص ١٠٧

عقيدة ابراهيم على ضوء القرآن الكريم :

يعتبر ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم أبا لكثير من الأنبياء ، وقدوة الصالحين ، ومثال المهتدين ، الذين خلد الله ذكرهم الى يوم الدين . فقد وضح لنا القرآن سبب هجرته من بين قومه وعشيرته ، وهي العقيدة التي جاهد من اجلها بلسانه ، وبيده ، وقاوم العداوة الشرسة من قومه حتى أذن الله له بالهجرة ، فهاجر منها مع لوط عليه السلام .

وابرازا لتلك الجوانب المهمة التي اغفلتها رواية اليهود من حياة ابراهيم العقدية ، نورد ثلاث قصص جاءت في القرآن الكريم في شأن دعوة ابراهيم عليه السلام لأهميتها :

القصة الأولى : مقارعته عليه السلام قومه بالحجة الدامغة على عبادتهم للأجرام السماوية .

القصة الثانية : دعوته عليه السلام أباه الى ترك عبادة الأصنام ليعبد الله وحده لا شريك له .

القصة الثالثة : ما فعله عليه السلام بأصنام قومه وما ترتب على ذلك من حوار دار بينه وبين قومه وما فعلوه به من محاولة احراقه . ثم نورد بعد ذلك آيات قرآنية تدل على أن ملة ابراهيم عليه السلام لا تختلف عن ملة الاسلام التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم في اصولها الاعتقادية ، وان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولا مشركا ، ولكنه كان حنيفا مسلما ، مقبلا على طاعة ربه عز وجل . واليك بيان ذلك :

حجة ابراهيم على قومه :

كان قوم ابراهيم عليه السلام من عباد الاصنام ، وكانت لهم في الأرض معابد باسم الاجرام السماوية التي يعبدونها من دون الله تعالى ، وهي الشمس والقمر والكواكب . ولما أراد الله تعالى بابراهيم خيرا ومن عليه بالرسالة ، أقبل على

قومه ، يعظهم ، ويرشدهم ، ويحاجهم بحجج بليغة جليلة ذكرها الله تعالى في قوله : " واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى بريء مما تشركون . انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين "(١) .

---

(١) الانعام ٧٤ - ٩٠

ابراهيم عليه السلام آتاه الله رشده :

وفي موقف آخر من مواقف الدعوة الى الله والجهاد في سبيله يقول الله تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام :" ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على روؤسهم لقد علمت ما هوءلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ،وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين "(١) .

وفي آية اخرى يقول الله تعالى في بيان هذا الموقف لابراهيم عليه السلام بعد ان ذكر نوحا عليه السلام وما كان من أمره مع قومه ، ثم ما آل اليه أمرهم من الغرق :" وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . أأفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال اني سقيم . فتولوا عنه مدبرين .

---

(١) سورة الأنبياء ٥١-٧٣

فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون . مالكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون . قال أتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم . فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين . وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم "(١) .

دعوة ابراهيم عليه السلام أباه وأدبه معه :

ومن مواقف ابراهيم عليه السلام التي خلدها الرب تبارك وتعالى في أجيال البشر المتعاقبة دعوته أباه بأسلوب يفيض بلاغة وحرصا وأدبا واشفاقا . وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : " واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يا أبت أني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم . لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا . قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا اكون بدعاء ربي شقيا . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا "(٢) .

هذه القصص الثلاث تبين لنا جوانب عظيمة من دعوة أبي الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام . وتؤكد لنا أن هذا النبي الكريم جاهد المشركين بلسانه ويده ، جاهدهم بلسانه حيث أقام عليهم الحجج الدامغة التي تبهت كل معاند مهما بلغت فصاحته . وجاهدهم بيده حيث حطم اصنامهم وتحداهم في شجاعة وثبات واقدام ، مما أغضب قومه المشركين حتى تنادوا

---

(١) سورة الصافات ٨٣ - ١٠١ (٢) سورة مريم ٤١-٥٠

وأجمعوا على احراقه انتصارا لتلك الجمادات التي لا تعي ما يدور حولها فضلا عن الانتصار لنفسها ، أو لعبادها . فما أشد عجزهم وحيرتهم حينما شاهدوا ذلك الفتى الذى أعدوا له البنيان ، وألقوه في الجحيم المعدة له سالما من نارهم لم يمسسه سوء ، وما أشد عماهم ، اذ لم يتغير موقفهم من الكفر الى الايمان ، حينما شاهدوا تلك الآية البينة الدالة على صدق فتاهم ، وقدرة ربه الذى يدعوهم الى الايمان به ، كما تغير موقف سحرة فرعون من الكفر الطاغي الى الايمان الراسخ الذى ألقاهم للسجود القاء ، ودفعهم لتحدى سلطة فرعون وجبروته دفعا ، حينما شاهدوا آية الله تعالى البينة على يد نبيه موسى عليه السلام . وحينما أيقن ابراهيم عليه السلام أن قومه لن يؤمنوا وأنهم سيستمرون في معاداته ويقاومون دعوته ما بقي بين أظهرهم ، نادى الى الهجرة في سبيل الله ، فهاجر من أرض قومه ، وديار عشيرته الى حيث يهديه ربه ، فكان في صحبته نبي كريم من انبياء الله تعالى وهو لوط عليه السلام ، فكانت هذه الهجرة اول هجرة في سبيل الله ، هاجرها نبي حسب ما وصل الينا من تاريخ الاقدمين وسيرهم ، وهي هجرة كانت في سبيل طلب حرية العقيدة ، وحرية الدعوة اليها ، لا في سبيل جمع المواشي ، وامتلاك الاراضي ، والعبيد والاماء ، كما زعمت رواية اليهود التي سجلت تاريخ الانبياء عليهم السلام تسجيلا ماديا لا صلة له بالعقيدة الالهية والدعوة اليها .

ملة ابراهيم عليه السلام هي ملة الاسلام :

ويذكر القرآن الكريم أن ملة ابراهيم عليه السلام هي ملة الاسلام التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يبين انه عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا كما يزعم ذلك الفريقان . ولم يكن مشركا كما كان مشركو العرب يزعمون . بل هو حنيف مسلم بعيد عما يدين به كل من اليهود والنصارى والمشركين . فيقول الله تعالى في بيان ذلك :

" ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين "(١) .

" وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (٢) .

" قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين "(٣)

" ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين/ شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وأنه في الاخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين "(٤) .

وهذه هي ملة ابراهيم عليه السلام ، وتلك هي عقيدته التي أمر الله عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ان الله تعالى هداه اليها كما في الاية الاخيرة السابقة وكما في قوله تعالى :" قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين "(٥) .

فتبين بهذا ان عقيدة جد بني اسرائيل الثاني (ابراهيم عليه السلام) هي عقيدة اسلامية صحيحة لا تختلف عما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم في أصولها الثابتة .

---

(١) سورة آل عمران ٦٧
(٢) سورة البقرة ١٣٥
(٣) سورة آل عمران ٩٥
(٤) سورة النحل ١٢٠-١٢٣
(٥) سورة الانعام ١٦١

ب - عقيدة اسحاق عليه السلام ،كما يصورها سفر التكوين :

لا يختلف حديث سفر التكوين عن اسحاق عن حديثه عن ابراهيم عليهما السلام في أمر العقيدة . فصلة اسحاق بمعبوده في هذا السفر ، صلة غامضة غير واضحة المعالم ، شأنه في ذلك كشأن أبيه ابراهيم عليه السلام . غير أن الحديث عن أبيه في هذا السفر قد أخذ جزءا اكبر مما أخذه الحديث عن اسحاق الذى ورد الحديث عنه في أمر له صلة ما بالعقيدة في نحو خمسة مواضع :

الموضع الأول : حينما ذكر أن اسحاق عليه السلام صلى الى الرب من أجل امرأته رفقة التي كانت عاقرا . وذلك في قوله : " وصلى اسحاق الى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته " (١) .

الموضع الثاني : في قوله عنه : " وظهر له الرب وقال لا تنزل الى مصر. اسكن في الأرض التى اقول لك. تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيك. وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطى نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض . من أجل ان ابراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامرى وشرائعى وفرائضى " (٢) .

الموضع الثالث : في قوله عنه أيضا : " فظهر له الرب في تلك الليلة وقال انا اله ابراهيم أبيك لا تخف لأني معك وأباركك وأكثر نسلك من اجل ابراهيم عبدى فبنى هناك مذبحا ودعا باسم الرب " (٣) .

الموضع الرابع : كان في دعوة اسحاق لابنه يعقوب عليه السلام ظنا منه أنه شقيقه عيسو حينما خدعه يعقوب كما تقول الرواية ، مدعيا أنه عيسو بعد أن لبس ثيابه ،وتشبه به ،وقدم له الطعام الذى طلب اسحاق من ابنه عيسو ،

---

(١) تكوين ٢٥ : ٢١ (٢) تكوين ٢٦ : ٣-٥ (٣) تكوين ٢٦ : ٢٤-٢٥

فنال البركة المعدة له مكرا وخداعا لأنّ اسحاق كان ضعيف البصر لكبر سنه حسب القول الوارد في السفر المذكور وهذا نصه : " فليعطك الله من ندى السماء و من دسم الأرض . وكثرة حنطة و خمر و ليستعبد لك شعوب و تسجد لك قبائل كن سيدا لاخوتك و ليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك معلونين ومباركوك مباركين " (١) .

والموضع الخامس : حينما أراد يعقوب الرحيل الى ديار خاله لابان في فدان أرام هربا من أخيه عيسو الذى غضب عليه بسبب حرمانه من البركة والبكورية ، فأراد الانتقام منه ، فودعه أبوه اسحاق ودعا له قائلا : " والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك معك . لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لابراهيم " (٢) .

هذه هي النصوص الواردة في سفر التكوين مما يتعلق بعقيدة اسحاق وصلته بربه ، وهي كلها لا تعدو أن تكون وعدا بالاستيلاء على الأرض ، وتكثير النسل ، أو دعاء بتحقق ذلك الوعد ، وهذا لا يعطي القارىء فكرة واضحة عن عقيدة اسحاق من خلال رواية سفر التكوين . وعليه فلننظر ماجاء في عقيدته في القرآن الكريم ، وذلك بعد أن نستعرض ما جاء في عقيدة ابنه يعقوب كما روى سفر التكوين وذلك لورود الآيات القرآنية المنوهة بشأنهما جامعة بينهما حيث ذكرا . ثم نستعرض بعض الآيات التي افردت يعقوب عليه السلام بحديث .

---

(١) تكوين ٢٧ : ٢٨ - ٢٩

(٢) تكوين ٢٨ : ٤٣

ج ـ عقيدة يعقوب عليه السلام كما في سفر التكوين :

حديث سفر التكوين عن يعقوب عليه السلام كثير مستفيض ،ولكنه فيما يتعلق بشؤون الحياة فقط ، حيث تحدث باسهاب عن ميلاده ،ونشأته وزواجه ، وما وهب الله له من الذرية الكثيرة ، من أبناء وأحفاد وما جرى له معهم من حوادث مثيرة ، كما في قصة يوسف عليه السلام ، واخوته ،وما ترتب عليها من انتقال يعقوب وبنيه الى مصر ، حيث بيع يوسف عليه السلام.

ومع هذا الاسهاب الكثير في الحديث عن حياة يعقوب المادية ، فان حديث السفر عنه عليه السلام في مجال العقيدة ، لا يختلف عما سبق في شأن أبويه ابراهيم واسحاق عليهما السلام. وهو حديث لا يروى ظمأ الباحث عن صلة يعقوب بمعبوده . وقد اقتصر الحديث عن صلة يعقوب الغامضة بمعبوده على أحد عشر موضعا :

الموضع الأول : حينما خرج يعقوب متوجها الى فدان أرام ، فنزل في أحد المكان ليلا فاضطجع فيه . وفي ذلك يقول سفر التكوين : " ورأى حلما واذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهوذا الرب واقف عليها فقال : أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحاق الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك الى هذه الأرض لأني لا اتركك حتى أفعل ما كلمتك به . فاستيقظ يعقوب من نومه ،وقال : حقا ان الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال ما أرهب هذا المكان ؟، ما هذا الا بيت الله ؟! وهذا باب السماء . وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه . ودعا اسم المكان بيت ايل . ولكن اسم المدينة أولا كان لوز . ونذر يعقوب نذرا قائلا : ان كان الله معي وحفظني

في هذا الطريق الذى أنا سائر فيه وأعطاني خبزا لآكل وثيابا لألبس ورجعت بسلام الى بيت أبي يكون الرب لى الها . وهذا الحجر الذى أقمته عمودا يكون بيت الله وكل ما تعطينى فاني أعشره لك" (١) .

وهذا النذر المذكور المنسوب الى يعقوب عليه السلام لا تجوز نسبته اليه لأنه لا يمكن أن يعلق يعقوب عبادة ربه على عودته من رحلتـه سالما غانما . لأن عبادته تعالى وتأليهه فرض ليس للعبد خيار في تركه .

الموضع الثاني : حينما غارت راحيل زوجته من أختها الضرب الولود ، وطلبت من يعقوب أن يهب لها ولدا ، قال لها يعقوب وهو مغضب : " ألعلى مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن ؟ " (٢) .

والموضع الثالث : حينما شكا يعقوب الى زوجته تغير أبيهما نحوه قائلا : " أنا أرى وجه أبيكما انه ليس نحوى كأمس وأول من أمس ولكن اله أبى كان معى " (٣) . ثم أخبرهما أنه رأى ملكا في الحلم وهو يقول له : " لأني قد رأيت كل ما يصنع بك لابان . انا اله بيت ايل حيث مسحت عمودا حيث نذرت لي نذرا . الآن قم اخرج من هذه الأرض وارجع الى أرض ميلادك" (٤) .

ومع أن هذا النص كان يتحدث في بداية الأمر عن ظهور ملاك الله ليعقوب في الرؤيا ، فانه جعل هذا الملك هو عين الاله الذى ظهر لـه على السلم فقال له : " أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحاق " وهكذا تضطرب أحاديث اليهود عن الذات الالهية المقدسة . وهو ما سوف يتضح في هذا الباب .

والموضع الرابع : حينما خرج من فدان أرام مختفيا عن خاله والد زوجتيه لابان الأرامى ، فأدركه خاله في الطريق ، ووبخه على خروجه بلا علم منه ، قال لـه يعقوب : " الآن عشرون سنة في بيتك ، خدمتك أربع عشرة سنة بابنتيك ،

---

(١) تكوين ٢٨ : ١٢-٢٢ (٢) تكوين ٣٠ : ٢ (٣) تكوين ٣١ : ٥-٦
(٤) تكوين ٣١ : ١٢-١٣

وست سنين بغنمك وقد غيرت أجرتي عشر مرات لولا أن اله ابي اله ابراهيم وهيبة اسحاق كان معي لكنت الان قد صرفتني فارغا مشقتي وتعب يدي قد نظر الله فوبخك البارحة "(١) .

والموضع الخامس : حينما عاد يعقوب وأهل بيته الى أرض كنعان ،واقترب من منازل أخيه عيسو الذي خرج يعقوب الى فدان أرام هربا منه ،وخاف يعقوب من أذاه على أهله وماله ،تضرع الى ربه قائلا :" يا اله ابي ابراهيم ، واله ابي اسحاق الرب الذي قال لي ارجع الى أرضك والى عشيرتك فأحسن اليك ،صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت الى عبدك. فاني بعصاي عبرت هذا الأردن والان قد صرت جيشين نجني من يد أخي عيسو لأني خائف من أن يأتي ويضربني الام مع البنين . وأنت قد قلت اني أحسن اليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يعد للكثرة "(٢) .

والموضع السادس : في قصة المصارعة المشهورة التي صارعه فيها انسان مجهول ذات ليلة حتى طلوع الفجر ولما أيقن ذلك الانسان انه غير قادر على مغالبته ضرب حق فخذه فانكسر . ثم طلب من يعقوب أن يطلقه لأن الفجر قد طلع ،فلم يوافق على اطلاقه الا اذا باركه ذلك المصارع الأسير ، فمنحه البركة مرغما ، وطلب منه أن لا يدعى فيما بعد يعقوب ، بل اسرائيل معللا سبب تلك التسمية الجديدة بقوله : "لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت"(٣) ، ثم قام يعقوب في الصباح فدعا اسم ذلك الموضع "فنيئيل" أي وجه الله وعلل سبب تسمية المكان بهذا الاسم بقوله :" لأني رأيت الله وجها لوجه ونجيت نفسي "(٤) .

وسيأتي هذا النص كاملا في مبحث الصفات وهناك تتم مناقشته على ضوء التنزيه الالهي من التشبيه والتجسيم والتنقيص ان شاء الله تعالى .

---

(١) تكوين ٣١ : ٤١-٤٢ (٢) تكوين ٣٢ : ٩-١٢

(٣) تكوين ٣٢ : ٢٨ (٤) تكوين ٣٢ : ٣٠

والموضع السابع : حينما قابل يعقوب أخاه عيسو فسأله عيسو عن أولاده قائلا : " ما هؤلاء منك ؟ " فأجابه يعقوب عليه السلام بقوله : " الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك "(١) .

وحينما رفض عيسو الهدايا التي قدمها له يعقوب ، قال له يعقوب عليه السلام : " ان وجدت نعمة في عينيك تأخذ هديتي من يدى لانى رأيت وجهك كما يرى وجه الله فرضيت على . خذ بركتى التى آتى بها اليك لان الله قد أنعم على ولى كل شىء "(٢) .

والموضع الثامن : جاء في قوله : " ثم قال الله ليعقوب قم اصعد الى بيت ايل وأقم هناك واصنع هناك مذبحا لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك . فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه : اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم وتطهروا ، وأبدلوا ثيابكم ، ولنقم ولنصعد الى بيت ايل وأصنع هناك مذبحا لله الذى استجاب لي في يوم ضيقتى وكان معى في الطريق الذى ذهبت فيه .... فأتى يعقوب الى لوز التى في أرض كنعان وهي بيت ايل هو وجميع القوم الذين معه ، وبنى هناك مذبحا ودعا المكان بيت ايل لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه (٣) .

والموضع التاسع : جاء في قوله : " وظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان أرام وباركه . وقال له الله : اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك اسرائيل فدعا اسمه اسرائيل وقال له الله أنا الله القدير أثمر واكثر ، أمة وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التي أعطيت لابراهيم واسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطى الأرض . ثم صعد الله عنه في المكان الذى فيه تكلم معه . فنصب يعقوب عمودا في المكان الذى فيه تكلم معه عمودا من حجر وسكب عليه سكيبا وصب عليه زيتا ودعا يعقوب اسم المكان الذى فيه تكلم الله معه بيت ايل "(٤)

---

(١) تكوين ٣٣ : ٥ (٢) تكوين ٣٣ : ١٠-١١ (٣) تكوين ٣٥ : ١-٩

(٤) تكوين ٣٥ : ٩-١٥

والموضع العاشر : حينما قصد الارتحال بأهل بيته الى مصر ، ذهب الى بئرسبع مع جميع آله : " وذبح ذبائح لاله أبيه اسحاق . فكلم الله اسرائيل في رؤى الليل وقال يعقوب يعقوب فقال : ها أنا ذا . فقال انا الله اله أبيك لا تخف من النزول الى مصر لاني أجعلك أمة عظيمة هناك . أنا انزل معك الى مصر وأنا أصعدك أيضا ويضع يوسف يده على عينيك" (١) .

والموضع الحادي عشر : حينما حضرته الوفاة قال لابنه يوسف عليه السلام : " الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني . وقال لي : ها أنا أجعلك مثمرا واكثرك وأجعلك جمهورا من الامم وأعطي نسلك هذه الارض من بعدك ملكا أبديا . . . لم اكن اظن اني أرى وجهك وهوذا الله قد أراني نسلك أيضا . . . الله الذي سار أمامه أبواي ابراهيم واسحاق الله الذي رعاني منذ وجودي الى هذا اليوم . الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين وليدع عليهما اسمي واسم أبوي ابراهيم واسحاق وليكثرا كثيرا في الارض" (٢) .

ودعا ليوسف أيضا قائلا : " من اله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كل شيء الذي يباركك تأتي بركات السماء من فوق ، وبركات الغمر الرابض تحت ، بركات الثديين والرحم ، بركات أبيك فاقت على بركات أبوي الى منية الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير اخوته " (٣) .

---

(١) تكوين ٤٦ : ١-٤ لقد جاء في القرآن الكريم أن عيني يعقوب شفيتا عندما جاءه البشير بخبر يوسف فألقى ابنا يوسف قميصه على وجهه ، وذلك بأمر من يوسف عليه السلام حيث قال : " اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين (سورة يوسف ٩٣) قال تعالى مخبرا عن ذلك : " فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ؟ " (سورة يوسف ٩٦) فيتبين بهذا عدم صحة ما جاء عن اليهود .

(٢) تكوين ٤٨ : ٣-٤ و ١٥-١٦ الغلامان هما منسى وافرايم ابنا يوسف

(٣) تكوين ٤٩ : ٢٥ - ٢٦

تلك هي النصوص اليهودية التي تتحدث عن صلة يعقوب بربه ،وهي صلة مضطربة ،تعلو حينا الى التقديس والتعظيم وتهبط أحيانا الى التشبيه والتجسيم والتنقيص . ولا يستطيع الباحث من خلال دراسة هذه النصـــوص أن يصل الى القول : ان يعقوب حسب هذه الروايات يعبد الله وحـــده لا شريك له. بل ان وجود آلهة غريبة في آل بيته كما تقول الرواية ، يدعو الى الشك في سلامة العقيدة التى كانوا عليها .

ومع وجود هذا الغموض في نصوص اليهود التي تحدثت عن يعقوب وأبويه ابراهيم واسحاق عليهم السلام ، فان الذى لا شك فيه أن أولئـــك الأنبياء الكرام كانوا على نور من ربهم وأن عقيدتهم هي عقيدة جميع الأنبياء والرسل الذين أنعم الله عليهم منذ خلق آدم عليه السلام ، بالنبوة والرسالة . فعقيدة هؤلاء اعظم وأجل من المادية التى وصفهم بها اليهود الماديون ! بل هي عقيدة الهية ارتضاها لهم ربهم واصطفاهم بالنبوة والرسالة من أجل غرسها في نفوس البشر جيلا بعد جيل ،وقرنا بعد قرن ،وهذا ما هاجر من أجله أبو الأنبياء الكرام ابراهيم عليه وعلى اخوانه الأنبياء الصلاة والسلام الى يوم النشور .

عقيدة اسحاق ويعقوب في القرآن هي عقيدة ابراهيم ذاتها :

يؤكد القرآن الكريم أن عقيدة ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب هي عقيدة ارتضاها الله لعباده وأمرهم بالتمسك بها . فكلهم متمسك بوحي الله وهديه ، قال تعالى : " قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون "(١) .

وقال : " قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون "(٢) .

ويقول تعالى بعد أن ذكر ابراهيم ودعوته : " ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا "(٣) ويقول أيضا : " فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله و هبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا "(٤) ويقول : " ووهبنا لـه اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين "(٥) .

وقال : " ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين "(٦) .

و هذه الآيات كلها تربط بين هؤلاء الانبياء ربطا زمنيا وعقديا ونسبيا ، فتؤكد أن عقيدة الأبناء الخلف ، كعقيدة الآباء السلف ، الذين يقول الله فيهم اجمعين " وكلا جعلنا صالحين " . وبهذا يظهر البون الشاسع بين كتاب أنزله الله تعالى ،وسفر كتبه ضلال البشر بأيديهم فقالوا هذا من عند الله ليبيعوا آخرتهم بدنياهم " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولـون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهـم مما يكسبون "(٧)

---

(١) سورة البقرة ١٣٦ (٢) سورة آل عمران ٨٤
(٣) سورة الانعام ٨٤ (٤) سورة مريم ٤٩ (٥) سورة الانبياء ٧٢
(٦) سورة العنكبوت ٢٧ (٧) سورة البقرة ٧٩

عقيدة يعقوب عليه السلام كما في سورة يوسف :

وفي سورة من سور القرآن الكريم هي سورة يوسف ، قص الله تعالى علينا من القصص الحسنى التي فيها تتجلى عقيدة يعقوب في ذات الله المقدسة.

فقد وصف يعقوب ربه فيها بصفاته الحسنى وأسمائه العليا . وصفه بالعلم والحكمة فقال وهو يخاطب ابنه يوسف ويعبر له الرؤيا : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك حكيم عليم" (١) وقال : "عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم" (٢) .

ووصفه بأنه هو المستعان وهو يخاطب بنيه الذين احتالوا عليه في شأن يوسف في قوله : " وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " (٣) .

ووصفه بالحفظ والرحمة فقال لبنيه حينما ذهبوا الى مصر بشقيق يوسف بطلب من يوسف قبل ان يعرفهم بنفسه : " قال هل آمنكم الا كما امنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين " (٤) . انه فوض اليه أمره ، وتبرأ من حوله وقوته ، واليه وحده يشتكي ويتوكل عليه ، فقال في ذلك كله : " يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون " (٥) . " قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون " (٦) .

واعتبر اليأس من رحمة الله كفرا فقال : " يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون " (٧)

---

(١) سورة يوسف ٦ (٢) سورة يوسف ٨٣ (٣) سورة يوسف ١٨
(٤) سورة يوسف ٦٤ (٥) سورة يوسف ٦٧ (٦) سورة يوسف ٨٦
(٧) سورة يوسف ٨٧ .

ووصفه بأنه ذو المغفرة والرحمة فقال : " سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم " (١) .

وبعد ، فهذه هي عقيدة يعقوب عليه السلام كما حكاها القرآن الكريم وهي عقيدة التقديس والتنزيه ، والتعظيم . وليست عقيدة الاقطاعات والاطماع التوسعية في أراضي الآخرين ، كما تكرر ذلك في رواية اليهود ! وبهذه العقيدة الصحيحة وصى ابراهيم بنيه ويعقوب قائلين : " يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون " (٢) .

وعلى الرغم مما يسود تلك النصوص اليهودية التي تحدثت عن ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام من غموض ، فان مما يؤخذ منها أيضا أن معبودهم هو معبود واحد . فاسحاق ورث من أبيه ابراهيم معرفتـــه ويعقوب ورث ذلك من اسحاق . وهذا الاله كان يؤكد لكل من اسحاق ويعقوب أنه اله ابراهيم الذى ظهر له ووعده بتكثير النسل وامتلاك الأرض وذلك بقوله لاسحاق : " أنا اله ابراهيم ابيك لا تخف لأني معك " وقوله ليعقوب : " انا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحاق " .

وبهذا نكون قد انتهينا من استعراض النصوص اليهودية التي صورت عقيدة آباء اسرائيل تصويرا ماديا صرفا . وقد أوضحنا مجانبة ذلك للصواب ، وذلك بايراد ما جاء في القصص الحق الذى قصه الله علينا في كتابـــه العزيز . عن كل من اولئك الآباء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وهذا التصوير المادى لسيرة أولئك الأنبياء من قبل اليهود ، سوف نرى أثره الواضح في حياة اليهود وسلوكهم حيث سيطرت المادية والبعد عن الدين على أجيالهم المتعاقبة في أقبح صورها وأجلى معانيها .

---

(١) سورة يوسف ٩٨ (٢) سورة البقرة ١٣٢

المبحث الثانـــــي

موقف بني اسرائيل من وجود الله وأسمائه

أ - موقفهم من وجود الله :

ان موقف بني اسرائيل من وجود الله تعالى لم يكن موضع بحث من قبل الكتاب والمؤرخين ، وهو موقف واضح كل الوضوح ، اذ انهم يؤمنون بوجوده تعالى حسب ما تدل عليه أسفارهم ، بل السفر الاول من الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى - وهو سفر التكوين - يتحدث عن الخالق ومخلوقاته كيف خلقت ، ولذلك سمى سفر الخليقة وسفر التكوين . ولا يوجد في أسفارهم المتعددة ما يدل على أنهم اعتقدوا في مرحلة ما من مراحل تاريخهم الطويل عدم وجود الخالق .

ان وجود الخالق والايمان به ، هو الاساس الاول الذى لا يمكن بدون ثبوته ، النظر في أسماء الخالق وصفاته ، لأن النظر فيهما فرع عن اثبات وجوده جل وعلا ، وما دمنا قد تحققنا أن بني اسرائيل يؤمنون بوجود الخالق جل وعلا ، فلننظر في تصورهم للوجود الالهي على اى صفة يكون ، من حيث التوحيد ، والتنزيه ، وخلافهما . وقبل ذلك ننظر في أسماء الله عند بني اسرائيل وما لها من معان تدل عليها .

ب - أسماء الله عند بني اسرائيل :

ان التاريخ البشرى الطويل ، ملئ بأسماء آلهة مختلفة ذاتا وصفة ، عبدها الانسان رغبة في نفعها ، أو خوفا من ضررها . و من بين تلك الالهة التي عبدها الانسان ، الشمس والقمر والنجوم ، التى صنع البشر لها معابد وتماثيل يقدمون فيها مختلف أنواع العبادات . فكما ان عباد هذه الأجرام وغيرها يختلفون في زمانهم و مكانهم ولغاتهم ، فقد اختلفت أسماء معبوداتهم أيضا حتى وان كانت تدل على مسمى واحد . فكذلك الحال فيمن عبد الله تعالى وآمن بربوبيتـــه وألوهيته في اختلاف الأسماء التي أطلقت على ذاته المقدسة باختلاف لغات

البشر . يقول الدكتور أحمد شلبي : " للاله أسماء تختلف -بطبيعة الحال - باختلاف اللغات ، ففي اللغة العربية يسمى الواحد الأحد : " اللـــه " وفي اللغة الانجليزية : " God " وفي اللغة الاندونيسية يسمى "Tuhan" وهكذا" (١) .

فاليهود أطلقوا على معبودهم عدة أسماء . فمن بين تلك الأسماء : " ألوهيم " و " يهوه " أو " يهفة " ، و " أدوني " و " ايل " و " البعل " في بعض الأحيان . واليك توضيح معانيها :

١ - معنى " ألوهيم " الاسم الذى أطلقه اليهود على الاله :

كلمة ألوهيم كلمة عبرية ، وهي جمع مفردها " ألوه " ومعناها قوة أو قدرة . وقد جاءت هذه الكلمة بصيغة الجمع " الوهيم " في الأسفار اليهودية بمعنى " الآلهة " . وربما قصد من صيغة الجمع التعظيم ، فقط لا أن المسمى بهذه الكلمة متعدد . غير ان المسيحيين وجدوا في هذه الصيغة ما اعتبروه دليلا على عقيدة التثليث التي ابتعدوا بها عن الصراط المستقيم ، وادراك العقل الانساني السليم ، وقد قيل ان صيغة الجمع هنا مقصود منها تعدد الآلهة . قال في السنن القويم : " الله هو في العبرانية " ألوهيم " جمع ألوه ، ولم يأت المفرد الا في الشعر ... وهو في السريانية " الوهو " وفي الكلدانية " اللها " وكلها متفرع من العبراني . ومعنى " الوه " قوة أو قدرة وجاء " الوهيم بصيغة الجمع لا لمجرد التعظيم ، بل لحمل الأفكار البشرية على تصور كل القوى في وحدانية ذى الصفات الحسنى والأفعال العظمى الحي الأزلي . فحصروا في ذلك الاسم الأعظم كل القوى والفواعل والحركـات التي كونت بها البرايا أولا ، وتضبط وتحفظ بها الآن ... ويرى المسيحيون في هذا الاسم دليلا على تثليث الأقانيم في اللاهوت ولكن جل المقصود منه ، هو أن العامل واحد ، وعمله واحد ، مهما تعدد عمل القوى الطبيعية فـــي العالمين " (٢)

---

(١) مقارنة الأديان ١- اليهودية ص ١٧٦

(٢) السنن القويم جـ١ ص ١٦-١٧

وقال زكى شنودة المحامي : "كان الاسم الذى أطلقته الاسفار الأولى من التوراة على الله ولا سيما الفصل الأول من سفر التكوين هو "الوهيم" . وقد تردد هذا الاسم بعد ذلك مع اسماء الله الأخرى لدى اليهود في بقية أسفار العهد القديم وعلى الخصوص ،المزامير من ٤٢ الى ٧٢ ولذلك سميت مزامير ألوهيم . وهو لفظ في صيغة الجمع باللغة العبرية . أى ان معناه الدقيق في تلك اللغة هو : "الآلهة" ولكنه جاء في الترجمات العربية بصيغة المفرد وهو "الله" . وقد أطلقت التوراة اسم "ألوهيم" على الله في المواضع التي وصفته بها بأنه الخالق لكل البشر ولكل شيء ، وهو الاله الذى يخضع له كل بشر وكل شيء" (١) .

وقال عبد الحميد ابن أبي زيان بن شنهو : " ومن الغريب أن في التوراة كان الاله يسمى في العهد القديم في الأسفار الاولى "بايلوهيم" وهو جمع اله ، كان على ما يظن يطلق على الأرباب ثم على الرب الكبير في الكتب القديمة . ولا نستطيع أن نقول ان ايلوهيم هو الاله الواحد لأن اسمه انما هو اسم جماعي" (٢) .

واذا تأمل القارئ في صيغة الجمع هذه ،ثم نظر في تاريخ بنى اسرائيل الدينى الذى ما خلت منه فترة من عبادة الأوثان الكثيرة - كما سيأتي بيان ذلك - فانه يميل الى القول ان صيغة الجمع هذه ما كانت لتوضع في كتاب يعتقد اليهود أنه منزل من قبل الله تعالى الا لأنها تدل دلالة واضحة على عقيدة بني اسرائيل المنحرفة ،فالآلهة التي عبدوها في مختلف أطوار حياتهم كثيرة جدا . وهذا ما جعلهم يستسيغون اطلاق هذه الكلمة على الخالق ولا يجدون غضاضة في ذلك لأن ذلك جزء من حياتهم .

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية جـ٧ ص ٣٩٤

(٢) أصول الصهيونية ومآلها ص ١٢-١٣ طبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٣٩٤هـ .

٢ - معنى " يهوه " الاسم الذى أطلقه اليهود على الاله :

كلمة يهوه التي اطلقها اليهود على الاله واعتبروها أحد اسمائه ،تعنى : " الآتى " أو " الذى سيكون " (١) .

ويقول زكى شنودة عقب حديثه عن كلمة " ألوهيم " : " شم ورد بعد ذلك اسم آخر لله وهو : " يهوه " وهو لفظ عبرى معناه الموجود أو الكائن أو الذى كان . لأنه مشتق من اللفظ العبرى : " هيه " أو : " هوه " الذى يفيد الوجود أو الكينونة . وقد اطلقت التوراة اسم يهوه على الله في المواضع التي اعتبرته فيها اله اليهود وحدهم . وهو الذى أعلم نفسه بهذا الاسم لموسى النبي وكلفه بأن يبلغه لليهود كي يعرفوه بهذا الاسم اذ جاء في سفر الخروج :" فقال موسى لله : هاأنا آتى الى بنى اسرائيل وأقول لهم : اله آبائكم أرسلنى اليكم. فاذا قالوا ما اسمه ، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل : يهوه اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب أرسلنى اليكم هذا اسمى الى الأبد (الخروج ٣ : ١٣) . وقد ورد لفظ يهوه في صيغة أخرى من ذات مادته حيث قال الله عن نفسه أن اسمه "أهيه " أى أوجد أو أكون . اذ جاء في ذات الموضع السابق ، فقال موسى لله : فاذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه وقال : هكذا تقول لبنى اسرائيل أهيه أرسلنى اليكم " (الخروج ٣ : ١٣-١٤) . فالله حين يتحدث عن نفسه يقول ما معناه :" هو الموجود " أو " انا الكائن " أما حين يتحدث اليهود عنه ،فهو يريدهم أن يقولوا ما معناه : " هو الموجود " أو " هو الكائن " . ولم يكن اليهود يعرفون الله باسم يهوه قبل ان يعلنه اليهم بواسطة موسى النبي . اذ جاء في سفر الخروج : " ثم كلم الله موسى وقال له : أنا الرب وانا ظهرت لابراهيم واسحاق ويعقوب بأنى الاله القادر على كل شيء. وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم " (الخروج ٦ : ٢و٣) "(٢) .

---

(١) انظر السنن القويم جـ ١ ص ١٧

(٢) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٧ ص ٢٩٢ - ٢٩٣

وقول الكاتب ان اليهود لم يكونوا يعرفون الله باسم يهوه الا حينما أعلن لموسى يدل عليه ما نقله من سفر الخروج . ولكن الثابت في سفر التكوين أن هذا الاسم كان معروفا من قبل ،وان ابراهيم قد جاء على لسانه تسميته تعالى بهذا الاسم حيث قال :" فدعا ابراهيم اسم الموضع يهوه يرأه ، حتى انه يقال اليوم في جبل الرب يرى "(١) .

وبالمقارنة بين قوله في سفر الخروج :" وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم " أي عند ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام. وبين ما جاء في سفر التكوين من تسمية ابراهيم عليه السلام اسم الموضع الذى فدى الله فيه ابنه حينما عزم على ذبحه :" يهوه يرأه " يتبين لنا مدى ما وصلت اليه أسفار اليهود من التناقض في الأمر الواحد ،مما يؤكد عدم صحة نسبتها الى نبي الله موسى عليه السلام ، أو من دونه من الصالحين على ما هي عليه الآن .

وقال عباس محمود العقاد :" وقيل انه (موسى) عليه السلام أول من سمى الاله " يهوه " وهو اسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق . فيصح أنه من مادة الحياة ،ويصح أنه نداء لضمير الغائب ،لأن بني اسرائيل كانـــوا يتقون ذكره توقيرا له ،ويكتفون بالاشارة اليه ،ويصح غير ذلك من الفروض"(٢).

ويقول الدكتور أحمد شلبي :" فهل يهوه هو اسم الاله عند اليهود ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تجيء بالنفي القاطع لأن الصفات التي ذكرها اليهود ليهوه ،تبعده كل البعد عما يتصف به الاله عند أي جماعة من جماعات المتدينيين . وتجعله هذه الصفات لا مرشدا هاديا ،وانما تجعله انعكاسا لصفاتهم واتجاهاتهم"(٣) . ثم استدل الدكتور احمد شلبي بما قاله " ول ديورانت في شأن اله اليهود هذا حيث قال :" يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا الى احد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها وجعلوا منه الها.ويؤيـــد

---

(١) تكوين ٢٢ : ١٤ المراد بالموضع جبل الموريا الذى أراد ابراهيم أن يذبح فيه ابنه طاعة لربه .

(٢) الله كتاب في نشأة العقيدة الالهية ص ١٠٨ الطبعة السادسة بدار المعارف ١٩٦٩م

(٣) مقارنة الأديان ١- اليهودية ص ١٧٩-١٨٠

ذلك أن من بين الاثار التي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١ قطعا من الخزف من بقايا عصر البرنز (٣٠٠٠ ق ٠م) عليها اسم اله كنعاني يسمى " ياه " أو " ياهو " (١) .

ويقول صابر طعيمة : " يقرر فرويد أن ياهوى أصله ،اله محلى متصل بالارض . وأن لفظ " ياهوى" قد استخدمه كهنة آمون في نشيد للتسبيح باسم معبودهم . وفي الاصل انه ظهر لبصر الاسرائيليين لاول مرة على صورة كائن " جنى " يسكن مكانا في شمال الجزيرة العربية ويتجلى في بركان" (٢) .

ويعود فرويد ويكرر أن كلمة ياهوى التي تعتبر مصرية الاصل التي يطلقها عرب شمال الجزيرة العربية على معبودهم ،قد أخذها الاسرائيليون من المصريين ،وذلك حيث يقول : " وكانت قبائل شمال الجزيرة العربية تعبد ربا تعتقد انه يسكن بركانا ، و يتجلى لعابديه بانطلاق حممه و تطلق عليه " ياهوى " المصرى الاصل كما قررنا . وبذلك اصبح ما يطلق عليه الشعب اليهودى " ياهوى " يتكون من عنصرين أساسيين : وكان عدد اليهود المصريين أقل عددا ممن انضموا اليهم من أبناء القبائل الاخرى . لكنهم بحكم توطنهم الطويل بمصر ، أسمى ثقافة بما لا يقاس ،ويرجح فرويد أن يكون اللاويون - وكانوا أدنى اليهود المصريين الى قلب موسى - مصريين أقحاحا من أتباعه بقايا معتنقى العقيدة الآتونية وكان اللاويون يحملون أسماء مصرية بحتة دون غيرهم من اليهود الذين خرجوا مع موسى . وفي قادس -كما يقرر فرويد - اجتمع الفريقان ، الاقلية المصرية " المصريون الاقحاح واليهود المتحضرون" والغالبية من القبائل البدوية التي انضمت اليهم . وهناك تقبل الجميع اسم " ياهوى " الاله البركاني معبود منطقة شمال شبه الجزيرة العربية ، على ان يحل محل" أتون" أو " أدوناى " وأن يكون ربا عالميا مثل " أتون "(٣) .

---

(١) قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٤٠ نقلا عن احمد شلبى
(٢) التاريخ اليهودى العام ص ٨٢
(٣) التاريخ اليهودى العام ص ٨٤

وهذا الرأى الذى يراه فرويد والذى نقل عنه صابر طعيمة ، يبدو أنه مجانب للصواب فيما يتعلق بقوله ان بنى اسرائيل أخذوا عبادة ياهوى عن المصريين أثناء اقامتهم الطويلة في مصر. لأنّ هذا الاسم ورد على لسان ابراهيم عليه السلام حينما أراد ان يذبح ابنه حيث سمى الموضع الذى جرى فيه الفداء " يهوه " أى الرب يرى وقد سبق ذكره قريبا . وهذا يدل على أن آباء بنى اسرائيل عرفوا الله باسم " يهوه " وذلك قبل ان يقيموا في مصر بزمن غير يسير .

٣ - معنى كلمة " أدونى " التى أطلقها اليهود على الاله :

كلمة أدونى من اسماء الاله عند متأخرى اليهود ومعناها " السيد " أو " الرب " اللذين وردا كثيرا في الترجمات العربية للأسفار اليهودية .

يقول زكى شنودة : " ومنذ أواخر القرن الرابع قبل المسيح ، رأى كهنة اليهود وعلماؤهم الدينيون أنهم يرددون اسم " يهوه " في كثير من الاستهانة والاستهتار بما لا يليق بلفظ الجلالة ، فحرموا على الجميع النطق بهذا الاسم ، فلم يعد يحل لأحد ان ينطق به الا رئيس الكهنة وحده أثناء الصلاة في الهيكل ومن ثم أصبحوا حين يريدون ان ينطقوا باسم الله يقولون : " أدونى " أى " السيد " أو " الرب " وهما اللفظان اللذان وردا في الترجمات العربية "(١) وجاء في السنن القويم : " فأدونى تطلق على الرب وعلى الكبير من الناس وهي بمعنى السيد "(٢) وبهذا وأمثاله يعلم أن أحبار اليهود اذا أرادوا تحريم شيء أحله الله حرموه ، واذا ارادوا استباحة ما حرم عليهم ، أباحوه . وهذا هو المعنى بقوله تعالى في حق اليهود والنصارى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله "(٣) . أى أن اليهود

---

(١) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٧ ص ٣٩٤
(٢) السنن القويم جـ١ ص ١٦٧
(٣) سورة التوبة ٣٤

والنصارى أطاعوا علماءهم الذين احلوا لهم ما حرم الله ، وحرموا عليهم ما أحل الله لهم . فلما كان التحريم والتحليل حقا من حقوق الاله الواحد الحق ، فان من فعل ذلك فقد اعتدى على حق من حقوق الله تعالى ، وخواص ألوهيته ، ومن اطاع ذلك المعتدى ، فقد اتخذه الها عوضا عن الاله الحق . ولذلك قال في ختام الآية : " وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " أى انهم ما أمروا فيما أنزل على انبيائهم الا بعبادة الاله الواحد الذى له التشريع ، واليه وحده التحريم والتحليل ، لا الى أحد من مخلوقاته مهما علت درجته ولو كان نبيا . وبهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية لعدى بن حاتم الطائي الذى قدم المدينة نصرانيا وفي عنقه صليب من فضة ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ، تلا هذه الآية فقال له عدى : " انهم لم يعبدوهم . فقال : " بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم اياهم "(١) .

٤ - كلمة " ايل " ومعناها :

أطلقت كلمة " ايل " على الاله في اسفار اليهود ، وهي كلمة كثيرة الورود مكان لفظ الجلالة حيث تسند اليها الأسماء فيقال : " بيت ايل " بمعنى بيت الله " و جبرائيل " و " اسرائيل " و " يشمع ايل " اى اسماعيل وغير ذلك من الأسماء .

يقول زكي شنودة : " وكان اليهود يسمون الله كذلك " ايل " وهو لفظ عبرى ، ولكنه ورد في بعض اللغات السامية الأخرى التي كان يتكلمها الوثنيون بمعنى " الله " أيضا . فهو في اللغة الأكادية مثلا ، يدل على معنى الاله على العموم . وهو في اللغة الأوجريتيه اسم أبى الآلهة . وكان أيضا من آلهة الكنعانيين . ولذلك تستخدم التوراة فقط " ايل " أحيانا للدلالة على اله من آلهة الوثنيين ... "(٢)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٣٤٨

(٢) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٧ ص ٢٩٤-٢٩٥ .

٥ - "البعل" :

هذا الاسم معروف بأنه اسم لمعبودات كثير من الأمم القديمة في الشرق .

فقد ذكر القرآن الكريم ان قوم الياس عليه السلام عبدوا صنما يسمى بعلا حيث قال : " وان الياس لمن المرسلين . اذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين" (١) .

وقال زكى شنودة : " البعل في اللغة السامية يعنى "الرب" أو "السيد" وهو اله كان يعبده الكنعانيون ، ويعتقدون أنه ابن الاله "ايل" وزوج الالهة "بعلة" أو "عنات" أو "عشيرة" أو "عشتاروت" . وكانت أكثر الشعوب الوثنية الشرقية تؤمن بذلك الاله المسمى "البعل" . وتنسب كل مدينة هذا الاسم لنفسها فتقول : "بعل فغور" أو "بعل زبوب" أو "بعل معون" أو "بعل هامان" وهكذا ، وكانت جميع تلك الشعوب ترهب هذا الاله وتقدم اليه الذبائح البشرية اكتسابا لرضاه واتقاء لغضبه ، وقد فعل اليهود أنفسهم هذا اذ جاء في سفر أرميا : " يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم هكذا قال رب الجنود .. ها أنا جالب على هذا الموضع شرا . كل من سمع به تطن أذناه من أجل أنهم تركوني . وأنكروا هذا الموضع وبخروا فيه لآلهة أخرى .. وملأوا هذا الموضع من دم الأزكياء ، وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا اولادهم بالنار محرقات للبعل . (أرميا ١٩ : ٣-٥) وكان اليهود أحيانا يعتبرون اسم البعل مرادفا لاسم الله أو الرب . فكان بعل بريث أى رب العهد هو الاسم الذى يعبدون به الله في شكيم في زمن القضاة (القضاة ٨ : ٣٣ - ٩ ، ٤ : ٩) (٢) .

---

(١) سورة الصافات ١٢٣ . ١٢٥ وقد تبين لي أن بنى اسرائيل عبدوا بعلا في عصر النبي الياس عليه السلام وهو الذى يسمونه "ايليا التشبى" الذى دعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة هذا الصنم وأراهم من المعجزات الشيء الكثير . انظر سفر الملوك الأول الفصلين السابع عشر والثامن عشر وما بعدهما .

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية جـ٧ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

لقد رجعت الى النصين اللذين أشار اليهما زكي شنودة في سفر القضاة ، ولم أر فيهما ما يدل على أن بني اسرائيل عبدوا الله باسم بعل بريث أي اله العهد ، بل الواضح من النصين أنهم ضلوا عن السبيل فعبدوا بعل بريث من دون الله تعالى واليك بيان ذلك : " وكان بعد موت جدعون أن بني اسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم . وجعلوا لهم بعل بريث الها . ولم يذكر بنو اسرائيل الرب الههم الذي أنقذهم من يد جميع أعدائهم من حولهم" (١)

قال في السنن القويم : " جعلوا هنا بمعنى صيروا واعتقدوا . ومعنى بعل بريث "سيد العهد أو رب الميثاق" سماه البعليون بهذا لاعتقادهم أنه اخذ على نفسه ان يصون عبدته و ينتقم لهم من أعدائهم وأخذوا على أنفسهم ان يعبدوه . ورأى بعضهم انه لقب برب العهد لان - الاسرائيليين عاهدوا الكنعانيين على عبادته "(٢) .

وأما النص الثاني فليس فيه شيء غير ان رجلا اسمه ابيمالك بن يربعل ساعده اخوة أمه من اهل شكيم بأموال اخذوها من بيت بعل بريث ليتغلب على اخوته لأبيه فاستأجر بتلك الأموال من أعانه على قتل اخوته الذين يبلغ عددهم سبعين رجلا . وهذا نصه : " وأعطوه سبعين شاقل فضة من بيت بعل بريث ، فاستأجر بها أبيمالك رجالا بطالين طائشين فسعوا وراءه . ثم جاء الى بيت أبيه في عفرة وقتل اخوته بني يربعل سبعين رجلا على حجر واحد "(٣) .

وبهذا يتبين أن ما قاله زكي شنودة من أنهم عبدوا الله باسم بعل بريث غير صحيح لأن بعل بريث صنم من جملة الأصنام التي عبدها بنو اسرائيل كما دل على ذلك النص الأول دلالة صريحة . ولعل الكاتب اطلع على ما يثبت أنهم عبدوا الله باسم بعل فحمل عبادتهم بعل بريث على ذلك ظنا منه أنه هو الله لانهم سموه اله العهد أو رب الميثاق .

---

(١) قضاة ٨ : ٣٣-٣٤

(٢) السنن القويم جـ٣ ص ٢٩٦

(٣) قضاة ٩ : ٤-٥

المبحث الثالث

موقفهم من الربوبية

أ - الربوبية في الأسفار اليهودية :

أما موقف بني اسرائيل من الربوبية ،فهو الايمان بوحدتها . وهم يعتقدون أن خالق الكون اله واحد لا شريك له في ربوبيته . وعلى هذا تدل أسفارهم المختلفة وتصرح بأن الذى خلق السموات والأرض وما بينهما هو الله تعالى . وقد ابتدأ سفر التكوين كلامه بالحديث عن خلقه تعالى للكون فقال :

" في البدء خلق الله السموات والأرض ، ، . وقال الله ليكن نور فكان نور . . وقال الله ليكن جلد (١) في وسط الماء ،وليكن فاصلا بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد . . . وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك . . . وقال الله لتنبت عشبا وبقلا يبزر بزرا كثمرة وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك . . . وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وسنين وتكون أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين ،النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم . وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة . . . وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ،وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء ، فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كاجناسها وكل طائر ذى جناح كجنسه . . وباركها الله قائلا ، أثمرى واكثرى واملأى المياه في البحار ،وليطر الطير على الأرض . . وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبابات ووحوش

---

(١) في التوراة السامرية " فلك " عوضا عن قوله : " جلد " وذلك في كل موضع تكررت فيه هذه الكلمة .

أرض كأجناسها وكان كذلك ... وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض . فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ، ذكرا وأنثى خلقهم ، وباركهم الله وقال لهم ، اثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض ، وقال الله انى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما . وكان كذلك" (١) .

وهذا النص اليهودي بطوله يدل بوضوح على أن وحدة الربوبية عند بني اسرائيل ليس موضع نزاع وأنهم يعتقدون ان الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بكلمة "كن" وليس له تعالى في ذلك شريك ولا معين . ومبادئ خلق السموات وما فيها والأرض وما عليها ذكرها القرآن الكريم بأسلوب يخالف أسلوب السفر اليهودي الذي يكاد الباحث يلمس في سطوره الأيدي البشرية التي كتبته ونشرته بين الناس على أنه من عند الله وما هو من عند الله . والقرآن الكريم لم يسرد مبادئ خلق الكون سردا تاريخيا وانما ذكرها ذكرا يدفع الكافر الى الايمان ، والمؤمن الى زيادة الهدى ، وربط بين الخالق والمخلوق ربطا يقود الى الانقياد لرب العالمين بلا اسهاب مخل أو ايجاز مخل . فليقارن المرء بين النص اليهودي الذي سبق عرضه والنص القرآني الآتي يجد البون شاسعا . قال تعالى :

" قل أإنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم" (٢)

---

(١) تكوين ١ : ١-٣٠ (٢) سورة فصلت ٩-١٢

وبالاضافة الى ما للنص اليهودى من أسلوب تاريخي بعيد عن أسلوب الوحى الالهى ، فانه يشتمل أيضا على تشبيه الذات المقدسة بالانسان كما سيأتي بيان ذلك في موضعه مع وجود هذا الفرق الشاسع بين النص اليهودى والنص القرآني ، فان كلا منهما يدل على وحدة الخالق في ربوبيته .

وفي سفر المزامير قال : " الرب قد ملك لبس الجلال / لبس الرب القدرة . ائتزر بها ، أيضا تثبتت المسكونة لا تتزعزع كرسيك مثبتة منذ القدم . منذ الازل أنت . رفعت الأنهار يا رب ، رفعت الأنهار صوتها . ترفع الأنهار عجيجها . من أصوات مياه كثيرة ، من غمار أمواج البحر الرب في العلى أقدر . شهاداتك ثابتة جدا . ببيتك تليق القداسة يا رب الى طول الأيام "(١) ؛

وقال أيضا : " يا رب الهى قد عظمت جدا مجدا وجلالا لبست . اللابس النور كثوب ، الباسط السموات كشقة ، المسقف علاليه بالمياه ، الجاعل السحاب مركبته ، الماشي على أجنحة الريح . الصانع ملائكته رياحا وخدامه نارا ملتهبة . المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع الى الدهر والأبد . كسوتها الغمر كثوب . فوق الجبال تقف المياه . من انتهارك تهرب من صوت رعدك تفر . تصعد الى الجبال ، تنزل الى البقاع الذى أسسته لها . وضعت لها تخما لا تتعداه . لا ترجع لتغطى الأرض . المفجر عيونا في الأودية ، بين الجبال تجرى . تسقى كل حيوان البر . تكسر الفراء ظمأها . فوقها طيور السماء تسكن . من بين الأغصان تسمع صوتا . الساقي الجبال من علاليه . من ثمر أعمالك تشبع الأرض . المنبت عشبا للبهائم وخضرة لخدمة الانسان لاخراج خبز من الأرض ... صنع القمر للمواقيت الشمس تعرف مغربها . تجعل ظلمة فيصير ليل فيه يدب كل حيوان الوعر . الاشبال تزمجر لتخطف ولتطلب من الله طعامها . تشرق الشمس فتجتمع وفي مآويها تربض . الانسان يخرج الى عمله والى شغله في المساء . ما أعظم أعمالك يا رب . كلها بحكمة صنعت ، ملأت الأرض من غناك . هذا البحر الكبير الواسع الأطراف . هناك

---

(١) مزامير المزمور الثالث والتسعون بكامله .

دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع كبار . هناك تجرى السفن لوياثان (١) هذا خلقته ليلعب فيه . كلها اياك ترتجى لترزقها قوتها في حينه ؛ تعطيها فتلتقط . تفتح يدك فتشبع خيرا . تحجب وجهك فترتاع . تنزع أرواحها فتموت والى ترابها تعود . ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض" (٢) .

وهكذا نجد في الأسفار اليهودية نصوصا تدل على وحدة الربوبية ، والسلطان الالهى الشامل للكون كله علوه وسفله . ومنها ندرك أن بنى اسرائيل يؤمنون بوحدة الربوبية التى تستدعى الايمان بوحدة الألوهية (٣) .

ب - نظرتهم الى الربوبية كما حكاها القرآن الكريم :

وأما القرآن الكريم ، فليس فيه ما يدل على أن بنى اسرائيل لا يعترفون بوحدة الربوبية ، بل المعلوم من نصوصه من أمر آباء بنى اسرائيل هو أنهم أئمة الخير وقادة المتقين ورسل رب العالمين ، لأن منهم ابراهيم أبا الأنبياء عليه السلام ، ومنهم اسحاق ويعقوب عليهما السلام . وكذلك الحال في بنى اسرائيل الأوائل فهم الذين ورثوا الايمان بالله تعالى عن أولئك الأنبياء الكرام . كما يتجلى ذلك فيما حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله الحكيم : " واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون" (٤)

وكذلك فيما حكى الله تعالى عن أخوة يوسف حينما أقسموا بالله تعالى أنهم لم يأتوا الى مصر ليفسدوا فيها وأنهم ما كانوا سارقين ، دليل على أنهم يعترفون بالله تعالى ربا ويعظمونه حتى أنهم حلفوا للمصريين بالله تعالى قال تعالى : " قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين" (٥)

---

(١) لوياثان : هو عادة التمساح ولكنه هنا في الأرجح الحوت لأن التمساح لا يسكن البحار بل يعيش على ضفاف الأنهار . وقد يكون كناية عن الوحوش البحرية على اختلاف اشكالها دون تمييز . السنن القويم ج ٦ ص ٣٣٩ بتصرف يسير .

(٢) مزامير ١٠٤ : ١-٣٠

(٣) جاء في المزامير ١٤ : ١ و ٥٣ : ١ قوله : " قال الجاهل في قلبه ليس اله " ولا يعرف باليقين من المراد بهذا أبعض بنى اسرائيل أم قوم آخرون .

(٤) سورة يوسف ٣٨ (٥) سورة يوسف ٧٣

وكذلك ما جاء على لسان كبيرهم وهو يخاطب اخوته ويذكرهم بالميثاق الذى أخذه منهم أبوهم في شأن أخيهم ،وأنه لن يبرح أرض مصر حتى يأذن له أبوه ، أو يحكم الله له وهو خير الحاكمين قال تعالى : " فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ،فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين "(١) .

وقد أقسموا أيضا بالله تعالى مرة اخرى لأبيهم قائلين : " تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين "(٢) كما أقسموا مرة ثالثة وهم يقولون لأبيهم : " تالله انك لفى ضلالك القديم"(٣) وناشدوا يوسف قبل أن يعرفوه ليطلق أخاهم قائلين : " ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين"(٤) .

ولما عرفوا أن العزيز الذى يمتحنهم هو أخوهم يوسف الذى فرطوا فيه من قبل أقسموا بالله تعالى أن الله عز وجل قد آثره عليهم وأنهم أخطأوا في حقه :" قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين"(٥) .

وفي نهاية قصتهم ذكر الله تعالى أنهم طلبوا من أبيهم أن يستغفر الله لهم على ما اقترفوا من ذنب في حق أخيهم وأبيهم اذ قالوا : " يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين "(٦) . وفي هذا كله دليل واضح على أن القوم يعترفون بالله تعالى ربا ولا يوجد في ذلك شك . أما وقد علمنا موقفهم من وحدة الربوبية فلننظر في موقفهم من وحدة الألوهية .

---

(١) سورة يوسف ٨٠ (٢) سورة يوسف ٨٥ (٣) سورة يوسف ٩٥

(٤) سورة يوسف ٨٨ (٥) سورة يوسف ٩١ (٦) سورة يوسف ٩٧ .

المبحث الرابع

موقفهم من الألوهية

أ ـ الألوهية في الأسفار اليهودية :

ان الايمان بالربوبية ووحدتها هو الاساس الذى ينبنى عليه الايمان بوحدة الألوهية . فان الذى لا يؤمن بوحدة الربوبية لا يمكن أن يؤمن بوحدة الألوهية . فمثله كمثل من لا يؤمن بوجود الذات الالهية ، فانه لا يؤمن بوحدة الربوبية حتى يؤمن بوجودها ،لأن الايمان بوحدة الربوبية فرع عن الايمان بوجودها . فكذلك الايمان بوحدة الألوهية فرع عن الايمان بوحدة الربوبية ،

ولقد سبق أن عرضت من الأدلة ما يستقيم القول معه بأن بنى اسرائيل يؤمنون بوجود الذات الالهية كما يؤمنون بوحدة الربوبية . وبقي النظر هنا في موقفهم من وحدة الألوهية التي بدون الايمان بها لا يعتد بالايمان بوجود الله تعالى ووحدانيته في الربوبية ،والذى من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ووقع الخصام بين الرسل وأممهم ؛

كانت نشأة بنى اسرائيل الأولى بأرض فلسطين ولكنهم لم يقيموا بها طويلا حتى تحولوا الى مصر جميعا مع أبيهم اسرائيل (يعقوب) عليه السلام . فهناك توفي يعقوب كما توفي يوسف عليه السلام من بعده ،فتناسل القوم هناك ،وكثروا في موطنهم الجديد الذى أقاموا فيه نحو أربعة قرون ،انتهت ببعث موسى عليه السلام ، الذى هيأ الله لبنى اسرائيل على يده أسباب النجاة والخروج من مصر. ولم يكن لبنى اسرائيل في تلك الفترة كتاب منزل من عند الله توارثوه عمن سبقهم من الأنبياء وساروا على هديه . وليت شعرى لم انقطع أثر صحف ابراهيم عليه السلام وهو جد بنى اسرائيل الثاني الذى هاجر من أرض قومه في سبيل الحفاظ على دين ربه ؟! . ولم أجد في أسفار اليهود العديدة التي يشتمل عليها العهد القديم ما يشير الى صحف هذا النبي الكريم عليه السلام. وسفر التكوين

وأخبار الأيام الأول اللذان يسردان الوقائع التاريخيه العامة من عهد آدم الى عصر نوح عليهما السلام ، ثم يقتصران على الحديث عن تاريخ بني اسرائيل وآبائهم ،لم ينقلا الينا تفاصيل ما كان عليه أولئك الآباء ثم الأبناء حتى عهد موسى عليه السلام فيما يتعلق بالجانب الديني . والنصوص الدالة فيهما على عقيدة بني اسرائيل قبل موسى وسلوكهم الديني قليلة جدا . لانهم لا يهتمون الا بالأمور المادية ،ولذلك عرضوا سير الأنبياء وتواريخهم عرضا ماديا صرفا حيث خلت من الاشارة الى دعوتهم الدينية التي أرسلوا من أجلها ، وذلك باستثناء موسى عليه السلام ،فانهم كتبوا عن دعوته ومنهج عقيدته الشيء الكثير . وان كان جل ما كتبوه عنه وعن آبائهم يتحدث عن الأرض التي سيرثونها . وعما في تلك الأرض من متاع دنيوي رخيص .

ومن بين تلك النصوص اليهودية القليلة الدالة على عقيدة بني اسرائيل في الذات الالهية قبل موسى عليه السلام ما جاء في سفر اللاويين وسفر يشوع وسفر عاموس واليك بيانها :

قال في سفر اللاويين في معرض نهي بني اسرائيل عن عبادة غير الله :

" ولا يذبحوا بعد ذبائحهم للتيوس التي هم يزنون وراءها"(١) .

قال في السنن القويم تعليقا على هذا النص : " وكان المصريون وغيرهم من قدماء الأمم يتخذون التيوس آلهة . وكان للتيس هياكل في مصر السفلى . وكان في الهياكل تماثيل للتيوس يعبدونها ويسألونها الخصب ويعتقدون أنها توحي الى سدنتها . وكان اسم صنمهم التيس "بانا" وسموه "بندس" أيضا وأقاموا تماثله في كل مكان ... وأتى الاسرائيليون بتماثيله من مصر وعبدها بعضهم وأشار الى ذلك الكتاب المقدس في مواضع كثيرة ..."(٢) .

وجاء في سفر يشوع أن يشوع قال لبني اسرائيل بعد موسى عليه السلام..

" وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر وفي مصر واعبدوا الرب.

---

(١) لاويين ١٧ : ٧ (٢) السنن القويم جـ ٢ ص ١١٨

وان/ساء في اعينكم أن تعبدوا الرب ،فاختاروا لانفسكم اليوم من تعبدون ان كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين في عبر النهر، وان كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم . وأما انا وبيتي فنعبد الرب . . . فقال الشعب ليشوع : لا بل نعبد الرب ، فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لانفسكم الرب لتعبدوه ؟ فقالوا : نحن شهود . فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم وأميلوا قلوبكم الى الرب اله اسرائيل (١).

وفي هذا النص دليل واضح على أن بني اسرائيل عبدوا غير الله تعالى في مصر . وأنهم توارثوا عبادة الأوثان ولم يتركوها حتى عهد يشوع الذى خلف موسى في قومه بعد وفاته ولذلك قال لهم : " انزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم "،

وجاء في سفر عاموس ما يدل/ دلالة صريحة على أنهم عكفوا على عبادة الأوثان في عهد موسى وهم في التيه وذلك حيث قال لهم الرب : " هل قدمتم لي ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة يا بيت اسرائيل ؟ بل حملتم خيمة ملكومكم (٢) ،وتمثال اصنامكم نجم الهكم الذى صنعتم لنفوسكم " (٣)

وجاء في سفر حزقيال ما يدل على عبادتهم الأصنام في مصر وذلك في قوله : " قال السيد الرب يوم اخترت اسرائيل ور فعت يدى لنسل يعقوب وعرفتهم نفسي في أرض مصر ورفعت لهم يدى قائلا : أنا الرب الهكم ،في ذلك اليوم رفعت لهم يدى لاخرجهم من أرض مصر الى الأرض التي تجسستها لهم تفيض لبنا وعسلا هي فخر كل الأراضي . وقلت لهم اطرحوا كل انسان منكم أرجاس عينيه ، ولا تتنجسوا بأصنام مصر . أنا الرب الهكم. فتمردوا على ولم يريدوا أن يسمعوا لي . ولم يطرح الانسان منهم أرجاس عينيه . ولم يتركوا أصنام مصر . فقلت اني أسكب رجزى عليهم لاتم عليهم سخطي في وسط أرض مصر " (٤)

---

(١) يشوع ٢٤ : ١٤-١٣

(٢) ملكوم : معبود بني عمون ،قاله في فهرس الموضوعات الكتابية ص ٣٦٩ ويسمى مولك . وهو اله النار تقدم له ذبائح من البشر ويحرق عبدته اولادهم بالنار من أجله . انظر السنن القويم جـ٤ ص ٣٠٣

(٣) عاموس ٥ : ٢٥-٢٦ (٤) حزقيال ٢٠ : ٥-٨

وفي هذه النصوص دلالة واضحة على شيوع عبادة الأصنام في بني اسرائيل في مصر واستمرار ذلك حتى مبعث موسى وبعده على الرغم من دعوة موسى عليه السلام الى تركها . ويفهم ذلك من قوله : " فتمردوا علي ، ولم يريدوا أن يسمعوا لي ولم يطرح الانسان منهم أرجاس عينيه ولم يتركوا أصنام مصر" .

ولقد استدل القس وليم مارش بهذه النصوص وغيرها على أن بني اسرائيل ما برحوا يعبدون الأصنام والتماثيل حتى عهد يشوع الذى أخذ عليهم الميثاق أن لا يعبدوا الا الله تعالى . ويقول في تعهدهم ليشوع وقبولهم ميثاقه ان ذلك : " مجرد وعد باللسان وعزم على الاخلاف في الجنان كما كان منهم بعد يشوع والشيوخ بعده "(١) .

يقول ول ديورانت : " وكان اليهود في ظهورهم على مسرح التاريخ بدوا رحلا يخافون شياطين الهواء ، ويعبدون الصخور والماشية والضأن وأرواح الكهوف والجبال ولم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ذلك أن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبي ، لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم فقد كانوا في مصر . وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزا لالههم"(٢) .

وهذا الكلام يؤكد القول ان بني اسرائيل انحرفوا عن ملة التوحيد التى تركهم عليها يعقوب عليه السلام بعد الاقامة الطويلة في مصر . وهذا ما دلت عليه نصوص الأسفار اليهودية . وأما القرآن الكريم ، فقد جاء في آياته الكريمة ما يوضح السبيل للباحث في هذا الموضوع . وفيما يأتي من السطور بيان لتلك الآيات البينات الدالة على عقيدة آل يعقوب المستمدة من مشكاة النبوة التي تتابعت منذ عهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وحتى عهد يوسف الصديق في مصر .

---

(١) السنن القويم جـ٣ ص ١٧٧ (٢) قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٣٨

ب - نظرتهم الى الألوهية كما حكاها القرآن الكريم :

تدل نصوص القرآن الكريم على أن بنى اسرائيل الذين عاصروا أباهم يعقوب عليه السلام كانوا يؤمنون بوحدة الألوهية . وأن هذه العقيدة هي عقيدة آبائهم ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام. وأكد القرآن الكريم أن ابراهيم ويعقوب عليهما السلام وصيا بنيهما بعقيدة التوحيد أى بعبادة الله وحده لا شريك له . وأن يعقوب عليه السلام سأل بنيه وقد حضرته الوفاة عماذا سيكون عليه أمر دينهم وماذا سيعبدون بعد رحيله عنهم الى الدار الاخرة ؟ فأجابوه أنهم يقتدون بهديه وهدى آبائه الكرام ابراهيم واسماعيل واسحاق ، وأنهم يعبدون الله تعالى الذى عبده أولئك الرسل الأصفياء ولا يشركون به أحدا من مخلوقاته ، بل يعبدون الله مخلصين له الدين . جاءت هاتان الوصيتان ،وصية ابراهيم ،ووصية يعقوب عليهما السلام في قوله تعالى : " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ؟ قال نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون" (١) .

ومع هذا الذكر الاجمالي لبني اسرائيل الأوائل ،وعقيدتهم في القرآن الكريم ، بالاضافة الى ما أشرت اليه من الايات في مبحث الايمان بوحدة الربوبية فان القرآن الكريم خص بالذكر أحد أبناء يعقوب عليه السلام وذلك لشرفه وفضله ،واصطفائه من بين أخوته بالرسالة ، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام الذى وضح القرآن الكريم أنه دعا الى توحيد الألوهية وعبادة الله وحده لا شريك له وهو في السجن في أرض مصر . قال الله تعالى حكاية عنه عليه السلام :

---

(١) سورة البقرة ١٣٠-١٣٣

"... انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون "(١) !

هذا ما جاء في القرآن الكريم من الايات الدالة على عقيدة أبناء اسرائيل الذين عايشوا يعقوب عليه السلام.

وأما من جاء منهم بعد تلك الحقبة الزمنية ،فليس في القرآن نص صريح يدل على أنهم حافظوا على عقيدة التوحيد هذه ؛ أو انحرفوا عنها بمرور الزمن و مجاورة الوثنيين ومخالطتهم في مصر ،فعبدوا الأوثان مع من ساكنوهم وخالطوهم.

ولكن القارىء اذا تأمل في سيرة قوم موسى بعد بعثه عليه السلام من معارضتهم له ،ووقوفهم في وجهه ،وطلبهم منه ان يجعل لهم الها يعبدونه من دون الله ،وعبادتهم العجل في وقت يعتبر خير أوقاتهم ،كل ذلك يدعو الى القول بأنهم انحرفوا عن عبادة ربهم بعد مقامهم الطويل في مصر التى تعج بعبادة الأوثان في تلك القرون . ولم يأت موسى عليه السلام برسالته الاصلاحية الا وقد انطمست معالم التوحيد ، وطغت الميول المادية والعقائد الوثنية في نفوسهم. وقد علمنا ذلك من نصوصهم السابقة قريبا .

وقد يستدل على هذا بقوله تعالى : " وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك ..."(٢) .

أى انترك موسى وقومه ليفسدوا عليك ملكك ورعيتك بظهور دينهم على دينك ودين رعيتك و ليتركوا عبادتك و عبادة الأصنام التي نصبتها لهم . وفي هذه الآية ما يفيد أنهم عبدوا الآلهة التي يعبدها فرعون وقومه لأن قولهم :

---

(١) سورة يوسف ٣٧-٤٠ (٢) سورة الاعراف ١٢٧

" ويذرك وآلهتك " يدل على ان اولئك الملأ من قوم فرعون أظهروا تخوفهم على ترك قوم موسى عبادة فرعون وآلهته . وهو أمر ما كان بنو اسرائيل ليتركوه لولا ان بعث الله اليهم موسى عليه السلام. ولعل الله تعالى أراد بآية سورة ابراهيم الاتية الاخبار عن انحراف بنى اسرائيل عن عبادة الله الواحد الأحد الى عبادة الأوثان حيث قال عز وجل : " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور" (١) . فأمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أن يخرج قومه من الظلمات الى النور ،يدل على أنهم في ظلمات الكفر والجهل فأراد الله تعالى ان يخرجهم منها الى نور العلم والايمان وارادة الايمان بالنور ،والكفر بالظلمات ،كثيرة في القرآن الكريم ،كما قال تعالى : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ،والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (٢) .

---

(١) سورة ابراهيم ١٤ (٢) سورة البقرة ٢٥٧

المبحث الخامس

معالم الوحدانية في الأسفار اليهودية ونظير ذلك من القرآن الكريم

ان معظم الأسفار اليهودية تشتمل على نصوص واضحة الدلالة على وحدانية الله تعالى ، وهي نصوص تتفق مع المبدأ العام الذى بعثت به الرسل جميعا وهو مبدأ العقيدة الذى لا يتبدل بتبدل الزمان والمكان . ومن بين تلك النصوص الدالة على التوحيد الالهى نصوص نسبت الى موسى عليه السلام على أنها من وصايا الرب ووصاياه لقومه ، يتجلى فيها التوحيد بأجلى صوره ومعانيه وحمايته لحمى التوحيد من ان تتسرب اليه جهالات الأمم وانحرافاتهم المهلكة ، واليك جملة من تلك النصوص التي توضح معالم التوحيد وتحمى حماه :

أولا : من سفر الخروج :

- " أنا الرب الهك الذى اخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة اخرى أمامي . لا تضع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب الهك اله غيور .. "(١)
- " لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب "(٢) .
- " احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت اليها لئلا يصيروا فخا في وسطك . بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم . فانك لا تسجد لاله آخر لأن الرب اسمه غيور . اله هو "(٣) .

ثانيا : من سفر اللاويين :

- " أنا الرب الهكم لا تلتفتوا الى الأوثان . وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم أنا الرب الهكم "(٤) .

---

(١) خروج ٢٠ : ٢-٥ (٢) خروج ٢٠ / ٢٣

(٣) خروج ٣٤ : ١٣-١٤ (٤) لاويين ١٩ : ٣-٤

- " لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا . ولا تجعلوا في ارضكم حجرا مصورا لتسجدوا له لأني أنا الرب الهكم .. "(١) .

ثالثا : من سفر التثنية :

- " فاحتفظوا جدا لأنفسكم / فانكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى شبه بهيمة ما مما على الأرض ،شبه سمك ما مما في الماء من تحت الأرض ، ولئلا ترفع عينيك الى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التي قسمها الرب الهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها "(٢) .

- " احترزوا من أن تنسوا عهد الرب الهكم الذى قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة كل ما نهاك عنه الرب الهك . لأن الرب الهك هو نارآكلة اله غيور. واذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد ، وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شيء ما وفعلتم الشر في عيني الرب الهكم لاغاظته ،أشهد عليكم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن اليها لتمتلكوها ،لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة ،ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم التي يسوقكم الرب اليها وتصنعون هناك آلهة صنعة أيدى الناس من خشب وحجر مما لا يبصر ولا يسمع ولا يأكل ولا يشم "(٣) .

- " أنا هو الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض ،لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني انا الرب الهك اله غيور. افتقد ذنوب الآباء في الأبناء

---

(١) لاويين ٢٦ : ١-٢

(٢) تثنية ٤ : ١٥-١٩

(٣) تثنية ٤ : ٢٣-٢٨

وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني . وأصنع احسانا الى الوف من محبي وحافظي وصاياى لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا "(١) .

- " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد . فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك ولتكن عصائب بين عينيك ،واكتبها على قوائم أبواب بيتك ،وعلى أبوابك "(٢) .
- " الرب الهك تتقي واياه تعبد . وباسمه تحلف . ولا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم ، لأن الرب الهكم اله غيور في وسطكم . لئلا يحمى غضب الرب الهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض "(٣) .
- " وراء الرب الهكم تسيرون واياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ،وصوته تسمعون ،واياه تعبدون وبه تلتصقون "(٤) .

وبعد ، فهذه النصوص المستخرجة من الأسفار اليهودية المنسوبة الى موسى عليه السلام قليل من كثير من النصوص العديدة في اكثر الأسفار. وهي كما ترى تدعو الى التوحيد الخالص والبعد عن عبادة الأوثان ،وتدعو الى حب الله تعالى وتفضيله على كل شيء في الوجود ،وتحذر بني اسرائيل من الانحراف عن الجادة ،كما تنذرهم سوء العاقبة وغضب الله تعالى وسطوته ان هم تركوا أوامره ووصاياه ، وأشركوا به أحدا من مخلوقاته العلوية أو السفلية وهذا هو الميثاق المأخوذ على بني اسرائيل المعني بقوله تعالى :" واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ... "(٥) .

---

(١) تثنية ٥: ٦-١١
(٢) تثنية ٦ : ٤-٩
(٣) تثنية ٦: ١٣-١٥
(٤) تثنية ١٣ : ٣-٤
(٥) سورة البقرة ٨٣

وهذه النصوص صريحة في قصر العبادة والسمع والطاعة على الله تعالى . وهذا هو الصراط المستقيم والدين الحق الذى اتفقت على الدعوة اليه رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولعل هذا النوع من النصوص هي التي لم تمتد اليها أيدى التحريف والتبديل مع ما أصاب التوراة المنزلة من تحريف وتبديل . ولعل سر بقائها مع ضياع غيرها يكمن في أنهم أمروا ان يكتبوها ويحفظوها ويعلقوها على أبوابهم وقوائم أبوابهم لتكون شاهدة عليهم وتذكرة لهم .

وهذه النصوص وأشباهها ، لم يطبقها اليهود في واقع حياتهم ولم يعملوا بها في تاريخهم الطويل حتى في ذلك العصر الذهبي الذى عاشوه ، وهو عصر موسى عليه السلام ثم عصر النبيين الكريمين اللذين أنعم الله عليهما بالنبوة والحكمة والملك ، وهما داود وابنه سليمان عليهما السلام . وان كان من بينهم أناس صالحون تمسكوا بشريعة موسى عليه السلام كما حكى الله ذلك في القرآن الكريم بقوله : " ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون "(١) وقوله : " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين "(٢) .

وهذا كله حال طائفة قليلة منهم والسواد الأعظم منحرف عن صراط الله المستقيم كما قال تعالى في كتابه العزيز في وصف اهل الكتابين : " منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون "(٣) .

ومع وضوح هذه النصوص في دلالتها على التوحيد الخالص ووحدانية الخالق تبارك وتعالى في ربوبيته وآلوهيته ، توجد في أسفار اليهود بعض النصوص التي توهم تعدد الآلهة وسيأتي بيانها مع بيان وجه ايهامها تعدد الألوهية وذلك عقب استعراض نصوص من القرآن الكريم تدل على التوحيد الذى جاء به موسى عليه السلام وذلك في المبحث الآتي .

---

(١) سورة الاعراف ١٥٩ (٢) سورة آل عمران ١١٣-١١٥

(٣) سورة المائدة ٦٦

نصوص قرآنية تدل على التوحيد الذى جاء به موسى عليه السلام:

لقد قص الله علينا من أنباء الرسل وقصصهم ما يجعل المؤمن يدرك ما كان عليه أولئك الصفوة من بنى آدم من الاعتقاد في ربهم الذى اصطفاهم لحمل رسالته ، وتبليغها الى أممهم على خير وجه . فقصص الأنبياء نافذة من نور يفتحها على قلبه من أراد الله به خيرا ليقتدى بهداهم كأنه يراهم . وكل قصة جاءت في القرآن من قصص الرسل أكدت ان كل رسول دعا قومه الى اجتناب عبادة غير الله ، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو المبدأ العام الذى تجتمع عليه دعوة الرسل جميعا .

فجاء موسى عليه السلام باقرار ذلك المنهج الذى سلكه الرسل والصالحون من عباد الله قبله . فقد خاطبه الله تعالى أول ما خاطبه بكلمة التوحيد حيث قال : " اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى" (١) .

والى هذا المبدأ الحق دعا موسى قومه حيث قال لهم بعد ما عبدوا العجل : " انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما" (٢) .

والى ذلك أرشد قومه حين وجدوا قوما يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يجعل لهم الها كاله أولئك القوم حيث قال لهم : " ... انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال اغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين " (٣) .

وهكذا كان التوحيد هو الأساس الذى انطلقت منه دعوة موسى ، كما انطلقت منه دعوة اخوانه الاخرين ممن جاء قبله أو بعده من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

---

(١) سورة طه ١٤ (٢) سورة طه ٩٨

(٣) سورة الأعراف ١٣٨-١٤٠

المبحث السادس

نصوص من الأسفار توهم تعدد الآلهة في الأسفار اليهودية ونصوص أخري تدل عدم مشابهة الله لغيره

أولا : نصوص توهم تعدد الآلهة :

ان نصوص الأسفار اليهودية التي تدل على وحدانية الله تعالى نصوص واضحة الدلالة صريحة المعاني كما سبق قريبا ايراد ذلك. غير أن تلك الأسفار تحتوى على بعض النصوص التي تفيد تعدد الآلهة . وترمز الى جواز ذلك ووقوعه .

فأول نص تشتم منه رائحة التعدد هو قوله في سفر التكوين : " وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر" (١) .

فقوله : قد صار كواحد منا ، يوهم أن هناك آلهة مع الله تعالى . أى ان الانسان بأكله شجرة معرفة الخير والشر صار كواحد من الآلهة لأنه اتصف بصفات العلم التي يختص بها الاله .

قال ابن حزم رحمه الله وهو يعلق على هذا النص :" حكايتهم عن الله أنه قال : هذا آدم قد صار كواحد منا ، مصيبة من مصائب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة اكثر من واحد . ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيرا من خواص اليهود الى الاعتقاد أن الذى خلق آدم ، لم يكن الا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ، ثم أكل من شجرة الحياة فصار الها من جملة الالهة . نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق ، ونحمده ان هدنا للملة الزهراء التى تشهد سلامتها من كل دخل بأنها من عند الله تعالى "(٢).

وجاء أيضا قوله : " فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ان يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض فكفوا عن بنيان المدينة "(٣) .

---

(١) تكوين ٣ : ٢٢

(٢) الفصل في الملل جـ١ ص ١٢٠ - ١٢١

(٣) تكوين ١١ : ٥-٨

وقوله : هلم ننزل الخ يوهم أيضا ان الاله يخاطب الها آخر لينزل معه الى الأرض و يبلبل لسان بني آدم خوفا من ان تجتمع كلمتهم ويقوموا بعمل لا تحمد عقباه ضد الآلهة . ولو فرضنا ان قوله ننزل و نبلبل يقصد منه الرب تعظيم نفسه ،لمنعنا من هذا الفرض قوله قبل ذلك هلم. لأنّ المتكلم لا يقول لنفسه هلم أو ما شابه ذلك من افعال الأمر واسمائها ،الا اذا كان يهذى . واذا كان هذا صفة ذم للمخلوق ،فالخالق اجل وأعظم من أن يوصف به وبامثاله من النقائص .

وجاء في المزامير المنسوبة الى داود عليه السلام قوله : " كرسيك يا الله الى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الاثم . من اجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج اكثر من رفقائك " (١) .

وهذا الكلام يدل على ان الله هو المخاطب ،وان هذا المخاطب مسحه الله الهه بدهن الابتهاج أكثر مما يمسح به اقرانه ورفقاءه أى ان الماسح وهو الله في زعمه ، فضل هذا الاله على رفقائه وأقرانه الآلهة ،لانه أحب البر ، وأبغض الاثم ،فمسحه بدهن الابتهاج .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى وهو يعلق على هذا النص : " هذه سوءة الأبد ومضيعة الدهر وقاصمة الظهر ،واثبات اله آخر على الله تعالى ، دهنه بالزيت اكراما له ومجازاة على محبته الصلاح واثبات اشراك الله تعالى ، و هذا دين النصارى بلا موءنة" (٢) .

و هذه هي بعض النصوص التي يصعب التوفيق بينها وبين تلك النصوص التي تدعو الى التوحيد الخالص والوحدانية الصريحة ،كما جاء بها موسى واخوانه من المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) مزامير ٤٥ : ٦-٧ (٢) الفصل جـ ١ ص ٢٠٥

ثانياً: نصوص من الأسفار تدل على عدم مشابهة الله لغيره :

تدل الأسفار اليهودية فيما تدل عليه على ان الله تعالى لا شبيه له ولا مثيل وذلك بعبارات واضحة كل الوضوح واليك بيانها :

جاء في سفر الخروج حكاية عن قول موسى عليه السلام لفرعون : "لكى تعرف ان ليس مثل الرب الهنا "(١) وقوله أيضا وهو يناجى ربه بعد أن جاوز بقومه البحر : " من مثلك بين الالهة يا رب ؟! من مثلك معتزا في القداسة ، مخوفا بالتسابيح صانعا عجائب ؟ تمد يمينك فتبتلعهم الارض "(٢) .

وجاء في سفر الملوك الاول على لسان سليمان عليه السلام :" أيها الرب اله اسرائيل ليس اله مثلك في السماء من فوق ولا على الارض من أسفل .."(٣)

وقال في سفر المزامير : " من في السماء يعادل الرب ؟ من يشبه الرب بين ابناء الله ؟ "(٤) وقال في سفر اشعياء : " فبمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به ؟ "(٥) . وجاء في قوله أيضا :" فبمن تشبهونني فأساويه ؟ يقول القدوس . أرفعوا الى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه ؟ من الذى يخرج بعدد جندها ؟ يدعو كلها بأسماء لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يفقد أحد "(٦) .

ويقول أيضا : " بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه ؟! "(٧) .

وهذه النصوص صريحة في دلالتها على نفى المماثلة والمشابهة عن الله تعالى لأحد من مخلوقاته ، والمماثلة المنفية هنا ، هى المماثلة من جميع الوجوه ، فوجود الله لا يماثله وجود خلقه وحياته ليست كحياة خلقه كذلك . وقدرته وعلمه وارادته وسمعه وبصره وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به أنبياؤه ورسله ، ليست كصفات خلقه وان اشتركت الألفاظ . فالفرق بين صفاته تعالى وصفات خلقه كالفرق بين ذاته العلية وذوات مخلوقاته .

---

(١) خروج ٨ : ١٠ (٢) خروج ١٥ : ١١ (٣) الملوك الاول ٨ : ٢٣
(٤) مزامير ٨٩ : ٦ (٥) اشعياء ٤٠ : ١٨ (٦) اشعياء ٤٠ : ٢٥-٢٦
(٧) اشعياء ٤٦ : ٥

المعيار الصحيح في مسائل العقيدة هو القرآن الكريم والسنة الثابتة :

القرآن الكريم هو المعيار الصحيح الذى توزن به مسائل العقيدة . فما ثبت فيه اثبت . وما لم يرد فيه ولم تأت به سنة صحيحة فهو مردود . فاذا وصف الله تعالى نفسه بشيء وجب ان نصفه به وان نفى عن نفسه شيئا وجب نفيه عنه . وليس لعقل الانسان أن يستحسن صفة ما لم يرد بها نص من كتاب الله المنزل أو سنة نبيه المرسل فيطلقها على ربه أو ينفي عن ربه بعقله ما أثبته هو لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولقد وصف الله تعالى نفسه المقدسة بصفات الكمال والجلال ، ونفى عن نفسه ما لا يليق بعظمته وجلاله من النقائص ومشابهة المخلوقين .

قال تعالى :" وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم "(١)

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى (وله المثل الأعلى) :" أى الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة ، وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها "(٢) .

وقال تعالى وهو ينفي المماثلة عن نفسه المقدسة ويثبت الصفات الحسنى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "(٣) .

وقال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله تعالى :

" ومن اعتقد ان وصف الله يشابه صفات المخلوقين فهو مشبه ملحد ضال ، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه او اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق ، فهو مؤمن جامع بين الايمان بصفات الكمال والجلال والتنزيه عن مشابهة الخلق سالم من ورطة التشبيه والتعطيل . والاية التي أوضح الله بها هذا ، هي قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله : (ليس كمثله شيء) وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله : (وهو السميع البصير) فصرح في هذه الآية بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال "(٤) .

---
(١) سورة الروم ٢٧ (٢) تفسير ابى السعود جـ٤ ص ١٨٢ (٣) سورة الشورى ١١
(٤) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن جـ٢ ص ٢٧٣ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ

المبحث السابع

موقفهم من صفة القدرة الالهيــــــة

في المبحث الثالث وما تلاه من هذا الفصل تبين لنا ان بني اسرائيل يؤمنون بوحدة الربوبية ،وأن المنهج الذى جاء به موسى عليه السلام يدل على التوحيد في أجلى صوره وأوضح معانيه ، سواء في ذلك توحيد الربوبيـــة ،وتوحيد الألوهية ،وعرضنا ثم نماذج من النصوص المناسبة للمقام من الأسفار اليهودية ، ومن القرآن الكريم.

وفي هذا المبحث نبين موقف بني اسرائيل من الصفات الالهية من حيث الاثبات والنفي ،ومن حيث التنزيه وخلافه ،وذلك بعرض بعض صفات الله الحسنى الواردة في أسفارهم وايراد أدلتها من كتبهم ،وتأكيد ذلك بنصوص من القرآن الكريم ،ثم نورد بعد كل صفة ما يناقضها من النصوص في أسفارهم مع مناقشتها ،وبيان وجه التناقض فيها ، وبعدها عن الحق . واليك بيان ذلك :

موقفهم من صفة القدرة الالهية :

صفة القدرة الالهية ثابتة في كتب اليهود المختلفة ،وقد أطلقت أسفارهم على الله اسم القادر والقدير ،ووصفته بأنه لا يكل ولا يعيا . وأن له العزة ، والقوة ،والقدرة .

من ذلك قوله في سفر التكوين حكاية عن خطاب الله ابراهيم عليه السلام: " أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا " (١) .

وقوله في سفر الخروج : " ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب ،وأنا ظهرت لابراهيم واسحاق ويعقوب بأني الاله القادر على كل شيء" (٢) .

وقوله في سفر أشعياء : " أما عرفت أم لم تسمع اله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا ،ليس عن فهمه فحص ،يعطى المعيى قدرة ، ولعديم القوة يكثر شدة " (٣) .

---

(١) تكوين ١٧ : ١ (٢) خروج ٦ : ٢-٣

(٣) اشعياء ٤٠ : ٢٨ - ٢٩

وقوله فيه أيضا : " ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شيء" (١) . وكذلك قوله في سفر المزامير : " مرة واحدة تكلم الرب وهاتين الاثنتين سمعت ان العزة لله " (٢) وقوله أيضا : " يا رب الجنود من مثلك قوى رب ؟ وحقك من حولك انت متسلط على كبرياء البحر عند ارتفاع لججه انت تسكنها ... بذراع قوتك بددت أعداءك ... لك ذراع القدرة . قوية يدك ، مرتفعة يمينك" (٣) . وقال في سفر التكوين على لسان يعقوب عليه السلام : " الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني وقال لي : ها أنا أجعلك مثمرا ،وأكثرك وأجعلك جمهورا من الأمم وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا ابديا" (٤) .

وقال أيضا : من اله ابيك الذى يعينك ومن القادر على كل شيء الذى يباركك تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت .. (٥)

وفي هذه النصوص دليل على قدرة الله عز وجل وهيمنته على كل شيء ودليل على أنه ذو العزة والقوة . وهذا يتفق مع جوهر الرسالات الالهية التي جاءت بها الرسل جميعا .

وبجانب هذه النصوص الدالة على قدرة الله تعالى في الأسفار اليهودية ، توجد نصوص أخرى تنافى هذه الصفة نفيا جليا ،واليك بيانها :

نصوص منافية لصفة القدرة :

ان الذى سبق عرضه من النصوص الدالة على القدرة الالهية في أسفار اليهود يجعل القارىء يعتقد أن اليهود يصفون الله تعالى بالقدرة على كل شيء الا أن نصوصا أخرى في أسفارهم ،تنافى ما دلت عليه هذه النصوص من صفة القدرة ،مما يجعل القارىء في حيرة من الأمر ، حيث لا يستطيع الجزم بأن موقف بنى اسرائيل هو الايمان بصفة القدرة ،أو نفيها .ولكن يبدو من النظر والمقارنة بين هذه النصوص ، وتلك أن بنى اسرائيل ليست لديهم عقيدة ثابتة ،وانما هي عقيدة مضطربة متناقضة .

---

(١) اشعيا ١٣ : ٦ (٢) مزامير ٦٢ : ١١ (٣) مزامير ٨٩ : ٨-١٣
(٤) تكوين ٤٨ : ٣-٤ (٥) تكوين ٤٩ : ٢٥

لقد وصف بنو اسرائيل ربهم بعدم القدرة في نصوص متعددة من أسفارهم .

١ - من ذلك : ذكرهم في اول أسفارهم المنسوبة الى موسى عليه السلام وهو سفر التكوين : أن الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ من ايجادهم في ستة أيام أدركه التعب والنصب فاحتاج الى الراحة " في اليوم السابع . جاء ذلك في قوله : " وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا " (١) .

وفي هذا دليل على أنهم يعتقدون في ربهم أنه يدركه ما يدرك المخلوقات من تعب وفتور من العمل ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ولقد رد القرآن الكريم على هذه الفرية ردا بليغا ، اذ ذكر ان الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ولم يدركه الاعياء والتعب . قال تعالى : " ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب " (٢) .

٢ - ومن النصوص المنافية لقدرته تعالى ، زعمهم ان الرب ورجلين معه . أتوا الى خيمة ابراهيم وقت الظهيرة ، فاستضافهم ابراهيم ، وغسلوا أرجلهم ، واستراحوا تحت ظل شجرة ، فأكلوا وشربوا فقويت بذلك قلوبهم . جاء ذلك في قوله في سفر التكوين : " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار . فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض . وقال يا سيد ان كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فأخذ كسرة خبز . فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت . فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة فقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا . اعجنـــي

---

(١) تكوين ٢ / ٢-٣ (٢) سورة ق ٣٨

واصنعى خبز ملة (١) . ثم ركض ابراهيم الى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ،ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم . واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا "(٢) .

ويؤخذ من هذا أنهم يعتقدون ان الاله يتعب ويعيا ويحتاج الى الراحة .

والقرآن الكريم ذكر قصة الذين جاءوا لاهلاك قرية لوط ومروا بابراهيم ووصفهم أنهم ضيفه المكرمون وأنهم رسل الله تعالى جاءوه بالبشرى قال تعالى :

" هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم قال ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف فبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم. قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم. قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين "(٣) .

وهذه الآية واضحة في دلالتها على ان الذين جاؤا ابراهيم هم رسل الله تعالى تمثلوا له ضيفا من البشر ،ولم يعرف ابراهيم عليه السلام حقيقة أمرهم الا عندما رأى أيديهم لا تصل الى الطعام فتخوف منهم ،فأخبروه أنهم رسل ربهم ، لذلك لم يأكلوا من طعامه ، لأنَّ الملائكة لا تأكل ،ودلت الآية أيضا على أنهم ليسوا آلهة ولا كان معهم اله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

٣ - ومما ينافي قدرته تعالى في نصوصهم زعمهم أن يعقوب عليه السلام صارعه انسان ذات ليلة حتى مطلع الفجر فغلبه يعقوب عليه السلام ولم يستطع ذلك الانسان الفكاك عنه الا بعد ما أرغمه يعقوب على مباركته ثم اطلقه بعد أن أصيب بضربة خلعت حق فخذه . ويزعمون ان ذلك الانسان الضعيف الذى أرغمه

---

(١) خبز ملة : عجين يخبز على الحجارة المحماة ويعد من الخبز النفيس " قاله في السنن القويم جـ١ ص١٣٧

(٢) تكوين ١٨ : ١-٨ (٣) سورة الذاريات ٢٤-٣٢

يعقوب في مصارعته معه على منح البركة هو الاله ذاته ، تعالى الله عن ذلك وغيره من النقائص . جاء ذلك في سفر التكوين حيث قال : " فبقى يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه . فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه . وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال لا اطلقك ان لم تباركنى . فقال له ما اسمك ؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك ؟ فقال لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (١) قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه و نجيت نفسي" (٢) .

وفي هذا من الجرأة على الله تعالى والكذب عليه وعلى نبيه يعقوب ما لا مزيد عليه ، فقد وصفوه تعالى بالعجز التام ، أمام ذرة من مخلوقاته ، وشبهوه بانسان ضعيف شرير ، يغير على الانسان الآمن فجأة ، فيصارعه ، ثم يدركه التعب ، فيغلب على يد خصمه ، فيطلب منه أن يطلقه ، خشية ان يدركه النهار ، وكأنه من لصوص الليل لا يحب أن يرى ضوء النهار فينكشف . فاعجب لهذا السفه الذى لا مثيل له في دنيا العقلاء .

---

(١) " فنيئيل : أى وجه الله وسمى " فنوئيل " ايضا .." السنن القويم ج ١ ص ٣٢ .

(٢) تكوين ٣٢ : ٢٤-٣٠

المبحث الثامن

صفة القدرة الالهية في القرآن الكريم

جاء ذكر صفة القدرة الالهية في القرآن الكريم في مواضع عديدة من آيه وسوره كاحسن ما يكون الذكر لفظا ومعنى . فقد جاء اسم الله القادر في نحو اثني عشر موضعا . واسمه القدير في نحو خمسة وأربعين موضعا واسمه المقتدر في أربع مواضع . وذلك كله يدل على قدرة الله البالغة وهيمنته الكاملة على كل شيء . وقد وردت ألفاظ أخرى تدل على قدرة الله تعالى ، فمنها العزة والجبروت والهيمنة والقهر التي وردت منها أسماء الله تعالى وهي العزيز والجبار ، والقوى والقهار .

وللقرآن الكريم في اثبات القدرة الالهية مسلكان : المسلك الاول : مسلك اثبات القدرة عن طريق الايجاب ، وذلك بذكر ما يدل على قدرته من أسماء وصفات تثبتها ، وأمثلتها كثيرة فمنها قوله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن " والله على كل شيء قدير " (١) .

والمسلك الثاني : مسلك التنزيه عما يقدح في قدرته ، وذلك بنفي العجز ، أو الضعف عن الله تعالى ، وأمثلة هذا كثيرة ، ولكنها دون المسلك الاول في الكثرة . فمن أمثلته قوله تعالى :" وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا " (٢) .

واليك فيما يأتى الاسماء الدالة على قدرة الله تعالى في القرآن مع ايراد دليلها من كتاب الله تعالى :

١ - القادر :

قال تعالى :" أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى " (٣)

---

(١) سورة البقرة ٢٨٤ (٢) سورة فاطر ٤٤

(٣) سورة القيامة ٣٦-٤٠

٢ - **القدير :**

قال الله تعالى : " لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير " (١) .

٣ - **المقتدر :**

قال تعالى : " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا " (٢) .

٤ - ٥ - ٦ : **المهيمن والعزيز والجبار :**

قال تعالى : " هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون " (٣) .

٧ - **القوى :**

قال تعالى : " فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز " (٤) .

٨ - **القهار :**

قال تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار " (٥) .

وهذه الآيات قليل من الآيات الكثيرة التي تدل على قدرة الله تعالى الغالبة ، وسلطانه العظيم ، وقهره العميم .

---

(١) سورة المائدة ١٢٠
(٢) سورة الكهف ٤٥
(٣) سورة الحشر ٢٣
(٤) سورة هود ٦٦
(٥) سورة ابراهيم ٤٨ .

المبحث التاسع

موقفهم من صفة العلم الالهي

العلم صفة من صفات الله تعالى الحسنى التي وردت في أسفار اليهود ، من ذلك قوله في سفر اشعياء " اذكروا هذا وكونوا رجالا . رددوا في قلوبكم أيها العصاة . اذكروا الأوليات منذ القديم ،لأني أنا الله وليس آخر ،الاله وليس مثلي ،مخبر منذ البدء بالأخير ، ومنذ القديم بما لم يفعل ، قائلا رأيي يقوم وأفعل مسرتي" (١) .

وقول سفر المزامير : " يا رب قد اختبرتني وعرفتني . أنت عرفت جلوسي وقيامي . فهمت فكري من بعيد مسلكي ومربضي ذريت . وكل طرقي عرفت . لأنه ليس كلمة في لساني الا وأنت يا رب عرفتها . من خلف ومن قدام حاصرتني وجعلت على يدك. عجيبة هذه المعرفة فوقي ارتفعت لا أستطيع . أين أذهب من روحك ؟ ومن وجهك أين أهرب ؟ ان صعدت الى السموات فأنت هناك . وان فرشت في الهاوية فها أنت ان أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضا تهديني يدك وتمسكني عينيك . فقلت انما الظلمة تغشاني . فالليل يضيء حولي . الظلمة أيضا لا تظلم لديك ،والليل مثل النهار يضيء. كالظلمة هكذا النور . لأنك أنت اقتنيت كليتي . نسجتني في بطن أمي . أحمدك من أجل اني قد امتزت عجبا + عجيبة هي أعمالك. ونفسي تعرف ذلك يقينا . لم تختف عنك عظامي حينما صنعت في الخفاء ،ورقمت في أعماق الأرض . رأت عيناك أعضائي . وفي سفرك كلها كتبت يوم تصورت اذ لم يكن واحد منها" (٢) .

وقول سفر دانيال :" ليكن اسم الله مباركا من الأزل والى الأبد ،لأن له الحكمة والجبروت ،وهو يغير الأوقات والأزمنة . يعزل ملوكا وينصب ملوكا . يعطي الحكماء حكمة ،ويعلم العارفين فهما . هو يكشف العمائق والأسرار . يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور. اياك يا اله آبائي احمد ،وأسبح الذي أعطاني الحكمة والقوة "(٣)

---

(١) اشعياء ٤٦ :٨- ١٠ (٢) مزامير : ١٣٩ : ١-١٦ (٣) دانيال : ٢ : ٢٠-٢٣

وفي هذه النصوص دليل على علم الله تعالى المحيط بكل شيء وعلى أنه تعالى لا تخفى عليه خافية في ملكه ،ولا يحجبه حاجب عن علمه سبحانه .

وبجانب هذه النصوص الدالة على علم الله تعالى ،توجد نصوص كثيرة في هذه الأسفار تناقضها ،وتصفه تعالى بعدم العلم وانتفائه ،واليك بيانها .

نصوص منافية لصفة العلم :

سبق استعراض النصوص الدالة على صفة العلم الالهي من الأسفار اليهودية . وهنا نستعرض بعض النصوص المنافية للعلم الالهي ، ليرى القارئ مدى تناقض الاسفار اليهودية في مجال العقيدة .

١ - أول ما يظهر للقارئ في أسفار اليهود من نفي صفة العلم ،تلك القصة التي وردت في سفر التكوين وتحدثت عن أكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عنها . فانهما بعد أن اكلا من الشجرة بدت لهما سوأتهما فأخذا يلزقان عليهما من ورق التين في الجنة ، وبينما هما على هذه الحالة ، اذ سمعا صوت المشي الالهي داخل الجنة ،فاختفيا داخل أشجارها لكيلا يراهما الاله ، ولم يعلم الاله في زعمهم مكان وجودهما ،كما لم يعلم أنهما أكلا من تلك الشجرة ، فنادى الاله آدم أين أنت ؟ فأخبره آدم انه سمع صوت مشيه فاختبأ لأنه عريان ،فعلم الاله أن آدم أكل من تلك الشجرة ، اذ لولا ذلك لما عرف أنه عريان ،لأن الشجرة في زعمهم هي شجرة معرفة الخير والشر، فمن أكل منها عرف الخير والشر . هنالك سأله الاله هل اكل من الشجرة ؟ فأخبره آدم ان المرأة هي التي أعطته حتى أكلها ،فاستيقن الاله أن آدم وزوجه قد عصيا بأكل تلك الشجرة . واليك أيها القارئ نص ما جاء في ذلك :

" وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله . فقالت للمرأة ،أحقا قال الله : لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية ،من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم

تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون . وأن الشجرة جيدة للنظر . فاخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل . فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر . وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت . فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أنا أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم ، المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت "(١) .

وبجانب منافاة هذا النص للعلم الالهي فانه اشتمل على بعض صفات النقص كالتجسيم والخداع أما منافاته للعلم فقد ظهر في المواضع التالية :

١ - في قوله : " فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة " . وذلك يدل على أن آدم وحواء اعتقدا أن الاله لا يعلم مكانهما اذا اختبآ.

٢ - وفي قوله :" أين أنت ؟ " . وهو يدل على أن الاله لم يعلم أين كان آدم وزوجه لاختفائهما في شجر الجنة .

٣ - وفي قوله : " من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أنا أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ " . وهذا يدل على أن الاله لم يعلم سبب معرفة آدم أنه عريان كما لم يعلم انه وزوجته أكلا من الشجرة الا حينما شك في سبب ادراك آدم أنه عريان وسأله هل أكل من الشجرة . فعلم يقينا أنهما أكلا من الشجرة حينما قال له آدم : " المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت ".

هذه هي وجوه منافاة هذا النص للعلم الالهي . وأما صفات النقص الأخرى التي يدل عليها هذا النص فسيأتي الحديث عنها قريبا ان شاء الله تعالى في مجموعة من صفات النقص التي وصف اليهود بها الههم.

---

(١) تكوين ٢ : ٤-١٢

قصة أكل آدم من شجر الجنة كما في القرآن الكريم :

قصة أكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عن أكلها ،وردت في القرآن الكريم في مواضع عديدة من سوره الشريفة ،وكلها بينت ان الشيطان - و ليست الحية - هو الذى أغراهما على أكلها متظاهرا بالنصح والامانة والصدق ، وهو الكذوب المخادع الغرور . ودل القرآن أيضا على ان الله تعالى علم أن الشيطان لن يترك آدم وحواء يسعدان في جنة الله حيث رضوانه و نعيمه ، فاعلمهما أن الشيطان سيحاول اخراجهما من الجنة الى حيث الشقاء والعناء ، وحذرهما من شره . فلما وسوسهما الشيطان فأكلا من الشجرة ، علم الله ما وقع من ذنبهما ، فوبخهما على ذلك ، فندما وتابا الى ربهما ، فتقبل الله توبتهما ،ثم أخرجهما من الجنة الى دار الشقاء .

قال تعالى : " ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا من هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن هذه الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين " (١) .

وقال تعالى :" فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو . فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى" (٢)

---

(١) سورة الاعراف ١٩-٢٤ (٢) سورة طه ١١٧-١٢٣

هذه هي قصة آدم وزوجه في الجنة كما جاءت في القرآن الكريم . وهي تدل على كمال علم الله تعالى . وقد علم الله تعالى ان ابليس عدو لآدم وحواء ، وأنه سيحاول اخراجهما من الجنة ،فحذرهما الله تعالى من طاعته . ودلت القصة هنا أيضا ان الله تعالى علم بما اقترفاه من الذنب فعاتبهما على انخداعهما بنصح الشيطان واغوائه وذكرهما بتحذيره اياهما عن طاعته ،كما ذكرهما بنهيه السابق عن الأكل من تلك الشجرة . فلينظر القارئ الى هذه القصة في القرآن الكريم ،والى تلك التي وردت في كتب اليهود ، ليدرك مدى البون الشاسع بين الوحي الالهي الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ،وبين ما كتبته أيدى اليهود على انه من دين موسى عليه السلام وهو منه براء .

٢ - ومن الأمور الدالة على انتفاء العلم الالهي في كتبهم ،زعمهم أن الله تعالى قطع بينه وبين نوح ومن نجا معه من الطوفان من النفوس الحية ميثاقا وذلك بأن جعل في السحاب قوسا كلما جاء المطر ،ليكون علامة على ذلك الميثاق الالهي المبرم بينه وبين خلقه . فاذا ظهر القوس في السحاب ، تذكر الاله ميثاقه فلا يحدث في الأرض طوفانا . وهذا مما يقدح في علم الله تعالى .

قال في سفر التكوين : " وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : وها أنا أقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الأنفس الحياة التي معكم . الطيور ،والبهائم ،وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض . أقيم ميثاقي معكم ،فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان ،ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض ، وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بيني وبينكم ،وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الى أجيال الدهر . وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي

الذى بيتى وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد . فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد . فمتى كانت القوس فى السحاب أبصرها لاذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الارض" (١) .

وكما هو واضح من سياق هذا النص ان اليهود يعتقدون ان الههم ينسى ، وأنه يحتاج الى شيء يذكره بالامور . وهذا مما يتنزه الله تعالى عنه .

وهذا الميثاق الذى يزعمون أنه تم عقده بين نوح ومن معه ، وبين الاله على أن لا يغرق الارض بالطوفان بعد طوفان نوح لم يذكر ما هو ، وعلى أى شيء كان هذا الميثاق ، والمذكور هنا هو العلامة المذكرة بالميثاق لا الميثاق نفسه . وهذه القصة غير واقعة بل هي مكذوبة موضوعة . ويدل على ذلك عدة أمور : منها : منافاتها لعلم الله تعالى . ومنها : زعمها ان الاله تعهد ان لا يحدث طوفانا على الارض . فقد علم يقينا ان الناس في مختلف الزمان والمكان أصيبوا بطوفان أتي على الحرث والنسل وان لم يكن مثل طوفان نوح في شهرته وشموله . فقد أرسل الله الطوفان على أهل مصر في عهد موسى ، وكان ذلك احدى الايات التي أعطيها موسى على فرعون وقومه ، كما ذكرها القرآن الكريم وذكرها سفر الخروج . وفي زماننا هذا سمعنا عن كثير من فيضان مياه الأمطار أو الانهار ، أو البحار ، واغراقها كثيرا من الانفس والاموال . فماذا يقول في هذا المتمسكون بقدسية أسفار اليهود ؟ فكيف يفسرون ما فيها من النصوص التي تتناقض مع واقع الاحداث . ومما يدل على عدم صحة هذا الميثاق المزعوم ما جاء في القصة من أن الرب يجعل القوس في السحاب ليذكره بالميثاق ، أى أنه يضعه في السحاب كلما أراد أن يتذكر . فمعناه انه يتذكر ثم يجعل القوس في السحاب ليذكره . فالتذكر سابق على خلق القوس ، لانه هو الدافع الى وضعه في السحاب ، وهو عبث يتنزه عنه عقلاء البشر ، فضلا عن خالق العقول ومدبر شؤون أهلها .

---

(١) تكوين ٩ : ٨-١٦

٣ - ومما يدل على منافاة العلم الالهى من أسفارهم ، زعمهم ان الله تعالى طلب من بنى اسرائيل قبيل خروجهم من مصر أن يجعل كل أهل بيت منهم علامة دم على عتبة دورهم ، حتى لا تشتبه عليه بيوتهم ببيوت المصريين الذين يريد الاله ان يهلك كل بكر منهم ،فيجتاز عن بنى اسرائيل الذين عرف بيوتهم بعلاومة الدم .

قال في ذلك سفر الخروج : " فانى أجتاز في أرض مصر هذه الليلة ، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ، وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين . أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم . فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر "(١).

وهذا كما هو واضح ،مناف للعلم الالهى غاية المنافاة ، اذ كيف يعقل أن لا يعلم الخالق بيوت الاسرائيليين الا اذا وسموها بتلك العلائم ؟ وهذا أمر عجيب ،وسفه غريب ، كما قال ابن حزم رحمه الله تعالى :" أوترى الله عز وجل لا يعرف أبوابهم حتى يجعل عليها علامات ؟! ان هذا لعجب!"(٢)

وقصة خروج بنى اسرائيل من مصر ، ذكرها القرآن الكريم ذكرا جميلا ، وهي تدل على كمال علم الله تعالى السابق على الحوادث قبل وقوعها . ذلك لأن الله تعالى حينما أمر عبده موسى أن يسير بقومه ليلا للخروج بهم من أرض مصر أخبره أن فرعون وجنوده سيتبعونهم ، وأنهم سيغرقون في البحر الذى سيفلق لهم . وهذا يدل على احاطة علم الله تعالى بما كان وما سيكون ، وليس كما يزعم السفهاء .

قال تعالى وهو يخاطب نبيه موسى عليه السلام : " فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون "(٣)

---

(١) خروج ١٢:١٢-١٣

(٢) الرد على ابن النغريلة اليهودى المطبوع سنة ١٣٨٠ هـ بمطبعة المدنى بالقاهرة (المؤسسة السعودية بمصر) ص ٦٩

(٣) سورة الدخان ٢٣-٢٤

صفة العلم الالهي في القرآن الكريم :

لصفة العلم الالهي في القرآن الكريم حيز كبير . فقد تحدثت آيات كثيرة عن علم الله تعالى المحيط بكل شيء ،وهو العلم الشامل المحيط الذى به لا يعزب عن الله شيء في الارض ولا في السماء .

وللقرآن الكريم هنا المسلكان السابقان في اثبات صفة القدرة الالهية ، فمن المسلك الاول ، قوله تعالى : " وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم و جهركم و يعلم ما تكسبون "(١) .

وقوله تعالى : " ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور "(٢) .

وقوله : " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين "(٣) .

ومن المسلك الثاني ، قول الله تعالى : " ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء"(٤) .

وقوله تعالى : " وما يخفى عن الله من شيء في الارض ولا في السماء"(٥) .

وقوله تعالى : " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"(٦) .

ومن أسماء الله تعالى الدالة على صفة العلم ، العليم ،وعلام ،وعالم . فقد ورد اسمه تعالى عليم في القرآن الكريم فيما يربو على مائة وأربعين موضعا منه . كما ورد اسمه علام في أربع مواضع واسمه عالم في نحو خمسة عشر موضعا . وهذا كله يدل على علم الله الذى أحاط بكل شيء . فأين ما يعتبره أهل الكتاب أسفارا مقدسة ، مما في القرآن الكريم من حقائق تخضع لها القلوب المؤمنة حبا وفهما واجلالا ؟!

---

(١) سورة الانعام ٣ (٢) سورة فاطر ٣٨ (٣) سورة الانعام ٥٩
(٤) سورة آل عمران ٥ (٥) سورة ابراهيم ٣٨ (٦) سورة الملك ١٤

الفصل الثاني

بيان ما في اسفارهم من تشبيه وتجسيم و تنقيص وغيره

تمهيد وستة مباحث

- تمهيد
- المبحث الأول : بيان اعتقادهم أن الرب ظهر لعدد من الناس ، وأنهم رأوه وسمعوه يتكلم .
- المبحث الثاني : بيان جملة من الحوادث التى نسبوها الى الله تعالى ومما لا يليق به سبحانه .
- المبحث الثالث : اعتقادهم ان الرب يسكن في مكان من الأرض وفي السحاب والزوبعة .
- المبحث الرابع :- اعتقادهم وجود علاقة الأبوة والبنوة بين الله وبين البشر و تاثير ذلك في عقيدة النصارى .
- المبحث الخامس : بيان ما نسبوه الى الله تعالى من الجوارح .
- المبحث السادس : توجيه النصوص الاسلامية التي تشتمل على بعض ما ورد في الأسفار اليهودية و بيان الفرق بينها وبين ما جاء في الأسفار اليهودية .

*

تمهيد :

الأسفار اليهودية مليئة بنصوص متناقضة تناقضا جليا . فهي تتحدث عن قدرة الله وعجزه ، وتتحدث عن علم الله وجهله ، وتتحدث عن كماله ونقصه ، وتتحدث عن تنزيهه ، وتشبيهه ، وتجسيمه ، وتتحدث عن التوحيد الخالص ومن الاشراك والكفر بالله تعالى . ولا فرق في ذلك بين تلك الأسفار المنسوبة الى موسى عليه السلام ، أو ما نسب منها الى غيره من الأنبياء وغيرهم . ومن جملة ما تشتمل عليه تلك الأسفار ، التشبيه والتجسيم حيث وردت فيها نصوص كثيرة شبهت الله تعالى بمخلوقاته ، ونسبت اليه من النقائض ما لا يرضى أن يوصف به أولوا الأحلام من البشر فضلا عن رب العالمين ، كما جسمته تجسيما يجعله في مراتب بنى آدم .

على أن لدينا في النصوص الاسلامية الثابتة بعض الصفات التى وصف الله بها نفسه في القرآن الكريم ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهي صفات مماثلة لبعض ما جاء في أسفار اليهود ، غير ان تلك الصفات وان كانت مشتركة في لفظها ، تخالف ما في الأسفار اليهودية في معناها ، لأن النصوص اليهودية اقترن بها من العبارات ما يدل دلالة صريحة على التجسيم والتشبيه والنصوص الاسلامية اقترن بها ما يدل على التعظيم والتنزيه . وسيأتى الكلام عن تلك النصوص التى وردت فيها الصفات المشتركة ، وذلك في نهاية هذا الفصل في المبحث السادس ان شاء الله تعالى .

المبحث الأول

بيان اعتقادهم ان الرب ظهر لعدد من الناس وأنهم رأوه وسمعوه يتكلم

تحدثت الأسفار اليهودية المختلفة في نصوص متعددة أن الرب ظهر لكثير من الناس من بنى اسرائيل وآبائهم ، وزعموا أن اول من ظهر له الرب من البشر هو ابراهيم عليه السلام . كما ذكروا أنه ظهر لهاجر وسارة زوجتي ابراهيم عليه السلام ، وظهر لاسحاق ويعقوب وبعد ذلك ظهر لموسى وهارون وكافة بنى اسرائيل في التيه ، و ظهر لداود وسليمان عليهما السلام و غيرهما . واليك نصوص أسفارهم في ذلك .

ظهوره لابراهم عليه السلام :

١ - " وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض . فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له "(١) .

٢ - " ولما كان أبرام ابن تسع و تسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام ، وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا "(٢) .

٣ - " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه و نظر ، واذا ثلاثة رجال واقفون لديه ... وانصرف الرجال من هناك ، وذهبوا نحو سدوم ، وأما ابراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب "(٣) .

ظهوره لهاجر :

" فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ... وقال يا هاجر جارية ساراى من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟ فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي

---

(١) تكوين ١٢ : ٧ في السامرية " وتجلى ملاك الله " ثم جاء فيها مايدل على ان الذى ظهر له هو الرب " فبنى هناك مذبحا لله المتجلى له " .

(٢) تكوين ١٧ : ١ في السامرية " تجلى ملاك الله لابرام " ثم يسوق الكلام على أن الذى ظهر له هو الرب " وقال له انا القادر الكافى "

(٣) تكوين ١٨ : ١-٢٢ في السامرية " وتجلى له الله فى مروج ممرا " .

ساراى . فقال لها ملاك الرب : ارجعى الى مولاتك واخضعى تحت يديها . وقال لها ملاك الرب : تكثيرا اكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا و تدعين اسمه اسماعيل لانّ الرب قد سمع لمذلتك ... فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أنت ايل رئى لأنها قالت : أههنا أيضا رأيت بعد رؤية . لذلك دعيت البئر بئرلحى رئى "(١) .

ومع أن هذا التصرح في بدايته أن الذى خاطب هاجر هو ملاك الرب ، فانه عاد وذكر أن الذى خاطبها هو الاله ، ويفهم ذلك من أمرين احدهما من قوله "فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أنت ايل رئى " أي اله الرؤية " وثانيهما : من تسمية البئر " بئرلحى رئى " أى بئر الرؤية الحيوية لأنها رأت الاله وهي حية . قال في السنن القويم في تفسير معنى ايل رئى وبئرلحى رئى : "أنت ايل رئى : اى اله الرؤية ، لا أنت الله الذى يرى كل شىء كما قال أنكللوس والمعنى أنت الله الذى رضيت بأن ترى . على ان هاجر جاءت الايجاز الذى أولع به الأعراب . وبسط معنى عبارتها أن الله لم يتركنى ، لأنه ظهر لي وها أنا أراه فانا في الحياة صحيحة الحواس والعقل .. بئر لحى رئى : اى الرؤية الحيوية . أى رؤيتها الله وهي حية . أو البئر التي حيث رئى الله والرائى لم يزل حيا "(٢) .

ظهوره لسارة :

في قصة ظهوره السابقة لابراهيم عند بلوطات ممرا ، ما يدل على أنه ظهر أيضا لسارة ، فجرى بينها وبينه جدال في أمر الضحك الذى نسب

---

(١) تكوين ١٦ : ٧-١٤ في السامرية : " ودعت اسم الرب المخاطب لها : أنت القادر الناظر اذ قالت ايضا ههنا نظرت بعد نظر بسبب ذلك سميت البئر بئرلحى الناظر .

(٢) السنن القويم جـ١ ص ١٣١

الرب اليها ، فأنكرت أنها ضحكت جاء ذلك في قوله : " ... وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه (١) ... فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ؟ فقال الرب لابراهيم : لماذا ضحكت سارة قائلة : أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت ؟ هل يستحيل على الرب شيء ؟ في الميعاد أرجع اليك نحو زمان الحياة (٢) فيكون لسارة ابن . فأنكرت سارة قائلة : لم أضحك . لأنها خافت . فقال لا بل ضحكت" (٣) .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى معلقا على هذا النص : " عاد الخبر بين سارة وابراهيم ، وبين الله عز وجل وعاد الحديث الماضي ، ثم في هذا زيادة ان الله تعالى قال ان سارة ضحكت ، وقالت سارة لم أضحك . فقال الله : بلى قد ضحكت . فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الاكفاء . وحاشى لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبشارة من ان تكذب الله عز وجل فيما يقول ، وتكذب هي في ذلك ، فتجحد ما فعلت ، فتجمع بين سوأتين احداهما : كبيرة من الكبائر قد نزه الله الصالحين عنها فكيف الأنبياء ؟ (٤) والاخرى أدهى وأمر ، وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الارض ، لأنها كفر ونعوذ بالله من الضلال" (٥) .

ظهوره لاسحاق عليه السلام :

وذكروا أنه ظهر لاسحاق أيضا . جاء ذلك في قول سفر التكوين :

١ : " وظهر له الرب وقال لا تنزل الى مصر . اسكن في الارض التى أقول لك " (٦) .

٢ - وقوله " فظهر له الرب في تلك الليلة وقال انا اله ابراهيم أبيك لا تخف لأني معك " (٧)

(١) في السامرية : " وسارة سامعة بباب الخباء وهي خلفه "
(٢) في السامرية : " للميقات أعود اليك كالوقت حيا ولسارة ابن "
(٣) تكوين ١٨ : ١٠-١٥
(٤) يبدو من كلام ابن حزم هذا أنه ممن يجوز النبوة في النساء .
(٥) الفصل في الملل جـ١ ص ١٣٢
(٦) تكوين ٢٦ : ٢ في السامرية " فتجلى له ملاك الله " .
(٧) تكوين ٢٦ : ٢٤

ظهوره ليعقوب عليه السلام :

وذكروا أنه ظهر ليعقوب عليه السلام في الرؤيا واقفا على السلم وأن يعقوب عليه السلام استيقظ من نومه :

١ - فقال : " حقا ان الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم ، وخاف وقال ما هذا الا بيت الله ، وهذا باب السماء " (١) ومع أن هذا الظهور كان في الرؤيا كما تقول الرواية ، فان ما جاء بعد ذلك من أن يعقوب قال : حقا ان الرب في هذا المكان ، يدل على اعتقادهم الوجود المادى للرب في ذلك الموضع . وقد أشار الى هذا الظهور في نص آخر بقوله : " ثم قال الله ليعقوب قم اصعد الى بيت ايل وأقم هناك مذبحا لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك" (٢) .

٢ - وزعموا أنه ظهر له مرة ثانية في صورة انسان ذات ليلة فصارعه حتى الفجر ولم يستطع ان يغلب يعقوب طوال الليل فكسر فخذه ولم يطلقه يعقوب الا بعد ما ناشده ليطلقه وأخذ منه البركة مكرها فتم له ذلك فأطلقه . وبعد هذه المصارعة زعموا ان يعقوب دعا اسم ذلك المكان " فنيئيل " أى وجه الله كما يتضح من تعليله التسمية بقوله : " لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى " (٣) .

٣ - وذكروا أيضا أنه ظهر ليعقوب مرة ثالثة في الطريق وهو عائد من فدان أرام فقالوا : " وظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان أرام وباركه" (٤) .

---

(١) تكوين ٢٨ : ١٦-١٧ (٢) تكوين ٣٥ : ١

(٣) تكوين ٣٢ : ٣٠ فنيئيل " اى وجه الله وسمى فنوئيل في تكوين ٣٢ : ٣١ انظر السنن القويم جـ١ ص ٢١٠ .

(٤) تكوين ٣٥ : ٩

ومع هذه النصوص السابقة التي دلت على الظهور المزعوم لكل من ابراهيم واسحاق ويعقوب ، فان هناك نصا اكد ظهور الاله هذا لهولاء الأنبياء الثلاثة . وذلك حيث قال سفر الخروج : "

" ثم كلم الله موسى وقال له : أنا الرب وأنا ظهرت لابراهيم واسحاق ويعقوب بأني الاله القادر على كل شيء "(١) .

ظهوره لموسى عليه السلام :

وزعموا أن الرب ظهر لموسى أول ما خاطبه بالوحي في جبل حوريب . فقالوا انه حينما رأى النار من بعيد فمال اليها لينظر ، شاهد العليقة تشتعل نارا وهي لا تحترق . فهناك خاطبه الله بوحيه ،

١ - : " فغطى موسى وجهه لأنه خاف ان ينظر الى الله "(٢) ثم أكد هذا الظهور حينما أمر موسى أن يخبر بني اسرائيل بأنه مرسل من ربه " اذهب واجمع شيوخ اسرائيل وقل لهم : الرب اله ابائكم اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ظهر لي قائلا : اني افتقدتكم وما صنع بكم في مصر "(٣) .

٢ - وذكروا أنه ظهر لموسى عليه السلام حينما طلب موسى منه أن يريه ذاته المقدسة . ولكنه أخبره أنه لا يتمكن من روئية وجهه لأن ذلك يوءدى الى الموت . لذلك أمره أن ينظر وراءه وهو يجتاز في موضع معين من الجبل . قال سفر الخروج :

" فقال موسى أرني مجدك . . . فقال لا تقدر أن ترى وجهي . لان الانسان لا يراني ويعيش . وقال الرب : هوذا عندي مكان ، فتقف على الصخرة . ويكون متى اجتاز مجدي أني اضعك في نقرة من الصخرة ، وأسترك بيدي حتى أجتاز ، ثم ارفع يدي ، فتنظر ورائي . وأما وجهي فلا يرى "(٤) .

---

(١) خروج ٦ : ٢-٣ (٢) خروج ٣ : ٦ (٣) خروج ٣ : ١٦ (٤) خروج ٣٣ : ١٨-٢٣

وجاء في القرآن الكريم طلب موسى عليه السلام من ربه أن يمن عليه برؤية ذاته المقدسة وذلك بعد أن اصطفاه الله برسالته وكلامه . قال تعالى :" ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ، ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين" (١) .

فالآيات القرآنية تدلنا على أن موسى عليه السلام لم ير ربه بل انه شاهد أثر التجلي الالهي للجبل فصعق ، وقد أخبره الله ان ما طلبه من الرؤية أمر فوق طاقته البشرية المحدودة ، فأراه ما حدث من أثر التجلي ، فعلق على تحمل الجبل امكان الرؤية ، ولكن الجبل تصدع واندك ، فخر موسى صعقا من هول ما رأى ، فلما أفاق من صعقته أدرك بعد ما طلب ، فبادر بتنزيه ربه عما لا يليق به من رؤيته في هذه الدار ، وتاب اليه مما طلب .

وأما النص اليهودي ففيه اعتداء على الذات الالهية المقدسة ، وبعد عن التنزيه ، حيث زعموا أنه وضع موسى في نقرة من الصخرة فستره بيده حتى يمر من ذلك الموضع ، ثم رفع يده لينظر موسى اليه من ورائه لعدم تحمله رؤية الوجه ، لأنّ ذلك يسبب الموت . فانظر الى هذا التنقيص والتجسيم !.

٣ - وزعموا أيضا أنه ظهر لموسى وهارون عليهما السلام ، وناداب وأبيهو ، وسبعين من شيوخ بني اسرائيل ظهورا جليا ، ولكنه لم يكرم أولئك الأشراف من قوم موسى بالمصافحة . جاء ذلك في سفر الخروج حيث قال :

" ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة . ولكنه لم يمد يده الى أشراف بني اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا " (٢) .

---

(١) سورة الاعراف ١٤٣ (٢) خروج ٢٤ : ٩-١١

وفي هذا النص أثبتوا الرؤية الالهية لأربعة وسبعين منهم وهي رؤية جلية في زعمهم ، كما دل على ذلك تكرار الرؤية ، ووصف ما تحت رجليه وصفا جليا . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . ويبدو أن هؤلاء اليهود لم يكونوا راضين عن رؤية لم تقترن بالمصافحة ، لذلك قالوا -والله اعلم - انه لم يمد يده الى اشراف اسرائيل . وهي قصة نسجوها من خيالهم الأحمق .

والقرآن الكريم أخبرنا أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلا حيث قال الله تعالى " واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا . فلما أخذتهم الرجفة قال رب لوشئت اهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين"(١) والعدد السبعون الذى ذكرته الآية القرآنية هو المعتبر . وكذلك ما جاء فيها من أن أولئك السبعين أخذتهم الرجفة ، ينافى ما ذكروه من أنهم رأوا الله تعالى وأكلوا وشربوا أى أنهم لم يموتوا بسبب رؤية الله ! فقد سبق أن موسى عليه السلام صعق حينما شاهد أثر تجلى المولى للجبل الذى اندك . فكيف بمن دون موسى من البشر ؟ .وذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أرسل الصاعقة على قوم موسى حينما طلبوا رؤية الله تعالى ، لأن ذلك اعتداء على الذات الالهية المقدسة حيث أنهم طلبوا ما ليس في مقدور الانسان تحمله . قال تعالى : " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون"(٢) كيف يفترى هؤلاء القوم على ربهم هذه الفرية العظيمة ، وهم انما أخذتهم الصاعقة بسبب طلبهم الرؤية ؟ وكذلك الرجفة المذكورة في الآية السابقة من سورة الأعراف انما أخذتهم بسبب جرأتهم على ربهم وطلبهم ما لا يليق وسوء أدبهم مع الله تعالى .

---

(١) سورة الاعراف ١٥٥ (٢) سورة البقرة ٥٥

٤ - وزعموا كذلك أنه ظهر لموسى عليه السلام وخادمه يشوع، وأخبره بدنو أجله، ووصى يشوع بتحمل مسؤولية قيادة قوم موسى بعد وفاته. جاء ذلك في سفر التثنية حيث قال: " وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكي تموت، ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه. فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع. فتراءى مجد الرب في الخيمة في عمود سحاب، ووقف عمود السحاب على باب الخيمة. وقال الرب لموسى: ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل اليها فيما بينهم، ويتركني وينكث عهدى الذى قطعته معه "(١).

ظهوره لعامة بنى اسرائيل وبعض أفرادهم:

وبالاضافة الى ما سبق بيانه من النصوص التى ذكروا فيها ظهور الرب المزعوم لأولئك القوم السابقين من الأنبياء وأتباعهم، فانهم ذكروا في أسفارهم أن الههم ظهر لعامتهم في مناسبات متعددة. من ذلك ما جاء في سفر اللاويين من أن الرب أمر موسى قائلا:

١ - " وكلم بنى اسرائيل قائلا: خذوا تيسا من المعز لذبيحة خطية وعجلا وخروفا حوليين صحيحين لمحرقة وثورا وكبشا لذبيحة سلامة للذبح أمام الرب، وتقدمة ملتوتة بزيت. لأنّ الرب اليوم يتراءى لكم. فأخذوا ما أمر به موسى الى قدام خيمة الاجتماع، وتقدم كل الجماعة ووقفوا أمام الرب فقال موسى: هذا ما أمر به الرب تعملونه، فيتراءى لكم مجد الرب ... فتراءى مجد الرب لكل الشعب "(٢).

٢ - وزعموا أيضا أنه ظهر لبنى اسرائيل في خيمة الاجتماع، جاء ذلك في سفر العدد حيث قال: " ثم ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بنى اسرائيل. وقال الرب لموسى: الى متى يهيننى هذا الشعب؟ "(٣)

---

(١) تثنية ٣١ : ١٤-١٦ (٢) لاويين ٩ : ٣-٦و٢٣ (٣) عدد ١٤ : ١٠-١١

٣ - وقالوا أيضا انه ظهر لبنى اسرائيل بعد ان جعل لهم موعدا سابقا ، واخبرهم بذلك موسى وهارون ليستعدوا لذلك الموعد جاء ذلك في سفر الخروج حيث قال :

" فقال موسى وهارون لجميع بنى اسرائيل : في المساء تعلمون ان الرب اخرجكم من أرض مصر . وفي الصباح ترون مجد الرب لاستماعه تذمركم على الرب . . . . وقال موسى لهارون قل لكل جماعة بنى اسرائيل :اقتربوا الى أمام الرب لأنه قد سمع تذمركم فحدث اذ كان هارون يكلم كل جماعة بنى اسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية ، واذا مجد الرب قد ظهر في السحاب "(١) .

٤ - وكذلك نسبوا الى موسى عليه السلام انه خاطب ربه بخطاب جاء فيه قوله : " فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم ،ويقولون لسكان هذه الأرض قد سمعوا أنك يا رب في وسط هذا الشعب الذين أنت يا رب قد ظهرت لهم عينا لعين ، وسحابتك واقفة عليهم ، وانت سائر امامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلا "(٢) .

ولعل عمود السحاب هذا هو الغمام الذى ورد ذكره في القرآن الكريم على أن الله تعالى ظلل عليهم الغمام رحمة بهم وانعاما عليهم . وذلك في قوله تعالى : " وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "(٣) ولكن تصور بنى اسرائيل المضطرب لالههم ،وايمانهم باله يرى ويجس ، ويحمل ، ويقبل ، جعلا هؤلاء القوم ينظرون الى الغمام هذه النظرة المنحرفة ، فحولوا بذلك نعمة الله كفرا واثما مبينا .

ويكثر في اسفارهم التعبير عن الله باسم " ملاك الرب " كما سبق في قصة ظهوره لهاجر.

---

(١) خروج ١٦ : ٦-١٠ (٤) عدد ١٤ : ١٣-١٤ (٣) سورة البقرة ٥٧

٥ - وقد جاء مثل ذلك في سفر القضاة حيث ذكران رجلا من بني اسرائيل اسمه منوح ، دعا ربه أن يرسل اليه ملاكه الذى ظهر قبل ذلك لامرأته وبشرها بابن ستلده . فأرسل الرب ذلك الملاك الذى خاطب منوح أيضا وبشره ،وتكرر الكلام بين منوح وذلك الملاك مرارا ، فخاف منوح أن تؤدى هذه الرؤية المتكررة الى الموت . لأنه لا يرى انسان ربه ويعيش كما سبق ذلك ، فقال وهو ممتلىء خوفا مخاطبا امرأته : " نموت موتا لأننا قد رأينا الله "(١) .

٦ - وذكر في سفر صموئيل الأول أن الرب جاء الى صموئيل عدة مرات وناداه نداء متكررا ، ثم ظهر له كما قال : " وعاد الرب يتراءى فى شيلوه ، لأن الرب استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب "(٢) .

ظهوره لسليمان عليه السلام:

جاء الحديث عن الظهور الالهي المزعوم لسليمان عليه السلام مرتين x المرة الاولى في قول سفر الملوك الأول :

١ - : " وفي جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلا وقال الله : اسأل ماذا أعطيك " (٣) .

٢ - والمرة الثانية جاء ذكرها في قول سفر الملوك الأول : " وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب وبيت الملك وكل مرغوب سليمان الذى سر أن يعمل ، أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون "(٤)

---

(١) قضاة ١٣ : ٢٢

(٢) صموئيل الأول : ٣ : ٢١

(٣) الملوك الأول ٣ : ٥ وانظر الايام الاول ١ : ٧

(٤) الملوك الأول ٩ : ١-٢ وانظر اخبار الايام الثاني ٧ : ١٢

ظهوره لأشعياء :

قال في سفر أشعياء : " في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع ، وأذياله تملأ الهيكل . السرافيم (١) واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطي وجهه ، وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير . وهذا نادى ذلك وقال : قدوس قدوس قدوس ، رب الجنود مجده ملء كل الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا . فقلت : ويل لي اني هلكت لأني انسان نجس الشفتين أسكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود " (٢) .

ظهوره لأرميا :

قال أرميا في السفر المنسوب اليه : " تراءى لي الرب من بعيد " (٣)

ظهوره لحزقيال :

جاء في سفر حزقيال على لسانه أنه رأى من جملة ما رأى : " شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبه كمنظر انسان عليه من فوق . ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخله من حوله من منظر حقويه الى فوق . ومن منظر حقويه الى تحت رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر . هكذا منظر اللمعان من حوله . هذا منظر شبه مجد الرب . ولما رأيته خررت على وجهي وسمعت صوت متكلم " (٤)

---

(١) قال في السنن القويم : " السرافيم : معنى هذه اللفظة الاصلية المتوهجون او الذين منظرهم ساطع كلهيب نار متقدة . والراجح أنهم خلائق عاقلة في أعلى رتب خدمة الله ومن جنس الكروبيم " ج ٨ ص ٩٧-٩٨

(٢) اشعياء ٧ : ١-٥

(٣) ارميا ٣١ : ٣

(٤) حزقيال ١ : ٢٦-٢٨

وجاء أيضا قول حزقيال : " فقمت وخرجت الى البقعة ، واذا بمجد الرب واقف هناك كالمجد الذى رأيته عند نهر خابور فخررت على وجهى "(١)

وقال حزقيال مرة ثالثة : " وكان في السنة السادسة في الشهر السادس في الخامس من الشهر وأنا جالس في بيتى ومشايخ يهوذا جالسون أمامى أن يد السيد الرب وقعت على هناك . فنظرت واذا شبه كمنظر نار ، من منظر حقويه الى تحت نار ، ومن حقويه الى فوق كمنظر لمعان كشبه النحاس اللامع ، ومد شبه يد وأخذنى بناصية رأسى ، ورفعنى روح بين الأرض والسماء ، وأتى بى فى رؤى الله الى أورشليم الى مدخل الباب الداخلى ... واذا مجد الرب اله اسرائيل هنالك مثل الرؤيا التى رأيتها في البقعة "(٢) .

ومع أن هذه النصوص أظهرت لنا أن ما وقع لحزقيال كان رؤيا ، فان نسبتها الى رجل يذكرونه من جملة أنبيائهم ، يدعو الى القول : انه لا فرق بين ان يكون ذلك فى رؤيا أو في حالة يقظة ، لأن رؤيا الأنبياء حق . وفي هذه النصوص من التجسيم والتنقيص ما لا يخفى .

نفى الرؤيـــــة :

جاء في سفر التثنية على لسان موسى عليه السلام وهو يخاطب قومه ويذكرهم بموقفهم أسفل الجبل الذى كلمه الله عليه قائلا لهم : " فتقدمتم ووقفتم في أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار الى كبد السماء ، بظلام وسحاب وضباب . فكلمكم الرب من وسط النار ، وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا ... فاحتفظوا جدا لانفسكم ، فانكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار "(٣) .

---

(١) حزقيال ٣ : ٢٣ (٢) حزقيال ٨ : ١-٤

(٣) تثنية ٤ : ١١-١٥

وفي هذا النص نفي صريح للرؤية ، بل فيه تحذير من موسى لبني اسرائيل ان يدعوا أنهم رأوا صورة ما ، فينحرفوا بسبب ذلك عن الجادة وما ذلك الا لعلمه عليه السلام بطبيعة قومه الفاسدة ، وميولهم الوثنية . فقد وقع ما حذرهم عنه صلوات الله وسلامه عليه .

وفي طلب موسى من ربه ان يريه ذاته المقدسة وما ترتب على ذلك دليل على انه تعالى لا يرى في هذه الدنيا ، وقد سبق ذلك قريبا مع النص القرآني الذي يؤكد أن موسى عليه السلام لم ير ربه تعالى .

وجاء في صحيح الامام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر الدجال قوله : " تعلموا انه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت " (١) .

وفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج خلاف : فذهب ابن عباس رضي الله عنهما الى أنه رآه عز وجل ذهابا منه الى تفسير قوله تعالى : " ما كذب الفؤاد ما رأى " (٢) وقوله " ولقد رآه نزلة أخرى " (٣) برؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه فقال : " رآه بفؤاده مرتين " (٤) وذهب عبدالله بن مسعود وابو هريرة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته (٥) .

وذهبت عائشة رضي الله عنها الى انه لم ير ربه عز وجل ، وفندت قول من ذهب الى أنه رآه بقولها : " من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية " (٦) .

وجاء في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنى أراه " (٧) .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٧٩ حديث ١٧٩

(٢) سورة النجم ١١ (٣) سورة النجم ١٣

(٤)

(٥) انظر صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٧٦ و ٧٧ حديث ١٧٤ و ١٧٥

(٦) صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٧٧ حديث ١٧٧

(٧) صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٧٧ حديث ١٧٨ .

وروى مسلم ايضا عن عبدالله بن شقيق انه قال لأبي ذر : لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم/ لسألته. فقال عن أى شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت فقال : " رأيت نورا " (١).

وبهذا يعلم أن رؤية الله عز وجل في الدنيا غير ممكنة لأحد من الناس ، وحديث أبي ذر رضى الله عنه دل على ان النبي صلى الله عليه وسلم ما رآه تبارك وتعالى . وانما رأى النور . وهو حكم في النزاع لعدم وجود نص صريح في اثبات الرؤية . والايات التي استدل بها من اثبت الرؤية ، فسرها أبو هريرة وعبدالله بن مسعود برؤية جبريل في صورته . ولما سئلت عائشة رضى الله عنها عن قوله تعالى : " ولقد رآه بالأفق المبين " وقوله " ولقد رآه نزلة أخرى " قالت : " انا اول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " انما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين . رأيته منهبطا من السماء ، سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الأرض" (٢) . ويعلم بهذا أن ما ذهب اليه من رأى اثبات الرؤية ، اجتهاد منه ، وليس بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما عائشة وأبو ذر فقد سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغا الى الأمة ما سمعاه عنه صلى الله عليه وسلم .

وعلى فرض صحة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ، فان الرؤية المذكورة لم تقترن بتشبيه او تكييف أو تجسيم ، فشتان ما بين الرؤية المنسوبة اليه ، والرؤية المنسوبة المذكورة في أسفار اليهود ، فانها رؤية اله مجسم شبيه بالمخلوق ، تسعه خيمة من خيامهم ، او مسكن من مساكنهم. فاله هذه صفاته ، وتلك أفعاله ، وأحواله ، ليس اله العالمين ، وانما هو شيطان من شياطين اليهود . وأما الله تعالى فهو القدوس المتعالى العزيز الجبار المتكبر . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٧٧ حديث ١٧٧

(٢) نفس الموضع من نفس المصدر .

ادعاؤهم سماع كلام الله تعالى وهو يتكلم مع موسى :

المعلوم من تاريخ الرسل والأنبياء وسيرهم ،ان الله سبحانه وتعالى فضل بعضهم على بعض بفضائل ، واصطفى بعضهم بأمور ليست لبعضهم ، من ذلك انه تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة عامة ، هي خاتمة الرسالات الالهية كما خصه بالاسراء والمعراج وغير ذلك. وخص عيسى ابن مريم بميلاده من غير أب ، وخص موسى عليه السلام بأن كلمه وهو ما لم يكن لرسول قبله أو بعده الا ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حينما افترض عليه وعلى أمته خمس صلوات ، والى هذا الاصطفاء أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : " يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين "(١) وقوله : " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات "(٢) وقوله : " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما "(٣) .

وهكذا خص الله رسوله موسى عليه السلام بكلامه حتى عرف عند أهل الأديان الثلاثة ، أى الاسلام واليهودية والنصرانية بكليم الله ،أو موسى الكليم . ومع هذه الخصوصية التى نالها موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ، يزعم اليهود ان بنى اسرائيل الذين كانوا في عهد موسى بعد خروجهم من مصر ، شاركوه في سماع كلام الله ، وكانوا يستمعون الى كلام الله تعالى وهو يخاطب موسى ويسمعون صوته . واليك جملة من النصوص التي ورد فيها ذلك:

" فقال الرب لموسى ها أنا آت اليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك "(٤) .

---

(١) سورة الاعراف ١٤٤

(٢) سورة البقرة ٢٥٣

(٣) سورة النساء ١٦٤

(٤) خروج ١٩:٩

وقال لهم موسى : " فكلمكم الرب من وسط النار ، وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا "(١) .

وقال : " هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش "(٢) .

وقال أيضا : " من السماء أسمعك صوته لينذرك على الأرض أراك ناره العظيمة ، وسمعت كلامه من وسط النار "(٣) .

وقال : " فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار تقدمتم الى جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم وقلتم هوذا الرب الهنا أرانا مجده ، وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار . هذا اليوم قد رأينا أن الله يكلم الانسان ويحيا . وأما الان فلماذا نموت ؟ لأن هذه النار العظيمة تاكلنا ، ان عدنا نسمع صوت الرب الهنا ايضا نموت . لأنه من هو من جميع البشر الذى سمع صوت الله الحي يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش "(٤) .

وهكذا يدعي اليهود في أسفارهم أنهم سمعوا صوت الرب عز وجل وهو يخاطب موسى فأبطلوا بهذا اختصاص موسى عليه السلام بتكليم الله له من بين سائر الرسل . وهناك نصوص في أسفارهم تدل على أن الرب كلم آدم وحواء ، وكلم ابراهيم واسحاق ويعقوب وسليمان وغيرهم من الأنبياء عند ظهوره لهم كما زعموا . ولو كان ما ذكروه من تكليم الله لعدد كبير من الأنبياء وسماع جموع بني اسرائيل كلام الله وصوته صحيحا ، لما كانت لموسى عليه السلام ميزة واختصاص بكلام الله تعالى اياه .

---

(١) تثنية ٤ : ١٢ (٢) تثنية ٤ : ٣٣
(٣) تثنية ٤ : ٣٦ (٤) تثنية ٥ : ٢٣ - ٢٦

المبحث الثانــــي

بيان جملة من الحوادث التي نسبوها الى الله تعالى ما لا يليق به

الالتقاء والاجتياز والسير :

قالوا ان موسى عليه السلام لما توجه الى مصر مرسلا من ربه ، التقاه الرب في الطريق يريد قتله لأنّ موسى لم يختن ولده حسب الشريعة المتبعة منذ عهد ابراهيم عليه السلام . جاء ذلك في قول سفر الخروج : " وحدث في الطريق في المنزل ، أن الرب التقاه وطلب أن يقتله . فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه ، فقالت انك عريس دم لـــي . فانفك عنه "(١).

ويظهر من سياق هذا النص أن هذا الاله المادى الذى التقى موسى في الطريق وأراد قتله ، كان في صراع مع موسى ، وبينما هو كذلك أسرعت زوجته صفورة بختان ابنها بصوانة ، وألقت بالغرلة تحت قدمه ؟ مما جعل الاله يرضى وينفك عنه ! ونجا موسى من القتل بسبب ذكاء امرأته ، وسرعة قيامها بالواجب الذى قصر فى عمله موسى حسب زعمهم .

وأما الاجتياز ، فقد جاء الحديث عنه في قصة انتقام الرب من فرعون وقومه على رفضه المتكرر اطلاق بنى اسرائيل ليخرجوا مع موسى . وذلك عندما طلب الرب في زعمهم من موسى أن يأمر قومه بوضع علامة على أبواب منازلهم كي لا تتشابه على الرب مع بيوت المصريين عندما يجتاز في أرض مصر ويخرج ليضربهم ضربة هلاك . قال في ذلك سفر الخروج : "... فانى نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الجارية التي خلف الرحى وكل بكر بهيمة "(٢).

---

(١) خروج ٤ : ٢٤-٢٦ (٢) خروج : ١١ : ٤-٥

وقال : " فانى اجتاز في أرض مصر هذه الليلة واضرب كل بكر في ارض مصر من الناس والبهائم . وأصنع احكاما بكل آلهة المصريين انا الرب ، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى انتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر" (١) .

وقال : " فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ، ونادى باسم الرب . فاجتاز الرب قدامه ، ونادى الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء " (٢) .

وهذا الاجتياز الوارد في هذه النصوص اجتياز مادى مجسم يتنزه الله تعالى عنه ويتعالى علوا كبيرا .

وأما السير فقد جاء في قوله في سفر الخروج " وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلا في عمود نار ليضيء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا " (٣) .

الخروج ، والصعود ، والمجيء ، والاتيان ، والوقوف :

ومن جملة ما نسبوا الى خالقهم الخروج ، والصعود ، والمجيء ، والوقوف ، والاتيان ، وهذه أفعال تجعل معبودهم كأنه احد قضاتهم الذين رعوا شؤونهم قبل عصر الملوك ، بعد وفاة موسى عليه السلام ، وخليفته يشوع .

أما الخروج والصعود ، فقد ذكرا في سفر المزامير في قوله :
" اللهم عند خروجك امام شعبك ، عند صعودك في القفر . . . الارض ارتعدت ، السماوات ايضا قطرت أمام وجه الله سينا نفسه من وجه الله اله اسرائيل " (٤)

---

(١) خروج ١٢ : ١٢-١٣

(٢) خروج ٣٤ : ٥-٦

(٣) خروج ١٢ : ١٢-١٣

(٤) مزامير ٦٨ : ٧-٨

وقوله في سفر حزقيال " ومجد اله اسرائيل صعد عن الكروب الذى كان عليه الى عتبة الرب "(١) .

وأما الخروج والوقوف فقد جاءا في قوله في سفر حزقيال ايضا : " وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكروبيم ... ووقفت عند مدخل باب بيت الرب الشرقي و مجد اله اسرائيل عليها من فوق . هذا هو الحيوان الذى رأيته تحت اله اسرائيل عند نهر خابور "(٢) .

وذكر الصعود والوقوف معا في قوله أيضا : " ثم رفعت الكروبيم أجنحتها والبكرات معها و مجد اله اسرائيل عليها من فوق ، وصعد مجد الرب من على وسط المدينة ووقف على الجبل الذى على شرقي المدينة "(٣) .

وذكر الوقوف والخروج أيضا في قوله في سفر زكريا : " فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم كما في يوم حربه يوم القتال ، و تقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذى قدام أورشليم من الشرق "(٤) .

وذكر كذلك الخروج والصعود في قوله في سفر القضاة : " يا رب بخروجك من سعير ، بصعودك من صحراء أدوم ، الارض ارتعدت ، السماوات ايضا قطرت ماء "(٥) .

وذكر المجيء والوقوف في قوله في سفر صموئيل الأول : " فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الاول فقال صموئيل صموئيل فقال صموئيل تكلم لأن عبدك سامع (٦)

وأما الاتيان فقد جاء في النصوص الآتية :

" فأتى الله الى بلعام وقال : من هم هؤلاء الرجال الذين عندك ؟ فقال بلعام لله : بالاق بن صفور ملك موآب "(٧) .

---

(١) حزقيال ٩ : ٣ (٢) حزقيال ١٠ : ١٨-٢٠ (٣) حزقيال ١١ : ٢٢-٢٣
(٤) زكريا ١٤ : ٣-٤ (٥) قضاة ٥ : ٤ (٦) صموئيل الاول ٣ : ١٠
(٧) عدد ٢٢ : ٩-١٠

" وأتى الله الى بلعام ليلا وقال له : ان أتى الرجال ليدعوك ، فقم اذهب معهم "(١) .

" فوافى الله بلعام فقال له : قد رتبت سبعة مذابح ، وأصعدت ثورا وكبشا على كل مذبح "(٢) .

" فوافى الرب بلعام ، ووضع كلاما في فمه ، وقال ارجع الى بالاق وتكلم هكذا . "(٣) .

النوم والاستيقاظ :

" هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل : سيقولون بعد هذه الكلمة في أرض يهوذا وفي مدنها عندما أرد سبيهم يباركك الرب يا مسكن البر يا أيها الجبل المقدس . فيسكن فيه يهوذا وكل مدنه معا ، الفلاحون والذين يسرحون القطعان . لأني أرويت النفس المعيية ، وملأت كل نفس ذائبة ، على ذلك استيقظت ونظرت ، ولذ لي نومي (٤) " فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر . فضرب أعداءه الى الوراء جعلهم عارا أبديا "(٥) .

" اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه "(٦)

" استيقظ لماذا تتغافى يا رب ؟ انتبه لا ترفض الى الأبد "(٧) .

قال ابن القيم رحمه الله : " ومن تلاعب الشيطان بهذه الأمة الغضيبة انهم في العشر الاول من الشهر الاول من كل سنة يقولون في صلاتهم : " لم تقول الأمم : أين الههم ؟ انتبه كم تنام يا رب ؟ استيقظ

---

(١) عدد ٢٢ : ٢٠
(٢) عدد ٢٣ : ٤
(٣) عدد ٢٣ : ١٦
(٤) ارميا ٣١ / ٢٣-٢٦
(٥) مزامير ٧٨ : ٦٥-٦٦
(٦) زكريا ٢ : ١٣
(٧) مزامير ٤٤ : ٢٣

من رقدتك "(١) . وهؤلاء انما اقدموا على هذه الكفريات من شدة ضجرهم من الذل والعبودية ، وانتظار فرج لا يزداد منهم الا بعدا ، فأوقعهم ذلك في الكفر والتزندق الذى لا يستحسنه الا امثالهم . وتجرأوا على الله سبحانه بهذه المناجاة القبيحة . كأنهم يتخوفون بذلك لينتخى لهم ويحمى لنفسه ، فكأنهم يخبرونه سبحانه وتعالى بأنه قد اختار الخمول لنفسه ولأحبابه ولأبناء أنبيائه فينخونه للنباهة واشتهار الصيت"(٢) .

ونسبة النوم اليه تعالى تنقيص لذاته المقدسة ، وسفه من سفاهات اليهود المتعددة ، فقد نفى الله تعالى ذلك عن ذاته العلية بقوله : "الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ..." فوصف نفسه انه الحى الذى لا بداية لحياته ولا نهاية ، القيوم الذى به قيام كل شئ في الوجود وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم !

وجاء في صحيح مسلم عن أبي موسى رضى الله عنه قال : " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : "ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى له ان ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النور (أو النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه "(٣)

وفي هذا نفى صريح للنوم عن الرب تبارك وتعالى بأبلغ العبارات.

<u>التعب والاستراحة والتنفس :</u>

" لقد اتعبتم الرب بكلامكم وقلتم : بم أتعبناه ؟ بقولكم : كل من يفعل الشر فهو صالح في عينى الرب ، وهو يسر بهم ، أو اين اله العدل"(٤)

---

(١) في المزامير : "استيقظ لماذا تتغافى يا رب انتبه لا ترفض الى الأبد" ٤٤ : ٢٣ .

(٢) اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٣٢٨

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٧٩ حديث ١٧٩

(٤) ملاخي ٢ : ١٧

" فيحفظ بنو اسرائيل السبت ، ليصنعوا السبت في اجيالهم عهدا أبديا . هو بيني وبين بني اسرائيل علامة الى الأبد لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس "(١) .

الخنق :

" وتعرف يد الرب عند عبيده ، ويحنق على أعدائه "(٢) .

الحزن ، والسقم ، والدهشة ، والانسحاق

" ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه ، فتحول لهم عدوا وهو حاربهم "(٣)

" من مفرج عني الحزن ، قلبي فيّ سقيم "(٤) .

" من أجل سحق بنت شعبي انسحقت ، حزنت ، أخذتني دهشة "(٥)

" فقال الرب : " أمحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقته ، الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأني حزنت أني عملتهم "(٦)

الطول والعرض والعمق والمساحة :

" الى عمق الله تتصل ؟ أم الى نهاية القدير تنتهي ؟ هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل ؟ اعمق من الهاوية ، فماذا تدري ؟ أطول من الأرض طوله ، وأعرض من البحر "(٧) .

ونقل صاحب الكنز المرصود عن التلمود قوله : " وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد ان كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان "(٨) .

---

(١) خروج ٣١ : ١٦-١٧
(٢) اشعياء ٦٦ : ١٤
(٣) اشعياء ٦٣ : ١٠
(٤) ارمياء ٨ : ١٨
(٥) ارميا ٨ : ٢١
(٦) تكوين ٦ : ٧
(٧) أيوب ١١ : ٧-٩
(٨) الكنز المرصود ص ٥٠

النـــــدم :

" ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم اكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها الى الأبد . فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه" (١) .

" وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكهم فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى الان رد يدك " (٢) .

" وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : ندمت على انى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامي" (٣) .

" ولم يعد صموئيل لرؤية شاول الى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاول والرب ندم لأنه ملك شاول على اسرائيل" (٤) .

" فجعل الرب وباء في اسرائيل فسقط من اسرائيل سبعون الف رجل . وأرسل الله ملاكا على أورشليم لاهلاكها وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى الآن رد يدك " (٥) .

" فنظر الى ضيقهم اذ سمع صراخهم وذكر لهم عهده وندم حسب كثرة رحمته " (٦) .

" تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك . فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها . وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عينى فلا تسمع لصوتى فأندم عن الخير الذى قلت انى أحسن اليها به" (٧)

---

(١) خروج ٣٢ : ١٢-١٤ (٢) صموئيل الثاني ٢٤ : ١٦

(٣) صموئيل الاول ١٥ : ١٠-١١ (٤) صموئيل الاول ١٥ : ٣٥

(٥) أخبار الأيام الاول ٢١ : ١٤-١٥ (٦) مزامير ١٠٦ : ٤٤-٤٥

(٧) ارميا ١٨ : ٧-١٠

فالآن أصلحوا طرقكم وأعمالكم واسمعوا لصوت الرب الهكم فيندم الرب على الشر الذى تكلم به عليكم "(١) .

" هكذا قال رب الجنود ان صهيون تفلح كحقل وتصير أورشليم خرابا وجبل البيت شوامخ وعر هل قتلا قتله حزقيا ملك يهوذا وكل يهوذا ؟ ألم يخف الرب وطلب وجه الرب فندم الرب على الشر الذى تكلم به عليهم"(٢)

" ان كنتم تسكنون في هذه الأرض فانى أبنيكم ولا أنقضكم وأغرسكم ولا أقتلعكم . لأنى ندمت عن الشر الذى صنعته بكم "(٣) .

" هكذا أرانى السيد الرب واذا هو يصنع جرادا في أول طلوع خلف العشب . واذا خلف عشب بعد جزاز الملك . وحدث لما فرغ من أكل عشب الأرض أنى قلت أيها السيد الرب اصفح . كيف يقوم يعقوب فانه صغير ؟ فندم الرب على هذا . لا يكون قال الرب.

هكذا أرانى السيد الرب واذا السيد الرب قد دعا للمحاكمة بالنار . فأكلت الغمر العظيم وأكلت الحقل فقلت أيها السيد الرب كف . كيف يقوم يعقوب فانه صغير ؟ فندم الرب على هذا فهو أيضا لا يكون قال السيد الرب .

هكذا أرانى واذا الرب واقف على حائط قائم وفي يده زيج . فقال لى الرب : ما أنت راء يا عاموس ؟ فقلت زيجا . فقال السيد هاأنا ذا . واضع زيجا في وسط شعبي اسرائيل لا أعود أصفح عنه "(٤) .

" فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه "(٥) .

---

(١) ارميا ٢٦ : ١٣
(٢) ارميا ٢٦ : ١٨ - ١٩
(٣) ارميا ٤٢ : ١٠
(٤) عاموس ٧ : ١ - ٨
(٥) يونان ٣ : ١٠

" ففم ذلك يونان غما شديدا فاغتاظ . وصلى الى الرب وقال آه يا رب أليس هذا كلامي اذ كنت بعد في أرضي ؟ لذلك بادرت الى الهرب الى ترشيش لأني علمت أنك اله رؤوف و رحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة و نادم على الشر "(١) .

ووصفه تعالى بالندم ينافي علمه تعالى بالاشياء قبل وقوعها ، وعدم قدرته على تصريف الكون ، ووقوع ما لم يرد وقوعه في خلقه ،وهو ينافي أيضا ما جاء في سفر العدد من قوله : " ليس الله انسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم هل يقول ولا يفعل ؟ أو يتكلم ولا يفي "(٢)

وما جاء في سفر صموئيل الاول : " وأيضا نصيح اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس انسانا ليندم "(٣) .

الاله يرفع يده الى السماء :

" انى أرفع الى السماء يدى وأقول حى أنا الى الأبد "(٤)

الملل :

" فمن يشفق عليك يا أورشليم و من يعزيك و من يميل ليسأل عن سلامتك ؟؟؟ أنت تركتنى يقول الرب الى الوراء سرت . فأمد يدى عليك وأهلكك مللت من الندامة "(٥) .

الدعاء بالويل :

١ - " لأنه هكذا قال الرب ،ها أنا ذا رام من مقلاع سكان الأرض هذه المرة وأضيق عليهم لكى يشعروا ويل لي من أجل سحقى . ضربتى عديمة الشفاء . فقلت انما هذه مصيبة فاحتملها . خيمتى خربت وكل أطنابى قطعت . بنى خرجوا عنى و ليسوا . ليس من يبسط بعد خيمتى ويقيم شققى "(٦) .

٢ - " الويل لي لأنى تركت بيتى ينهب وهيكلى يحرق وأولادى يتشتتون "(٧)

---

(١) عدد ٢٣ : ١٩ (٢) صموئيل الاول ١٥ : ٢٩ (٣) تثنية ٣٢ : ٤٠

(٤) ارميا ١٥ : ٥-٦ (٥) ارميا ١٠ : ١٨ : ٢٠ (٦) ارمياء ١ : ١٨- ٢٠

(٧) من كتاب (همجية التعاليم الصهيونية) نقلا عن التلمود ص ١١١ .

الزمجرة والزئير والصراخ والهتاف :

١ - " الرب من العلاء يزمجر و من مسكن قدسه يطلق صوته يزأر بهتاف كالدائسين يصرخ ضد كل سكان الارض " (١) .

٢ - " والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطى صوته فترجف السماء والارض " (٢) .

قال في الكنز المرصود نقلا عن التلمود : " وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكي ويمضى ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالاسد قائلا تبا لي لاني صرخت بخراب بيتي واحراق الهيكل ونهب أولادي" (ص ٥) .

التخمة :

" لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات " (٤) .

الحيرة :

١ - فرأى الرب وساء في عينيه أنه ليس عدل . فرأى أنه ليس انسان وتحير من أنه ليس شفيع " (٥) .

٢ - " فنظرت ولم يكن معين . وتحيرت اذ لم يكن عاضد ، فخلصت لي ذراعي وغيظي عضدني " (٦) .

البكاء واللطم :

قال في الكنز المرصود نقلا عن التلمود : " يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى انه يلطم ويبكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم الى أقصاه ، وتضطرب المياه وترتجف الارض في أغلب الاحيان فتحصل الزلازل" (٧)

---

(١) ارميا ٢٥ : ٣٠ (٢) يوئيل ٣ : ١٦ (٣) الكنز المرصود ص ٥ (٤) أشعياء ١ : ١١

(٥) ارميا ٥٩ : ١٥-١٦ (٦) اشعياء ٦٣ : ٥ (٧) الكنز المرصود ص ٥٠

الخروج والمشي :

١ - " وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة" (١)

٢ - " فانه هوذا الرب يخرج من مكانه وينزل ويمشي على شوامخ الأرض فتذوب الجبال تحته وتنشق الوديان كالشمع قدام النار كالماء المنصب في منحدر" (٢) .

ركوب السحاب والسماء :

" ليس مثل الله يا يشورون يركب السماء في معونتك والغمام في عظمته " (٣) .

" هوذا الرب راكب على سحابة سريعة ، وقادم الى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ، ويذوب قلب مصر داخلها ." (٤) .

النزول الى الأرض :

١ - " وينزل ويمشي على شوامخ الأرض " (٥)

٢ - " ليتك تشق السماوات وتنزل من حضرتك تتزلزل الجبال" (٦)

٣ - " فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما" (٧)

٤ - " فقال الرب لموسى اذهب الى الشعب وقدسهم اليوم وغدا وليغسلوا ثيابكم . ويكونو مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء " (٨) .

---

(١) تكوين ٣ : ٨
(٢) ميخا ١ : ٣-٤
(٣) تثنية ٣٣ : ٢٦
(٤) اشعياء ١٩ : ١
(٥) ميخا ١ : ٣
(٦) اشعياء ٦٤ : ١
(٧) تكوين ١١ : ٥
(٨) خروج ١٩ : ١٠-١١

٥ - " ونزل الرب على جبل سيناء الى رأس الجبل ودعا الله موسى الى رأس الجبل فصعد موسى "(١) .

٦ - " فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب فاجتاز الرب قدامه "(٢) .

٧ - " ونزلت على جبل سيناء وكلمتهم من السماء وأعطيتهم أحكاما مستقيمة وشرائع صادقة فرائض ووصايا صالحة "(٣) .

٨ - "طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه "(٤) .

الالتحاف بالسحاب والوجود في الزوبعة :

١ - " الرب في الزوبعة وفي العاصفة طريقه والسحاب غبار رجليه "(٥)

٢ - " نحن أذنبنا وعصينا ، أنت لم تغفر ، التحفت بالغضب وطردتنا قتلت ولم تشفق . التحفت بالسحاب حتى لا تنفذ الصلاة "(٦) .

٣ - " هو ذا الله في علو السماوات وانظر رأس الكواكب ما أعلاه فقلت كيف يعلم الله ؟ هل من وراء الضباب يقضي ؟ السحاب ستر له فلا يرى . وعلى دائرة السماوات يتمشى "(٧) .

التشبيه بالمخلوقات :

١ - " الرب كالجبار يخرج كرجل حرب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه "(٨) .

٢ - " الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذي ينشر السماوات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن "(٩)

---

(١) خروج ١٩ : ٢٠ (٢) خروج ٣٤ : ٥-٦ (٣) نحميا ٩ : ١٣
(٤) مزامير ١٨ : ٩ (٥) ناحوم ١ : ٣
(٦) مراثي ارميا ٣ : ٤٢ - ٤٤ (٧) أيوب ٢٢ : ١٢ - ١٤
(٨) اشعياء ٤٢ : ١٣ (٩) اشعياء ٤٠ : ٢٢

٣ - " قد صمت منذ الدهر سكت وتجلدت أصيح كالوالدة أنسفخ وأنخر معا" (١) .

٤ - " فأكون لهم كأسد أرصد على الطريق كنمر ، أصدمهم كدبة مشكل وأشق شفاف قلبهم وآكلهم هناك كلبوة يمزقهم وحش البرية" (٢)

٥ - " وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني اسرائيل" (٣) .

" لأنه هكذا قال لي الرب كما يهر فوق فريسته الأسد والشبل الذي يدعى عليه جماعة من الرعاة وهو لا يرتاع من صوتهم ولا يتذلل لجمهورهم هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعند أكمتها الطيور مرفة هكذا يحامي رب الجنود عن أورشليم يحامي فينقذ ، يعفو فينجي" (٤) .

شم رائحة الشواء والسرور بها :

١ - " وبنى نوح مذبحا للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة . وأصعد محرقات على المذبح وتنسم الرب رائحة الرضا " (٥) .

٢ - " ... وأخرب مرتفعاتكم وأقطع شمساتكم وألقي جثثكم على جثث اصنامكم وترذلكم نفسي وأصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة . ولا أشتم رائحة سروركم " (٦) .

٣ - " وكلم الرب موسى قائلا : أوص بني اسرائيل وقل لهم قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لي في وقته" (٧)

---

(١) اشعياء ٤٢ : ١٤

(٢) هوشع ١٣ : ٧-٨

(٣) خروج ٢٤ : ١٧

(٤) اشعياء ٣١ : ٤-٦

(٥) تكوين ٧ : ٢٠-٢١

(٦) لاويين ٢٦ : ٣٠-٣١

(٧) عدد ٢٨ : ١

٤ - " خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة الخروف الواحد تعمله صباحا والخروف الثاني تعمله بين العشاءين . وعشر الايفة من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض(١) تقدمه محرقة دائمة هي المعمولة في جبل سيناء لرائحة سرور وقودا للرب "(٢) .

٥ - " والخروف الثاني تعمله بين العشائين كتقدمة الصباح وكسكيبه تعمله وقود رائحة سرور للرب "(٣) .

٦ - " وفى رؤوس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل ثور وعشرين من دقيق ملتوت بزيت تقدمة للكبش الواحد وعشرا واحدا من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل خروف . محرقة رائحة سرور وقودا للرب "(٤) .

٧ - " هكذا تعملون كل يوم سبعة أيام طعام وقود رائحة سرور للرب "(٥) .

٨ - " وفي يوم الباكورة حين تقربون تقدمة جديدة للرب في أسابيعكم يكون لكم محفل مقدس عملا ما من الشغل لا تعملوا . وتقربون محرقة لرائحة سرور للرب "(٦) .

٩ - " وفي الشهر السابع في الأول من الشهر يكون لكم محفل مقدس عملا ما من الشغل لا تعملوا يوم هتاف بوق يكون لكم وتعملون محرقة لرائحة سرور للرب "(٧) .

١٠ - " ... وتيسا واحدا من المعز ذبيحة خطية للتكفير عنكم . فضلا عن محرقة الشهر وتقدمتها مع سكائبهن كعادتهن . رائحة سرور وقواد للرب "(٨)

---

(١) قال في السنن القويم : الايفة هي كيل يعدل عشرة أعمار وهى للجوامد .. والهين : كيل للسوائل يسع ما ثقله ٧٢ بيضة منها : جـ٢ ص١٤٣
زيت الرض : زيت الزيتون النقى المستخرج عن طريق الرض لا الطحن
انظر السنن القويم جـ١ ص٤٥٦

(٢) عدد ٢٨ : ٣-٦ (٣) عدد ٢٨ : ٨ (٤) عدد ٢٨ : ١١-١٣

(٥) عدد ٢٨ : ٢٤ (٦) عدد ٢٨ : ٢٦-٢٧ (٧) عدد ٢٩ : ١-٢

(٨) عدد ٢٩ : ٥-٦

١١ - " وفى عاشر هذا الشهر السابع يكون لكم محفل مقدس وتذللون أنفسكم عملا ما لا تعملوا وتقربون محرقة للرب رائحة سرور ثورا واحدا ابن بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة تكون لكم"(١) .

١٢ - " وتقربون محرقة وقود رائحة سرور للرب ثلاثة عشر ثورا أبناء بقر وكبشين وأربعة عشر خروفا حوليا صحيحة تكون لكم"(٢) .

١٣ - " وتقربون محرقة وقودا رائحة سرور للرب ثورا واحدا وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة"(٣) .

نسبة اللهو واللعب الى الرب !

قال في الكنز المرصود نقلا عن التلمود : " أن النهار اثنتا عشرة ساعة : في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة . وفي الثلاث الثانية يحكم . وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم . وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك "(٤) !

وقال أيضا : " ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل . كما أنه من ذلك الوقت لم يمل الى الرقص مع حواء بعد ما زينها بملابسها وعقص لها شعرها"(٥) .

أنظر الى هذا الهذيان والضلال المبين حيث وصفوا الرب باللعب وهو القائل جل وعلا : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾(٦) ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ﴾(٧) .

---

(١) عدد ٢٩ : ٧ - ٨
(٢) عدد ٢٩ : ١٣
(٣) عدد ٢٩ : ٣٦
(٤) الكنز المرصود ص ٤٩
(٥) نفس المصدر ص ٥٠
(٦) سورة الدخان ٤٤
(٧) سورة الأنبياء ١٦ - ١٧

أينسب ذو عقل من خلق السماوات والأرض وما بينهما الى اللهو واللعب مع مخلوقاته ؟ فاللهو واللعب قبيح من ارباب العقول والهمم العالية من البشر ، فكيف بخالق العقلاء وملك الملوك رب العالمين ؟!
ثم انظر الى خفة عقلهم وحمقهم الشديد فيما ذكروا من تقديم هدم الهيكل على خلق حواء . ألم يعلموا أن حواء هي أول امرأة على وجه الأرض مع أول رجل عليها فمتى بنى الهيكل وهدم ؟ ان هذا لهذيان ما بعده هذيان .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى بعد أن ذكر ما لليهود من يد في ضلال النصارى : " وأشنع من هذا كله نقلهم الذى لا تمانع بينهم فيه عن كثير من أحبارهم المتقدمين الذين عنهم أخذوا دينهم ، ونقل توراتهم وكتب الأنبياء ، بأن رجلا اسمه اسماعيل كان اثر خراب بيت المقدس سمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ، ويبكي وهو يقول : " الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه ، وهدم قصره ، وموضع سكينته ، ويلي على ما أخربت من بيتي ، ويلي على ما فرقت من بني وبناتي . قامتي منكسة حتى أبني بيتي وأرد اليه بني وبناتي " قال هذا النذل الموسخ ابن الأنذال اسماعيل : " فأخذ الله تعالى بثيابي وقال لي : أسمعتني يا بني يا اسماعيل ؟ قلت : لا يا رب . فقال لي : يا بني يا اسماعيل بارك علي . قال الجيفة المنتنة : " فباركت عليه ومضيت " ... لقد هان من بالت عليه الثعالب، والله ما في الموجودات أرذل ولا أنتن ممن احتاج الى بركة هذا الكلب الوضر ، (١) فأعجبوا العظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع.
فمنها : اخباره عن الله تعالى أن يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة . الويل

---

(١) الوضر : محركة : وسخ الدسم واللبن ، أو غسالة السقاء والقصعة ونحوهما وبقية الهناء وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد . قاله في القاموس.

حقا على من يصدق بهذه القصة ،وعلى الملعون الذى أتى بها . ومنها : وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل . وما الذى دعاه الى الندامة ؟ أتراه كان عاجزا ؟ هذا عجب آخر . واذا كان نادما على ذلك ، فلم تمادى على تبديدهم والقاء النحس عليهم ،حتى يبلغ ذلك الى القاء الحكمة في أدبارهم ؟ كما نص في آخر توراتهم . ما في العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من (١) يندم عليه هذه الندامة . ومنها : وصفه الله تعالى بالبكاء والأنين . ومنها : وصفه لربه تعالى بأن لم يدر هل سمعه أم لا ؟ حتى سأله عن ذلك . ثم أظرف شيء اخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب ، وأن الله تعالى قنع بكذبه ،وجاز عنده ، ولم يدر أنه كاذب ، ومنها : كونه بين الخرب ، وهي مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوانات كالثعالب والقطط البرية ونحوهما . ومنها : وصف الله تعالى بتنكيس القامة ؛ ومنها : طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنة والمنتن . وبالله الذى لا اله الا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ الذى (٢) بلغها هذا اللعين ومن يعظمه " (٣) .

هكذا يصف بنو اسرائيل رب العالمين بهذه الصفات التي تشهد عليهم بالخزى والعار في الأولين والآخرين . وهي صفات تكشف سوأتهم وتفضح قبائح عوراتهم . والله سبحانه وتعالى غني عن عبادتهم ولا ينقص كفرهم الشنيع من ملكه العظيم شيئا كما قال تعالى (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور " (٤) وقد قال لهم رسولهم ونبيهم موسى عليه السلام : " ان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فان الله لغني حميد " (٥)

---

(١) لعل الصواب أن يقول : على ما يندم عليه هذه الندامة .
(٢) لعل الصواب ان يقول " التى بلغها " لا الذى بلغها لأن الموصول جاء صفة لمؤنث وهو المبالغ .
(٣) الفصل في الملل جـ١ ص ٢٢٢-٢٢٣
(٤) سورة الزمر ٧ (٥) سورة ابراهيم ٨

هذه النصوص التي نقلناها عن أسفار اليهود تدل على التشبيه والتنقيص والتجسيم دلالة واضحة لا تقبل التأويل . فالحوادث المنسوبة اليه تعالى هنا وكذلك الجوارح المنسوبة اليه في المبحث الخامس من هذا الفصل ذكرت مع ما يدل على تشبيه الله عز وجل بخلقه . فالفم للكلام ، والانف للاشتمام ، وخروج الريح ، والاذنان للاصغاء والسمع ، والعينان للنظر ، وهما ينفتحان ويغمضان ، ولهما الجفون ، وللاله اللسان ، والشفتان واليد ، والذراع ، والكف ، والوجه والقفا ، والرأس ، والرجلان . وهو يصفق ، ويحمل الاكليل والتاج على رأسه . ورجلاه تثيران غبارا من السحاب . وقدماه تطآن الأرض . وقلبه للقصد ، وأحشاؤه للزفير ، وهما أي القلب والأحشاء يصابان بالوجع ! وللاله في هذه النصوص الطول والعرض والعمق والمساحة . وهو ينام ، ويغفو ، ويستيقظ ويأكل ويشرب ويلهو ويلعب ، ويتعب ويستريح ويحنق على الأعداء ، ويحزن ويسقم ويندم على بعض أفعاله ، وتأخذه الدهشة والملل ، ويدعو على نفسه بالويل والتبياب ، ويبكي ويلطم ، ويصرخ ويزأر ، ويهتف ويزمجر . ويصاب بالتخمة من روائح الذبائح المحرقات ، ويصاب بالحيرة من عمل بني آدم المخالف لأوامره ونواهيه . وهو يمشي كما يمشي أحد مخلوقاته محدثا الصوت والجلبة في مشيه . ويخرج من مكان الى مكان . وينزل الى الأرض ليطلع على ما يفعله بنو آدم على الأرض ، أو ليتصل ببعضهم ، ويجتاز في الأرض أمام الناس ، ويسكن في جبل صهيون ، ويوجد في الزوبعة ويلتحف بالسحاب ، وهو يشبه نارا آكلة اذا غضب ، ويشبه رجل حروب وأسدا ، وجنديا ، ودبا . الى غير ذلك مما صرحت به هذه النصوص التي سبقت والتي ستأتي حيث تدل على معان لا تحتمل غير التشبيه والتجسيم والتنقيص .

ومما يؤكد أن الأسفار اليهودية لا تنزه الرب عن مشابهة المخلوقين ما جاء في سفري التكوين والعدد من التصريح بمشابهة الله للانسان . وذلك حيث جاء في سفر التكوين قوله :

" وقال الله : نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا "(١) . وجاء في سفر العدد قوله : " أما عبدى موسى ، فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي فما الى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين "(٢) . فصرح في النص الأول ان الله خلق الانسان على صورته كشبهه مصرحا بالتشبيه . وصرح في النص الثاني أن موسى يعاين شبه الرب فأثبت له شبها ومثيلا . فليس لأحد ان يقول بعد هذه النصوص الصريحة ، ان هذه الألفاظ يمكن حملها على معان صحيحة . فأى معنى يصح أن يراد بهذه الألفاظ بعدما اقترنت بما يدل دلالة قاطعة على التشبيه والتجسيم ؟!

---

(١) سفر التكوين ١ : ٢٦

(٢) عدد ١٢ : ٧ - ٨

المبحث الثالث

اعتقادهم أن الرب يسكن في مكان من الأرض وفي السحاب والزوبعة

زعمهم أن الاله يخرج ويسكن في وسطهم:

ما أكثر ما تمتلىء به الأسفار اليهودية من أفعال نسبوها الى ربهم وهي عين أفعال المخلوقين من ذلك زعمهم أن الاله يسكن في وسطهم ،ويخرج متى شاء الخروج من بينهم . وهذه صفة من صفات المخلوقين اذ كيف يسكن الاله في مسكن ، و يستقر في وسط شعب معين ،ويخرج من وسطه الى موضع معين . فهذا اله محدود ،والله سبحانه و تعالى غنى عن المخلوقات فالكل تحت قهره وسلطانه وكل ما سواه مفتقر اليه . وفيما يأتى جملة من النصوص التي تدل على زعمهم المذكور :

١ - " هكذا يقول الرب انى نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر" (١)

٢ - " فيصنعون لي مقدسا في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون" (٢) .

٣ - " فانى لا أصعد في وسطك لانك شعب صلب الرقبة لئلا أفنيك في الطريق . فلما سمع الشعب هذا الكلام السوء ، ناحوا ، ولم يضع أحد زينته عليه . وكان الرب قد قال لموسى : قل لبنى اسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة ، ان صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيتكم . ولكن الآن اخلع زينتك عنك فاعلم ما أصنع بك . فنزع بنو اسرائيل زينتهم من جبل حوريب . وأخذ موسى الخيمة و نصبها له خارج المحلة بعيدا عن المحلة ودعاه خيمة الاجتماع . فكان كل من يطلب الرب يخرج الى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة " (٣) .

٤ - " ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع . وملأ بهاء الرب المسكن فلم يقدر موسى أن يدخل " (٤) .

---

(١) خروج ١١ : ٤

(٢) خروج ١٥ : ٨ - ٩

(٣) خروج ٣٣ : ٣ - ٧

(٤) خروج ع ٤ : ٣٤ - ٣٥

٥ - " وكلم الرب موسى قائلا : أوص بني اسرائيل أن ينفوا من المحلة كل أبرص . وكل ذي سيل وكل متنجس لميت ، الذكر والانثى تنفون الى خارج المحلة تنفونهم لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن في وسطهم "(١) ؛

٦ - " ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب "(٢) .

٧ - " فقال الرب لي : قل لهم : لا تصعدوا ولا تحاربوا ،لأني لست في وسطكم لئلا تنكسروا امام أعدائكم "(٣) .

ان هذه النصوص صريحة في دلالتها على أن معبود بني اسرائيل كان ملازما لهم ساكنا في وسطهم الى أن اغضبوه بتمردهم عليه ،فترك مسكنه فيهم قائلا : " أنتم شعب صلب الرقبة ان صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيكم " . مما يدل على وجوده الذاتي في مخيمات بني اسرائيل حسب زعمهم .

أمام الرب :

تكررت كثيرا في أسفارهم العديدة كلمة " أمام الرب " التي تعني وجوده في موضع معين من الأرض . وفيما يلي النصوص التي أوردتها :

١ - " وقال موسى لهارون خذ قسطا واحدا واجعل فيه العمر منا ، وضعه امام الرب للحفظ في أجيالكم "(٤) .

٢ - " فقال الرب لموسى : مر قدام الشعب وخذ معك من شيوخ اسرائيل . وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب . هنا أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب ..."(٥) .

وجاء في سفر الخروج أن الرب أمر بني اسرائيل ان ينقشوا اسماءهم على حجرين ليحملهما هارون على كتفه امام الرب فيحمل هارون اسماءهم.

---

(١) عدد ٥ : ١-٣ (٢) عدد ١٦ : ٣
(٣) تثنية ١ : ٤٢ (٤) خروج ١٦ : ٣٣
(٥) خروج ١٧ : ٥ - ٦

أمام الربّ على كتفيه للتذكار " (١) .

٣ - " فيحمل هارون أسماء بني اسرائيل في صدرة القضاء على قلبه عند دخوله الى القدس للتذكار امام الرب دائما . وتجعل في صدرة القضاء الأوريم والتميم لتكون على قلب هارون عند دخوله امام الرب فيحمل هارون قضاء بني اسرائيل على قلبه أمام الرب دائما " (٢) .

وقد تكررت كلمة " أمام الرب " في هذا النص ثلاث مرات . وفي هذا وغيره دليل على أن اليهود يعتقدون ان الله تعالى وتنزه يعيش في وسطهم كما يعيش ملك في رعيته ، فيقدمون اليه ما يرضيه من الأعمال وهم واقفون أمامه .

ويتحدث سفر الخروج عن وقوف بني اسرائيل المتكرر أمام الرب ووقوف هارون أمامه أيضا من ذلك ما جاء عن جلاجل ذهب ورمانات منه توضع على أذيال جبة هارون التي يتحتم عليه لبسها عند دخوله الى القدس ليسمع صوت تلك الجلاجل عند دخوله القدس ووقوفه أمام الرب :

٤ - " فتكون على هارون للخدمة ليسمع صوتها عند دخوله الى القدس أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت " (٣) .

٥ - وكذلك يقول في موضع مماثل : " فيحمل هارون اثم الأقداس التي يقدسها بنو اسرائيل جميع عطايا أقداسهم وتكون على جبهته دائما للرضا عنهم امام الرب " (٤) .

وتحدث سفر الخروج أيضا عن ظهور بني اسرائيل ثلاث مرات في السنة أمام الرب :

٦ - فقال : " ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب اله اسرائيل " (٥) .

---

(١) خروج ٢٨ : ١٢ (٢) خروج ٢٨ : ٢٩-٣٠ (٣) خروج ٢٨ : ٣٥
(٤) خروج ٢٨ : ٣٨ (٥) خروج ٣٤ : ٢٣

٨ - وتحدث عن دخول موسى أمام الرب فقال : " وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج "(١).

٩ - وقال : " وكان في الشهر الاول من السنة الثانية في اول الشهر أن المسكن أقيم أقام موسى المسكن ... وجعل المائدة في خيمة الاجتماع ... ورتب عليها ترتيب الخبز امام الرب كما أمر الرب موسى .. وأصعد السرج أمام الرب كما أمر الرب موسى "(٢) .

وتدل هذه النصوص على أنهم يزعمون أن ربهم يسكن في الخيمة التي صنعها بنو اسرائيل بتوجيهات موسى وأنه لا يبرحها .

وفي سفر اللاويين تكررت هذه الكلمة اكثر مما تكررت في سفر الخروج :

١٠ - واليك واحدا منها : " يقدم الثور الى باب خيمة الاجتماع أمام الرب ويضع يده على رأس الثور ويذبح الثور أمام الرب . ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور ويدخل به الى خيمة الاجتماع ويغمس الكاهن اصبعه في الدم وينضح من الدم سبع مرات أمام الرب لدى حجاب القدس. ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذي في خيمة الاجتماع أمام الرب "(٣) .

١١ - " وداود وكل اسرائيل يلعبون أمام الله بكل عز وبأغاني وعيدان ودفوف وصنوج وأبواق "(٤) .

مسكن الرب :

ومع ما سبق من نصوص يهودية دلت على وصفه تعالى بصفات لا تليق بذاته المقدسة من تجسيم وتشبيه ، فان ثم نصوصا أخر كثيرة تصرح أن للرب مسكنا في وسط بني اسرائيل ،وأن ذلك المسكن كان في البداية مسكنا يتلاءم مع حياة قوم موسى الصحراوية ،حيث ينتقلون في سيناء تنقلا مستمرا

---

(١) خروج ٣٤ : ٣٤ (٢) خروج ٤٠ : ١٧ - ٢٦

(٣) لاويين ٤ : ٤-٦

(٤) اخبار الايام الأول ١٣ : ٨

لمدة أربعين سنة ،فصنعوا للرب خيمة يسهل حملها من مكان الى مكان ، فكان فيها الى أن استقر أمرهم بدخول الارض المقدسة ، وألقوا عصـــا الترحال ،وتركوا الخيام ،وبنوا البيوت والقرى ، و هناك بنوا للرب مسكنا ثابتا حيث سكن به الى الأبد كما يقولون . واليك جملة من النصوص الدالة على هذا المعنى :

١ - مما نسب الى موسى عليه السلام من الأدعية قوله : " تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك المكان الذى صنعت يا رب لسكنك "(١)

٢ - ونسبوا الى ربهم أنه قال : " .. فيصنعون لي مقدسا لاسكن في وسطهم "(٢) .

٣ - وزعموا أن كل جماعتهم مقدسة لأن الرب في وسطهم : " ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب "(٣) .

٤ - وزعموا أن الرب أمر داود عليه السلام أن يبنى له بيتا ليسكن فيه : " وفي تلك الليلة كان كلام الرب الى ناثان قائلا : اذهب وقل لعبدى داود هكذا قال الرب أأنت تبنى لى بيتا لسكناى ؟ لأنى لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بنى اسرائيل من مصر الى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن "(٤)

٥ - ونسبوا الى سليمان أنه قال : " قال الرب انه يسكن في الضباب . اني قد بنيت سكنى مكانا لسكناك الى الأبد "(٥) .

٦ - وقالوا أيضا : " وصادوق الكاهن واخوته الكهنة أمام مسكن الرب في المرتفعة التى في جبعون "(٦)

٧ - وقالوا : " ومسكن الرب الذى عمله موسى في البرية ،ومذبـــح المحرقة ، كانا في ذلك الوقت في المرتفعة في جبعون "(٧) .

---

(١) خروج ١٥ : ١٧ (٢) خروج ٢٥ : ٨ (٣) عدد ١٦ : ٣
(٤) صموئيل الثاني ٧ : ٤-٦ (٥) الملوك الأول ٨ : ١٢
(٦) اخبار الأيام الاول ١٦ : ٣٩ (٧) أخبار الأيام الأول ٢١ : ٢٩

٨ - وقالوا : " جبل الله جبل باشان (١) ، جبل أسنمة جبل باشان . لماذا أيتها الجبال السنمة ترصدن الجبل الذى اشتهاه الله لسكنه بل الرب يسكن فيه الى الأبد "(٢) .

٩ - وكذلك قالوا : " اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القديم وفديتها ، سبط ميراثك ،جبل صهيون الذى سكنت فيه "(٣) .

١٠ - وقالوا : " هكذا قال الرب : قد رجعت الى صهيون وأسكن في وسط أورشليم "(٤) .

١١ - وزعموا ان الرب قال للنبي ناثان : " اذهب وقل لداود عبدى هكذا قال الرب : أنت لا تبني لى بيتا للسكنى لأنى لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت اسرائيل الى هذا اليوم ، بل سرت من خيمة الى خيمة ومن مسكن الى مسكن في كل ما سرت مع جميع اسرائيل . هل تكلمت بكلمة مع احد قضاة اسرائيل الذين أمرتهم أن يراعوا شعبى اسرائيل قائلا : لماذا لم تبنوا لي بيتا من أرز "؟(٥) .

هذه النصوص هي بعض ما جاء في أسفار اليهود التي هي أساس دينهم وعقيدتهم ، وهى نصوص صريحة في اثبات ان الرب الذى يؤمنون به يسكن في وسطهم كما يسكن شيخ قبيلة بين قومه ، وأنه سكن في خيمة معدة له حينما كانوا في التيه ولم يأو اليهم ذاك الى بيت ثابت منذ أن اخرجهم من مصر الى أن جاء سليمان فبنى له مسكنا مريحا . وكان في أيام التيه ينتقل من خيمة الى خيمة ومن مسكن الى مسكن وهو في ذلك خاضع لظروف السفر المستمر ، أى انه مضطر و مكره . وان قيل : ان اضافة المسكن الى الرب في أسفارهم هي اضافة تشريف كاضافة الكعبة اليه في الاسلام اذ يقال : " بيت الله " قلنا ان البون شاسع ،لأن اضافة المسكن اليه في اسفارهم اقترنت بعبارات صريحة تدل على أن الرب في المسكن ،أو في الخيمة يسكن فيها ، مثل قولهم :

---

(١) جبل باشان : هو جبل حوران وهو ذو أسنم أى كثير القمم . قاله في السنن القويم جـ٦ ص ٢٠٥

(٢) مزامير ٦٨ : ١٥ - ١٦

(٣) مزامير ٧٤ : ٢-٣

(٤) زكريا ٨:٣

(٥) أخبار الايام الأول ١٧ : ٢-٦

" لأسكن في وسطهم " " اني قد بنيت لك مسكنا مكانا لسكناك الى الأبد "

" الجبل الذى اشتهاه الله لسكنه بل الرب يسكن فيه الى الأبد " وغير ذلك

من العبارات التي لا يمكن حملها على وجه صحيح . وقد سبق في نصـــوص

الظهور المزعوم ما يؤيد هذه النزعة المادية . وأما اضافة الكعبة الى اللـه

فهي اضافة تشريف ،لأنها موضع العبادة والشعائر التي فرضها الله على عباده

المؤمنين . ولذلك أضيفت المساجد الى الله فقيل مساجد الله لأن الله

يعبد فيها ويسجد له ، وليس في الاسلام ما يدل على أن لله مسكنا . ليت

شعرى كيف يعد اليهود من جملة المؤمنين بالله عز وجل مع هذا البعد الكبير

والبهم الذى يؤمنون به ليس له من الصفات ما يدعو الباحث الى القـــول

انه الله تعالى الذى آمن به ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط

وغيرهم من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الرابع

اعتقادهم وجود علاقة الأبوة والبنوة بين الله وبين البشر وتأثير ذلك في عقيدة النصـــــارى

جاءت في اسفار اليهود المختلفة اطلاق كلمة "الأب" على الله تبارك وتعالى ، واطلاق كلمة "الابن" أو "الابناء" أو البنات على بعـــض البشر كما في النصوص الآتية :

١ - "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ، أن ابناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات . فاتخذوا لانفسهـــم نساء من كل ما اختاروا" (١) .

٢ - وعن سليمان عليه السلام قالوا ان الرب قال عنه : "هو يبني لي بيتا وأنا أثبت كرسيه الى الأبد ، أنا أكون له أبا ، وهو يكون لي ابنا . ولا انزع رحمتي عنه كما نزعتها عن الذى كان قبلك" (٢) .

٣ - "وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا امام الرب" (٣)

٤ - "وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا امام الرب" (٤)

٥ - "انى اخبر من جهة قضاء الرب قال لي : أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك" (٥) .

٦ - "اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة ، قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق" (٦) .

٧ - "هو يدعوني أبي أنت الهي وصخرة خلاصي . أنا اجعله ايضا بكرا أعلى من ملوك الأرض" (٧) .

٨ - "قدموا للرب ابناء الله قدموا للرب مجدا وعزا" (٨) .

---

(١) تكوين ٦ : ٢ (٢) الأيام الأول ١٧ : ١٢-١٣ . الموعود سليمان والمخاطب داود والمراد بالذى قبل داود هو الملك شاول .

(٣) أيوب ٣ : ٦ (٤) أيوب ٢ : ١ (٥) مزامير ٢ : ٧

(٦) مزامير ٢ : ١١-١٢ (٧) مزامير ٨٩ : ٢٦-٢٧

(٨) مزامير ٢٩ : ١

٩ - " الابن يكرم أباه ، والعبد يكرم سيده ، فان كنت أنا أبا فأين كرامتي ؟ وان كنت سيدا فأين هيبتي ؟ قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمي "(١) .

١٠ - فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته ، وقال : أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم ، انهم جيل متقلب ، أولاد لا أمانة فيهم "(٢) .

١١ - " أنا اكون له أبا وهو يكون لي ابنا "(٣) .

هذه النصوص الكثيرة تجعل لله البنين والبنات وتضيف البشر الى الله تعالى اضافة الأبناء الى أبيهم ، وهذا ما لا يليق اسناده الى الله عز وجل فان صلة البشر بالله تعالى ، صلة مخلوق بخالقه وصلة عبد ذليل مفتقر بسيده ومولاه ، الغنى عن العالمين ، ولقد وبخ الله سبحانه وتعالى أولئك المنحرفين عن الحق ممن ادعوا كذبا وبهتانا أن لله ولدا ،وأنكر عليهم وبين لهم فساد اعتقادهم وسوء أعمالهم .

اليهود نسبوا الى الله البنين والنصارى تبعوهم فقالوا المسيح ابن الله .

اليهود سبقوا النصارى زمنا ، وسبقوهم كفرا ، حيث زعموا انهم أبناء الله وأحباؤه . فتبعهم النصارى في ذلك فقالوا مثل قولهم . ولما قالت اليهود عزير ابن الله تبعهم النصارى فقالوا المسيح ابن الله . فقد ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

" وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير"(٤) .

" وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوءفكون "(٥)

---

(١) ملاخي ١: ٦ (٢) تثنية ٣٢: ١٩-٢٠ (٣) صموئيل الثاني ٧: ١٤
(٤) سورة المائدة ١٨ (٥) سورة التوبة ٣٠

وهاتان الايتان وغيرهما تدل على أن الفريقين أرادا بالبنوة حيث أطلقت المعنى الحقيقي الذى يفهم من كلمة (ابن) عند اطلاقها ، ولذلك رد الله عليهم في الاية الاولى بقوله : "بل أنتم بشر ممن خلق" أى انتم لستم كما تزعمون من العنصر الالهى ، بل أنتم من العنصر البشرى الذى يخضع لسلطان الله ومشيئته "يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء" وهو ليس في حاجة الى أحد من خلقه "ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير" . فالصلة بينه وبين خلقه صلة مالك بمملوكه وخالق بمخلوقه . ورد عليهم في الاية الثانية بقوله : " قاتلهم الله أنى يؤفكون " أى انهم ارتكبوا اثما عظيما ، وضلالا بينا ، ولذلك استحقوا هذه اللعنة . ثم أكد في الآية التي بعدها أنهم ألهوا عزيرا والمسيح ، وغيرهما من الأحبار والرهبان فقال : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون"(١)

فاليهود هم سبب ضلال النصارى في القول بألوهية المسيح لأمرين :

أحدهما : التقليد لما هم عليه ، لأنهم آمنوا باسفار اليهود وتراثهم على ما هي عليه من تحريف وتبديل ، فلما وقعت ابصارهم على تلك النصوص التي تجعل لله البنين من البشر خروا عليها صما وعميانا ، فاستجازوا أن يوجد من بين البشر من يختص بصلة خاصة بالله تعالى ، وهي صلة البنوة . وثانيهما : أن اليهود كادوا للنصارى بعد رفع المسيح عليه السلام حيث تظاهر بعضهم بنصرة دين عيسى عليه السلام ، والدفاع عن أتباعه ، فقالوا بألوهية عيسى ابن مريم غليه السلام فخدعوا ضعاف النفوس من النصارى ، وأخرجوهم من التوحيد الى الكفر بالله تعالى ، فهدموا بذلك صرح التوحيد الذى شيده عيسى ابن مريم عليه السلام . ولقد أكد ابن حزم رحمه الله تعالى هذا المكر اليهودى للنصارى فقال :

---

(١) سورة التوبة ٣١

" وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى ،ان احبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم ،وكتب الأنبياء عليهم السلام ،اتفقوا على ان رشوا بولس البنياميني لعنه الله ، وأمروه باظهار دين عيسى عليه السلام (١) . وأن يضل أتباعه (٢) ، ويدخلهم الى القول بإلهيته وقالوا له نحن نتحمل اثمك في هذا ، ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر . واعلموا يقينا أن هذا عمل لا يستسهله ذو دين أصلا ، ولا يخلو أتباع المسيح عليه السلام عند أولئك الأحبار لعنهم الله من ان يكونوا على حق أو على باطل لا بد من احدهما . فان كانوا عندهم على حق فكيف استحلوا ضلال قوم محقين ، واخراجهم عن الهدى والدين ، الى الضلال المبين ؟ هذا والله لا يفعله مؤمن بالله تعالى أصلا ، وان كانوا عندهم على ضلال وكفر ، فحسبهم ذلك منهم ،وانما يسعى المؤمن ليهدي الكافر والضال ، وأما ان يقوى بصيرته في الكفر و يفتح له أبوابا أشد وأفحش مما هو عليه ،فهذا لا يفعله ايضا من يؤمن بالله تعالى قطعا ولا يفعله الا ملحد يريد يسخر بمن سواه . فمن هؤلاء أخذوا دينهم وكتب أنبيائهم باقرارهم . فاعجبوا لهذا ، و هذا الأمر لا نبعده عنهم ،لأنهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا ، فبعد عليهم بلوغ أربهم من ذلك . وذلك باسلام عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوء اليهودي الحميري لعنه الله ليضل من أمكنه من المسلمين فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيعون في علي رضى الله عنه أن يقولوا بالهيته ،وهم الباطنية والغالية الى اليوم ، وأخفهم كفرا الأمامية على جميعهم لعائن الله تترى " (٣)

ويؤكد القرآن الكريم هذه النزعة الخبيثة في اليهود ويوبخهم على ما يسعون اليه من اضلال الناس وصدهم عن سبيل الحق حيث يقول : " قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون " (٤)

---

(١) قوله : " أمروا باظهار دين عيسى " فيه نظر فان القوم انما أرادوا ابطال دين عيسى عليه السلام .

(٢) في النسخة التي اعتمدت عليها " اتباعهم " عوضا مما أثبت أعلاه مستصوبا .

(٣) الفصل في الملل جـ١ ص ٢٢١-٢٢٢ (٤) سورة آل عمران ٩٩

ويقول تعالى وهو ينبه المسلمين على خبث نوايا اليهود وما انطوت عليه ضمائرهم من تحين الفرص والتربص المستمر بالمسلمين لاضلالهم عن الهدى وصدهم عن سبيل الله : " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير "(١) ،

ويقول أيضا : " ودت طائفة من اهل الكتاب لويضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون "(٢) ، ويقول : " ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل "(٣) .

هكذا فضح القرآن الكريم نوايا اليهود الشريرة ،ودأبهم المستمر في السعي في اضلال الناس وافسادهم وصدهم عن الهدى . ومن تأمل في هذه الايات وأمثالها ،وعرف طبيعة اليهود المعوجة من خلال نصوص كتبهم تأكد لديه صحة ما نقله ابن حزم رحمه الله تعالى عن أحبارهم أنهم تعمدوا اضلال اتباع عيسى عليه السلام.

والجدير بالتنبيه هنا أن بولس البنياميني الذى تقدم ذكره في حديث ابن حزم ، كان في بداية أمره من ألد أعداء النصارى ، ولم يعتنق المسيحية في عهد المسيح ، بل كان يضطهدهم ويسومهم سوء العذاب ،ولكنه غير موقفه هذا فجأة ، فتحول من مطاردة النصارى ،ومعاداة النصرانية الى مناصر لهم وناشر لتعليم جديد باسم المسيحية . ولقد جاء الحديث عن بولس هذا الذى كان معروفا باسم " شاول " قبل تظاهره بالمسيحية ،جاء الحديث عنه في رسائل أعمال الرسل في العهد الجديد حيث قال كاتبها : " أما شاول ، فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب . فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد أناسا من الطريق رجالا أونساء يسوقهم موثقين الى أورشليم . وفي ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق

---

(١) سورة البقرة ١٠٩ (٢) سورة آل عمران ٦٩

(٣) سورة النساء ٤٤

فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت يا سيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذي انت تضطهده ، صعب عليك أن ترفس مناخس . فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن افعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل الى المدينة فيقال لك ماذا ينبغي ان تفعل ! وأما الرجال المسافرون معه ، فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا ، فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدا . فاقتادوه بيده وأدخلوه الى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب "(١) .

وبعد بقائه في دمشق ثلاثة أيام وهو على تلك الحالة ، أتاه رجل نصراني من أهل دمشق يدعى حنانيا بسبب رؤيا رآها ، فلما وضع يده على عيني شاول مخبرا أياه ان المسيح يسوع الذي ظهر له في الطريق أخبره بحاله وامره ان يفعل به ما فعل ليبصر و يمتلىء من الروح القدس ، خرج من عيني شاول شيء مثل القشور فأبصر شاول في الحال فاعتنق المسيحية فقام يبشر بها في المجامع ، و يعلن ان المسيح ابن الله . ولما رجع شاول الى دمشق وحاول الدخول في صفوف تلاميذ المسيح ، لم يجد منهم قبولا أو تصديقا ، ولكن احد تلاميذ المسيح عليه السلام وهو برنابا الذي كان في دمشق حينما أعلن شاول ايمانه ودعوته الى النصرانية ، قدمه الى أقرانه تلاميذ المسيح فدخل في صفوفهم (٢) .

وفي ضلال بولس هذا واضلاله الناس يقول برنابا في انجيله المنسوب اليه : " أيها الاعزاء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الايام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والايات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائما مجوزين كل لحم نجس . الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا اتكلم عنه الا مع الاسى وهو السبب

---

(١) اعمال الرسل ٩ : ١-٩ و ٢٦ : ١٢-١٨ (٢) انظر اعمال الرسل ٩ : ١٠-٢٨

الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله . وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضادا لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا"(١) .

ويعتبر بولس هذا مؤسس الديانة المسيحية على ما هي عليه الآن وقد لقبه النصارى ببولس الرسول . وهو في الحقيقة شاول اليهودى الذى أعجزته مقاومة أتباع المسيح بالسنان ، فتحول الى حربهم بسلاح النفاق والخداع فتم له ولأصحابه اليهود ما أرادوا . ولقد وضحت هذه الحقيقة في رسالتي التى نلت بها درجة الماجستير عام ١٣٩٦هـ في هذه الجامعة في فصل خاص بعنوان : " بولس وأثره في النصرانية " وذلك في الصفحات ١٩٧ - ٢١٦ وهي مخطوطة في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بقسم الدراسات العليا الشرعية ، فرع العقيدة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

---

(١) انجيل برنابا ١: ٢-٩ ترجمة من الانجليزية الدكتور خليل سعادة وطبعه السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار بمطبعة محمد على صبيح بالأزهر سنة ١٩٥٨م.

المبحث الخامس

بيان ما نسبوه الى الله تعالى من الجوارح

تمهيد :

ان الحديث عن النقائص التى أطلقها اليهود على ربهم ليس بالأمر الهين ، لأنها نقائص شنيعة يصعب على المؤمنين بالله تعالى أن ينطقوا بها لو لم تكن في معرض البيان والتنبيه على عقائد بنى اسرائيل الباطلة. من أجل ذلك حكى الله تعالى عنهم في القرآن الكريم بعض النقائص التي وصفوا بها ربهم كقولهم : " ان الله فقير ونحن أغنياء " (١) وقولهم : " يد الله مغلولة " (٢) . والغريب في أمر هولاء القوم أنهم يزعمون أن ما ورد في أسفارهم هذه من الصفات التى أطلقوها على ربهم هي من كلام الأنبياء الذين أوحى اليهم من قبل الله تعالى ولذلك اعتبروا تلك الأسفار أسفارا مقدسة . قال ابن حزم رحمه الله تعالى : " وبالله العظيم لولا أن الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم : " يد الله مغلولة " وبقولهم : " ان الله فقير ونحن أغنياء " لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم لكننا نحكيه منكرين له كما نتلوه فيما نصه عز وجل لنا تحذيرا من افكهم " (٣) .

ومن جملة ما قصه اليهود في أسفارهم مما أطلقوه على ربهم ، الفم ، واللسان ، والشفتان ، والأنف ، والأذن ، والرأس ، والقفا ، والوجه ، واليد ، والذراع ، والكف ، والرجل ، والقدمان ، والعينان ، والقلب ، والأحشاء ، والعمق ، والطول ، والعرض ، والنوم ، والاستيقاظ منه ، والتعب والخنق ، والحزن ، والندم ، والسقم ، والانسحاق ، والاندهاش ، والملل ، والتصفيق ، والدعاء بالويل على نفسه ، والزمجرة والزئير والهتاف والصراخ والتخمة والحيرة والزفير والخروج والمشى والنزول والوقوف ، والالتحاف بالسحاب والكون في الزوبعة ، وقالوا ان السحاب غبار رجليه ، والأرض موطئ قدميه ، وشبهوه بالحيوانات كالجندب ، والأسد ، والنمر ، والدب ، كما شبهوه برجل الحروب ، وبالنار الآكلة ، واليك فيما يأتي بيان النصوص التي

---

(١) آل عمران ١٨١ (٢) المائدة ٦٤ (٣) الفصل جـ١ ص ١٤١

اشتملت على هذه النقائص :-

الفـــم :

١ - " مبارك الرب اله اسرائيل الذى كلم بفمه داود أبي "(١) .

٢ - " اسمعا كلامي ان كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له ، في الحلم أكلمه . أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي فما الى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين "(٢)

٣ - " أيها الرب اله اسرائيل لا اله مثلك في السماء والأرض حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم الذى قد حفظت لعبدك داود أبي ما كلمته به فتكلمت بفمك واكملت بيدك "(٣)

٤ - " يحمدك يا رب كل ملوك الأرض اذا سمعوا كلمات فمك "(٤)

٥ - " من هو الانسان الحكيم الذى يفهم هذه والذى كلمه فم الرب فيخبر بها "(٥) .

٦ - " كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة تنخفض ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعا لأن فم الرب تكلم "(٦) .

٧ - " بذاتي أقسمت خرج من فمي الصدق كلمة لا ترجع انه لي تجثو كل ركبة ، يحلف كل انسان " (٧) .

٨ - " لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان الى هنالك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعا للزارع وأكلا للآكل . هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع الى "(٨) .

٩ - " فترى الأمم برك وكل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب "(٩) .

---

(١) أخبار الأيام الثاني ٦ : ٤ (٢) عدد ١٢ : ٦-٨
(٣) أخبار الايام الثاني ٦ : ١٤-١٥ (٤) مزامير ١٣٨ : ٤ (٥) أرميا ٩ : ١٢
(٦) اشعياء ٤٠ : ٤-٥ (٧) اشعياء ٤٥ : ٢٣ (٨) اشعياء ٥٥ : ١٠-١١
(٩) أشعياء ٦٢ : ٢

١٠ - " بل اسمعن أيتها النساء كلمة الرب ولتقبل آذانكن كلمة فمه"(١)

١١ - " يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب قائلين قولا لمحتقرى قال الرب يكون لكم سلام "(٢)

١٢ - " يا ابن آدم قد جعلتك رقيبا لبيت اسرائيل فاسمع الكلمة من فمي وأنذرهم من قبلي "(٣) .

١٣ - " ماذا أصنع بك يا أفرايم ماذا أصنع بك يا يهوذا فان احسانكم كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكرا لذلك أقرضهم بالانبياء أقتلهم بأقوال فمي"(٤) .

اللسان والشفتان :

١ - "هوذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم ، شفتاه ممتلئتان سخطا ،ولسانه كنار آكلة "(٥) .

٢ - " ولكن يا ليت الله يتكلم ويفتح شفتيه معك "(٦)

٣ - " حفظت طريقه فلم أحد ، من وصية شفتيه لم أبرح "(٧) .

الجبهة ومساحتها :

قال ابن حزم رحمه الله : " وفي كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلموذ - والتلموذ هو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم - ففي الكتاب المذكور أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها الى أنفه خمسة آلاف ذراع . حاشى لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات "(٨) .

---

(١) ارميا ٩ : ٢٠
(٢) ارميا ٢٣ : ١٦-١٧
(٣) حزقيال ٣ : ١٧
(٤) هوشع ٦ : ٤ - ٥
(٥) اشعياء ٣٠ : ٢٧
(٦) أيوب ١١ : ٥
(٧) أيوب ٢٣ : ١٠-١٢
(٨) الفصل في الملل والنحل جـ١ ص ٢٢١

الأنـــف :

١ - " يمينك يا رب تحطم العدو ، وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك ، ترسل سخطك فيأكلهم كالقش وبريح أنفك تراكمت المياه "(١) .

٢ - " هؤلاء دخان في أنفي نار متقدة كل النهار "(٢) .

٣ - " ... يقول السيد الرب ان غضبي يصعد في أنفي " (٣) .

٤ - " صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت . جمر اشتعلت منه "(٤) .

٥ - " وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يا رب من نسمة ريح أنفك " (٥) .

الأذنان :

١ - " من الأعماق صرخت أليك يا رب . يا رب اسمع صوتي لتكن أذناك مصغيتين الى صوت تضرعاتي "(٦) .

٢ - " ها ان يد الرب لم تقصر عن ان تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع "(٧) .

٣ - دعوتك باسمك يا رب من الجب الأسفل بصوتي سمعت . لا تستر أذنك عن زفرتي "(٨) .

٤ - " أيها الرب اله السماء الاله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه ، لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذي يصلي اليك الآن نهارا وليلا "(٩) .

٥ - " أمل يا رب أذنك استجب لي "(١٠)

---

(١) خروج ١٥ : ٦-٧ (٢) اشعياء ٦٥ : ٥ (٣) حزقيال ٣٨ : ١٨
(٤) مزامير ١٨ : ٨ (٥) مزامير ١٨ : ١٥ (٦) مزامير ١٣ : ١-٢
(٧) اشعياء ٥٩ : ١-٢ (٨) مراثي ارميا ٣ : ٥٥ (٩) نحمياه ١ : ٦
(١٠) مزامير ٨٦ : ١

٦ - " فلتأت قدامك صلاتي أمل اذنك الى صراخي "(١) .

٧ - " قد سمعت تذمر بني اسرائيل الذى يتذمرونه علي . قل لهم حي أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني "(٢) !

٨ - " أمل يا رب أذنك واسمع افتح يا رب عينيك وانظر .."(٣)

٩ - " أنا دعوتك لانك تستجيب لي يا الله ، أمل أذنيك الى واسمع كلامي "(٤) .

١٠ - " في ضيقي دعوت الرب والى الهي صرخت/ صرخ من هيكله صوتي ، وصراخي قدامه دخل أذنيه "(٥) .

الرأس :

١ - " فلبس البر كدرع ، وخوذة الخلاص على رأسه "(٦) .

٢ - " ياليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فابكي نهارا وليلا قتلى بنت شعبي ياليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لانهم جميعا زناة جماعة خائنين يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب لا للحق قووا في الارض لأنهم خرجوا من شر الى شر واياى لم يعرفوا يقول الرب "(٧) .

قال ابن حزم رحمه الله : " وفي كتاب آخر من التلموذ يقال له سادرناشيم ومعناه تفسير أحكام الحيض - أن في رأس خالقهم تاجا فيه الف قنطار من ذهب وفي اصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب . وأن الملك الذى يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون تعالى الله عن هذه الحماقات "(٨) . ونقل صاحب الكنز المرصود عن التلموذ قوله : " ولما يسمع البارى تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول : " ما أسعد الملك الذى يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك . ولكن لا يستحق شيئا من المدح الأب الذى يترك أولاده في الشقاء "(٩) .

---

(١) مزامير ٨٨ : ٢ (٢) عدد ١٤ : ٢٧-٢٨ (٣) اشعياء ٣٧ : ١٧
(٤) مزامير ١٧ : ٦ (٥) مزامير ١٨ : ٨ (٦) اشعياء ٥٩ : ١٧
(٧) ارميا ٩ : ١-٥ (٨) الفصل في الملل جـ١ ص٢٢١ (٩) الكنز المرصود ص٥٠

الوجه والقفا :

"كريح شرقية أبددهم ،أمام العدو . أريهم القفا لا الوجه في يوم مصيبتهم "(١) .

العينان والأجفان :

والرب في هيكل قدسه . الرب في السماء كرسيه . عيناه تنظران أجفانه تمتحن بني آدم "(٢) .

"أمل يا رب أذنك .افتح يا رب عينيك وانظر ..."(٣) .

اليد والذراع :

١ - " وأنا أحاربكم بيد ممدودة ،وبذراع شديدة . وبغضب وحمو وغيظ عظيم "(٤) .

٢ - " هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له "(٥) .

٣ - " فقد شمر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطرف الأرض خلاص الهنا "(٦) .

٤ - " من صدق خبرنا ؟ ولمن استعلنت ذراع الرب ؟ "(٧)

الكف والأصبع والتصفيق :

١ - "وتكونين اكليل جمال بيد الرب وتاجا ملكيا بكف الهك "(٨)

٢ - يقول السيد الرب ،فها أنا ذا قد صفقت بكفي بسبب الخطايا ، بسبب خطفك الذى خطفت وبسبب دمك الذى كان في وسطك"(٩)

٣ - " فقال العرافون لفرعون هذا اصبع الله "(١٠) .

---

(١) ارميا ١٨ : ١٧ (٢) مزامير ١١ : ٤ (٣) اشعياء ٣٧ : ١٧
(٤) ارميا ٢١ : ٥ (٥) اشعياء ٤٠ : ١٠ (٦) اشعياء ٥٢ : ١٠
(٧) اشعياء ٥٣ : ١ (٨) اشعياء ٦٢ : ٣ (٩) حزقيال ٢١ : ١٢-١٣
(١٠) خروج ٨ : ١٩

٤ - " ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين باصبع الله "(١) ؛

٥ - " قالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني . هل تنسى المرأة رضيعها ؟ فلا ترحم ابن بطنها ؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك ؛ هوذا على كفي نقشتك ، أسوارك أمامي دائما "(٢) .

<u>الرجلان :</u>

١ - " طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه "(٣) ؛

٢ " مجد لبنان اليك ، يأتي السرو والسنديان والشربين معا لزينة مكان مقدسي وأمجد موضع رجلي "(٤) .

٣ - " الرب في الزوبعة وفي العاصف طريقه والسحاب غبار رجليه "(٥)

٤ - " الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران ... جلاله غطى السماوات . والأرض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور له من يده شعاع . وهناك استتار قدرته . قدامه ذهب الوباء ، وعند رجليه خرجت الحمى "(٦) .

٥ - " ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل . ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده الى اشراف بني اسرائيل "(٧) .

قال ابن حزم تعليقا على هذا النص : " هذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفاء به . وليس هذا كقول الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) ولا كقوله (الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) ولا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة في ثلث الليل الباقي الى سماء الدنيا) لأن هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل انما هي أفعال يفعلها الله عز وجل تسمى مجيئا ونزولا ولا مثل قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) (ويبقى وجه ربك) وسائر ما في القرآن من مثل هذا فكله ليس بمعنى الجارحة لكن على وجوه ظاهرة في اللغة قد بيناها عمدتها ان كل ذلك خبر عن الله تعالى لا يرجع من ذلك الى سواه أصلا "(٨)

(١) خروج ٣١ : ١٨ (٢) اشعياء ٤٩ : ١٤-١٦ (٣) مزامير ١٨ : ٩ (٤) اشعياء ٦٠ : ١٣ (٥) ناحوم ١ : ٣ (٦) حبقوق ٣ : ٣-٤ (٧) خروج ٢٤ : ٩-١١ [illegible]

القدمان وموطئهما :

١ - " علوا الرب الهنا واسجدوا عند موطئ قدميه قدوس هو "(١)

٢ - " لندخل الى مساكنه ونسجد عند موطئ قدميه "(٢).

٣ - " هكذا قال الرب . السموات كرسيي والارض موطئ قدمي أين البيت الذى تبنون لى وأين مكان راحتى "(٣) .

٤ - " كيف غطى السيد بغضبه بالظلام ؟ ألقى من السماء الى الارض فخر اسرائيل . ولم يذكر موطئ قدميه في يوم غضبه "(٤) .

٥ - " وقال لي يا ابن آدم هذا مكان كرسيي ومكان باطن قدمي حيث أسكن في وسط بني اسرائيل الى الابد ولا ينجس بعد بيت اسرائيل اسمى القدوس لا هم ولا ملوكهم لا بزناهم ولا بجثث ملوكهم في مرتفعاتهم "(٥)

القلب :

١ - " كيف أجعلك يا افرايم ؟ كيف أصيرك يا اسرائيل ؟ كيف أجعلك كأدمة كصبوييم(٦) قد أنقلب على قلبي اضطرمت مراحمي جميعا "(٧) .

٢ - " لا يرتد حمو غضب الرب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه . في آخر الايام تفهمونها "(٨) .

٣ - " من مفرج عني الحزن قلبي فى سقيم "(٩) .

٤ - " ... وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل الذى لم أوصي ولا تكلمت به ولا صعد على قلبى "(١٠) .

٥ - " قد دست المعصرة وحدى ، ومن الشعوب لم يكن معي أحد . فدستهم بغضبي وطئتهم بغيظى ، فرش عصيرهم على ثيابي ، فلطخت كل ملابسى ، لان يوم النقمة في قلبي ، وسنة عقوبتى قد أتت "(١١)

---

(١) مزامير ٩٩ : ٥ (٢) أشعياء ٦٦ : ١ (٣) الفصل في الملل جـ١ ص١٦١
(٤) مراثى ارميا ٢ : ١ (٥) حزقيال ٤٣ : ٧
(٦) قال في السنن القويم في أدمة وصبوييم : " انهما من مدن الدائرة التي خربت مع خراب سدوم وعمورة يعنى قريتى قوم لوط . جـ٢ ص٢٩ (٧) هوشع ١١ : ٨ (٨) ارميا ٣ : ٤
(٩) ارميا ٨ : ١٨ (١٠) ارميا ١٩ : ٥ (١١) اشعياء ٦٣ : ٣-٤

الأحشاء وزفيرها :

١ - " تطلع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك ، أين غيرتك وجبروتك ؟ زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنعت" (١)

٢ - " أحشائى أحشائى . توجعنى جدران قلبى . يئن فى قلبى . لا أستطيع السكوت لأنك سمعت يانفسى صوت البوق وهتاف الحرب . بكسر على كسر نودى ، لأنه قد خربت كل الأرض . بغتة خربت خيامى وشققى فى لحظة . حتى متى أرى الراية وأسمع صوت البوق . لأن شعبى أحمق . اياى لم يعرفوا هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين" (٢)

---

(١) اشعياء ٦٣ : ١٥

(٢) ارميا ٤ : ١٩-٢٢

المبحث السادس

توجيه النصوص الاسلامية التي تشتمل على بعض ما ورد في الأسفار اليهودية ،وبيان الفرق بينها وبين ما جاء في الأسفار اليهودية

قد يقول قائل : ان القرآن الكريم والسنة النبوية قد وردت فيهما نصوص تشبه بعض هذه النصوص التي أوردناها من الأسفار اليهودية . وذلك مثل الوجه ،والعينين ،واليد ،والساق ، والقدم ،والضحك ،والفرح . ولكنا نرد على ذلك بما يلي :

أولا : النصوص اليهودية التي أوردناها لم تكن مقتصرة على مثل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية بل انفردت بأمور كثيرة لا وجود لها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وما انفردت به من تلك الأمور التى أطلقتها على الله تعالى ، يدل دلالة واضحة قاطعة على التشبيه والتجسيم والتنقيص للذات الالهية المقدسة .

ثانيا : ما جاء في النصوص اليهودية من الألفاظ المشابهة لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ، جاء مقترنا بما يؤكد المشابهة والمماثلة . فاليد الالهية عندهم ذات الدراع ،والكف ،والتصفيق ،وليست كذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية . والعينان عندهم لهما أجفان وتنزل منهما الدموع ،وليست كذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية . والوجه عندهم يتألف من الجبهة ،والأنف ،والفم ،والشفتين . وليس كذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية . والقدمان في نصوصهم يمشي بهما الاله على الأرض ويطأ بهما أرض اسرائيل . وليست كذلك في النصوص الاسلامية . بل جاءت هذه الصفات مضافة الى الله تعالى في القرآن الكريم والسنة النبوية من غير ان يقترن بها ما يدل على التشبيه أو يوهمه بخلاف ما جاء في النصوص اليهودية .

ثالثا : في القرآن الكريم آيات محكمة قطعية الدلالة ،تنفى نفيا قاطعا المشابهة والمماثلة عن الله تعالى .

من ذلك قول الله عز وجل : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (١) .
فنفى عن نفسه أن يكون له شبيه ، أو مثيل ، وأثبت لنفسه صفتي السمع والبصر .

ومنها قوله تعالى : " رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا" (٢) . فنفى عن نفسه المثيل والنظير .

ومنها قوله تعالى : " قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" (٣) . فأثبت أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته لا شريك له في ذلك ، وأنه هو الملجأ والمقصود في الحوائج ، وأنه تعالى لا ولد له ولا والد ، ولا نظير له ، ولا مثيل . وهذه الآيات نفت عن الله المشابهة والمماثلة نفيا باتا .

فبما دلت عليه هذه النصوص وغيرها من تنزيه الله سبحانه ، ونفي المشابهة والتجسيم عنه نفيا باتا . أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على نفي المشابهة والتجسيم عن الله تعالى . ولكنهم افترقوا في فهم تلك النصوص التي وردت فيها ألفاظ قد توهم التشبيه في نظر البعض ولا توهم ذلك في نظر الآخرين الى فريقين :

فريق قال بتأويل تلك النصوص ، وصرفها عن ظاهرها بدعوى أن مايفهم من ظاهرها يوقع في التشبيه والتجسيم اللذين لم يختلف الفريقان في تنزيه الله تعالى عنهما . وهؤلاء هم المعتزلة و متأخروا الأشعرية . ويرى هذا الفريق أن مذهبهم هذا مبني على التنزيه . والى هذا المسلك أشار الشيخ ابراهيم اللقاني في جوهرة التوحيد بقوله :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها (٤)

---

(١) سورة الشورى ١١ (٢) سورة مريم ٦٥
(٣) سورة الاخلاص
(٤) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٦ طبع مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٨هـ .

وبناء على هذا المبدأ الذى وضعوه لأنفسهم في تأويل كل نص يوهم التشبيه ،أول هؤلاء الوجه بالوجود ، واليد بالقدرة أو النعمة . كما حكى ذلك عنهم صاحب المواقف (١) . وذكر الشيخ أبو الحسن الأشعرى (٢) أن المعتزلة أولت اليد بالنعمة والأعين بالعلم ،والوجه بعين الذات (٣) . وقال الحافظ ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى (٤) . "وقوله : " بل يداه مبسوطتان " أى نعمته وقدرته . وقوله :" لما خلقت بيدى " أى بقدرتي ونعمتي" (٥) . وهكذا ذهب هذا الفريق الى التأويل ،وهذا عمل منهم بنصوص التنزيه ،واهمال لنصوص الصفات التي أثبت الله فيها لنفسه ما يليق به ، وأخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يحاول هذا الفريق الجمع بين نصوص النفى ،ونصوص الاثبات ، بل أخذوا بنصوص النفى فقط. والقرآن انما جاء بالنفى والاثبات ، وكذلك السنة المطهرة ، وفريق المؤولين يعرفون باسم الخلف وهم المتأخرون عن القرون الثلاثة المفضلة وقيل من كان بعد القرون الخمسة (٦) .

---

(١) هو عضد الدين القاضى عبدالرحمن بن احمد الايجى الشيرازى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ وقيل اسمه عبدالله بن عبدالرحمن ابن احمد توفي سنة ٧٥٣ وقيل سنة ٧٥٥هـ. انظر البدر الطالع للامام الشوكاني المطبوع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٨هـ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ وانظر الملحق التابع لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة اليمنى .

(٢) هو أبو الحسن على بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن عبدالله بن بلال بن ابي بردة ابن ابي موسى الأشعرى . المتكلم صاحب الكتب والتصانيف. انظر تبيين كذب المفترى لابن عساكر المطبوع بمطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧هـ ص ٣٤ - ٣٥.

(٣) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين جـ١ ص ٢٩٠ المطبوع بمكتبة النهضة المصرية طبعة ثانية سنة ١٣٨٩هـ .

(٤) هو ابو الفرج عبدالرحمن ،ابن ابي الحسن على بن محمد بن علي بن عبيدالله بن حمادى بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزى القرشى التيمى البكرى البغدادى الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ ولد سنة ٥١٠هـ أو قبلها وتوفى سنة ٥٩٧ هـ . انظر ترجمته في مقدمة كتابه ذم الهوى تحقيق مصطفى عبدالواحد المطبوع سنة ١٣٨١هـ الطبعة الاولى ص٤

(٥) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه تحقيق محمد زاهد الكوثرى نشرته المكتبة التوفيقية بالقاهرة . (٦) انظر تحفة المريد ص ٥٦ - ٥٧ .

وفريق رأى أن من الواجب قبول تلك النصوص على ظاهرها من غير تأويل ولا تشبيه ولا تجسيم . وهم سلف هذه الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم باحسان ممن اقتفى أثرهم وحذا حذوهم من أئمة الدين وهم الذين يعرفون بالسلف ، لأنهم تقدموا من جاء بعدهم من الخلف ، ويعرف من ينتمي اليهم بالسلفيين نسبة اليهم . وهؤلاء جمعوا بين نصوص النفي والاثبات فنفوا التشبيه والتجسيم ، وأثبتوا لله صفات تليق بجلاله وعظمته عملا بنصوص الاثبات .

ولتوضيح رأى الفريق الثاني الذى قال بوجوب قبول تلك النصوص على ظواهرها ، اليك ما قاله الشيخ أحمد بن ابراهيم الواسطى (١) في رسالته المسماة (النصيحة في صفات الرب جل وعلا) حيث قال في مقدمتها رحمه الله تعالى : " نصفه بما وصف به نفسه ، من الصفات التى توجب عظمته وقدسه ، مما أنزله في كتابه ، وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه . ونؤمن بأن الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم ، السميع البصير ، العليم القدير ، الرحمن الرحيم ، الملك القدوس العظيم ، لطيف خبير ، قريب مجيب ، متكلم شاء مريد ، فعال لما يريد . يقبض ويبسط ، ويرضى و يغضب ، ويحب و يبغض ، ويكره و يضحك ، ويأمر وينهى . ذو الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، والكلام المبين ، واليدين والقبضتين ، والمقدرة والسلطان ، والعظمة والامتنان ، لم يزل كذلك ولا يزال . استوى على عرشه فبان من خلقه ، لا يخفى عليه منهم خافية . علمه بهم محيط ، وبصره بهم نافذ . وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شئ من مخلوقاته ، ولا تمثل بشئ من جوارح مبتدعاته ، بل هي صفات لائقة بجلاله وعظمته ، ولا تتخيل كيفيتها الظنون ، ولا تراها في الدنيا العيون ، بل نؤمن بحقائقها وثبوتها . ونصف الرب سبحانه وتعالى بها ، وننفى عنها تأويل المتأولين . وتعطيل الجاحدين

---

(١) هو عماد الدين أحمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن الواسطى ولد بواسط سنة ٦٥٧ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧١١ هـ من ترجمة محقق رسالته زهير الشاويش ص ٥-٦ .

وتمثيل المشبهين ، تبارك الله أحسن الخالقين . فبهذا الرب نؤمن ، وإياه نعبد ، وله نصلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته الها ليست له هذه الصفات ، فانما يعبد غير الله ، وليس معبوده ذلك باله ، فكفرانه لا غفرانه "(١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (٢) رحمه الله : " والمسلمون وسط (٣) ، يصفون الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، يصفونه بصفات الكمال وينزهونه عن النقائص التي تمنع عن الخالق ولا يتصف بها المخلوق ، فيصفونه بالحياة والقدرة ، والرحمة والعدل ، والاحسان وينزهونه عن الموت والنوم والجهل ، والعجز ، والظلم والفناء ، ويعلمون مع ذلك أنه لا مثل له في شيء من صفات الكمال . فلا أحد يعلم كعلمه ، ولا يقدر كقدرته ولا يرحم كرحمته ، ولا يسمع كسمعه ، ولا يبصر كبصره ، ولا يخلق كخلقه ، ولا يستوى كاستوائه ، ولا يأتى كاتيانه ، ولا ينزل كنزوله كما قال تعالى ﴿ قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾ (٤) .

وقال أيضا رحمه الله تعالى : " ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ، لا يتجاوز القرآن والحديث

---

(١) النصيحة في صفات الرب جل وعلا ص ٧-٨ من مطبوعات المكتب الاسلامي ببيروت سنة ١٣٩٤هـ الطبعة الثانية .

(٢) هو الامام احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن القاسم ابن تيمية الحرانى الدمشقي الحنبلى تقي الدين ابو العباس شيخ الاسلام امام الأئمة المجتهد المطلق . ولد سنة ٦٦١ بحران وتوفي سنة ٧٢٨ هـ بدمشق اهـ البدر الطالع جـ١ ص ٦٣-٧٢

(٣) أى انهم وسط بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق والنصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص ٢٣٤ مطابع المجد التجارية .

قال الامام احمد رضى الله عنه : " لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث ". ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ،ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجى . بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه -لا سيما اذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ،وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والارشاد . وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا في أفعاله . فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة ، وله أفعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقة ،وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . فكل ما أوجب نقصا أو حدوثا ، فان الله منزه عنه حقيقة ، فانه سبحانه مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه ،ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم . ولافتقار المحدث الى محدث ،ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى ، ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى ، وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ،ويلحدوا في أسماء الله وآياته" (١)

---

(١) رسالة الفتوى الحموية الكبرى ص ٢١ طبعت بمطبعة المدني الطبعة الرابعة . قدم لها ونشرها محمد عبدالرزاق حمزة وانظر المجلد الخامس من مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (الأسماء والصفات) جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد . ص ٢٦ طبع بأمر صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبدالعزيز آل سعود . تصوير الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ .

وهذا الرأى هو الذى نعتقده ونرتضيه ، وذلك لعدة أمور :

أولها : ثبوت النصوص التي وردت فيها هذه الصفات في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وعدم وجود ما يعارضها أو يصرفها عن ظاهرها من النصوص .

ثانيها : عدم ثبوت التأويل عن السلف الصالح الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ونصرة دينه ، ومن جاء بعدهم واتبعهم باحسان .

ثالثها : ان هذه الصفات التى رأى المتأولون ان اثباتها على ظاهرها يوهم التشبيه ، لهي شبيهة بتلك الصفات التي اتفق الفريقان على اثباتها ، وذلك كالحياة والقدرة والارادة ، لأنّ المخلوقات أيضا توصف بالحياة والقدرة والارادة . ومن المتفق عليه ان هذه الصفات في المخلوق ، ليست كالصفات الثابتة للخالق . فتشابه الكلمات لا يقتضى تشابه المعاني .

رابعها : لو كانت تلك المعانى التى أولوا بها تلك النصوص مرادة منها ، لكان ورود تلك العبارات التي ذكروها أولى من ورود هذه الألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة ، والله يريد بعباده اليسر لا العسر ، ولو كان المراد باليد القدرة ، وبالعين العلم . وبالألفاظ التي أولوها ، تلك المعانى التي ذهبوا اليها ، لأتى الشارع بالقدرة عوضا عن اليد وبالعلم عوضا عن العين مثلا . فدل هذا على أن هذه الألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة هى المرادة لا غيرها على ما يليق بجلال الله وعظمته .

على أنه لا يفوتنى أن أشير هنا الى ان هناك شرذمة تنتسب الى الاسلام اعتقدت التشبيه والتجسيم ، فشبهت الرب سبحانه وتعالى بخلقه تشبيها لا يختلف عن تشبيه اليهود ، كما جسمته كتجسيم اليهود أيضا .

وذكر الشيخ أبو الحسن الأشعرى أن المجسمة فرق شتى وأن هشام بن الحكم كان يقول : " ان الله جسم محدود عريض عميق طويل . طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه . نور ساطع له قدر من الأقدار بمعنى أن له مقدارا

في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزه في مكان دون مكان كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، لونه هو طعمه ، وهو رائحته ، وهو مجسته ، وهو نفسه ، لون ولم يثبت لونا غيره ، وانه يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد" (١) .

وهذا قول ليس له في الاسلام نصيب ، وهو قول لا يختلف عن قول اليهود الذى سبق قريبا عرض نصوصه . وهو لا شك قول مدسوس ممن أراد ان يكيد لعقيدة الاسلام وأهلها من اليهود والزنادقة الملحدين . وليس في النصوص الاسلامية ما يعضد ما ذهبوا اليه من هذا المعتقد الفاسد . بخلاف ما ذهب اليه اليهود من التشبيه والتجسيم فانه نابع من نصوص أسفارهم . ولشذوذ فئة المجسمة هذه عن الاسلام وأهله ، ولبعد نزعتهم هذه عن هديه ، رأينا ان لا نذكر رأيهم هذا كرأى من آراء المسلمين واكتفينا بالاشارة اليه هنا .

ومما يجدر بالتنبيه اليه هنا ، أن هناك نصوصا في بعض الأسفار اليهودية تنزه الرب عن مشابهة المخلوقين . ويبدو أنها من بعض ما أنزل الله على أنبيائهم مما لم يتمكن اليهود من تحريفها وتبديلها ، فأبقاها الله شاهدة عليهم بالكفر والفسوق والعصيان ، ومناقضة لنزعة التشبيه والتجسيم التي أشرب اليهود في قلوبهم . وقد سبق عرض تلك النصوص في مبحث الصفات من هذا الباب . ولعل ايراد بعضها يوضح بعد الشقة بين معتقد اليهود الذى هم عليه ، والمعتقد الصحيح الذى ينبغى أن يكونوا عليه كما أمرهم الله تعالى .

ومن النصوص المنافية للتشبيه قول سفر ارميا : " لا مثل لك يا رب عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت" (٢) .

---

(١) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٨١

(٢) ارميا ١٠ : ٦

ومنها ما جاء في سفر اشعياء حيث قال : " فبمن تشبهونني فأساويه ؟ يقول القدوس "(١) .

ومنها قول سفر صموئيل الثاني : " أيها الرب الاله لأنه ليس مثلك وليس اله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا "(٢) .

هذه هي بعض النصوص اليهودية المنافية للتشبيه والتمثيل عن الله تبارك وتعالى ، غير أن اليهود أهملوها ولم يعملوا بها لأنها لم تصادف هواهم وميولهم المادية ،

ومهما حاول المرء أن يجمع بين هذه النصوص التي فيها التنزيه والتقديس ، وتلك النصوص التي فيها التشبيه والتجسيم ، فلن يستطيع ذلك ، لأنّ ما يدل على التشبيه والتجسيم ، فيه دلالة قاطعة لااحتمال فيها على تشبيهه تعالى وتجسيمه كما سبق توضيح ذلك . فمن يحاول الجمع بينهما كمن يحاول الجمع بين الحق والباطل ، فأنى يجتمعان ؟ وكيف يلتقيان ؟

---

(١) اشعياء ٤٠ : ٢٥

(٢) صموئيل الثاني ٧ : ٢٢

الفصل الثالث

بيان وثنية بني اسرائيل

و فيه

ستة مباحث

- المبحث الاول : بيان عبادتهم الأوثان في عهد موسى عليه السلام.
- المبحث الثاني : بيان عبادتهم الأوثان في عهد يشوع والقضاة
- المبحث الثالث : بيان عبادتهم الأوثان في عصر ملوكهم
- المبحث الرابع : بيان عبادتهم الأوثان في عصورهم المختلفة و عبادة صند لفون
- المبحث الخامس : تأكيد القرآن الكريم عبادتهم غير الله تعالى .

*

المبحث الأول

وثنية بني اسرائيل في عهد موسى

أ - عبادتهم الأوثان في عهد موسى عليه السلام

ان موسى عليه السلام لم يكن بدعا من الرسل الكرام الذين سبقوه والذين جاؤوا من بعده ولم تكن دعوته تختلف عن دعوتهم في أصولها . ولكن طبيعة قومه تختلف عن طبيعة أقوام الرسل الآخرين وأممهم . فالكفر والايمان يوجدان في كل أمة خلا فيها نذير على تفاوت فيهما من أمة الى أمة . ومن آمن بالله تعالى من أمم الأنبياء واتبع طريقهم ، لا يتزعزع ايمانه ولا تضطرب به الأهواء ولا يتعمدون الضلالة بعد الهدى . وأما قوم موسى عليه السلام فهم نمط خاص يختلفون عن سائر الأمم . فهم لا يتورعون أن يؤمنوا اليوم ويكفروا غدا ، أو يؤمنوا صباحا ويكفروا مساء ، فقد تأصلت فيهم هذه الطبيعة وبقيت جزءا من حياتهم من عهد موسى عليه السلام حتى عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بعضهم لبعض في مواجهة دعوة الحق التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة كما حكاها القرآن عنهم : " آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون "(١) .

ولقد بعث الله موسى عليه السلام بدعوة التوحيد ليخرج قومه من ظلمات الكفر والجهل الى نور العلم والايمان ، وليحررهم من نير العبودية التي أثقلت كواهلهم ، فذهبت برجالهم وأذلت نساءهم . فدعاهم عليه السلام الى دين الله والخروج من ظلمات الكفر ، وظلم الكفرة الضالين من آل فرعون ، فاستجابوا له جميعا في الخروج معه من أرض مصر ولم يستجيبوا له الاستجابة الكاملة فيما يتعلق بدعوته الأساسية ، وهي الايمان الخالص وعبادة الله وحده لا شريك له ففضلوا العاجلة على الآجلة . ولم تكن الآيات البينات التي أجراها الله على يد رسوله موسى تغرس في نفوسهم شجرة الايمان المثمرة

---

(١) سورة آل عمران ٧٢

التي غرسها الله في قلوب السحرة فأثمرت وأينعت في الحال حتى تفجرت على ألسنتهم كلمات تفيض نورا وايمانا فقالوا لفرعون في تحد سافر وشجاعة فائقة بعد أن خروا لربهم ساجدين وقد أدركوا زيف فرعون وهوانه بعد أن أقسموا بعزته على أنهم سيغلبون موسى ، ويتالون القرب من الطاغية ، قالوا له ردا على تهديده ووعيده . " لن نوءثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى "(١) .

ان تلك الآيات التي أظهرها الله تعالى على يد موسى فكانت سببا في تحول سحرة فرعون من الكفر الطاغي الى الايمان العميق حتى تحدوا ذلك الجبار العنيد ، لم تكن تلك الايات ذات تأثير قوى على بنى اسرائيل ، ولم تخضع قلوبهم لما جاءبه موسى عليه السلام ، ويشهد على عدم تأثرهم بتلك الآيات المبصرة ،طلبهم من رسولهم قبل أن تجف اقدامهم من أثر عبور البحر الذى انشق لهم وأطبق على فرعون وجنوده فأهلكهم - أن يجعل لهم الها ماديا يرونه ،ويلمسونه ، ويسجدون له ، على النحو الذى شاهدوا عليه قوما من الوثنيين على شاطىء البحر . قال تعالى :" وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هوءلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال اغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين "(٢) .

قال ابن القيم رحمه الله :" فأول تلاعب الشيطان بهذه الأمة في حياة نبيها ، وقرب العهد بانجائهم من فرعون واغراقه واغراق قومه ، فلما جاوزوا البحر رأوا قوما يكعفون على أصنام لهم ، فقالوا (ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) فقال لهم موسى عليه السلام (انكم قوم تجهلون . ان هوءلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . فأى جهل فوق هذا ؟ والعهد

---

(١) سورة طه ٧٣

(٢) سورة الأعراف ١٣٨-١٤٠

قريب ، واهلاك المشركين أمامهم بمرأى من عيونهم . فطلبوا من موسى عليه السلام ان يجعل لهم الها . فطلبوا من مخلوق ان يجعل لهم الهـــا مخلوقا . وكيف يكون الاله مجعولا ؟ فان الاله هو الجاعل لكل ما سواه . والمجعول مربوب مصنوع ، فيستحيل ان يكون الها "(١) .

وأضاف رحمه الله قائلا : " ومن تلاعبه بهم عبادتهم العجل من دون الله تعالى ، وقد شاهدوا ما حل بالمشركين من العقوبة ، والاخذة الرابية ، ونبيهم حي لم يمت ، هذا وقد شاهدوا صانعه يصنعه ويصوغه ، ويصليه بالنار ، ويدقه بالمطرقة ويسطو عليه بالمبرد ، ويقلبه بيديه ظهرا لبطن . ومن عجيب امرهم ، أنهم لم يكتفوا بكونه الههم ، حتى جعلوه اله موسى . فنسبوا موسى عليه السلام الى الشرك ، وعبادة غير الله تعالى ، بل عبادة أبلد الحيوانات وأقلها نفعا عن نفسه ، بحيث يضرب به المثل في البـــلادة والذل . فجعلوه اله كليم الرحمن . ثم لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا موسى عليه السلام ضالا مخطئا فقالوا : (فنسي) . قال ابن عباس " اى ضل وأخطأ الطريق " ، وفي رواية عنه " أي ان موسى ذهب يطلب ربه فضل ولم يعلم مكانه " . وعنه أيضا " نسي ان يذكر لكم ان هذا الهه والهكم " وقال السدى : " أي ترك موسى الهه ههنا وذهب يطلبه " وقال قتادة " اى ان موسى انما يطلب بهذا ولكنه نسبه وخالفه في طريق آخر " هذا هو القول المشهور : اى قوله " فنسي " من كلام السامرى وعباد العجل معه . وعن ابن عباس رواية اخرى " ان هذا من اخبار الله تعالى عن السامرى : انه نسي ، اى ترك ما كان عليه من الايمان . والصحيح القول الاول ، والسياق يدل عليه ، ولم يذكر البخارى في التفسير غيره ، فقال " فنسي موساهم " يقولونه : اخطأ الرب "(٢) .

---

(١) اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٢٩٩ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

(٢) اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٣٠٠-٣٠١ .

هذه الميول الوثنية والاتجاهات المادية في بني اسرائيل في عهد موسى عليه السلام كانت جذورها ممتدة الى ما قبل مبعث موسى كما سبق توضيح ذلك. وقد جاء الحديث عن ذلك في الاسفار اليهودية نفسها كما أكد ذلك القرآن الكريم بصفة اجمالية ، وفيما يأتى اليك النصوص اليهودية الدالة على وثنية بنى اسرائيل حتى في عهد يعتبر خير عصورهم وهو عصر موسى عليه السلام.

ب- نصوص من الأسفار تدل على وثنية بنى أسرائيل في عهد موسى

و- عبادة العجل وغيره من الأوثان

ذكر سفر الخروج أن بنى اسرائيل استبطأوا موسى بعد ذهابه لميقات ربه فطلبوا من أخيه هارون أن يصنع لهم عجلا ذهبيا ليعبدوه على أنه الههم الذى أخرجهم من أرض مصر . فقال :

" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل . اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وآتوا بها الى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يااسرائيل التي اصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه "(١) .

والنص اليهودى هذا صريح في الدلالة على ان الذى صنع العجل لبني اسرائيل هو هارون عليه السلام ولا يصح ذلك على الاطلاق . ذلك لأن هارون عليه السلام رسول كلفه الله بالدعوة مع موسى عليه السلام وما كان الله عز وجل ليختار من هذا شأنه من الكفر والفساد لهداية الناس ، وهو لا يصطفى الا الصالحين من عباده ليصلحوا عبيده ، ومن كان غير صالح في

---

(١) خروج ٣٢ : ١ - ٥

نفسه ، فلا شك أنه لا يستطيع اصلاح غيره ، وفاقد الشئ لا يعطيه ، وان قيل أنه كان صالحا عند الاختيار ، ولكنه تغير بعد ذلك ، قيل ان علم الله بما حصل منه من الصلاح عند اختياره للرسالة كعلمه بما سيقع منه بعد الرسالة فامتنع ان يقع عليه الاختيار الالهى الا وقد علم الله منه الصلاح الذى لا ينقطع فكيف يدعو رسول الى عبادة غير الله وهو انما بعث ليدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له . قال تعالى : " ما كان لنبي أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون "(١) ثم ان موسى عليه السلام استخلف أخاه هارون على قومه عند غيابه لمناجاة ربه لثقته فيه ، ولأنه وزيره ، وما كان ليستخلف على قومه الا من ثبتت لديه أمانته وصدقه ،واخلاصه ،ولذلك قال له : " أخلفني في قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين "(٢) .

وفوق هذا كله جاء في القرآن الكريم ما يدل على ان الذى صنع لهم العجل هو رجل آخر سماه القرآن الكريم السامرى وفي هذا ما يبرئ ساحة نبى الله هارون مما نسب اليه من اضلال قومه زورا وبهتانا فقد قال الله تعالى في ذلك وهو يخاطب موسى بعد تمام المناجاة ويخبره بما آل اليه أمر قومه بعده :

" ... فانا قد فتنا قومك من بعدك فأضلهم السامرى . فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى . فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى . أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد

---

(١) آل عمران ٧٩-٨٠ (٢) الاعراف ١٤٢

قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى . قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن أفعصيت أمرى . قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي . قال فما خطبك يا سامرى . قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا . انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شيء علما "(١) .

لقد برأ القرآن الكريم في هذه الايات وغيرها نبي الله ورسوله هارون مما نسب اليه اليهود من الكفر والتضليل وأثبت أن اليهود عبدوا ذلك الصنم الذى صنعه لهم السامرى . ومن تأمل فيما قاله اليهود لبعضهم وهم يشاهدون ذلك العجل المعبود " هذا الهكم واله موسى " كما جاء في القرآن . و " هذه الهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر " كما في رواية اليهود ، يستيقن أن بني اسرائيل الذين افتروا هذه الفرية العظيمة على ربهم الذى أخرجهم من العذاب المهين ونسوا فضله عليهم ، وآثار نعمه لا تزال رطبة بينهم ،جدير أن يفتروا على نبيهم هارون عليه السلام فمن استحل الكذب على ربه العظيم ،هان عليه ما دونه من الذنوب والمعاصي .

وبالاضافة الى ما سبق ذكره في شأن عبادة بني اسرائيل العجل في عهد موسى عليه السلام كما دلت عليه النصوص ، توجد نصوص اخرى في اسفارهم تدل على عبادتهم الأوثان في عهده أيضا . وذلك حيث يقول سفر التثنية حكاية عن قول موسى عليه السلام لقومه : " أعينكم قد أبصرت ما فعله الرب ببعل ففور . ان كل من ذهب وراء بعل ففور ، أباده الرب الهكم من وسطكم . وأما انتم الملتصقون بالرب الهكم فجميعكم أحياء اليوم "(٢)

---

(١) سوره طه ٨٥ - ٩٨ (٢) تثنية ٤ : ٣-٤

وفي هذا النص دليل على ان قوم موسى عليه السلام قد عبدوا في حياته صنما اسمه بعل فغور ، فانتقم الله ممن عبده منهم فاهلكهم ولم يبق الا المخلصون الذين اجتنبوا عبادته ، ولم يشركوا بالله تعالى . وجاء في سفر العدد أيضا تأكيد انهم عبدوا الصنم بقوله : " وأقام اسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب ، فدعون الشعب الى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن ، وتعلق اسرائيل ببعل فغور ، فحمى غضب الرب على اسرائيل "(١) .

وفي سفر المزامير أكد ان بني اسرائيل عبدوا هذا الصنم وغيره في عهد موسى حيث قال : " صنعوا عجلا في حوريب(٢) ، وسجدوا لتمثال مسبوك وأبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب ، نسوا الله مخلصهم الصانع عظائم في مصر ، وعجائب في أرض حام ، ومخاوف على بحر سوف . فقال باهلاكهم لولا موسى مختاره وقف في الثغر قدامه ليصرف غضبه عن اتلافهم . ورذلوا الارض الشهية لم يؤمنوا بكلمته . بل تمرمروا في خيامهم ، لم يسمعوا لصوت الرب . فرفع يده عليهم ليسقطهم في البرية وليسقط نسلهم بين الامم ، وليبددهم في الاراضي . وتعلقوا ببعل فغور ، وأكلوا ذبائح الموتى ، وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء "(٣) .

وفي هذا النص وصف دقيق لاعمالهم الكفرية وردتهم المتكررة متجاهلين نداء الله تعالى الذى جاءهم به النبي الكريم موسى عليه السلام .

والى عبادة بعل فغور هذا أشار سفر هوشع بقوله : " وجدت اسرائيل كعنب في البرية رأيت آباءكم كباكورة على تينة في أولها . اما هم فجاءوا الى بعل فغور ، ونذروا أنفسهم للخزى وصاروا رجسا كما أحبوا "(٤) .

---

(١) عدد ٢٤ : ٢ - ٣

(٢) حوريب هو الجبل الذى خاطب الله فيه موسى بالرسالة قبل ان يعود الى مصر .

(٣) مزامير ١٠٦ : ١٩-٢٩ (٤) هوشع ٩ : ١٠

ونستخلص من مجموع هذه النصوص اليهودية ، والنصين الكريمين من القرآن الكريم اللذين أكد أحدهما عبادتهم العجل ، والآخر طلبهم من موسى ان يجعل لهم الها من دون الله ، نستخلص منهما أن القوم لم يجمعوا في عصر من العصور على عبادة الله الواحد ، لأن من يعبد الأصنام في عهد موسى والوحي يتنزل ،وموسى يجهر بالدعوة ،وبراهين صدقه تنادى بأعلى الأصوات ، حري أن يعبد الأصنام في غير عصره عليه السلام .

المبحث الثاني

عبادتهم الاصنام في عهد يشوع والقضاة

١ - عبادتهم الاوثان في عهد يشوع :

سبقت النصوص اليهودية الدالة على نهى الله تعالى اياهم عن عبادة الأوثان ،ومقاربة ما يوصل اليها من وسائل ، وعلى الرغم من وضوح معانيها وتحديدها لمعالم التوحيد الذى جاهر به موسى منذ بعثته وحتى وفاته وهم يتيهون في صحراء سيناء. أقبل بنو اسرائيل على عبادة الأوثان والتقرب اليها بمختلف أنواع القربات من ذبائح ونذور وسجود وغير ذلك ، وزاغوا عن الصراط السوى اكثر مما كانوا عليه في عهد موسى عليه السلام . وقد اختلطوا بالأمم الوثنية التى نهو عن مخالطتها حتى لا يصابوا بجرثومة الكفر المهلكة ، وشاركوها في عاداتها وعاداتها واعيادها واحتفالاتها بأصنامها ،وأقاموا معابد وهياكل للأصنام على النحو الذى شاهدوا عليه الوثنيين .

يقول الأب ديلى في وصف هذا الانحراف :" فلقد كان أول التقاء لهم بالكنعانيين وهم مثلهم ساميون (١) يتصفون بصفات متقاربة ،وأميال متشابهة مما يجعل الخطر على ديانة التوحيد أشد وأقرب . لم يكن الله بعد في نظرهم اله السماوات والأرض ، بل اله سيناء . فهل له يا ترى من الشأن في كنعان ما له في سيناء ؟ وهل آلهة البعل التي يعبدها الكنعانيون أقل منه قدرة في بلادها ؟ ولا سيما على المزروعات ؟ الخطر اذا مداهم ، والخطب جليل ، ولا سيما ان العبرانيين حديثو العهد بالتوحيد ، ميالون الى المادة ، منعزلون بأيمانهم الجديد عن كل ما يحيط بهم من الشعوب ،

---

(١) قوله وهم ساميون مثلهم ينافى ما جاء في سفر التكوين من ان كنعان هو ابن حام بن نوح وليس ابن سام بن نوح الذى ينتسب اليه الساميون . انظر تكوين ٩ : ٢٢-٢٧ و ١٠ : ٦ - ٢٠ وسفر اخبار الأيام الأول ١ : ٤-١٦

و تنبعث فيهم الغرائز القديمة ، و يسلكون مسلك الفطنة البشرية التى تحاول ان تراضى الطرفين ، فلا الله يتركون عبادته ، ولا الأوثان ينصرفون عنها .. لم يكن رجال ذلك العهد برجال قداسة وبر . اما وقد ذهب موسى عنهم ، فلسوف تتعرض عبادة الله لاخطار جسيمة "(١) .

لقد استمر بنو اسرائيل على عبادة الأوثان في عصر يشوع أيضا اكثر من عصر موسى ، لذلك قال لهم يشوع : " فالآن انزعوا الالهة الغريبة التي في وسطكم وأميلوا قلوبكم الى الرب اله اسرائيل "(٢) .

هذا في عصر يشوع بن نون الذى قاد الاسرائيليين بعد وفاة موسى عليه السلام الى الأرض المقدسة . فماذا كان حالهم بعد ذلك في عصر القضاة ؟ واليك بيان ما جاء في ذلك من واقع أسفارهم .

٢ - عبادتهم الأوثان في عصر القضاة :

وأما في عصر القضاة الذى يلى وفاة يشوع ، فقد كان كفرهم يزداد يوما بعد يوم ، وابتعادهم عن ملة موسى يكثر شيئا فشيئا حتى بعدت الشقة بينهم و بين جادة الحق .

و في ذلك العصر بذل كثير من القضاة جهودهم لاعادة قومهم الى حمى التوحيد ، ولكن استجابة القوم لهم ليست قوية . و مع ذلك فانهم يفلحون في بعض الأحيان في توعيتهم ، وكبت جماحهم نحو الشر المستطير الذى يتمثل في عبادة غير الله . ولكنهم سرعان ما يرتدون بعد موت قاض من قضاتهم المصلحين . وفي هذا يقول سفر القضاة :

" وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ، ليعبدوها ويسجدوا لها ، لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية "(٣) .

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٨٧ (٢) يشوع ٢٤ : ٢٣

(٣) قضاة ٢ : ١٩

ويعلل سفر القضاة عبادة الاسرائيليين للأوثان في تلك الفترة بأنهم لم يعرفوا ما عرفه آباؤهم من أفعال الرب التى عملها لبنى اسرائيل فيقول :

" وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذى عمل لاسرائيل . وفعل بنو اسرائيل الشر في عينى الرب . وعبدوا البعليم (١) . وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها ، وأغاظوا الرب . تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث (٢) " (٣) .

ان نظرة بنى اسرائيل الى أنفسهم على أنهم شعب الله المختار الذى لا يدانيه شعب من شعوب البشر ، جعلتهم ينظرون الى غيرهم نظرة احتقار وازدراء . وهذا سر بقائهم في عزلة عن الاختلاط بغيرهم . ولكنهم ضحوا بما هو أعظم من كيانهم ونقاء نسبهم . ألا وهو العقيدة الحقة التي ما لبثوا أن فارقوها عند أول اتصالهم بالأمم الأخرى . وهذا دأبهم دائما يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير . قال في سفر القضاة وهو يصف ما أصاب بنى اسرائيل من مجاورة الأمم :

" فسكن بنو اسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لانفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . فعمل بنو اسرائيل الشر في عينى الرب . ونسوا الرب الههم وعبدوا البعليم والسوارى " (٤) .

---

(١) البعليم : جمع بعل في اللغة العبرية وهو الشمس فجمعه يرجع الى تعدد صوره وتماثيله واماكن عبادته . انظر السنن القويم جـ ٣ ص ٢٠٧

(٢) عشتاروث : جمع مؤنث وهي القمر والنجوم وجمعت لتعدد أصنامها وأماكن عبادتها . انظر السنن القويم جـ٣ ص ٣٠٣

(٣) قضاة ٢ : ١٠-١٣

(٤) قضاة ٣ : ٥-٧

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى : " فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة اثر موت موسى عليه السلام الى ولاية أول ملك لهم ،وهو شاول المذكور ، سبع ردات فارقوا فيها الايمان ،وأعلنوا بعبادة الأصنام .

فأولها : بقوا فيها ثمانية أعوام (١) .

والثانية : ثمانية عشر عاما (٢) .

والثالثة : عشرين عاما (٣) .

والرابعة : سبعة أعوام (٤) .

والخامسة : ثلاثة أعوام وربما أكثر (٥) .

والسادسة : ثمانية عشر عاما (٦) .

والسابعة : أربعين عاما (٧) .

فتأملوا اى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ورفض الايمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم واتساع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم ؟ "(٨) .

كذلك كان حال بنى اسرائيل في عصر يشوع ، وهكذا كان في عصر القضاة . فكلما اقتربوا الى الأمم ،ابتعدوا عن دين الله . وكلما طال عليهم الأمد ، قست قلوبهم ، وازداد كفرهم ،وبعدهم عن سواء السبيل ونسأل الله السلامة والعون .

---

(١) قضاة ٣ : ٨

(٢) قضاة ٣ : ١٤

(٣) قضاة ٤ : ١-٣

(٤) قضاة ١٦ : ١

(٥) قضاة ٨ : ٢٧ و ٣٣ - ٣٤

(٦) قضاة ١٠ : ٦-٨

(٧) قضاة ١٣ : ١

(٨) الفصل جـ ١ ص ١٨٩-١٩٠

المبحث الثالث

عبادتهم الأوثان في عصر ملوكهم

أ - عبادة الأوثان في مملكة يهوذا :

مملكة يهوذا هى احدى مملكتي بنى اسرائيل بعد انقسام دولتهم عقب وفاة سليمان بن داود عليهما السلام فى القرن العاشر قبل ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام (١) .

لقد عاش بنو اسرائيل في عهد داود وابنه سليمان عليهما السلام حياة سعيدة مستقرة ، فكانت دولتهم قوية البنيان ، عزيزة الأركان ، مرهوبة الجانب . وذلك بسبب من ولى الله تعالى عليهم في تلك الفترة . وهما النبيان الكريمان ، داود وسليمان عليهما السلام . فكما ان الله تعالى جمع لهما بين النبوة والملك ، فكذلك جمع الله لقومهما في ظل حكمهما بين الدين والدنيا ، فعاشوا خير أيامهم رخاء وأمنا ، وايمانا . ولكن دوام الحال من المحال ، فقد تغير كل شئ في بنى اسرائيل بوفاة سليمان عليه السلام ، فأصبحت المملكة الواحدة القوية مملكتين ضعيفتين . وطغى الجانب الدنيوى على الجانب الديني ، وسيطرت المادية على حياة القوم ، حتى أصبح الجانب الدينى في مهب الريح . وتفككت عرى الدين عروة عروة ، وحل محل التوحيد ، الشرك وعبادة الأوثان .

ولقد نقل العلامة ابن حزم رحمه الله تعالى عن أسفار (٢) اليهود وكتبهم أن ملوك يهوذا الذين بلغ عددهم عشرين ملكا ، توارثوا عبادة الأوثان ملكا عن ملك ما عدا خمسة منهم ، فقد ذكر أن ثلاثة منهم مؤمنون . واثنان منهم لم يجد شيئا من أمر دينهما وسيرتهما فحمل حالهما على الايمان . غير أنني وقفت على ما يدل على أن أحدهما كافر وهو يهورام بن يهوشافاط ، اذ جاء ذلك في سفر الملوك الثاني (٣) . كما وقفت على سيرة ملك آخر من ملوكهم وهو

---

(١) انظر مفاتيح كنوز الاسفار المجلد الاول ص٣٣١ وفهارس كتاب تاريخ شعب العهد القديم .

(٢) الفصل جـ١ ص١٩٣ - ١٩٦

(٣) انظر سفر الملوك الثاني ٨ : ١٧-١٨ وانظر أخبار الايام الثاني ٢١ : ٦و١١ .

يوثام بن عزيا وتبين لي أنه كان موءمنا جاء ذلك في سفر الملوك الثاني أيضا (١) .
وذكر ابن حزم أن امره لم يتبين له . واذا حذفنا أحد الملوك الخمسة الذين ذكرهم ابن حزم بالايمان وهو يهورام السابق ذكره آنفا يكون أربعة ممن ذكرهم رحمه الله هم الموءمنين ، و يضاف اليهم يوثام بن عزيا الذى سبق ذكره قريبا لأنه كان موءمنا وان كانت الأصنام والأوثان تعبد في رعيته بلا انقطاع .

ثم قال ابن حزم رحمه الله بعد أن استعرض أحوال ملوك يهوذا وسيرهم : " وظهر يقينا أن بني يهوذا و بني بنيامين كان مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة على أعوام على اختلاف من كتبهم (٢) في ذلك في بضعة عشر عاما . وقد قلنا أنها كتب مدخولة فاسدة . ملك هذين السبطين في هذه المدة من بني سليمان بن داود عليهما السلام تسعة عشر رجلا ومن غيرهم امرأة تموا بها عشرين ملكا قد سميناهم كلهم آنفا ، كانوا كفارا معلنين بعبادة الأوثان حاشا خمسة منهم فقط كانوا موءمنين ولا مزيد عليهم . وهم آشا بن اسا (٣) . ولي احدى وأربعين سنة (٤) . وابنه يهوشافاط بن آشا ولي خمسا وعشرين سنة (٥) فهذا ستة وستون ، اتصل فيهم الكفر ظاهرا وعبادة الأوثان . ثم ثمانية أعوام ليورام بن يهوشافاط (٦) . لم نجد له حقيقة دين فحملناه على الايمان بسبب أبيه (٧) .

---

(١) انظر سفر الملوك الثاني ١٥ : ٣٤-٣٥

(٢) لقد تتبعت في سفرى الملوك مدد حكمهم وتبين لي صحة ما قاله ابن حزم رحمه الله تعالى اذ أدركت ان مملكة يهوذا استمرت منذ قيامها الى زوالها نحو ثلاثمائة وثلاث ثمانين سنة وستة أشهر وينبغي مراعاة تداخل السنوات التى تكون فيها نهاية حكم ملك وبداية حكم ملك آخر وهى لا شك أقل من عدد الملوك.

(٣) في سفر الملوك الأول اسمه (آسا) واسم ابيه (أبيام) انظر ١٥ : ٨ وفي اخبار الأيام الثاني أيضا اسمه (آسا) ولكن اسم أبيه (أبيا) بلا ميم انظر ١٤ : ١

(٤) الملوك الاول ١٥ : ٩-١٠ واخبار الايام الثاني ١٦ : ١٣

(٥) الملوك الثاني ٢٢ : ٤١-٤٣ وأخبار الايام الثاني ٢٠ : ٣١

(٦) الملوك الثاني ٨ : ١٦-١٧ واخبار الايام الثاني ٢١ : ٢٠

(٧) سبقت الاشارة الى عدم ايمانه كما في الملوك الثاني ٨ : ١٨ واخبار الايام الثاني ٢١ : ٦ ، ١٠ ، ١١ .

ثم اتصل الكفر ظاهرا وعبادة الأوثان في ملوكهم مائة عام وستين عاما (١) مع كفر سائر اسباطهم فعمهم الكفر و عبادة الاوثان في أولهم وآخرهم . فأى كتاب اواى دين يبقى مع هذا ؟ ثم ولى حزقيا المؤمن تسعا وعشرين سنة (٢) . ثم اتصل الكفر بعد في عامتهم وملوكهم و عبادة الأوثان سبعا وخمسين سنة (٣) . ثم ولى يوشيا المؤمن الفاضل احدى وثلاثين سنة (٤). ثم لم يل بعده الا كافر معلن بعبادة الأوثان مدة اثنين وعشرين عاما وستة أشهر . منهم من نشر أسماء الله من التوراة و منهم من أحرقها و قطع أثرها . ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم ايمان الا الكفر و قتل الأنبياء عليهم/ السلام الى أن انقطع امرهم جملة بغارة بختنصر . وسبوا كلهم ، و هدم البيت واستأصل أثره "(٥) .

وتأكيدا لما قاله ابن حزم رحمه الله تعالى أضع بين يدى القارئ النصوص اليهودية التى تؤيد صحة ما نقله وذلك حسب الترتيب الذى ذكره في هذا النص . وهذا بيانها :

قال في سفر الملوك الاول عن أول الملوك الخمسة الذين ذكرهم ابن حزم بالايمان وهو آسا ملك مملكة يهوذا : " وفي السنة العشرين ليربعام ملك اسرائيل ، ملك آسا على يهوذا ، ملك احدى وأربعين سنة في أورشليم ... وعمل آسا ما هو مستقيم في عينى الرب كداود أبيه وأزال المأبونين من الأرض . ونزع جميع الأصنام التى عملها آباؤه حتى أن معكة أمه خلعها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالا لسارية و قطع آسا تمثالها وأحرقه في وادى قدرون "(٦) . وأيد هذا النص ما جاء في سفر أخبار الأيام الأول(٧) .

---

(١) يستثنى من هذه المدة ست عشرة سنة حكم فيها ملك مؤمن هو يوثام بن عزيا (الملوك الثاني ١٥ : ٣٣ - ٣٥) واخبار الايام الثاني ٢٧ : ١-٦و٢

(٢) الملوك الثاني ١٨ : ١-٨ واخبار الايام الثاني ٢٩ : ١-٢

(٣) الملوك الثاني ٢١ : ١-١٩ واخبار الايام الثاني ٣٣ : ١-٢٢ وفيه أن منسى تاب وأصلح ومات تائبا وحكم خمسا وخمسين سنة.

(٤) الملوك الثاني ٢٢ : ١-٢٠ و ٢٣ : ١-٢٥ واخبار الايام الثاني ٣٤ و ٣٥

(٥) الفصل جـ١ ص ١٩٦ (٦) الملوك الاول ١٥ : ٩-١٣

(٧) الملوك الثاني ٢٢ : ٤١-٤٣ (٨) أخبار الايام الثاني ١٤ : ١-٥

وثاني الملوك الخمسة يهوشافاط بن آسا قال فيه سفر الملوك : " وملك يهوشافاط بن آسا على يهوذا في السنة الرابعة لأخاب ملك اسرائيل ... وملك خمسا وعشرين سنة في أورشليم .. وسار في كل طريق آسا أبيه لم يحد عنها اذ عمل المستقيم في عيني الرب" (١) وجاء تأييد هذا النص في سفر أخبار الأيام الأول (٢) .

وثالث الملوك المذكورين يورام (يهورام) بن يهوشافاط فقد ذكر ابن حزم أنه لم يقف على حقيقة دينه فحمله على الايمان بسبب أبيه المؤمن ، وقد تبين لي من سفر الملوك الثاني انه لم يكن مؤمنا وذلك حيث قال السفر المذكور عنه :" وسار في طريق ملوك اسرائيل كما فعل بيت اخاب ، لأن بنت أخاب كانت له امرأة وعمل الشر في عيني الرب" (٣) وكذلك في سفر أخبار الأيام الثاني (٤) .

ورابعهم حزقيا بن آحاز . وجاء فيه قول سفر الملوك الثاني : " وفي السنة الثالثة لهوشع بن ايلة ملك اسرائيل ، ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا . كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك تسعا وعشرين سنة في أورشليم .. وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود أبوه ، هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التي عملها موسى (٥) لأن بني اسرائيل كانوا الى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان (٦) . على الرب اله اسرائيل اتكل . وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ، ولا في الذين كانوا قبله . والتصق بالرب ولم يحد عنه بل حفظ وصاياه التي أمر بها الرب موسى" (٧) وعلى هذا دل سفر أخبار الايام الثاني (٨) .

---

(١) الملوك الثاني ٨ : ١٨ (٢) أخبار الايام الثاني ١٧ : ١-٤

(٣) الملوك الثاني ٨ : ١٨ (٤) أخبار الايام الثاني ٢١ : ٦ و ١٠ و ١١

(٥) حية النحاس ورد ذكرها في (عدد ٢١ : ٨-٩) زعموا أن الله أمر موسى بصنعها حينما كثرت اصابة قومه بالحيات السامة لينظر اليها من لدغ فيشفى .

(٦) نحشتان : مشتقة اما من نحاس (نحشت) واما من (نحش) اى حية فأصبح بعد ذلك علما . السنن القويم جـ٤ ص ٤٢٨ .

(٧) الملوك الثاني ١٨ : ١-٦ (٨) انظر اخبار الايام الثاني ٢٩ : ١-١١

وخامسهم الملك يوشيا بن آمون وجاء فيه قول سفر الملوك الثاني :
" كان يوشيا ابن ثماني سنين حين ملك ، وملك احدى وثلاثين سنة في أورشليم ... وعمل المستقيم في عيني الرب . وسار في جميع طريق داود أبيه ، ولم يحد يمينا ولا شمالا "(١) وأكد هذا القول ايضا ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (٢) .

وقد تحدث سفر اخبار الايام الثاني عما آل اليه عاقبة أمر هذه المملكة الكافرة فقال : " كان صدقيا ابن احدى وعشرين سنة حين ملك ، وملك احدى عشرة سنة في أورشليم . وعمل الشر في عيني الرب الهه ولم يتواضع أمام ارميا النبي من فم الرب وتمرد أيضا على الملك نبوخذ ناصر الذى حلفه بالله وصلب عنقه وقوى قلبه عن الرجوع الى الرب اله اسرائيل . حتى ان جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه في أورشليم . فأرسل الرب اله آبائهم اليهم عن يد رسله مبكرا ومرسلا لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه . فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى صار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم . ولم يشفق على فتى أو عذراء ، ولا على شيخ أو اشيب . بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا الى بابل . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار . وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة . وسبى الذين بقوا من السيف الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا الى ان ملكت مملكة فارس . لاكمال كلام الرب بفم ارميا حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت في كل أيام خرابها لاكمال سبعين سنة "(٣)
هكذا ساءت عاقبة الذين أساءوا وكفروا من بعد ما جاءتهم البينات ، ورأوا

---

(١) الملوك الثاني ٢٢ : ١-٢ (٢) اخبار الايام الثاني ٣٤ : ١-١٣
(٣) اخبار الايام الثاني ٣٦ : ١١-٢١

من آياته وأسباب معرفته وحبه وطاعته ما لم تره أمم قبلهم ولا بعدهم ، فصب عليهم الرب تبارك وتعالى سوط عذاب . وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين .

ب - عبادة الأوثان في مملكة اسرائيل :

لقد كانت حالة مملكة اسرائيل الدينية أسوأ مما كانت عليه حالة مملكة يهوذا المجاورة لها . فقد بلغ عدد ملوكها تسعة عشر ملكا لم يوجد من بينهم من يؤمن بالله تعالى ، بل كانوا جميعا يعبدون الأوثان على تفاوت في الغلو في تقديسها وتعظيمها . وقد استمرت مدة حكمهم نحو قرنين ونصف فاختفت خلالها معالم التوحيد ، وانطمست سبله ، فأخذهم الله بذنوبهم ومزق ملكهم ، وشتت شملهم ، وتفرقوا أيدي سبأ .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى : " فقد صح يقينا ان جميع أسباط بني اسرائيل حاشا سبط يهوذا (١) وبنيامين ومن كان بينهم من ابناء هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مائتي عام وواحد وسبعين عاما (٢) ، لم يظهر فيهم قط ايمان ولا يوما واحدا فما فوقه وانما كانوا عباد أوثان . ولم يكن فيهم نبي الا مخافا (٣) . ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر ، ولا كان عندهم من شرائعها أصلا . مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم . وهم عشرون ملكا قد سميناهم (٤) الى أن أجلوا ودخلوا في الأمم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متملكين وانقطع رسم رميمهم الى الأبد فلا يعرف منهم عين أحد " (٥)

---

(١) استثنى رحمه الله السبطين وبني هارون عليه السلام لأن مملكة يهوذا تتألف منهم ومملكة يهوذا وجد فيها ملوك مؤمنون نبذوا عبادة الأوثان كما سبق بيان ذلك .

(٢) تتبعت مدد حكمهم في سفري الملوك فوجدت انهم حكموا نحو مائتين واحدى واربعين سنة .

(٣) كان الياس عليه السلام في ايام الملك أخاب بن عمري الذي يطلبه للقتل وهو هارب عنه في الفلوات . وكان اليسع في ايام ابنه يهورام بن أخاب . وكانت زوجته ايزابل ابنة ملك صيدا قتلت مائة من الأنبياء . انظر الملوك الاول ١٨ : ١٣ .

(٤) لعل ابن حزم عد رجلا اسمه تبني بن جينة الذي انقسم الشعب عليه وعلى عمري نصفين ثم تغلب عليه عمري ولم يحكم حكما مستقلا . انظر الملوك الاول ١٦ : ٢١-٢٢

(٥) الفصل جـ١ ص ١٩٥-١٩٦ .

ويصف سفر الملوك الثاني ما آل اليه امر الديانة الالهية التي جاء بها موسى عليه السلام في عصر ملوك الدولتين ، وما ترتب على كفر القوم وضلالهم من عقاب الهي متكرر كان آخرها استئصال شأفتهم ، وأخذهم أسرى من بلادهم الى بلاد آشور ، فيقول :

" وكان أن بني اسرائيل أخطأوا الى الرب الههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يدى فرعون ملك مصر ، واتقوا آلهة أخرى ، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني اسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهم . وعمل بنو اسرائيل سرا ضد الرب الههم امورا ليست بمستقيمة ، وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم من برج النواطير الى المدينة المحصنة (١) ، وأقاموا لأنفسهم أنصابا وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء ، وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات . مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم ، وعملوا أمورا قبيحة لاغاظة الرب . وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر وأشهد الرب على اسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء . وكل راء قائلا : ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى فرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى ارسلتها اليكم عن يد عبيدى الأنبياء . فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم . ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم ، وساروا وراء الباطل ، وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم . وتركوا جميع وصايا الرب الههم . وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى ، وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل ، وعبروا بنيهم وبناتهم في النار ، وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لاغاظته . فغضب الرب جدا على اسرائيل . ونحاهم من أمامه .

---

(١) أي من المزرعة الحقيرة الى المدينة المحصنة .

ولم يبق الا سبط يهوذا وحده (١) ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم، بل سلكوا في فرائض اسرائيل التي عملوها . فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه : لأنه شق اسرائيل عن بيت داود . فملكوا يربعام بن نباط فأبعد يربعام اسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة . وسلك بنو اسرائيل في جميع خطايا يربعام التى عمل لم يحيدوا عنها حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء فسبى اسرائيل من أرضه الى آشور الى هذا اليوم (٢) . وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم (٣) ، وأسكنهم في مدن السامرة عوضا عن بني اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها " (٤) .

وفي هذا النص الطويل دليل واضح على ان عبادة الأوثان لازمت بني اسرائيل في حياتهم الطويلة ، ولقد كان أكثر ملوكهم فتنة لهم وعونا على عبادة الأوثان وتشييدها . وكانت الأنبياء عليهم السلام يدعونهم الى التوبة النصوح ، والعودة الصادقة الى ربهم وينذرونهم عاقبة أمرهم وسوء منقلبهم ، ولكنهم لم يجدوا منهم الاستجابة والسمع والطاعة ، بل وجدوا منهم الايذاء والاستهزاء والتوعد والقتل .

قال في السنن القويم : " لم ينقطع الأنبياء لا في اسرائيل ولا في

---

(١) كان سبط يهوذا ومعه سبط بنيامين وشمعون لم يحل بهم ما حل باخوتهم في مملكة اسرائيل فقد أخروا الى أجل مسمى فسلط الله عليهم الكلدانيين فحل بهم العقاب وأخذوا أسرى كاخوتهم الى بابل سنة ٥٨٨ ق.م وبقيت بعدها بعد سقوط مملكة اسرائيل ١٣٣ سنة لانها سقطت عام ٧٢١ ق.م . انظر مفاتيح كنوز الاسفار ص ٣٣١ .

(٢) قوله الى هذا اليوم يدل على ان السفر كتب في زمن الأسر .

(٣) قال في السنن القويم : " وكوث على الفرات شمالي بابل وهي تل ابراهيم الحالية وموقع عوا مجهول . وسفروايم شمالي كوث على قناة من الفرات . جـ٤ ص ٤٢٥

(٤) الملوك الثاني ١٧ : ٧ - ٢٤ .

يهوذا . فكان في يهوذا شمعيا ،وعدو ، وعزريا ، وحناني ،وياهو ، ويحزئيل ، واليعزر ، وزكريا ، وزكريا آخر ، ويوئيل وميخا ، واشعيا ، وغيرهم . وكان في اسرائيل : اخيا وياهو ، وايليا ، وميخا ،واليشع ، ويونان ، وهوشع ، وعاموس وعوديد "(١) .

وكثرة الأنبياء في هؤلاء القوم ،يدل على كثرة ضلالهم وكفرهم لأن الله تعالى لا يرسل رسله الا في أمة تاهت عن طريق الهدى والرشاد ،ترغيبا وترهيبا .

وبعد ، فهل يعتقد عاقل منصف ان بنى اسرائيل الذين نسوا شريعة موسى وأعرضوا عنها قرونا عديدة وأعلنوا عبادة الاوثان وتعصبوا لها ، هل يعتقد ان الكتاب الذى جاء به موسى والذى لا يتفق مع عقيدتهم التى يناصرونها ويجاهرون بها ، يبقى فيهم سالما من التحريف والتبديل ؟ وزد على هذا ما تعرض له ملوكهم من قهر واذلال ونهب لمحتويات بيتهم المقدس الذى تحفظ فيه التوراة . وقد تكرر ذلك مرارا وتكرارا .

---

(١) السنن القويم جـ٤ ص ٤٢٣

المبحث الرابع

عبادتهم الأصنام في عصورهم المختلفة وعبادة صندلفون

لقد استمر بنو اسرائيل على عبادة الأصنام في مختلف عصورهم ، ولازموا الاشراك بربهم ملازمة شديدة :

يقول ول ديورانت في وصف ملازمة اليهود لعبادة الأصنام : " وكان اليهود في ظهورهم على مسرح التاريخ بدوا رحلا يخافون شياطين الهواء ، ويعبدون الصخور ، والماشية ، والضأن ، وأرواح الكهوف ، والجبال . ولم يخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل . ذلك أن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبي . لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزا لالهم . وانا لنقرأ في سفر الخروج (الاصحاح ٣٢ الايات ٢٥ - ٢٨) كيف أخذ اليهود يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبي وكيف أعدم موسى واللاويون ثلاثة آلاف منهم عقابا لهم على عبادة هذا الوثن . وفي تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة تدل على انهم عبدوا الأفعى ، ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التي وجدت في اقدم آثارهم . ومنها الأفعى النحاسية التى صنعها موسى (١) والتى عبدها اليهود في الهيكل الى ايام حزقيا (حوالى ٧٢٠ ق.م) وكانت الأفعى تبدوا حيوانا مقدسا لليهود كما كانت لشعوب كثيرة عداهم . وذلك لأنها رمز للذكورة المخصبة من جهة ، ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء والخلود . فضلا عن أنها تستطيع ان تجعل طرفيها يلتقيان وكان بعض اليهود يعظمون بعل الذى كان يرمز اليه بحجارة مخروطية قائمة ، كثيرة الشبه بلنجا اله الهندوس .

---

(١) ان موسى عليه السلام لا يمكن ان يصنع تمثالا يعبدونه . وهو انما بعث ليخرجهم من الظلمات الى النور وهي فرية وضعها اليهود كما وضعوا قصة صناعة العجل على أخيه هارون ظلما وعدوانا .

وذلك لأنه في رأيهم الجوهر الذكر في التناسل وزوج الأرض الذى يخصبها ، وكما ان آثار عبادة الالهة الكثيرة البدائية قد بقيت في عبادة الملائكة والقديسين ، وفي الأصنام الصغيرة المتنقلة التي كانوا يتخذونها لبيوتهم ،كذلك ظلت المعتقدات السحرية التي كانت منتشرة في العبادات القديمة باقية عند اليهود الى عهود متأخرة رغم احتجاج الأنبياء والكهنة" (١) .

عبادة صندلفون :

لقد انحرف بنو اسرائيل عن الجادة التي هداهم الى أقومها موسى عليه السلام . فعبدوا غير الله تعالى في المرتفعات والسهول والوديان والحقول بل وفي داخل بيوتهم أيضا ، ولم يكتفوا بهذا ، بل اتخذوا معبودا آخر يعبدونه في السنة أياما معدودات . ذلك المعبود هو الذى يزعمون انه يحمل تاج خالقهم ، ويطلقون عليه اسم الرب الصغير . قال ابن حزم رحمه الله تعالى :" واعلموا أنهم افردوا عشرة أيام من أول اكتوبر يعبدون فيه ربا آخر غير الله عز وجل ، فحصلوا على الشرك المجرد . واعلموا ان الرب الصغير الذى أفردوا له الأيام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عز وجل ، هو عندهم صندلفون الملك خادم التاج الذى في رأس معبودهم وهذا أعظم من شرك النصارى" (٢) .

---

(١) قصة الحضارة جـ٢ ص ٣٣٨ - ٣٣٩

(٢) الفصل جـ١ ص ٢٢٣

المبحث الخامس

تأكيد القرآن الكريم عبادتهم غير الله تعالى

جاءت في القرآن الكريم آيات تدل على ان بني اسرائيل كفروا بربهم وعبدوا سواه ، وذلك منذ عصر موسى عليه السلام . فقد سبق بيان أنهم طلبوا من موسى عليه السلام ان يجعل لهم الها يعبدونه من دون الله على النحو الذى شاهدوا عليه قوما يعكفون على عبادة الأصنام بعد ان عبروا البحر على تلك الطريقة العجيبة الداعية الى الايمان العميق ، فوبخهم موسى عليه السلام توبيخا شديدا ، ووصفهم بالجهل ، وذكرهم الاء الله ونعمه عليهم التى تستوجب طاعته وحبه وعبادته وحده لا شريك له : " قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين "(١) . كما سبق بيان عبادتهم العجل وموسى في مناجاة ربهم ليعود اليهم بسعادة الدنيا والآخرة وهذه الحادثة أيضا وقعت بعد نجاتهم من فرعون وقومه ، واغراق الله عدوهم ، وهم ينظرون ، مما يدل على قسوة قلوبهم وسوء أعمالهم ، وشدة اعراضهم عن ربهم الذى أكرمهم وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة وأتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين .

وذكر القرآن الكريم أيضا أنهم اشركوا بالله تعالى وعبدوا الطاغوت الذى أمر الله أن يجتنبوه ويكفروا به ، فقال تعالى : " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيرا "(٢) . وقال تعالى " قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير و عبد الطاغوت. أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل "(٣)

---

(١) سورة الاعراف ١٤٠ (٢) سورة النساء ٥١-٥٢ (٣) سورة المائدة ٦٠

وقال تعالى في حق اليهود والنصارى : " اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الـهـا واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون "(١) .

وقال تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "(٢) .

وقال تعالى " ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ؛ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون "(٣) .

وفي هاتين الآيتين والتى قبلها تعريض بأولئك الكفرة من اليهود والنصارى . فانهم اتخذوا علماءهم وبعض أنبيائهم أربابا وهو ما لم يأذن به الله ، ولا يأمر به نبي من انبيائهم . كما دلت الايات قبلها أنهم أشركوا بالله تعالى ، وعبدوا بعض مخلوقاته ،فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ولم يقيموا وزنا لما أخذ الله عليهم من المواثيق والعهود أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا ، ولا يقولوا على الله الا الحق الذى علموه عن أنبيائهم ورسلهم الذين ما كادت تخلو منهم فترة من أيامهم .

وبعد : فقد اتضح لنا من خلال نصوص أسفارهم التي يزعمون قدسيتها ويرون حجيتها ، ومن خلال ما دلت عليه النصوص القرآنية الكريمة التي استعرضناها موقف بنى اسرائيل من الذات الالهية المقدسة ، وهو الكفر الصريح بما جاءت به رسل الله وأنبياؤه الكرام من الدعوة الواضحة البينة الى عبادة الله وحده لا شريك له ، على أساس من التقديس والتنزيه . على أنه يوجد

---

(١) سورة التوبة ٣١ (٢) سورة آل عمران ٦٤ (٣) سورة آل عمران ٧٩-٨٠

من قوم موسى أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . ويهدون بالحق وبه يعدلون . ولكن تلك الفئة لم تكن تمثل السواد الأعظم من بني اسرائيل وانما هي قلة . كما قال القرآن الكريم في ذلك : "منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون". وهذا ما كان من أمرهم قبل البعثة المحمدية ، وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم ، فقد دخلت تلك الطائفة المؤمنة في الاسلام ، وبقي السواد الأعظم على كفره ، وهم اليوم أمة كافرة بالله ورسله لا شك في ذلك . ونحمد الله تعالى على ما من به علينا من الهداية للدين القيم الذي رضيه لخيار عباده دينا ، ونسأله أن يثبتنا عليه حتى نلقاه في أمن يوم الفزع الأكبر انه رحيم ودود .

جدول الخطأ والصواب (الجزء الأول)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	٢ من أسفل	ثمانية	سبعة
٨	١	منا	منها
—	٥ من أسفل	ستة	خمسة
١٢	٢	توء هلها	توء هلهما
١٥	من ١٢ الى آخر الصفحة	المباحث المكررة	تحذف
١٦	٨ من أسفل	اللر	الله
٢٢	الأخير	تفرع منهم	تفرع عنهم
٢٤	٩	جو ريب	حو ريب
٢٥	٤	المعيشية	المعشية
—	٥	للاجتماع	الاجتماع
٢٧	هامش أخير	هامش أخير	يحذف الهامش الأخير
—	٦ من أسفل	(٢) في الأصل	يحذف
—	٢ — —	(٣) في الأصل	يكتب : (٢)
—	هامش ثاني	— ص ٢٥٢	ص ٣٥٢
٢٩	١٠	فهى	فهو
٣٠	٤	الو لعد	الوعد
—	٩	يحذف السطر الزائد بين السطرين	
٣٢	٢ من أسفل	لم يتورعوا من	لم يتورعوا عن
٣٤	٨ — —	و خلفه	خلفه
٣٦	١١ — —	ايد	ايدى
٤٤	٧	بن	ابن
٤٥	٦	منها	عنها
٤٧	٢	فاستااجر	فاستأجر
—	٨	و بعصيانه	بعصيانه
٥٠	١١	بهئائم	وبهائم
٥٥	٨	مجيبة	محبيه
٥٧	٨ من أسفل	ثلاث	ثلاثة
٦٠	٨	تزوجه	نزوحه
٦٢	٣	نقص	نقض
٦٣	٦	لأنه	مبنى على أنه
٦٤	٩	أحشر بروش	أحشو يروش

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٤	١٣	كل	كل
—	٦ و ٧ من أسفل	أصدر	أصدرا
—	٦ — —	يبهدو	يبهدوا
—	الأخير	يكتب رقم ١ في آخر السطر	
٦٥	٦	فمكافأة	فكافأه
—	١٢	كالتثيران	كالثيران
٦٧	١١	ومن صحيح المعقول	أو من صحيح المعقول
٦٩	١٢	سنة	ستة
٦٤	آخر السطر في الهامش	مطموس	السيد عمر التميمي
٧٩	٨ من أسفل	فجذفوها	فحذفوها
٨٠	٦ — —	ليعلم	يعلم
٨٥	٦	حسب قول اليهودعزرا	حسب تقليد اليهود هو عزرا
—	٧	العلماء يقولون	العلماء حديثا يقولون
٨٩	الأخير	يحذف منه مابعد (الى) و يضاف اليه : (التعريف بأسفار التلمود ومحتوياتها)	
٩٠	١٢ من أسفل	المشنا مع الجمارا	المشنا والجمارا
٩١	١١	يضاف الى النص: " ـ ان القصة التى تروى هذه الاحاديث الثلاثة لمن أكثر القصص تعقيدا وأعظمها اثارة للدهشة في تاريخ العقل البشرى" (١)	
—	هامش	جـ١٣	جـ ١٤
٩٧	٧ من أسفل	يكتب عنوان جانبى رقم ٧ ـ التلمود والأخلاق .	
١٠٣	آخر السطر الأخير	يضاف اليه : وهو يخاطب رسوله	
١٠٥	٩ من أسفل	ويقلون	ويقولون
١٠٦	٨ — —	كحق	حق
١٠٧	٨	السابقتين	السابقتان
١١٢	١٠	لوط	لوطا
١١٦	١	طمس	صحيحا
—	٢	—	أو فر
١١٧	٥	فأخذ	فآخذ
—	٩	والفجل	والعجل
١١٨	٨ من أسفل	أحمد	أحد
١٢١	٣	يتنازل عن	يتنازل له عن
—	٣ من أسفل	لينة	ليئة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٢	٧	دانا	دان
—	٦ من أسفل	نفتالى	بنيامين
١٢٦	١	واحد	واحدا
١٣١	٧ من أسفل	عليه	عليهم
—	١ هامش	أبو السعود من	أبو السعود وغيره من
١٤٢	٣	بتميمة	بنميمة
١٥٠	٢ من أسفل	نرتع و نلعب	يرتع و يلعب
١٥٢	٦ — —	ملالة	مسلة
١٥٦	١٠— —	الا ُليمة ترتيبت	التى ترتبت
١٥٧	الهامش الا ُخير : " الفصل في الملل والا ُهواء والنحل جـ١ ص ١٥٠ "		
١٦٠	٦ من أسفل	عليهم السلام	عليهما السلام
١٦١	٤ — —	ويصدكم	ويصعدكم
١٦٤	١٠	اذا	اذ
١٦٧	١١	اذ	اذا
١٦٩	٧	وعد	ووعد
١٧١	٣	فى البقعة المباركة	فى البقعة المباركة من الشجرة
١٧٤	١٠	ووخاصته	و مخاصته
١٧٧	١١	ففرت	ففررت
١٨٣	٨ من أسفل	أخفاء هم	أحقاء هم
١٨٤	٣	وهو	هـو
١٨٥	١١ من أسفل	وصاها	وصى بها
١٨٨	٢	يخطر	تخطر
١٩٠	٩ من أسفل	و غشيهم	فغشيهم
١٩٤	٣	فكثوا	فمكثوا
—	٩	تميتنا	تميتا
٢٠٧	١٠	يخاربون	يحاربون
٢١٠	الا ُخير	على امكانها	على وقوعها
٢١٨	٦ من أسفل	قتله بعد ..	قتله أهود بعد ..
٢٢٤	٩ — —	بعدد	فى عدد
—	١٠	البنيامين	البنيامينيين
٢٢٥	٦ من أسفل	الحروف	الحروب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٤	١	البحث	المبحث
٢٤٥	٣	بنى هناك	وبنى هناك
٢٤٦	١١	فاشتضافه	فاستضافه
٢٤٧	١٢	و فى جميع الاحوال	و فى جمع الاموال
—	٧ من أسفل	ورثها اسحاق منه	ورثها اسحاق عنه
—	٧ — —	يعقوب من اسحاق	يعقوب عن اسحاق
٢٤٨	٤ — — الهامش	انه ليحزننى	انى ليحزننى
٢٥٦	هامش أخير	٤٣:	٣ — ٤
٢٥٨	٧	الضرب	الضرة
—	١٠	الى زوجته تغيرأبيها	الى زوجتيه تغيرأبيهما
٢٦١	٢ هامش	أبناء يوسف	أبناء يعقوب
٢٦٥	٩	من أبيه	عن أبيه
—	١٠	من اسحاق	عن اسحاق
٢٦٧	٦	بهفه	يهقه
—	٧ من أسفل	العظيم	التعظيم
٢٧٠	١٣	التخقيق	التحقيق
٢٧٤	٢ من أسفل	يريث	بريث
٢٧٥	٣	— —	— —
٢٧٦	١١ من أسفل	كثمرة	كثمره
٢٨١	٥ — —	سبقعم	سبقهم
٢٨٤	٢ — —	تتعابعت	تتابعت
٢٩١	٨	وأشبابها	وأشباهها
٢٩٣	٣	تدل عدم	تدل على عدم
٢٩٣	٦	تبرمز	ترمز
٢٩٥	٨ من أسفل	وجاء فى قوله	وجاء فيه قوله
٣٠٠	١٠ — —	الآية	الآيات
٣٠٢	٦	أربع	أربعة
—	٧ من أسفل	ولا فىوالارض	ولا فى الارض
٣٠٤	١٢ — —	عينيك	عينك
—	٤ — —	الجبرون	الجبروت
—	٣ — —	حكمه	حكمة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٧	١٢	ولا تقربا من هذه	ولا تقربا هذه
٣٠٨	٧ من أسفل	الحياة	الحية
—	٢ — —	قوس	قوسى
٣١١	٧ — —	عن الله	على الله
—	٣ — —	أربع	أربعة
٣١٢	٨	وما	مما
٣٢٦	٨ من أسفل	لرؤية	برؤية
٣٣٤	٤	يتخوون	ينتخونه
٣٣٥	٧	فتتحول	فتحول
٣٣٩	٨	صرخت	صرحت
—	٩	(ص٥)	(٣)
—	٦ من أسفل	عصدنى	عضدنى
٣٤٠	٢ — —	ثيابكم	ثيابهم
٣٤٥	٢ — —	العظيم	لعظيم
٣٤٧	٤	(فالفصل الكلام) بين السطرين يحذف لأنه مكرر	
٣٥١	٢	صدره	صدرة
٣٥٦	٤	جاءت	جاء
٣٦٧	١١ من أسفل	يدون	يحدون
—	١٠	قيوا	قووا
٣٦٩	١١	قاران	فاران
٣٧٢	١٠ من أسفل	الدراع	الذراع
٣٧٣	١٠ — —	باتا . أجمع	باتاء أجمع
٣٧٦	٦	تمنع عن	تمتنع على
٣٨٤	٦ من أسفل	نسبه	نسيه
٣٩٩	٤ — —	عند هم من	عند هم شىء من